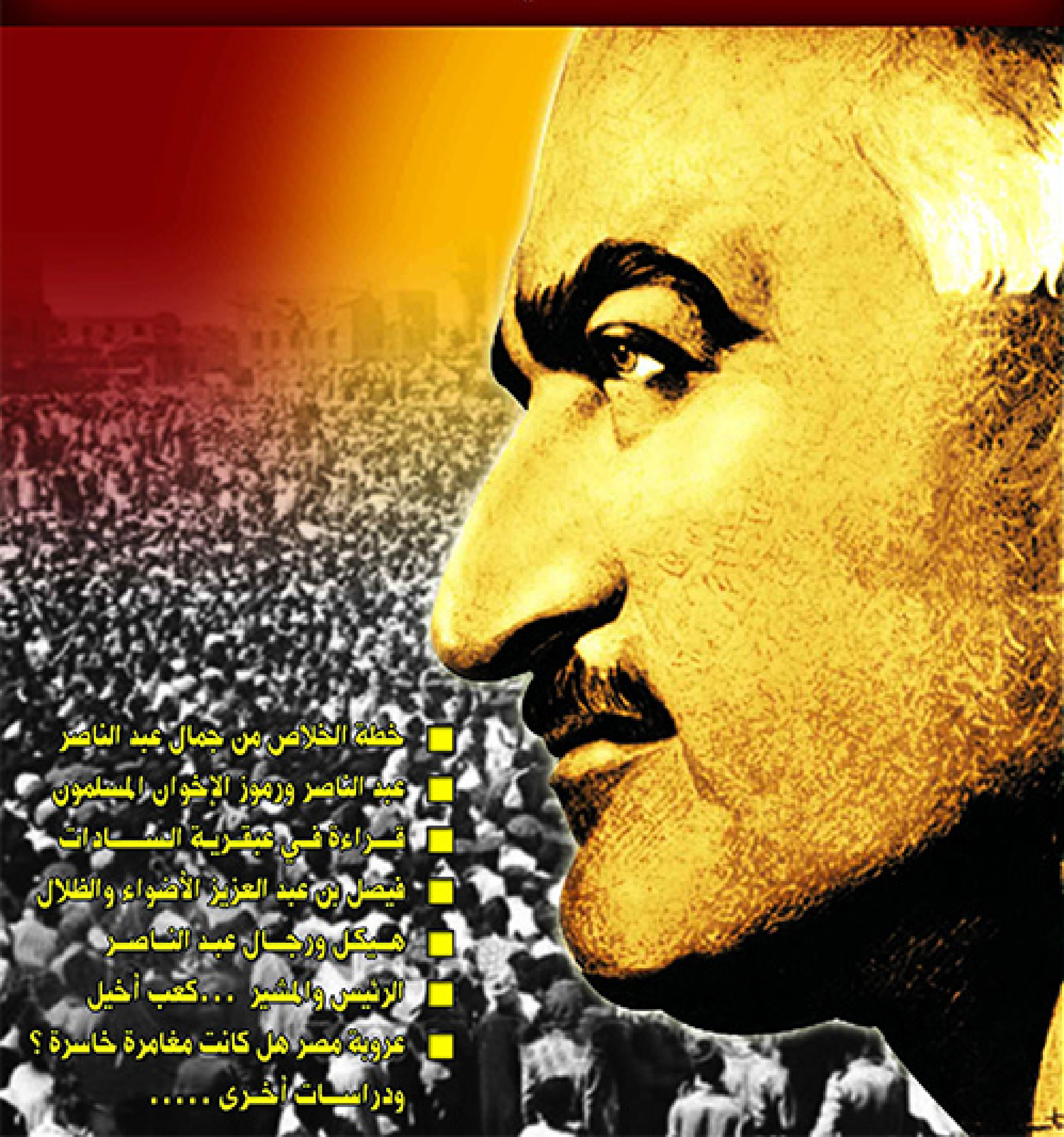
عمرو صابح

معارك ناصرية

قــراءة جديدة في تاريخنا المعاصــر



مقـــــــدمة

رغم مرور أكثر من أربعين عامًا على رحيل الرئيس جمال عبد الناصر إلا إنه يبدو وكأنه غادرنا بالأمس، فصورته تحضر إلى العقل الجمعى العربى، كلما واجهت الأمة العربية مشكلة، فهناك من يرى فيه الحلم العربى الضائع للنهضة والتحرر واللحاق بالعصر، وهناك من يتهمه بأنه سبب كل ما تواجهه الأمة العربية من مشاكل وأزمات الآن.

ولأن التاريخ ليس رواية يمكن لكاتبها التغيير والتعديل فيها وإضفاء آراءه ومعتقداته عليها، فأنه لمعرفة كون جمال عبد الناصر حلمنا الضائع أم كونه سبب مشاكلنا الآن يلزمنا التنقيب والبحث عن النقاط الخلافية فى تاريخه والتى يرى فيها خصوم فكره وتجربته أنها تمثل مثالب شخصيته وحكمه.

كان هذا البحث والتنقيب عن النقاط الخلافية فى سيرة حياة الرئيس جمال عبد الناصر هو دافعى لكتابة تلك السلسلة من المقالات عنه وعن خلفه الرئيس أنور السادات. وقد حرصت فى كتابتى على التوثيق والإشارة لمصادر المعلومات درء للدخول فى مهاترات لا تصح عند التصدى لكتابة الوقائع التاريخية.

لقد رحل الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ومنذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن وهو يتعرض لحرب ضروس لا تهدأ تستهدف اغتيال شخصيته معنويا وتشويه تجربته ومشروعه النهضوى العربى وقد نجحت تلك الحرب الضروس ضد الرئيس جمال عبد الناصر وعهده فى تكريس بعض الأكاذيب كمسلمات وحقائق لا يمكن إنكارها، لذا قررت التصدى لتفنيد تلك الأكاذيب التى يعتنقها البعض كحقائق دامغة عن جمال عبد الناصر وعهده، وكان هدفى هو الأجيال الشابة فى أمتنا العربية عامة وفى مصر خاصة، فقد تركزت فى مصر حملة تشويه جمال عبد الناصر وعهده عن عمد لإدراك القوى التى خططت ومولت تلك الحملة الظالمة ومازالت تتولاها بالرعاية حتى الآن، إن تكرار تجربة جمال عبد الناصر لا يمكن أن يحدث نفس التأثير والخطر على المصالح الأمريكية والصهيونية فى العالم إلا إذا قام نظام جديد فى مصر يستلهم أفكار ومبادئ عبد الناصر، لقد حاول زعماء عرب كثيرون تقليد جمال عبد الناصر ولكنهم فشلوا فشلا ذريعًا لأنهم لم يدركوا أن نجاح تجربة جمال عبد الناصر كان مرهونًا بكونها فى مصر.

إن الناصرية كانت ومازالت أحد أهم مفاتيح الحل لأزمة الأمة العربية الراهنة بل أن ما نعانيه الآن من تفكك وضعف وهوان فى شتى المجالات يعود فى جزء كبير منه إلى الانقلاب التام على الناصرية منذ سبعينيات القرن الماضى.

إن أول خطوة لإقناع الأجيال الشابة فى مصر وفى الأمة العربية بنجاح تجربة عبد الناصر وبكون الناصرية مفتاح للخروج من أزمتنا الراهنة هو تحطيم تلك الأكاذيب التى تحولت لمسلمات فى وعى الشباب العربى عن جمال عبد الناصر وعهده.

بعد مرور أكثر من أربعين عاما على رحيل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر يأتى كتابى هذا خطوة على الطريق من أجل تقعيد التاريخ العربى تقعيداً صحيحاً وحقيقيًا ، ليس دفاعا عن جمال عبد الناصر وعهده بل دفاعا عن تاريخنا ومستقبلنا.

شبهات حول وفاة عبد الناصر

«كُل المصائب تبدأ كبيرة ثُم تصغُر تدريجياً إلا مُصيبة فقد عبد الناصر فسوف تكبر آثارها يوماً بعد يوم».

هكذا وصف القائد الفلسطينى الشهيد صلاح خلف (أبو إياد) مصيبتنا كعرب برحيل جمال عبد الناصر.

أربعون عامًا كاملة مضت على ذلك اليوم الأسود فى التاريخ العربى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ والذى يصادف أيضا ذكرى يوم أخر حالك السواد من أيام التاريخ العربى وهو يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ عندما نجحت حفنة من الضباط الخونة والمأجورين المدعومين بخطط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبالأموال السعودية وبتأمر إسرائيل والأنظمة العربية العميلة فى فصم عرى الجمهورية العربية المتحدة وتحطيم أول وأخر وحدة اندماجية عربية فى التاريخ الحديث.

بمقاييس الزمن عاش عبد الناصر حياة قصيرة فقد رحل عن ٥٢ عاما و ٨ أشهر و ١٣ يوما ، ظهر فيها على مسرح التاريخ لمدة ١٨ عاما مثلت فصلاً استثنائيا فى التاريخ العربى كله.

رحل عبد الناصر ولم تكتمل رسالته وبعد وفاته انقضت قوى الاستعمار العالمى متحالفة مع ذيولها من قوى الثورة المضادة والرجعية العربية على وطننا العربى لبتر تجربته والقضاء على نتائجها و تشويه ذكراه واغتيال شخصيته معنويا عبر إلصاق كل الموبقات والمصائب به وبفترة حكمه.

وكقارئ وباحث مهتم بالتاريخ فقد سعيت لقراءة كل ما تمت كتابته عن الرئيس عبد الناصر ، وبمقارنة ما قرأته مع الواقع العربى حاليا تيقنت من صحة اختياري السياسى وانحيازي لجمال عبد الناصر السياسى والمفكر والإنسان، وخلال قراءاتى لفت نظرى بشدة تكرار تاريخ معين فى الوثائق التى تتناول عهد عبد الناصر هو عام ١٩٧٠ كعام للخلاص من مشكلة جمال عبد الناصر.

وعندما قمت بتجميع تلك الوثائق معا وكتبت مقالى الأول (غياب عبد الناصر.. هل كان صدفة؟) فى نوفمبر ٢٠٠٧ ، والذى اعتمدت فيه على وثائق منشورة بالكتب ومتاحة للجميع منهما وثيقتين من كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل، ووثيقة نشرها الدكتور رءوف عباس عن خطط حلف شمال الأطلنطى لتصفية جمال عبد الناصر، ووثيقة للملك فيصل بن عبد العزيز منشورة فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب حمدان حمدان.

وهذا نص المقال:

غياب عبد الناصر هل كان صدفة؟

ما زالت الوفاة المفاجئة للرئيس/ جمال عبد الناصر عن عمر يناهز ٥٢ عامًا و ٨ أشهر و١٣ يوما تثير التساؤلات عما أمات عبد الناصر فى هذه السن المبكرة، هل هى الأمراض المتعددة التى كان يعانى منها؟ أم أن هناك جهات كان لها مصلحة فى اختفاء عبد الناصر فى هذا التوقيت بالذات وفى عام ١٩٧٠ تحديدًا؟ فى هذا المقال لن أتطرق للبحث عن أدلة أو شبهات جنائية فى أسباب وفاة الزعيم، ولكن سوف أقوم بعرض مجموعة من الوثائق التى ربما تؤدى إلى الوصول للإجابة عن سر وفاة الرئيس عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وجميع هذه الوثائق منشورة فى كتب مطبوعة وموجودة فى المكتبات.

الوثيقة الأولى:

تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية تم إعداده آخر عام ١٩٥٦ بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر، وهذا التقرير/الوثيقة نشره الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى كتابه (سنوات الغليان) الصادر عام ١٩٨٨ عن مؤسسة الأهرام فى صفحة ٩٨٦ بالملحق الوثائقى للكتاب. ويتناول التقرير احتمالات نهاية نظام حكم ناصر فى مصر ويحدد السبيل فى خيارين:

١- هزيمة عسكرية ساحقة.

٢- اغتيال جمال عبد الناصر.

وأريد من القارئ الكريم أن يتذكر هذين الخيارين ونحن نواصل عرض هذه المجموعة من الوثائق.

الوثيقة الثانية:

وقام بنشرها الأستاذ الدكتور/ رءوف عباس فى مقال بعنوان (حلف الأطلنطى وراء ضرب عبد الناصر فى يونيو ١٩٦٧) فى عدد من مجلة الهلال الصادر فى يونيو عام ٢٠٠١.

والوثيقة التى يعرضها الدكتور/ رءوف عباس هى... محضر الجلسة الأولى من محاضر اجتماع حلف شمال الأطلنطى فى شتاء عام ١٩٦٤ والتي عقدت لمناقشة ورقة العمل التركية التى أعدها وزير الخارجية التركى وتحمل عنوان (تصفية عبد الناصر).. أما محاضر الجلستين الثانية والثالثة لهذا الاجتماع فما زالت محظورة ولن يسمح بالاطلاع عليها قبل عام ٢٠١٤.

ومحضر هذه الجلسة الذى يناقش ورقة العمل التركية :

❖ يتحدث عن الدور المشاكس والمضاد لمصالح الغرب الذى تلعبه مصر

بزعامة عبد الناصر عبر العديد من المشكلات التى تسبب فيها عبد الناصر من إفشال فكرة الأحلاف العسكرية - شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية – تأميم القناة - تمصير وتأميم المصالح الأجنبية فى مصر – الوحدة مع سوريا..ثم ثورة اليمن.. وهى الطامة الكبرى بالنسبة لمصالح الغرب.. فوجود الجيش المصرى فى اليمن لمساندة الثوار أدى إلى نشوء وضع خطير هو تحكم مصر فى طريق المواصلات بالبحر الأحمر من الشمال عبر قناة السويس، ومن الجنوب عبر مضيق باب المندب..

كما أن هذا الوجود يهدد بزوال العرش الملكى السعودى الذى يحارب الثورة اليمنية... وهو العرش الذى يضمن تدفق البترول إلى الغرب بكل يسر.

❖ وتعرض الوثيقة إلى الأطراف العربية التى تعادى طموحات جمال عبد الناصر وسياساته وتحددها فى المملكة العربية السعودية والأردن وليبيا تحت حكم الملك السنوسى.

❖ كما تلفت النظر لسوء العلاقات المصرية السورية.. والمصرية العراقية.

❖ كما تتحدث عن النفوذ المصرى فى إفريقيا المعادى لمصالح الغرب.

❖ وتدعو لدراسة الاقتراح بتوجيه ضربة عسكرية موجعة إلى عبد الناصر.

❖ كما تطالب بتحويل اليمن إلى مستنقع يغوص فيه الجيش المصرى مما يساعد على إنجاح الضربة العسكرية الموجهة إلى مصر... مع التنبيه على أنه إذا استمر الوضع الحالى فى اليمن فإن العرش السعودى مهدد بالزوال عام ١٩٧٠.

وهنا أطلب من القارئ الكريم أن يلاحظ التاريخ عام ١٩٧٠ العام الذى شهد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.. ونصل الآن إلى الوثيقة الثالثة فى موضوعنا.

الوثيقة الثالثة:

وهى من أخطر ما يكون.. وتاريخ هذه الوثيقة هو (٢٧ ديسمبر ١٩٦٦) وتحمل الوثيقة رقم ٣٤٢ من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودى.. وهى مرسلة من (الملك السعودى / فيصل بن عبد العزيز) إلى (الرئيس الأمريكى/ ليندون جونسون).. وهى منشورة فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب/ حمدان حمدان.. طبعة دار بيسان.. فى صفحتى ٤٨٩ - ٤٩٠ من صفحات الكتاب.

وفيها يقول الملك العربى مخاطبًا الرئيس الأمريكى:

«من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن

مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا ، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكريا وإعلاميا ، فلن يأتى عام ١٩٧٠ — كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت — وعرشنا ومصالحنا فى الوجود..

لذلك فأننى أبارك، ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا ، أن اقترحوه، لأتقدم بالاقتراحات التالية:

١. أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة، ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها ، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

٢. سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع اقتطاع جزء من أراضيها ، كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر.

٣. لا بد أيضا من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة، كيلا يبقى للفلسطينيين أي مجال للتحرك، وحتى لا تستغلهم أية دولة عربية بحجة تحرير فلسطين، وحينها ينقطع أمل الخارجين منهم بالعودة، كما يسهل توطين الباقى فى الدول العربية.

٤. نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق، بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل، علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (١٩٦٥) بإمداد البرازانى بالمال و السلاح من داخل العراق، أو عن طريق تركيا و إيران.

يا فخامة الرئيس/ إنكم ونحن متضامنين جميعا سنضمن لمصالحنا المشتركة و لمصيرنا المعلق، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها ، دوام البقاء أو عدمه.

أخيرا أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة، و للولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو وارتباط أوثق وازدهار.

المخلص: فيصل بن عبد العزيز/ ملك المملكة العربية السعودية».

وأريد من القارئ الكريم أن يلاحظ الآتى:

- السيد (كيرميت روزفلت) المذكور فى رسالة الملك هو رجل المخابرات الأمريكية الشهير المسئول عن الانقلابات العسكرية فى سوريا أواخر الأربعينيات، وهو المسئول أيضًا عن مخطط الانفصال عام ١٩٦١.
- زوال العرش السعودى عام ١٩٧٠ إذا استمرت خطط جمال عبد الناصر واستمرت قواته فى اليمن.. وهنا نتذكر ورقة العمل التركية فى محضر حلف شمال الأطلنطى عن زوال العرش السعودى عام ١٩٧٠.
- الخطة التى يقترحها الملك السعودى للعمل ضد الدول العربية تكاد تكون هى خطة الحرب الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧.

وبالربط بين ضرب مصر عسكريًا ومستقبل العرش السعودى عام ١٩٧٠، نعود للوثيقة الأولى للمخابرات المركزية الأمريكية التى ترى أن الحل بالنسبة لمشكلة (عبد الناصر) هو الهزيمة العسكرية الساحقة أو اغتياله.

والجدير بالملاحظة أن عبد الناصر هُزم عسكريًا عام ١٩٦٧ وتوفى عام ١٩٧٠.

عندما قرأ السيد (سامى شرف) سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق تلك الوثيقة قام بكتابة هذا التعليق عليها وهو تعليق منشور فى موقع منتديات الفكر القومى العربى:

(كنت فى زيارة لإحدى البلدان العربية الشقيقة سنة ١٩٩٥ وفى مقابلة تمت مع رئيس هذه الدولة تناقشنا فى الأوضاع فى المنطقة وكيف أنها لا تسير فى الخط السليم بالنسبة للأمن القومى وحماية مصالح هذه الأمة واتفقنا على انه قد حدث ذلك منذ أن سارت القيادة السياسية المصرية بدفع من المملكة النفطية الوهابية والولايات المتحدة الأمريكية على طريق الاستسلام وشطب ثابت المقاومة من أبجديات السياسة فى مجابهة الصراع العربى الصهيونى، ولما وصلنا لهذه النقطة قام الرئيس العربى إلى مكتبه وناولنى وثيقة وقال لى يا أبو هشام أريدك أن تطلع على هذه الوثيقة وهى أصلية وقد حصلنا عليها من مصدرها الأصلى فى قصر الملك فيصل ولما طلبت منه صورة قال لى يمكنك أن تنسخها فقط الآن على الأقل وقمت بنسخها ولعلم الأخوة أعضاء المنتدى فهى تطابق نص الوثيقة المنشورة فى هذا المكان وقد راجعت النص الموجود لدى بما هو منشور أعلاه فوجدتهما متطابقين، أردت بهذا التعليق أن أؤكد رؤية مفادها أن عدوان ١٩٦٧ كان مؤامرة

مدبرة وشارك فيها للأسف بعض القادة العرب وقد يكون هناك ما زال بعد خفيا عنا مما ستكشفه الأيام القادمة).

(انتهى تعليق السيد سامى شرف على الرسالة/الوثيقة)

ونصل الآن إلى آخر وثيقة عن موضوعنا: وهى الوثيقة رقم ٢٨ بملحق وثائق كتاب (بين الصحافة والسياسة) للأستاذ/ محمد حسنين هيكل طبعة دار المطبوعات للنشر والتوزيع – لبنان عام ١٩٨٤.

الوثيقة الرابعة:

وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة بخط الوزير/ سامى شرف مرفوعة للرئيس/ جمال عبد الناصر بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٠. وهى ترصد مجموعة من التحركات التى تتم ضد مصر على الصعيدين الداخلى والخارجى وقد قام الأستاذ هيكل بالشطب على كلام الوزير سامى شرف الذى يرصد هذه التحركات لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى وقت صدور الكتاب.

ولكن ما يتعلق بموضوعنا هو تأشيرة بخط يد الرئيس جمال عبد الناصر على الطرف الأيسر أعلى الصفحة كتب فيها : (لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له أن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠).

مرة أخرى عزيزى القارئ عام ١٩٧٠ ، هو التاريخ الذى يتكرر فى كل الوثائق كحل لمشكلة جمال عبد الناصر. لقد كان على أمين هاربًا من مصر بعد اتهام أخيه مصطفى أمين بالتجسس على مصر لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت الشبهات تحيط بعلى أمين أيضا لذا فضل أن يظل خارج مصر ولكن كيف علم على أمين أن الوضع فى مصر سينتهى آخر ١٩٧٠؟.

لقد توفى الرئيس/ جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، أى قرب نهاية العام وبوفاته انقلبت أوضاع كثيرة سواء فى مصر أو فى الوطن العربى كله.

والآن بتجميع كل هذه الوثائق معًا وبالمعانى الواضحة التى نستشفها منها ألا يمكن أن نتساءل ما هو سر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠؟ هل توفى بفعل فاعل؟ هل هناك أسرار لم تكشف بعد عن وفاته؟

رحم الله الرئيس جمال عبد الناصر وأسكنه فسيح جناته.

ولربما تكشف لنا الوثائق التى ما زالت خفية أسرارا أخرى عن أسباب وفاته الغامضة.

وجدت ردود الأفعال مشجعة وطيبة بعد نشر المقال فقد أنتشر المقال على

العشرات من المواقع الإلكترونية وتم نشره فى العديد من الصحف المطبوعة بل ونقله البعض دون الإشارة لى.

ولكن قضية وفاة الرئيس عبد الناصر لم تطرح على الساحة بشدة وتثير جدلاً متصاعدًا إلا بعد أن فجرها الكاتب الصحفى الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل فى حلقات برنامجه «مع هيكل.. تجربة حياة» والتي تحمل عنوان «الطريق إلي أكتوبر» وتعرض على فضائية الجزيرة.

فقد كشف الأستاذ هيكل فى الحلقات التى أذيعت فى شهر ديسمبر ٢٠٠٩ ، أن الرئيس جمال عبد الناصر أمر بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٧ فى عملية استخباراتية أطلق عليها أسم العملية (عصفور) وذكر هيكل أن هذه العملية تعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس فى تاريخ المخابرات فى العالم ولا تعادلها فى النجاح إلا العملية (ألترا) عندما نجحت مخابرات الحلفاء فى حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأمريكيين على علم كامل بكافة التحركات و الخطط العسكرية و الاستخباراتية الألمانية قبل حدوثها ، وقال الأستاذ هيكل أن السيد أمين هويدى رئيس جهاز المخابرات العامة المصرية كان يذهب إلي منزل الرئيس عبد الناصر أسبوعيا ليعرض عليه تفريغ تقارير الاستماع للتسجيلات الواردة من السفارة الأمريكية ، وأحيانا كان يذهب للرئيس عبد الناصر بدون موعد مسبق إذا تم كشف معلومة لا يمكن تأخير علم الرئيس عبد الناصر بها ، ووصف هيكل المعلومات التى حصلت عليها مصر بفضل تلك العملية المتفردة بالكنز الثمين والذى لا يقدر بثمن.

وخلال حديثه ذكر الأستاذ هيكل أحد أخطر تقارير المعلومات التى كشفتها عملية (عصفور) عندما توجه السيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة المصرية إلى منزل الرئيس عبد الناصر فى يوم ٦ ديسمبر ١٩٦٩ ومعه تسجيل لحديث دار بين الوزير المفوض الأمريكى فى سفارة الولايات المتحدة فى إسرائيل ومديرة مكتبه مع السفير الأمريكى فى القاهرة وممثل المخابرات المركزية الأمريكية فى السفارة الأمريكية فى القاهرة وأستمع الرئيس عبد الناصر إلى الحديث و الذى جاء فيه:

أن عبد الناصر هو العقبة الرئيسية فى قيام علاقات طبيعية بين المصريين والإسرائيليين.

وأن هناك حالة من الالتفاف الشعبى المصرى والعربى حول عبد الناصر تجعل

السلام مع إسرائيل بالشروط الإسرائيلية والأمريكية مستحيلاً.

وإن مصر التي من المفترض أنها مهزومة تبدو منتصرة. في حين أن إسرائيل التي من المفترض أنها منتصرة تبدو مهزومة بسبب حرب الاستنزاف.

وأن سمعة «موشى ديان» أكبر بكثير من إمكانياته الشخصية.

وأن قادة إسرائيل (جولدا مائير، موشى ديان، أهارون ياريف، إيجال أللون) أجمعوا على أن بقاء إسرائيل ونجاح المشروع الأمريكى فى المنطقة مرهون باختفاء الرئيس جمال عبد الناصر من الحياة وأنهم قرروا اغتياله بالسم أو بالمرض.

وأن جولدا مائير رئيسة وزراء العدو قالت بالنص: (We will get him) سوف نتخلص منه.

وإلا فأن العالم العربى ضائع وسيخرج من نطاق السيطرة الأمريكية.

ولشدة خطورة تلك المعلومات فضلّ السيد أمين هويدي أن يستمع الرئيس عبد الناصر بنفسه للتسجيل كاملا. وعرض الأستاذ هيكل مجموعة أوراق بخط يد الرئيس عبد الناصر عليها تفريغ للحديث الذى أستمع إليه.

كانت هذه هى المرة الأولى التى يعبر فيها الأستاذ هيكل عن شكوكه فى ظروف وفاة الرئيس جمال عبد الناصر مستعينا بوثائق عن القرار الإسرائيلي الأمريكي بقتل عبد الناصر والخلاص منه نهائيا وبأوراق بخط يد الرئيس جمال عبد الناصر توضح علم عبد الناصر المسبق بالخطة الإسرائيلية الأمريكية لاغتياله قبيل وفاته بحوالى ٩ شهور.

كان كشف الأستاذ هيكل لتلك المعلومات الخطيرة إيذانا بفتح ملف وفاة الرئيس عبد الناصر من جديد على أوسع نطاق، فالأستاذ هيكل بما لديه من وثائق ومعلومات وبتاريخه الحافل كواحد من أعظم الصحفيين والمؤرخين فى التاريخ قادر على تحريك الجميع.

ولكن كان هناك سؤال حائر تم توجيهه للأستاذ هيكل وهو لماذا لم تتكلم إلا الآن بعد ٣٩ سنة على وفاة الرئيس جمال عبد الناصر؟

وكان رد الأستاذ هيكل أنه أشار للأمر من قبل فى كتابه (بين الصحافة والسياسة) حيث نشر وثيقة فى غاية الغموض عن نهاية النظام فى مصر أخر سنة ١٩٧٠.

وهى الوثيقة رقم ٢٨ بملحق وثائق كتاب (بين الصحافة والسياسة) طبعة دار

المطبوعات للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤. وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة بخط الوزير "سامى شرف " مرفوعة للرئيس "جمال عبد الناصر" بتاريخ "٣ يونيو ١٩٧٠". وهى ترصد مجموعة من التحركات التى تتم ضد مصر على الصعيدين الداخلى والخارجى وقد قام الأستاذ هيكل بالشطب على كلام الوزير سامى شرف الذى يرصد هذه التحركات لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى وقت صدور الكتاب.

ولكن ما يتعلق بموضوعنا هو تأشيرة بخط يد الرئيس جمال عبد الناصر على الطرف الأيسر أعلى الصفحة كتب فيها: (لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له أن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠).

ولقد انتهى الوضع فى مصر فعلا بنهاية عام ١٩٧٠ عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر المفاجئة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

كانت تلك الوثيقة ضمن الوثائق التى لفتت نظري أثناء قراءاتى عن الرئيس جمال عبد الناصر وقد ضمنتها مقالى عن (غياب عبد الناصر... هل كان صدفة؟)، ورغم تبرير الأستاذ هيكل لصمته عن البوح بشكوكه حول وفاة عبد الناصر بنشره لهذه الوثيقة فى كتابه، إلا أنه يبدو أننى أول من انتبهت لها ولخطورتها، فقد قام الصحفى الراحل الأستاذ جمال سليم بنشر كتابه الهام (كيف قتلوا عبد الناصر؟)، والكتاب تحقيق صحفى شديد الخطورة يحاول فك لغز رحيل جمال عبد الناصر، ورغم تدقيق الكاتب الراحل فى بحثه عن حقيقة وفاة عبد الناصر فأن تلك الوثيقة لم تلفت نظره فى كتابات الأستاذ هيكل التى أستعان بها فى بحثه عن الحقيقة، بل كان الذى لفت نظره هو تضارب كتابات الأستاذ هيكل عن يوم وفاة الرئيس عبد الناصر، وقد أورد الأستاذ جمال سليم فى كتابه أربع روايات للأستاذ هيكل عن يوم وفاة الزعيم وقام بالمقارنة بين تلك الروايات المختلفة.

وعلى امتداد حلقات الأستاذ هيكل عن "الطريق إلى أكتوبر" فقد كشف الكثير والكثير من الأسرار الخاصة بتاريخ الرئيس عبد الناصر فى سنواته الأخيرة، ولأول مرة يقول الأستاذ هيكل أن الرئيس عبد الناصر وقع خطة العبور "جرانيت ١" عام ١٩٧٠ واستكمل استعداداته لشن الحرب، وباكتمال حائط الصواريخ وتحريكه حتى حافة الضفة الغربية لقناة السويس فى أغسطس ١٩٧٠ كان قرار شن الحرب مسألة وقت فبعد تأمين سماء مصر من الطيران الإسرائيلى بدأ العد التنازلى للحظة العبور.

ولكني بمراجعة كتب الأستاذ هيكل السابقة عن نفس الفترة (١٩٦٧- ١٩٧٠) وجدت أنه لم يذكر تلك المعلومات من قبل، بل كان كل ما ذكره هو

اكتمال حائط الصواريخ وتحريكه لحافة الضفة الغربية لقناة السويس، ووجود خطط للعبور موضوعة منذ عهد الرئيس عبد الناصر فقط، بل أن أحد أسباب خلافه مع مجموعة مايو من رجال عبد الناصر كان إصرارهم على المعركة وضغطهم على الرئيس السادات من أجل توقيع قرار شنها، بينما كان الأستاذ هيكل مؤيدا لقرار السادات بالتأجيل حتى يتم استنفاذ كل وسائل الحل السلمى.

واللافت للنظر إن أحاديث الأستاذ هيكل الأخيرة تكاد تتطابق مع مذكرات وشهادات مجموعة مايو من رجال الرئيس عبد الناصر، فما عرضه الأستاذ هيكل من وثائق وحقائق يُعد تأكيدا لما ذكروه مرارًا عن اكتمال استعداداتنا للحرب قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر ومماطلة السادات فى اتخاذ القرار دون داع.

وإن كان السيد/ سامى شرف- سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق - قد ذكر لى أن الرئيس عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ وقع على خطط العبور "جرانيت ١" و "جرانيت ٢" و "القاهرة ٢٠٠" والأخيرة هى التى تعنى الضوء الأخضر النهائى لبدء تنفيذ خطط تحرير الأراضى المحتلة، وليس " جرانيت ١ " فقط كما ذكر الأستاذ هيكل.

وخلال أحاديثه عرض الأستاذ هيكل وثيقة وصفها أنها من أخطر الوثائق فى التاريخ العربى المعاصر وهى رسالة من الرئيس عبد الناصر إلى الملك الأردنى حسين يحذره فيها من مغبة اصطدامه بفصائل المقاومة الفلسطينية ويهدده بالتدخل لوقفه عند حده، وينذره أنه لن يسمح لأحد أيا كان بتعطيل معركته الرئيسية مع إسرائيل بسبب معارك فرعية يفتعلها البعض.

وهكذا طوال الحلقات المدعومة بالوثائق وبمعلومات الأستاذ هيكل وحضوره الآسر وطريقة تناوله للموضوع يخرج المشاهد بالمعلومات التالية:

- مصر لم تنهار بعد النكسة.
- عبد الناصر استطاع إقامة نظامه من جديد وأفشل الجانب السياسى من مؤامرة ١٩٦٧.
- الأمريكيون والإسرائيليون أدركوا أن نهاية نظام عبد الناصر ليست وشيكة كما توقعوا بعد الهزيمة.
- عبد الناصر يقيم الجيش المصرى على أسس علمية سليمة.
- حرب الاستنزاف تكبد إسرائيل خسائر فادحة وتبدد أسطورة ما جرى فى ٥ يونيو ١٩٦٧.
- اندلاع الثورة الليبية وتبنيها لأفكار عبد الناصر يعطى زخما واضحا للقومية

العربية ويثير الرعب فى قلوب الملوك العرب وإسرائيل لأن أفكار عبد الناصر رغم الهزيمة لم تفقد قدرتها على الإلهام لأجيال ثورية جديدة، ولخطورة وأهمية موقع ليبيا الاستراتيجى.

- القادة الإسرائيليون بعد فشلهم فى إسقاط نظام عبد الناصر والتخلص منه بالحرب يقررون اغتياله بالسم أو بالمرض لأنه عقبة أساسية أمام دولتهم.
- عبد الناصر يستكمل استعداداته عام ١٩٧٠ ويوقع على خطط العبور والتحرير، ويبنى أكبر حائط صواريخ فى العالم وقتها ويحركه حتى حافة الضفة الغربية لقناة السويس فى أغسطس ١٩٧٠.
- سلاح الطيران الإسرائيلى بدأ يتآكل بفضل حائط الصواريخ المصرى.
- الحرب أصبحت مسألة وقت.
- الملك الأردنى حسين بالتنسيق مع الإسرائيليين والأمريكيين يخوض حرب لتصفية فصائل المقاومة الفلسطينية فى الأردن هدفها تعطيل عبد الناصر عن استعداداته للحرب ضد إسرائيل.
- عبد الناصر يدرك أن تلك الحرب التى يشنها الملك حسين ضد فصائل المقاومة الفلسطينية تستهدف تعطيل معركته لتحرير الأرض، ويحذر الملك حسين ويهدده ويأمره بإيقاف حربه.

حتى وصلنا للحلقة الأخيرة والتى أذيعت مساء الخميس ٢٠١٠/٩/١٦ وفيها روى الأستاذ هيكل العديد من الوقائع التى تثير الشكوك أكثر وأكثر بشأن وفاة الرئيس عبد الناصر.

فصمود عبد الناصر وإعادة بناء الجيش وحائط الصواريخ جعل الأمريكيون مصممون على التخلص منه قبل نهاية عام ١٩٧٠ وقد أعطوا الإسرائيليين المتحفزين للخلاص من أكبر أعدائهم الضوء الأخضر لقتله.

وعرض الأستاذ هيكل للعديد من الوثائق التى تحوى إشارات أن عام ١٩٧٠ هو عام الخلاص من جمال عبد الناصر.

وعرض للأطراف التى تؤيد التخلص من عبد الناصر وتلح عليه (الإسرائيليون شاه إيران محمد رضا بهلوي - البريطانيون - الفرنسيون- السعوديون).

كما شكك الأستاذ هيكل فى نظام الأمن الذى كان يحمى الرئيس عبد الناصر أثناء إقامته فى فندق هيلتون النيل خلال مؤتمر القمة العربى فى أخر أسبوع من حياة عبد الناصر.

روى الأستاذ هيكل واقعة من أعجب وقائع التاريخ، وهو يرويها للمرة الأولى، وقد كان أحد شهودها مع الرئيس عبد الناصر ونائبه أنور السادات والقائد الفلسطينى الشهيد ياسر عرفات فى جناح الرئيس عبد الناصر بالهيلتون قبيل وفاته بثلاثة أيام.

يقول الأستاذ هيكل أنه عندما احتدت المناقشة بين الرئيس عبد الناصر وياسر عرفات وبدا على وجه الرئيس عبد الناصر التعب والضيق من عناد ياسر عرفات.

قال له نائبه أنور السادات: (أنت محتاج فنجان قهوة يا ريس، وأنا اللى هعملهولك بإيدي).

وبالفعل نحى أنور السادات - محمد داوود - الرجل المختص بعمل القهوة للرئيس عبد الناصر، ودخل بمفرده المطبخ الموجود بجناح الرئيس عبد الناصر بفندق الهيلتون وصنع بيديه فنجان قهوة للرئيس عبد الناصر، وقد شربه الرئيس عبد الناصر كله أمام الحاضرين (أنور السادات - محمد حسنين هيكل - ياسر عرفات).

وبعد فنجان قهوة السادات بثلاثة أيام صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها.

ولكن الأستاذ هيكل بعد أن عرض تلك الواقعة الحقيقية شديدة الغرابة، شكك فيمن قد يتخذون من تلك الواقعة دليلا على قيام السادات بدس السم لعبد الناصر فى فنجان القهوة الذى صنعه له بيديه، ويبرر الأستاذ هيكل ذلك بأنه لا يجوز لأسباب أخلاقية وعاطفية وإنسانية أن يقوم السادات بتسميم عبد الناصر!!!

فى نفس تلك المجموعة من الحلقات وخلال تناول الأستاذ هيكل لتفاصيل العملية (عصفور) قال: "كان يعلم بسر العملية (عصفور) حوالي عشرة أشخاص في مصر كلها، وأن نائب الرئيس عبد الناصر وقتها السيد أنور السادات لم يعلم بسر العملية (عصفور) بأوامر من الرئيس عبد الناصر ذاته، وأضاف الأستاذ محمد حسنين هيكل، أن السادة (علي صبري، وشعراوي جمعة، والفريق محمد فوزي، وسامي شرف) رفضوا بعد وفاة الرئيس عبد الناصر أن يعرف الرئيس الجديد أنور السادات بسر العملية "عصفور"، لعدم ثقتهم فيه، ولأن بعض ما وصلهم عبر تلك العملية به ما يدين الرئيس السادات، ويستوجب محاكمته.

و أن معرفة السادات بسر العملية (عصفور) حدثت عبر الأستاذ هيكل فهو الذى أطلع الرئيس السادات على هذا السر الخطير بحجة عدم جواز إخفاء أمر

كهذا عن رئيس الجمهورية الجديد.

وقال الأستاذ هيكل أن عملية (عصفور) ظلت تسير بنجاح وظل تدفق المعلومات جاريا منذ ديسمبر ١٩٦٧ حتى يوليو ١٩٧١ عندما أفشى الرئيس أنور السادات سر العملية (عصفور) لصديقه كمال أدهم مدير المخابرات السعودية وصاحب العلاقات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذي نقل المعلومة فور علمه بها للأمريكيين مما أنهى العملية الناجحة وأغلق باب كنز المعلومات للأبد

وفى تبريره لذلك قال الأستاذ هيكل أنه مستعد لفهم تصرف الرئيس السادات وإفشائه لهذا السر الخطير عن عملية هى من أعظم أعمال المخابرات فى العالم لرجل المخابرات المركزية الأمريكية الأول فى الشرق الأوسط كمال أدهم.

يبدو هذا التبرير من الأستاذ هيكل لتصرف الرئيس السادات غير مفهوم على الإطلاق خاصة أن الأستاذ هيكل ذاته فى كتابه (خريف الغضب) تناول تفاصيل العلاقة المريبة بين السادات وكمال أدهم منذ الخمسينيات والتى توثقت خلال حرب اليمن رغم العداء المصرى - السعودى

ونشر فى صفحتى ١٠٧- ١٠٨ من الكتاب الخبر الذى نشرته جريدة الـ "واشنطن بوست" الأمريكية على صدر صفحتها الأولى فى عدد ٢٤ فبراير ١٩٧٧ وجاء فيه:

أن كمال أدهم كان طوال الستينيات يمد السادات بدخل ثابت.

فكيف نفهم التماس الأستاذ هيكل العذر للرئيس السادات فى إفشاء سر العملية " عصفور"، وهو نفس ما ينطبق على قوله إن إصرار السادات على صنع فنجان قهوة بيديه للرئيس عبد الناصر قبيل وفاته بثلاثة أيام لا يعنى أنه قام بدس السم له فى القهوة.

وإذا كان الأستاذ هيكل يرى أن هناك أعذار تبرر تصرفات الرئيس السادات فى هاتين الواقعتين فلماذا يرويهما للمشاهدين من الأساس؟!!

ما المبرر الذى يدعو الرئيس أنور السادات لإفشاء سر عملية استخباراتية ناجحة وبالغة الأهمية للتجسس على الأمريكيين لكمال أدهم رجل المخابرات المركزية الأمريكية الأول فى الشرق الأوسط؟!

وما المبرر الذى يدعو نائب رئيس الجمهورية لعمل فنجان قهوة للرئيس فى

وجود الرجل المكلف بصنع قهوة الرئيس؟!

هل تصرفات الرئيس السادات بعد توليه الحكم هى التى تدعو الأستاذ هيكل للشك في دوافعه لذلك؟

لقد بدت تصرفات السادات بعد وفاة عبد الناصر وكأن هناك ثأر شخصى بينه وبين عبد الناصر فهو دائما متشوق للمقارنة بينه وبين سلفه ليثبت انه أفضل منه وفى كتابه الذى لم يصدق فى حرف واحد فيه (البحث عن الذات)، كال السادات للرئيس عبد الناصر وعهده ورجاله سيل من الشتائم والاتهامات بدون دليل واحد على ما يدعيه مما أظهر نقمته الشديدة على جمال عبد الناصر،و طيلة فترة حكمه حاول السادات جاهدا محو أسم عبد الناصر من التاريخ ومن الوجود كله لو كان بمقدوره.

فإستاد ناصر يصبح إستاد القاهرة وبحيرة ناصر المسماة بهذا الاسم فى كل الخرائط العالمية يصدر قرار جمهورى بتسميتها بحيرة السد، وصورة عبد الناصر التى حفرها السوفيت على جسم السد يحفر صورته فوقها، وخطب عبد الناصر ممنوع أن تذاع وصوره محظور وجودها، والمشاكل كلها يتم لصقها بعهد عبد الناصر.

بدا الأمر وكأن السادات مصاب بعقدة نفسية أسمها عقدة جمال عبد الناصر.

كان كل هذا متواكبا مع الردة ضد كل سياسات عبد الناصر الداخلية والخارجية على كل الأصعدة بدءًا من انقلاب مايو ١٩٧١ والذى مازال الأستاذ هيكل يفتخر بدوره فيه حتى الآن، وما تلاه من تأجيل قرار الحرب والبحث عن حل سلمى أمريكى ثم اتخاذ القرار بشن الحرب بعد التخلص من أنصار الحرب الشاملة من قيادات الجيش والاكتفاء بحرب تحريك للموقف وما حدث خلال الأيام الأولى من حرب أكتوبر ١٩٧٣ من انتصارات ساحقة للجيوش العربية ثم رسالة الرئيس السادات لكيسنجر فى يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣، واتخاذه لقرار الوقفة التعبوية وعدم تطوير الهجوم نحو المضايق حسب الخطة المتفق عليها مع السوريين ثم قراره المفاجئ بتطوير الهجوم متأخرا و الذى عارضه كل قادة الجيش المصرى وترتب عليه ثغرة الدر فسوار وعبور القوات الإسرائيلية إلى غرب القناة، ولغز عدم ضرب مطار العريش طيلة فترة الحرب رغم أنه كان شريان الحياة لإسرائيل الذى تهبط فيه طائرات الجسر الجوى الأمريكي، والطريقة التى قبل بها الرئيس السادات قرار وقف إطلاق النار ثم اجتماعه المنفرد مع كيسنجر يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣، وما تلاه من

انقلاب تام على الثورة وعلى سياسات عبد الناصر ظهر جليًا منذ عام ١٩٧٤ وصولاً لزيارة القدس المحتلة ومعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية.

فاختفاء جمال عبد الناصر من الحياة كان هو الخطوة الأولى لتحقيق كل ذلك.

لذا فحديث الأستاذ هيكل عن وجود مبررات أخلاقية وإنسانية وعاطفية تجعله يرفض اتهام الرئيس السادات بوضع السم فى القهوة للرئيس عبد الناصر يبدو غير منطقيا خاصة أنه هو الذى روى الواقعة، بينما الأقرب للمنطق هو عدم القدرة على إثبات ذلك ليبقى الأمر مجرد ظن أو تخمين عن سر وفاة عبد الناصر بعد احتسائه قهوة السادات بثلاثة أيام.

خاصة أن الأستاذ هيكل ذاته هو الذى كتب فى كتابه (لمصر لا لعبد الناصر) فى صفحة ١٦٥ تعليقًا على الحملة المسعورة لتشويه عبد الناصر واغتيال شخصيته فى عهد السادات والتى كانت تتم برعاية السادات شخصيًا وكل أجهزة حكمه.

"إن ما حدث فى مصر لعبد الناصر لم يحدث لزعيم وقائد فى أى بلد من بلدان العالم إلا إذا كان هناك انقلاب مسلح على نظامه"

ومثل هذا الانقلاب لم يحدث قطعًا.

وعلى فرض إن انقلاب مسلح كان قد حدث، فإنى أشك فى أن حملة اليوم على الأمس كان يمكن أن تصل إلى هذا العنف.

ولم يكن من قبيل الأخطاء السياسية ما حدث، ولكنه كان أسوأ، فقد تعدى أخطاء السياسة إلى السقوط الأخلاقى... إلى نوع من الانتحار المعنوى".

هذه هى كلمات الأستاذ هيكل فى عام ١٩٧٦ عندما أصدر كتابه (لمصر لا لعبد الناصر)

والسلسلة الأخيرة من أحاديث الأستاذ تدعم نظرية اغتيال الرئيس عبد الناصر، واغتياله عام ١٩٧٠ تحديدًا.

ولو راجعنا بعض تصريحات قادة إسرائيل المعلنة خلال عام ١٩٧٠ سنجد التالى:

فى يوم٣ يناير ١٩٧٠ صرحت جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل أنها لا ترى أى فرصة للسلام طالما ظل جمال عبد الناصر يحكم مصر، لذا فإن إسقاط عبد

الناصر والنظام والسياسات التى يمثلها يجب أن يتم أولا قبل أى حديث عن سلام مصرى إسرائيلى.

ويصرح أبا إيبان - وزير الخارجية الإسرائيلي - : أن كيسنجر ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية يعاتبان إسرائيل على موقفها السلبى وتقاعسها عن العمل الإيجابى فى مصر وطلبهما هو تكثيف الجهود الإسرائيلية خلال هذا العام ١٩٧٠ للتخلص من عبد الناصر شخصيًا نهائيًا.

وفى حديث صحفى لأبا ايبان مع صحفى أمريكى، سأله الصحفى عن سبب تركيز إسرائيل وأمريكا على جمال عبد الناصر شخصيا؟

فقال ايبان : إننا نعمل بتركيز شديد على التخلص من عبد الناصر لأن لدينا يقين قاطع بأنه بعد التخلص منه سيهدأ الموقف مع مصر وسيتغير لصالحنا.

وبرغم كل تلك القرائن عن وجود شبهات جنائية فى قضية وفاة الرئيس جمال عبد الناصر إلا أن طبيبه الخاص الدكتور الصاوى حبيب والذى كان الطبيب الخاص الملازم له منذ يوليو ١٩٦٧ وحتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ يقول فى كتابه (مذكرات طبيب عبد الناصر) أن الرئيس عبد الناصر توفى نتيجة أزمة قلبية نتجت عن انسداد الشريان التاجى، وينفى فرضية وفاة الرئيس عبد الناصر بالسم لأنه لم يلحظ أى علامات تدل على كونه مسموما وهو يفحصه، ويشكك الأستاذ جمال سليم فى كتابه (كيف قتلوا عبد الناصر؟) فى ذلك بحجة وجود أنواع متطورة جدًا من السموم لا تظهر أثارها أبدا على من تم تسميمه بها.

عندما سألت السيد/ سامى شرف عن احتمالات اغتيال الرئيس عبد الناصر بالسم، أجابنى أنه شخصيا يعتقد أن وفاة الرئيس عبد الناصر طبيعية فقد كان الرئيس مريضا بعدة أمراض وكان مجهدا من العمل، والمؤامرات لاغتياله لم تتوقف لحظة واحدة منذ رئاسته للبلاد ولكن سبل حمايته والحفاظ على أمنه كانت متعددة وكافية وما يثار عن اغتياله بالسم لن يستطع أحد إثباته الآن إلا بتشريح رفات الزعيم

إلا أنه أضاف: ولكن من يدري؟! ربما يأتى يوم فى المستقبل ويتضح لنا فيه أن الرئيس تعرض لمؤامرة اودت بحياته مثلما حدث مع نابليون بونابرت الذى تم اكتشاف وفاته بالسم بعد مرور ١٥٠ سنة على وفاته.

للكاتب الكبير الدكتور/ كمال خلف الطويل وجهة نظر هامة فى لغز وفاة الرئيس عبد الناصر تتلخص فيما يلى: التاريخ المرضي للرئيس عبد الناصر تم استخدامه جيدا لإقناع الجميع أن وفاة عبد الناصر طبيعية بسبب مرضه، ولكن

المرض لم يكن سبب الوفاة.

الأصح أنها عملية قتل بالسم أوكل كيسنجر وريتشارد هيلمز مهمة تنفيذها الى كلا من كمال ادهم و مدير محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بجدة.

وأن السم الذى تم استخدامه لقتل عبد الناصر كان الأحدث يومها ومن النوع العسير التحري، وأن التنفيذ أمريكي – سعودي – مصري دون مشاركة إسرائيلية مباشرة.

قرار قتل عبد الناصر كان في الحسبان منذ ٧ يناير ١٩٧٠ تاريخ بدء غارات العمق.. وقد تعزز مع اكتمال وصول القوات السوفييتية لمصر في إبريل ١٩٧٠.

وتنامى مع تساقط الطائرات الحربية الإسرائيلية فى الأسبوع الأخير من يونيو ١٩٧٠ والأسبوع الأول من يوليو ١٩٧٠، ثم تأكد مع نصب حائط الصواريخ على القنال أوائل أغسطس ١٩٧٠.

وبقي التوقيت المناسب لتنفيذ عملية قتل جمال عبد الناصر :

كان التوقيت الأمثل بعد نجاح الرئيس عبد الناصر في منع الملك حسين من تصفية فصائل المقاومة الفلسطينية. وكان المكان الأمثل هو فندق الهيلتون حيث يضعف الطوق الأمنى الذى يحمى الرئيس عبد الناصر.

جاء قتل عبد الناصر بالسم لإعاقة شن حرب هجومية على إسرائيل مابين نوفمبر ١٩٧٠ و مايو ١٩٧١ وهى الفترة الزمنية التى حددها عبد الناصر لشن معركة التحرير.

فى عام ١٩٦١ قام المؤرخ السويدى ستين فورشوود بنشر أول دراسة علمية له حول اغتيال نابليون بونابرت بسم الزرنيخ وقد توصل فورشوود لذلك بعد تحليل خصلات من شعر نابليون بونابرت كان قد أهداها لبعض أصدقائه أثناء منفاه فى جزيرة سانت هيلانة، وعبر دراسة وتحقيق بوليسى أستمر لمدة ١٥ عاما أستطاع فورشوود مع الصحفى الكندى بن وايدر والصحفى الأمريكى د. هابغود التوصل للكيفية التي تم بها تسميم نابليون بونابرت بالزرنيخ بل وتحديد اسم القاتل والذى كان ضابطاً مقرباً من نابليون بونابرت.

والمثير للشك فى حالة وفاة الرئيس عبد الناصر أنه تم قص خصلة من شعره بعد وفاته بأمر من حسن التهامى - وزير الدولة لرئاسة الجمهورية - وفى حضور الرئيس السادات، فقد طلب حسن التهامى خصلة من شعر الرئيس عبد الناصر من

صلاح هدايت وزير الدولة للبحث العلمى وقتها ، الذى تعجب من طلبه ولكن الرئيس السادات قال له "أصل حسن بيحب الحاجات البوليسية دي" كما تم قص أظافر يد الرئيس عبد الناصر اليمنى بالكامل وأستلمها حسن التهامى أيضا ، وعندما سأله الكاتب الصحفى الراحل الأستاذ جمال سليم عن مصير خصلة الشعر والأظافر ، أجابه حسن التهامى أنه لا يدرى ما مصيرهما !!!

استغرق حل لغز وفاة نابليون بونابرت ما يقرب من ١٥٠ سنة قبل أن يتم تحديد أسم القاتل ونوع السم الذى تم به اغتيال بونابرت ، وبعد مرور ٤٠ سنة على وفاة الرئيس عبد الناصر بدأت بعض الأمور تتكشف وبعض الألغاز تحل وبمرور الأعوام سنكتشف المزيد ، فلا توجد جريمة كاملة فى التاريخ.

رحم الله الرئيس جمال عبد الناصر وأسكنه فسيح جناته ، وربما تكشف الوثائق التى مازالت خفية أسرار جديدة عن لغز وفاته.

عبد الناصر وسيناء
(١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)

«الموضوع مش هو مسألة جلاء إسرائيل عن سيناء وحدها، يمكن لو كانت دى هى المسألة. أقدر احصل عليها بكرة بتنازلات. أنا بقول للمثقفين بيفكروا ما ينفعلوش، أنا بقول لو العملية سيناء بس عايز.. برضه تفهموا كلامى.. لو العملية سيناء بس سهلة. العملية مصيرنا؛ مصير العرب.. علشان لو كنا عايزين نسترد سيناء ممكن بتنازلات بنقبل شروط أمريكا وشروط إسرائيل، نتخلى عن الالتزام العربى ونترك لإسرائيل اليد الطولى فى القدس والضفة الغربية وأى بلد عربى، ويحققوا حلمهم اللى أتكلموا فيه من النيل إلى الفرات، ونتخلى عن التزامنا العربى.. بندى هذه التنازلات ونقول لهم يعدوا فى قنال السويس، ويرفعوا علم إسرائيل فى قنال السويس، وبيمشوا ويتركوا سيناء. الموضوع مش هو الجلاء عن سيناء وحدها، الموضوع أكبر من كده بكتير.. الموضوع هو أن نكون أو لا نكون.

موضوع إزالة آثار العدوان أكبر من الجلاء عن سيناء.

هل سنبقى الدولة المستقلة اللى حافظت على استقلالها وعلى سيادتها ولم تدخل ضمن مناطق النفوذ واللا حنتخلى عن هذا؟ إحنا مجروحين.. جزء من أرضنا محتل، ولكن رغم هذا؛ رغم الجرح هل نتنازل عن كل التزاماتنا العربية، وكل المثل وكل الحقوق، ونقبل إن إحنا نقعد مع إسرائيل لنتفاوض فى الوصول إلى حل؟ إسرائيل بتقول كده، أمريكا بتقول كده إيه المقصود بإزالة آثار العدوان؟

أما نتكلم على إزالة آثار العدوان لازم نفهم أطراف وأبعاد إزالة آثار العدوان.. والمسألة مسألة كبيرة؛ كبيرة جداً، ومسألة أيضاً خطيرة؛ لأن أمريكا أيدت إسرائيل، ساعدتها فى الأمم المتحدة، وأدتها الأسلحة، وأدتها المعونات المالية، وبمقدار كبر وخطورة الموضوع.. بمقدار ما يحتاجه من تكاليف وتضحيات. المسألة مش مسألة حل أزمة الشرق الأوسط.. المسألة هى نوعية الحل، شرف الحل، شرفنا.. مستقبلنا.. ومصيرنا".

هذه هى كلمات الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ١٩٦٨/٤/٢٥ بعد ١٠ شهور من هزيمة يونيو ١٩٦٧.

وهى تعنى ببساطة أن الصراع بين الأمة العربية والكيان الصهيونى لم يكن أبدا صراعا مصريا إسرائيليا على سيناء فقط، الصراع بين الأمة العربية والكيان الصهيونى هو صراع وجود وليس صراع حدود.

إسرائيل زرعتها الإمبريالية العالمية عنوة فى المنطقة لتقسم العالم العربي لقسمين وتعمل كقلعة متقدمة للغرب فى قلب العالم العربي تجهض أى محاولة للنهضة فى المنطقة الإستراتيجية الأهم فى العالم حيث يوجد عصب الحضارة

الغربية (البترول)، والأخطر لكى ترث دور مصر فى المنطقة وتحل محلها.

وقد أدرك الرئيس عبد الناصر ذلك جيدا لذا ظل حتى مماته يرفض الحلول الجزئية للصراع العربي الإسرائيلي.

يقول مؤسس دولة إسرائيل دافيد بن جوريون لوزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس فى ١٤ مايو ١٩٥٣:

(أنكم مهتمون بمصر وأود أن ألفت نظركم إلى أن إسرائيل تملك نفس المزايا التى تملكها مصر، فكلاهما يطل على البحر الأبيض والبحر الأحمر وما بين ميناء إيلات و ميناء حيفا يمر نفس الشريان الحيوى الذى يمر بين بورسعيد والسويس وهو مهيأ لحفر قناة جديدة تصل مابين البحرين، وأنا لا أعرف لماذا يريد المصريون أن نخرج من النقب، إن لديهم صحارى بأكثر مما يكفيهم و لديهم أرض تزيد عن حاجتهم وحجم بلادهم يساوى ٣٦ مرة حجم إسرائيل)

هكذا يعترف بن جوريون بصفاقة إن إسرائيل تستطيع بموقعها وراثة دور مصر فى الإقليم، وإسرائيل ليست مستعدة للتخلى عن صحراء النقب لأنها تفصل مصر عن المشرق العربى.

وبرغم ذلك يعتقد البعض خاصة من المصريين، ان الرئيس الراحل أنور السادات، كان رجلا عبقريا بالغ الذكاء سابقا لعصره ضحك على الإسرائيليين و أسترد منهم سيناء مقابل معاهدة سلام، وتجد أنصار الخط السياسي للرئيس الراحل يتبجحون بالقول أن السادات أسترد سيناء بينما عجز السوريون والفلسطينيون عن ذلك لأنهم عارضوه ولم يتبعوا خطه السياسي.

وليس ذلك صحيحا لأن إتباع السادات للحل الجزئى ورهانه على الدور الأمريكى فى حل الصراع العربى الإسرائيلى هو السبب الرئيسى فى تأزم التسوية الشاملة وضياع أراضى السوريين والفلسطينيين.

كان الرئيس عبد الناصر زعيما استثنائيا فى تاريخ الأمة العربية، وكان يضع نصب عينيه دائما المصالح الوطنية للشعوب العربية ولذلك فلم يكن يسعى لإخفاء قراراته المصيرية ورؤاه السياسية لذا فإن كل مباحثات واجتماعات وقرارات ولقاءات وخطب الرئيس عبد الناصر بالنسبة لمختلف القضايا الداخلية والخارجية مسجلة وموثقة وأصولها موجودة فى أرشيف رئاسة الجمهورية وأرشيف وزارة الخارجية وأرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة، وقد تم ذلك بناء على أوامر الرئيس عبد الناصر للسيد/ سامى شرف سكرتيره للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق، وقد ظل هذا التقليد متبعا حتى قيام الرئيس السادات بانقلابه

على الثورة فى ١٣ مايو ١٩٧١، حيث ألغى قرار الرئيس عبد الناصر السابق، لذا فلا توجد وثائق أو تسجيلات لأخطر القرارات والاتفاقيات والاجتماعات التى قام بها الرئيس السادات خلال فترة حكمه ولا يمكننا الاعتماد إلا على مذكرات بعض من عملوا معه، أو على مذكرات الرؤساء والمسئولين العرب والأجانب الذين التقوا به واتفقوا معه، لكن جميع اتصالات الرئيس السادات مع الجهات المعنية سواء المحلية أو العربية أو الأجنبية لا توجد لها وثائق منشورة توضح رؤيته ومناقشاته مع زواره من المسئولين وبشكل خاص مع الأمريكيين.

وأفضل دليل على ذلك هو اجتماعه المنفرد مع وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ بعد أيام قليلة من وقف إطلاق النار فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فما دار خلال هذا الاجتماع الخطير لم يسجله احد غير كيسنجر فى مذكراته، حيث يقول أنه فوجئ بالرئيس السادات وأطروحاته، فالرئيس السادات لم يطلب منه أن تعمل الولايات المتحدة على انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة في حرب ١٩٦٧ في إطار تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي وتفاوض على حقوق الشعب الفلسطيني.

بل كل ما طلبه هو انسحاب إسرائيلي من ثلثى سيناء حتى خط العريش – رأس محمد، وبهذا خالف الرئيس السادات الموقف العربي الثابت منذ حرب ١٩٦٧، وحتى هذا المطلب رغم سرور كيسنجر به، رفضه كيسنجر قبل الرجوع للإسرائيليين، والرئيس السادات يصارح كيسنجر أن حصار الجيش الثالث ليس جوهر المسألة وخطوط وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ لا تصلح للنقاش بين صانعى سياسة مثله هو وكيسنجر، وأنه راغب بشدة في عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر و الولايات المتحدة، وهى العلاقات التي تم قطعها بين مصر والولايات المتحدة عقب حرب ١٩٦٧، وإثر الدور الأميركى الواضح في الحرب تخطيطا وتنفيذا ضد مصر، وعقب هذا القرار المصري قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية بالولايات المتحدة وتم خروج ٦٢ ألف أميركى من الوطن العربي في مشهد مهين لهيبة وكرامة الولايات المتحدة الأميركية، وهاج الرئيس الأميركى جونسون معتبرا ما حدث صفعة لمكانة الولايات المتحدة وتحريض شرير من الرئيس عبد الناصر، وطوال الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ حاولت الولايات المتحدة بشتى السبل العمل على عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأميركية دون جدوى لإصرار مصر على أن تلزم الولايات المتحدة إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية قبل تلك الخطوة، والآن يقوم الرئيس السادات وبعد حرب ضارية اهتزت فيها ثقة إسرائيل وتم كسر جيشها بتقديم هذا العرض المجانى، أغتبط كيسنجر لذلك

وفى ذهنه ما هو أبعد وأهم، فعودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأميركية تفتح الباب لعودة علاقات أميركا بكل دول العالم العربي، ويبلغ الرئيس السادات كيسنجر أنه قرر أن يرفع مستوى التمثيل الدبلوماسى فورا من قائم بالأعمال إلى سفير بالنسبة لمصر والولايات المتحدة، وكل ذلك بدون مقابل.

ولم يكتف الرئيس السادات بذلك بل يبلغ كيسنجر أنه ليس خلفا للرئيس عبد الناصر بل خلفا لأجداده من الفراعنة الكبار، ويبلغه أنه ينوى تصفية ميراث سياسات الرئيس عبد الناصر الاقتصادية والاجتماعية وتوجهاته القومية العربية، وسيعمل على طرد السوفيت من الشرق الأوسط.

ويقول السادات لكيسنجر لقد كانت حماقة وطيش من عبد الناصر محاولاته الدائمة لابتزاز الأميركيين وتحقيق أهداف مصر من خلال محاربة السياسة الأميركية في العالم العربي وعلى امتداد العالم، وإن مصر خاضت ما يكفيها من حروب من أجل العرب وتتطلع إلى السلام.

يسجل كيسنجر في مذكراته تلك الكلمات عن الرئيس السادات (أنه يمثل لى أفضل فرصة لكى نقلب المشاعر و الاتجاهات العربية والمواقف العربية تجاه إسرائيل، وهى أفضل فرصة تتاح لدولة إسرائيل منذ قيامها)، يقول كيسنجر أنه هو الذي أوحى للرئيس السادات أن المشكلة بين مصر وإسرائيل هى مشكلة نفسية نتجت عن عدم ثقة إسرائيل بنوايا مصر وخوفها على أمنها، وأن يجب على مصر أن تعطى إسرائيل الإحساس بالأمان وتهتم بشئونها فقط بدلا من الاهتمام بمشاكل العرب الآخرين، وكالعادة يوافقه الرئيس السادات ويصارحه أن المشكلة الأساسية نجمت من رفض الرئيس عبد الناصر الاعتراف بالهزيمة عام ١٩٦٧ وإصراره على الحل العسكرى للصراع وتمسكه بحل شامل على كل الجبهات العربية مما كلف مصر الكثير.

هذا الاجتماع بالغ الخطورة والذى دشن الدخول الأمريكى لمصر بعد أن أغلق عبد الناصر أبواب مصر أمام الامريكيين طيلة حكمه، لا توجد وثيقة واحدة فى الدولة المصرية عن تفاصيله،وإن كان كل ما تعهد به السادات لكيسنجر قد تم فعلا، مما يثبت صدق ما نقله كيسنجر عن وقائعه.

بل أن الأستاذ محمد حسنين هيكل يذكر أن الرئيس السادات بعد مظاهرات الطعام فى يناير ١٩٧٧ وإثر شعوره بجحود الشعب المصري لأعماله، وتحسبا لانتفاضة شعبية جديدة ضده ربما تطيح به، قرر أن يقوم بحرق كل أوراقه ووثائقه الهامة فى يوم خصصه لهذا الغرض سنويا مما أضاع العديد من الوثائق والقرارات المتعلقة بتاريخ مصر فى عهد السادات.

ولكن بفضل قرار الرئيس عبد الناصر بتوثيق تاريخه أصبحت مهمة الباحث التاريخى أكثر سهولة فى التنقيب عن خفايا تاريخنا العربي المعاصر، وكشف ما تم كتمانه من حقائق عن الصراع العربي الإسرائيلى بعد الانقلاب الذى تم فى السياسة المصرية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣.

فى هذه الدراسة سأقوم بعرض مجموعة من الوثائق المنشورة والمتاحة للجميع عن عروض السلام الأمريكية الإسرائيلية للرئيس عبد الناصر عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧، والتى ستبين بوضوح أن سيناء لم تكن أبدا سببا للصراع العربي الإسرائيلي، فلم يعد سرا الآن أن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية حاولتا باستماتة إغواء الرئيس عبد الناصر بقبول صلح منفرد مقابل استعادة سيناء كاملة بدون قيود بشرط الخروج من الصراع العربي الاسرائيلي، والتعهد بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

كانت البداية فى يوم ٩ أغسطس ١٩٦٧ وبعد شهرين من هزيمة ٥ يونيو الساحقة، أرسل الرئيس الأمريكى ليندون جونسون رسالة إلى الرئيس اليوغسلافى جوزيف بروز تيتو طالبا منه إبلاغها للرئيس جمال عبد الناصر، يعرض الرئيس جونسون فى رسالته للرئيس عبد الناصر إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل، والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى قناة السويس ومضيق تيران فى خليج العقبة مقابل إعادة سيناء إلى مصر وكل ذلك بدون مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل، وبدون اعتراف مصر بدولة إسرائيل، والتطبيع فى شتى المجالات معها، وبالطبع دون زيارة القدس المحتلة وإلقاء خطاب فى الكنيست الإسرائيلى وفوق رأس رئيس مصر عبارة (من النيل للفرات أرضك يا إسرائيل).

هذا كان أول عرض أمريكى لرد سيناء فقط لمصر دون شروط دون مفاوضات مباشرة دون اعتراف بإسرائيل.

وقد رفضه الرئيس عبد الناصر لأنه حل جزئى غير شامل وأصر على حل شامل للصراع العربي الإسرائيلي يشمل عودة كل الأراضى العربية التى تم احتلالها فى حرب يونيو ١٩٦٧، ويضمن حقوق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

وفى مؤتمر القمة العربية بالخرطوم فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ حدد الرئيس عبد الناصر معالم المعركة القادمة عندما قاد المؤتمر لإقرار اللاءات الثلاثة فى مواجهة إسرائيل (لا صلح.. لا تفاوض.. لا اعتراف).

فى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٧ يقابل وزير الخارجية المصرى محمود رياض ممثل الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة آرثر جولد بيرج الذى يطلب من رياض نقل

عرض جديد من الرئيس جونسون للرئيس عبد الناصر ينص على :

انسحاب إسرائيل من الأراضى المصرية (سيناء) مقابل احترام مصر لسيادة إسرائيل والإقرار لها بالملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران.

ونلاحظ هنا أن عرض جونسون لم يتضمن شرط الاعتراف السياسى المصرى بدولة إسرائيل.

كان رد محمود رياض على العرض الجديد هو أن مصر ترفض الحديث عن أى انسحاب خاص بسيناء فقط، لأن سياسة مصر ترتكز على الحل الشامل للصراع العربي الإسرائيلي بمعنى أنها حين تتحدث عن انسحاب إسرائيلى تعني انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية التى تم احتلالها فى حرب يونيو ١٩٦٧.

وعندما يقول جولدبرج لمحمود رياض : ولكننا سنعيد لكم سيناء.

يرد رياض : لن نسمح بإعطاء إسرائيل مكاسب إقليمية مكافأة لها على عدوانها، ولن نقبل بحل جزئى.

كان هذا هو العرض الثانى.

وبعد مرور عام عليه وفى يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٨ جاء العرض الثالث وكان أول مشروع رسمى تقدمه الولايات المتحدة لمصر ينص على انسحاب إسرائيل من سيناء.

حيث اجتمع وزير الخارجية الأمريكى دين راسك مع وزير الخارجية المصرى محمود رياض فى نيويورك حيث كان الاثنان يحضران الدورة السنوية العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة، وفى ذلك الاجتماع قدم الوزير الأمريكى لمحمود رياض مشروع رسمى أمريكى من سبع نقاط هى :

١- انسحاب إسرائيل من الأراضى المصرية بالكامل.

٢- إنهاء حالة الحرب بين مصر و إسرائيل.

٣- يتبع ذلك فتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية.

٤- حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس سؤال كل لاجئ بطريقة سرية وبصفة شخصية عن مدى رغبته فى العودة إلى فلسطين، وفى حالة رفضه فله أن يختار أى بلد يريد أن يذهب إليه دون أن يشكل ذلك ارتباطا مسبقا على تلك الدول.

٥- تواجد قوات دولية فى شرم الشيخ، على ألا تنسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٦- التفاهم حول مستوى التسليح فى المنطقة.

٧- توقيع مصر على وثيقة تتضمن هذه الالتزامات، وكذلك إسرائيل.

وهذا العرض أيضاً بدون اعتراف رسمى وبدون مفاوضات مباشرة وبالطبع بدون زيارة للقدس المحتلة.

وعندما يتساءل محمود رياض عن مصير غزة والضفة الغربية والقدس والجولان، يرد عليه دين راسك : أننى أتحدث الآن مع وزير خارجية مصر.

وهنا رفض محمود رياض المشروع على الفور لأنه حل جزئى للصراع العربي الإسرائيلى ويخالف سياسة مصر، فيطلب منه دين راسك أن يعرض المشروع على الرئيس جمال عبد الناصر قبل اتخاذه لقرار خطير كهذا برفض عودة سيناء لمصر.

وفى الأول من ديسمبر عام ١٩٦٨ تلقت الولايات المتحدة رد الرئيس جمال

عبد الناصر على مشروعها الرسمى للسلام وجاء فيه: "إن التزامات الدول العربية المنبثقة من عضويتها فى جامعة الدول العربية، وميثاق الدفاع المشترك من جانبها فى إطار الجامعة، يجعل أى عدوان ضد أى منها عدوانا ضد جميع الدول العربية لهذا فإن إنهاء حالة الحرب من جانب الجمهورية العربية المتحدة (مصر) يتطلب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية".

وقد علق الرئيس عبد الناصر على هذا العرض للسلام فى جلسة مجلس الوزراء المصرى التى عقدت يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٨ بقوله: "لو ركزنا الحل على انسحاب إسرائيل من سيناء، وتركنا بقية الأراضى العربية المحتلة، فإن تلك هى الخيانة بعينها، لقد قبلنا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ من أجل الحصول على الوقت الكافى لإعادة بناء قواتنا المسلحة، وأنا شخصيا غير مقتنع بالقرار لأن إسرائيل لا تفهم غير لغة القوة، نحن ملتزمين بعدم إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل طالما هناك شبر واحد محتل من أراضينا العربية، وحتى لو تعهدنا بإنهاء حالة الحرب سيكون التعهد معلق بالانسحاب الإسرائيلى الكامل من كافة الأراضى العربية المحتلة وأولها القدس مع حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، لأن موافقتنا على قرار مجلس الأمن الخاص بحرية الملاحة فى قناة السويس مرتبط بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، فإذا حلت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تحل مشكلة قناة السويس".

كان هذا المشروع الرسمى الأمريكى هو أخر عروض الولايات المتحدة الأمريكية لمصر فى عهد الرئيس الأمريكى جونسون، وكان مضمونه الأساسي

هو انسحاب إسرائيل بالكامل من سيناء دون شروط مقابل أن تفصل مصر نفسها عسكريا وسياسيا عن الدول العربية الأخرى ومصير أراضيها المحتلة.

وفى حديث لرئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول مع مجلة نيوزويك الأمريكية عدد (١٧ فبراير ١٩٦٩) يقول: (خلال العقدين الأخيرين كررنا دائما فى إسرائيل قولنا بأننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر، أننى مازلت مستعدا لأن أطير إلى القاهرة، ولن أتحدث مع ناصر كمنتصر ولكنى سأبلغه أن إسرائيل مستعدة لإعادة سيناء كاملة إلى مصر وبدون أى قيد أو شرط حيث أنه لم تكن لإسرائيل فى أى وقت طلبات من أجل نزع سلاح سيناء، ولكن بالنسبة لمرتفعات الجولان والقدس و الضفة الغربية فأن إسرائيل ببساطة لن تتنازل عنها، سنرد لناصر سيناء بدون شروط مقابل أن يهتم بشئون مصر ولا يتدخل فى شئون الدول العربية الأخرى).

وبعد وفاة أشكول وتولي جولدا مائير منصب رئيسة الوزراء فى إسرائيل كررت نفس كلام سلفها عن استعدادها للطيران إلى القاهرة والتفاوض مع الرئيس عبد الناصر، إذا وصلتها دعوة من عبد الناصر بذلك، بالطبع لم يرسل عبد الناصر أبدا دعوة كهذه، ولكن فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ حطت طائرة الرئيس الراحل أنور السادات فى القدس المحتلة بعد أن أعلن عن استعداده لزيارة إسرائيل إذا جاءته دعوة من مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى أرسل له الدعوة على الفور.

عبد الناصر بعد الهزيمة رفض كل تلك الحلول والمقترحات للحصول على سيناء بدون شروط مقابل فك ارتباطه بالعالم العربي، والسادات بعد النصر يذهب هو بنفسه إلى فلسطين المحتلة ليحصل فى النهاية على سيناء منزوعة السلاح مع قطيعة شاملة مع العالم العربي ن وضياع لدور مصر الإقليمى و تبعية مقيتة للإمبراطورية الأمريكية.

فى يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ يعلن وزير الخارجية الأمريكي وليم روجرز عن مشروع أمريكى جديد للتسوية السلمية بين مصر و إسرائيل يتضمن انسحاب إسرائيل إلى حدودها السابقة على حرب يونيو ١٩٦٧ فى سيناء مقابل اعتراف مصر بإسرائيل وإنهاء حالة الحرب، كما يتم إجراء مفاوضات بين إسرائيل والأردن بشأن الضفة الغربية والقدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

وفى يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٩ تلقى وزير الخارجية المصري محمود رياض تلك الرسالة من وزير الخارجية الأمريكى وليم روجرز بخصوص العرض الأمريكى

الجديد والذى عرف باسم (مشروع روجرز):

عزيزى السيد الوزير "إنى أعرف أنك مهتم بالكيفية التى سيمكن بها مراعاة الجوانب الأخرى من التسوية العربية الشاملة، وأستطيع أن أؤكد لك بأنه لا توجد لدينا النية لمحاولة فصل الجانب المتعلق ب ج.م.ع (مصر) عن الأجزاء الأخرى، فنحن نرى التسوية كما ترونها تسوية متكاملة وشاملة، إن المطلوب هو استجابة إيجابية من حكومتكم".

يقول أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل عن خطة روجرز أنها إعلان أمريكى صريح وقاطع بضرورة انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ على الجبهتين المصرية والأردنية، وقد اعتبرتها رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير بمثابة الكارثة.

لذا أعلنت الحكومة الإسرائيلية رفضها لخطة روجرز، لأن إسرائيل لن تقبل بحل شامل للصراع ولكن يمكنها القبول بعودة سيناء لمصر مقابل خروج مصر من الصراع العربي الإسرائيلي.

لنتذكر هذا جيدا نحن نتناول وقائع جرت فى عام ١٩٦٩ مصر مازالت تعانى من أثار الهزيمة، وسيناء مازالت محتلة، ورغم ذلك ترفض مصر باستمرار عودة سيناء فقط بدون شروط دون عودة بقية الأرض العربية المحتلة، وضمان حقوق الشعب الفلسطينى.

فى يوم ١ يناير ١٩٧٠ يقول الرئيس عبد الناصر فى خطابه بالإستاد الرياضى فى الخرطوم:

"لقد حاول الاستعمار بكل الوسائل طوال هذه الأشهر - سنتين ونص - أن يكسر من مقاومتنا وأن يجعلنا نستسلم ونسير فى طريق غير طريق الصمود.

إننا قلنا إننا نريد السلام ولكنا لم نقل أبداً بأى حال من الأحوال أننا نقبل الاستسلام من أول يوم، بعد النكسة قلنا إننا نعمل من أجل السلام، وهناك - أيها الإخوة - فرق كبير بين السلام وبين الاستسلام، وقد أرادت الولايات المتحدة الأمريكية وهى تدعم إسرائيل بكل وسيلة من الوسائل أن يستمر تدعيمها ليس فقط بالسلاح.. ليس فقط بالمال، ولكن فى المجال السياسى، فكانت تعمل على أن تحول قرار مجلس الأمن إلى مشروعات مشبوهة للتسوية، وتقول إن قصدها من هذا السلام، ولكنا نعرف أن قصد الولايات المتحدة الأمريكية كان دائماً هو تمكين إسرائيل من رقاب الأمة العربية، وتمكين إسرائيل من أرض الأمة العربية وقد رفضنا دائماً هذه المشروعات المشبوهة من سنة ٦٨ وسنة ٦٩، كانت

المشروعات تتلخص أساساً فى التفرقة بين العرب، تسوية لمصر وحدها، ثم بعد هذا تسوية للأردن، وكنا نعلم أن هذا يعنى أن القدس قد ضاعت وأعطيت لليهود، وأن الضفة الغربية قد ضاعت وأعطيت لإسرائيل، ولهذا رفضنا وقالوا لنا إن مسألة الحدود مع مصر ليست مسألة نقاش وليست مسألة مفاوضات، مسألة الأرض مع مصر ليست مسألة نقاش ومسألة مفاوضات، وقلنا وماذا عن القدس وماذا عن الضفة الغربية، إننا لا نفرق بين سيناء، بين الأرض المصرية والأرض الأردنية والأرض السورية إنها أرض عربية.. لنا جميعاً للأمة العربية.

هذه المشروعات المشبوهة للتسوية التى قامت بإعدادها وتقديمها الولايات المتحدة الأمريكية، أعرف تماماً أن الجماهير العربية الصامدة، الجماهير العربية الثائرة، الجماهير العربية المصممة لن تقبلها بأى حال من الأحوال. إننا - أيها الإخوة - لا يمكن أن نقول إننا نريد الحرب فقط من أجل الحرب، ولكنا نريد الحرب من أجل التحرير، نريد تحرير أرضنا التى استولت عليها إسرائيل، نريد الحرية لأرضنا ولأبنائنا الذين يسكنون فى القدس وفى الضفة الغربية، نريد هذا ولكنا لا نريد الحرب من أجل الحرب، إن التحرير ليس فقط حق لنا ولكنه واجب علينا. حينما نقول هذا يقولون إن العرب يريدون الحرب، قلناها وقلناها مرات ومرات، إننا نعمل من أجل السلام، وإننا نريد السلام، ولكننا لن نرضى أبداً بالمشاريع المشبوهة التى تدعونا إلى الاستسلام فقالوا إنهم يريدون الحرب من أجل الحرب، وأنا أقول إن الأمة العربية لا تريد الحرب من أجل الحرب، إنما تريد تحرير أرضها جميعاً، لن تتنازل عن شبر من أرضها بأى حال من الأحوال".

وفى حديث للرئيس عبد الناصر مع جيمس رستون رئيس تحرير النيويورك تايمز يوم ١٩٧٠/٢/١٤ يقول عبد الناصر ": إننى لا يمكن أن أقبل إعطاء إسرائيل بوصة واحدة من الأراضى العربية، وإنى أنظر إلى المسألة كمسألة فى غاية البساطة، فإذا كان كل طرف يريد السلام فنحن أيضاً نريد السلام، ولكن ما الذى يعنيه السلام بالنسبة لنا؟

إن السلام يعنى الانسحاب التام عن المناطق المحتلة - كما سبق أن قلت- بما فى ذلك القدس، ثم يتبع ذلك أن تعود إلى الشعب الفلسطينى حقوقه. فى هذا الوقت وفى هذه الظروف يمكن أن يكون هناك سلام، ولن تكون هناك حاجة لوجود قوات دولية، ولمناطق منزوعة السلاح.

ولقد استمرت هذه المشكلة طوال عشرين عاماً؛ لأنه لم يكن هناك حل لمشكلة اللاجئين، وإذا ظلت هذه المشكلة بلا حل، فإنها ستستمر عشرين عاماً أخرى. وأرجو أن تكون قد فهمتنى، إنه من المهم أن نسأل أنفسنا دائماً ما هو

السلام؟ إنهم إذا جلوا عن المناطق المحتلة، وحلوا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين؛ فإنه لن تكون هناك مشكلة.

لماذا لم يكن هناك اعتراف بحق إسرائيل فى الحياة كما تقول؟ لأنه كانت هناك مشكلة اللاجئين، وإذا استمرت مشكلة اللاجئين فلن يعترف أحد لإسرائيل بأى شيء".

فى يوم ١٢ أبريل ١٩٧٠ يقابل جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية الرئيس جمال عبد الناصر لكى يقدم له عرضا جديدا للسلام يتضمن تفهم الولايات المتحدة لإصرار مصر على التسوية الشاملة للصراع، وتفهم رفضها لإجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، وطلب سيسكو فى الاجتماع من الرئيس عبد الناصر إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية فرصة لإثبات حسن نواياها بأن تقبل مشروع روجرز الذى ينص على الانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧.

وقد وعد الرئيس عبد الناصر بدراسة المقترحات الأمريكية والرد عليها فى أقرب فرصة.

وبالفعل فى خطاب الرئيس عبد الناصر فى أول مايو ١٩٧٠ قام بالرد على المقترحات الأمريكية بتوجيه نداء علني للرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون بأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تختار بين أحد موقفين:

١ – تأمر إسرائيل بالانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة وهذا فى قدرة الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ – إذا لم تأمر الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل بالانسحاب فعليها ألا تقدم لها أى دعم جديد سواء كان عسكري أو اقتصادى أو سياسي طالما تمسكت إسرائيل بمواصلة احتلالها للأراضى العربية.

كما حذر الرئيس عبد الناصر الرئيس نيكسون من عواقب استمرار الدعم الأمريكى السافر لإسرائيل وتأثير ذلك على مستقبل العلاقات العربية الأمريكية.

وفى خطابه بالخرطوم فى السودان يوم ٢٨ مايو ١٩٧٠ جدد الرئيس عبد الناصر عهده مع الأمة العربية وشدد على التزام مصر بالتسوية الشاملة للصراع العربي الإسرائيلى حيث يقول عبد الناصر:

"ما هو موقفنا اليوم؟ نحاول بكل وسيلة من الوسائل أن نستخلص حقوقنا، نعمل سياسياً ولكن حينما نعمل سياسياً نعمل بشرطين أساسين:

الشرط الأول: هو ضرورة انسحاب قوات العدوان من كل الأراضى المحتلة بعد يونيو ١٩٦٧ وليس من سيناء وحدها؛ وعلى هذا الأساس قبلنا قرار مجلس الأمن اللى صدر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ وحكومة إسرائيل رفضت هذا القرار، وحينما وصل مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة رفضت إسرائيل أن تجاوب على أى سؤال من أسئلته، لماذا رفضت إسرائيل؟ إسرائيل لا تريد السلام، إسرائيل تريد التوسع، إسرائيل لا تريد السلام طالما تساندها الولايات المتحدة الأمريكية بالقوة، وأنا قلت لكم أخر مرة التقيت معاكم هنا فى يناير الماضى فى عيد استقلال السودان، قلت إن إحنا نطالب بانسحاب إسرائيل من القدس قبل سيناء، ومن المرتفعات السورية مرتفعات الجولان قبل سيناء، ومن غزة قبل سيناء ومن الضفة الغربية للأردن قبل سيناء، ومن كل شبر من الأرض العربية مشت عليه قوى المؤامرة الكبرى التى وجهت عواصفها المجنونة ضد أمتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧.

الشرط الثانى: هذا أيضاً يدخل ضمن قرار مجلس الأمن، وهو ضرورة عودة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين، وحق هذا الشعب الآن ليس كما كان يقال باعتباره شعباً من اللاجئين، وبتقول إسرائيل إنها علشان تحل مشكلة هذا الشعب بيتعمل مؤتمر دولى، ويتحل الموضوع فى هذا المؤتمر الدولى، وإنما يجب أن يكون الحل كما أثبت هذا الشعب - وبأصالة - أنه شعب من الفدائيين المناضلين الذين يقاتلون فى سبيل حقهم وفى سبيل أرضهم".

وفى يوم ١٩ يونيو ١٩٧٠ جاء الرد الأمريكى على نداء الرئيس عبد الناصر للرئيس الأمريكى نيكسون فى رسالة بعث بها وزير الخارجية الأمريكى وليم روجرز لنظيره المصري محمود رياض جاء فيها ما عرف فيما بعد بمبادرة روجرز:

١ – قيام كل من مصر و إسرائيل بتعيين ممثلين لكل منهما فى المناقشات التى ستدور تحت إشراف المبعوث الامريكى "جونار يارنج" لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه.

٢ – هدف هذه المناقشات هو التوصل إلى اتفاق على إقامة سلام عادل وشامل بين مصر و إسرائيل يقوم على الاعتراف المشترك بحق كل منهما فى السيادة والاستقلال السياسي،والانسحاب الإسرائيلى من أراضى تم احتلالها عام ١٩٦٧ بما يتماشى مع القرار ٢٤٢.

٣ – موافقة مصر و إسرائيل على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة شهور اعتبارا من أول يوليو حتى أول أكتوبر ١٩٧٠.

تسلم تلك الرسالة السفير صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية من

دونالد بيرجس رئيس قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة، وفى المقابلة قدم بيرجس إيضاحات رسمية إضافية من الحكومة الأمريكية قائلا انه يرجو من الحكومة المصرية أن تضع فى اعتبارها أن المبادرة تتضمن تنازلات هامة من جانب إسرائيل تتمثل فى كون المفاوضات ستكون غير مباشرة، وأن الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة سيكون قبل بدء المفاوضات غير المباشرة.

لنلاحظ ذلك جيدا الانسحاب الإسرائيلى سيكون قبل بدء المفاوضات والتى ستكون غير مباشرة بل عبر وسطاء.

فى يوم ٢٢ يونيو ١٩٧٠ وأثناء خطابه فى ليبيا بمناسبة الاحتفال بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة هويلس وجه الرئيس عبد الناصر للأمة العربية الكلمات التالية: "إننا فى مصر نقاتل باستمرار، إن إخوتكم فى جبهة القناة يتعرضون لغارات جوية يومياً تبلغ ١٥٠ طيارة أو ١٨٠ طيارة، هذه الطائرات هى صناعة أمريكية طائرات "الفانتوم" وطائرات "السكاى هوك" هذه الطائرات لم تكن عند إسرائيل قبل العدوان، ولكن إسرائيل استلمتها من الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٩.. ماذا يعنى هذا؟ يعنى أن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد إسرائيل فى أن تفرض شروطها على الأمة العربية، وإذا لم تقبل الأمة العربية هذه الشروط فإن "الفانتوم" و"السكاى هوك" الأمريكية ستدك المصانع وستدك المنازل وستدك كل شىء، ولكننا قلنا رغم هذا إننا لن نوقف إطلاق النار وسنستمر فى معركتنا ولو دمروا بيوتنا.. ولو دمروا مصانعنا.

أيها الإخوة: إن الجمهورية العربية المتحدة فى سنة ١٩٦٧ كانت ميزانيتها للقوات المسلحة ١٦٧ مليون جنيه، وهذا العام ميزانية القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة هى ٥٥٠ مليون جنيه.

لقد قبل إخوتكم فى الجمهورية العربية المتحدة أن يتقبلوا بكل هذا، وأن يدفعوا كل هذا من أجل المعركة.. معركة الأمة العربية.

لقد قالوا لنا إنهم على استعداد... قالت أمريكا إن إسرائيل على استعداد أن تجلو عن سيناء وعن كل الأرض المصرية على أن نتجاهل كلية القدس والضفة الغربية وهضبة الجولان، وقلنا لهم إن الانسحاب من القدس والضفة الغربية وهضبة الجولان يجب أن يكون قبل الانسحاب من سيناء لأن هذه المعركة هى معركة قومية عربية"

وفى يوم ٢٢ يوليو ١٩٧٠ سلم وزير الخارجية المصري محمود رياض رد مصر على مبادرة روجرز لدونالد بيرجس رئيس قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة،

وقد تضمن الرد ارتباط الموافقة المصرية على مبادرة روجرز بنقطتين:

أولاً: الانسحاب الإسرائيلى الشامل من جميع الأراضى العربية المحتلة.

ثانياً: التمسك بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى كما حددتها قرارات الأمم المتحدة.

وفى مساء ٢٣ يوليو ١٩٧٠ قام سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بإخطار اسحق رابين سفير إسرائيل بالولايات المتحدة بموافقة عبد الناصر على مبادرة روجرز.

وأثناء خطابه فى الاحتفال بالعيد الثامن عشر لثورة ٢٣ يوليو حدد الرئيس عبد الناصر مفهوم مصر لمضمون مبادرة روجرز، وشروطها لتحقيق السلام العادل والشامل، حيث قال: "إن هدفنا محدد، وهو معروف، وهدف العدو غير محدد، وإن كان الكل يعرفه، وهو التوسع والاستيلاء على الأراضى العربية. هدفنا يتركز فى نقطتين:

الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة: الجولان، الضفة الغربية، القدس، قطاع غزة، سيناء.

النقطة الثانية: الحقوق المشروعة لشعب فلسطين؛ وفقاً لقرارات الأمم المتحدة. وهذه الحقوق وإنكار إسرائيل لها هى التى أثرت على الموقف فى المنطقة طوال السنوات الاثنين وعشرين اللى فاتت، إن كان فيه لجنة مصالحة أو لجنة توفيق، وكانت هذه اللجنة المطلوب منها أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة واللجنة كانت مكونة من أمريكا.. ولازالت مكونة من أمريكا وفرنسا وتركيا، واجتمعت إسرائيل مع هذه اللجنة، واجتمع العرب مع هذه اللجنة سنة ٤٩، وكان شغل اللجنة إعادة الشعب الفلسطينى إلى وطنه، إعادة حقوقه إليه، ولكن اللجنة اجتمعت اجتماعاً واحداً وبعد هذا لم تجتمع.

العدو يرفض تنفيذ قرار مجلس الأمن، يعتبر قرار مجلس الأمن مجرد جدول أعمال لمحادثات بيننا وبينه فى مفاوضات مباشرة، وهذا ما رفضناه، وما زلنا نرفضه، ولكن مطامع العدو معروفة، وتصرفات العدو فى كل يوم تبين أن مطامع العدو هى التوسع. الحقيقة من البديهى إما سلام وإما توسع، لا يمكن أن يكون هناك سلام مع التوسع.

أنا قلت لكم على النقط اللى جات فى جواب وزير الخارجية الأمريكى:

النقطة الأولى : وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل لمدة ثلاثة أشهر.

النقطة الثانية: "يارنج" يعود لمهمته، بعد كده بيطلب من الدول إنها تنفذ قرار مجلس الأمن تنفيذاً كاملاً.. تنفيذ قرار مجلس الأمن بكل أجزائه؛ بالتوصل إلى اتفاق حول إقامة سلام عادل ودائم؛ مستنداً إلى الإقرار من جميع الأطراف بالسيادة، وسلامة الأراضى، والاستقلال لكل دولة، ثم الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة خلال نزاع عام ١٩٦٧؛ وذلك طبقاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢. وأنا قلت إن تفسير هذا القرار يظهر فى المقدمة بأنه يؤكد عدم إمكانية الحصول على أراض بواسطة الحرب؛ يعنى الحاجات اللى جات لنا من أمريكا حاجات مش جديدة.

وزير الخارجية المصرى بعث بالأمس رده على الرسالة التى تلقاها من وزير الخارجية الأمريكى، وأبلغه أننا نوافق على تنفيذ قرار مجلس الأمن، وان قرار مجلس الأمن يعنى الانسحاب من كل الأراضى العربية المحتلة، وحقوق شعب فلسطين وفقاً لقرارات الأمم المتحدة. وأبلغه إنهم بيقولوا إن إسرائيل تريد السلام ونحن نريد الحرب، ونريد إفناء إسرائيل أو اليهود، ولكن الوضع الصحيح أو الوضع السليم أن مصر وافقت من سنة ٦٧ على قرار مجلس الأمن، وإسرائيل لم توافق على قرار مجلس الأمن. وأبلغه أن المقترحات ليس فيها جديد؛ بل كلها تضمنها قرار مجلس الأمن سنة ١٩٦٧ الذى ساعدت أمريكا على عدم تنفيذه؛ لأن سياستها لم تكن متوازنة بل منحازة لإسرائيل، وأبلغه أننا نوافق على المقترحات الأمريكية".

انهارت الحكومة الائتلافية فى إسرائيل عقب موافقة غولدا مائير على مبادرة روجرز، حيث صرح مناحم بيجن وزير الدولة وقتها : إن مبادرة روجرز لا تعنى فقط الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء، ولكنها تعنى أيضاً الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الضفة الغربية لنهر الأردن مع ضمان حق الفلسطينيين فى العودة أو التعويض عن فقدان وطنهم.

أثار قبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز غضب الفصائل الفلسطينية المسلحة التى خشيت أن يكون قبول المبادرة مقدمة إلى سلام مصري إسرائيلي، فى أغسطس ١٩٧٠ سافر وفد من قادة الفصائل الفلسطينية إلى الإسكندرية للقاء الرئيس عبد الناصر ضم الوفد ياسر عرفات، فاروق القدومى، صلاح خلف، هايل عبد الحميد عن منظمة (فتح)، وضافى جمعان عن (الصاعقة)، وإبراهيم بكر عن (المستقلين)، فى الاجتماع قال لهم الرئيس عبد الناصر: لا أفهم كيف تهاجموننى دون أن تقفوا على حقيقة بواعثى لقبول مبادرة روجرز؟

أننى موقن أن حظ المشروع من النجاح هو واحد بالألف، فإسرائيل لن

تنسحب من كامل الأراضى العربية وأنا لن أقبل بأقل من ذلك، بقبولى لمبادرة روجرز أكسب وقت لكى ننصب حائط الصواريخ على حافة قناة السويس لكى أقضى على غارات الطيران الإسرائيلى ولشن معركة تحرير أراضينا العربية المحتلة، والتى لن تتأخر تحت أى ظرف عن ربيع عام ١٩٧١.

هذا ما تخبرنا به الوثائق عن عروض السلام الأمريكية والإسرائيلية لمصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

لم تكن سيناء عقبة على الإطلاق بل كانت مطروحة باستمرار للمقايضة تعيد إسرائيل سيناء لمصر بدون شروط مقابل خروج مصر من العالم العربي، والقضاء على القومية العربية، وانكفاء كل دولة عربية على نفسها، وتفكيك مصر لاقتصادها الوطنى وعمليات التصنيع ومشروعات التسليح وبرنامج الصواريخ والبرنامج النووى المصري وتدخل ضمن المنظومة الغربية.

كانت تلك هى الصفقة الأمريكية الإسرائيلية التى رفضها الرئيس عبد الناصر رغم الهزيمة،لقد حققت إسرائيل عسكريا أكثر من المتوقع منها فى المخطط الأمريكى لحرب يونيو ١٩٦٧، وكان المنتظر بعد تلك الهزيمة الساحقة أن يتم سقوط نظام جمال عبد الناصر بكل توجهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية بفعل الهزيمة ورسم خريطة جديدة للعالم العربي تسيطر عليها نظم موالية للمشروع الإمبراطوري الأمريكى، ولكن رفض الشعب المصرى والشعوب العربية لاستقالة عبد الناصر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ بعد أن أعلن تحمله للمسئولية الكاملة عن الهزيمة، أجهض المخطط الأمريكى الإسرائيلى، وهنا توقع الأمريكيون إن ما حدث كان فورة عاطفية ستنتهى فور تكشف مدى الهزيمة التى لحقت بالجيوش العربية، وأن نظام عبد الناصر سيسقط لا محالة خلال مدة لن تزيد عن ٦ أشهر بعد الهزيمة ولكن جاء مؤتمر القمة بالخرطوم فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ بمثابة مبايعة جديدة للرئيس عبد الناصر لكى يستمر فى نهجه المقاوم للمشروع الأمريكى الإسرائيلى فى المنطقة، فقد استقبل الشعب السودانى الرئيس عبد الناصر بصورة أسطورية لا توصف خاصة أنها كانت أول زيارة له لقطر عربى بعد الهزيمة وبعد أن تكشفت أبعاد الهزيمة وما دار فى ميادين القتال، كان ذلك الاستقبال من مئات الآلاف من أبناء الشعب السودانى للرئيس عبد الناصر هو الحدث الأول إعلاميا فى العالم وقتها وقد نشرت كل الصحف العالمية فى صفحاتها الأولى تغطية للاستقبال وصور التفاف الشعب السودانى حول القائد العربى عبد الناصر، ونشرت مجلة (نيوزويك) الأمريكية على غلافها صورة للرئيس عبد الناصر محاطا بآلاف السودانيين، وكتبت تحتها (المجد للمهزوم هذه أول

مـرة فـى التـاريخ يـتم فيهـا اسـتقبال قائـد مهـزوم بأكاليـل الغـار كالفـاتحين و المنتصرين)، وفى هذا المؤتمر تم تكريس المقاومة و رفض العدوان وخرج المؤتمر باللاءات الثلاثة الشهيرة (لا صلح.. لا تفاوض.. لا اعتراف).

وفـى نفس الوقت وبعد أيام مـن الهزيمـة بـدأ الـرئيس عبـد الناصـر إعـادة بنـاء الجيش المصرى من الصفر.

فقـد طبـق الـرئيس عبـد الناصـر عمليـا مقولتـه الخالـدة "إن مـا أخـذ بـالقوة لا يسترد إلا بـالقوة"، ثـلاث سـنوات أنجـز فيهـا جمـال عبـد الناصـر مـا أدى لـصنع إعجاز العبور، يقول الـدكتور جمـال حمـدان في كتابـه" ٦ أكتوبر في الإسـتراتيجية العالمية"، عن حرب الاستنزاف والتى استمرت ثلاث سنوات.

كانت فترة "كمون" و"إعداد" ثم "اختمـار" و"انطـلاق" نحـو القفـزة الكـبرى.. ونحن نستطيع أن نقدر هذه الفترة حق قدرها في سياق الصراع العام إذا نحن حللناهـا إلى مراحـل تطوريـة. فهنـاك أربـع مراحـل أساسـية.. - (الـصمود) - (الـردع)- (الاسـتنزاف) - (وقـف إطـلاق النـار).. فالـصمود مـن " يونيـو١٩٦٧حتـى أغـسطس ١٩٦٨" مـدة سـنة وشـهران.. هـي أساسـاً مرحلـة "الـدفاع الحـذر" تخللتهـا معـارك رأس العش والمدمرة إيـلات وبعض معـارك جويـة متحديـة.. والـردع مـن " سـبتمبر١٩٦٨حتـى فبراير ١٩٦٩" مدة ستة شهور.. هـي أساسـاً مرحلـة " الـدفاع النـشط " تلخـصها معـارك المدفعية التي اتصل فيها التراشق بالنيران عبر القنـاة.. وكـان مـن نتائجهـا بنـاء العـدو لخط بارليف الأول.. أما مرحلة الاسـتنزاف مـن " مـارس ١٩٦٩ حتـى أغـسطس ١٩٧٠" مدة سـنة ونـصف الـسنة.. فتعـد أساسـاً مرحلـة " الهجـوم الحـذر" ففيهـا تم تـدمير خـط بـارليف ألأول بالمدفعيـة المكثفـة المستمرة طـوال شـهرين.. مـارس وأبريـل ١٩٦٩.. ثـم توالى عبور الكومانـدوز ليلاً ونهارا بقـوات متزايـدة ثـم بـلا انقطـاع ، كمـا تكـررت غارات الضفادع البشرية علـى موانئ العـدو تحرقهـا وتغـرق سـفنه فيهـا ، هـذا فـضلاً عن الغارات والمعارك الجوية المتصاعدة ، وذلـك كلـه في وجـه غـارات العـدو المـضادة علـى الجـزر المنعزلـة والعمـق المـدني إلى جانـب جبهـة القنـاة حتـى تم بنـاء حـائط الصواريخ.

طلب الرئيس عبد الناصر من الفريق محمد فوزى وزير الحربية المصرى القيـام بالوثبة الأخيرة لحائط الصواريخ المصري حتى حافة قنـاة الـسويس بحيـث تـصبح تلـك الوثبة أمر واقع مع بـدء سـريان قـرار وقـف إطـلاق النـار طبقـا لمبـادرة روجرز،وبالفعل حقـق أبطـال القـوات المسلحة المـصرية تعليمـات الـرئيس عبـد الناصـر بحيـث أنـه فـى صباح يـوم ٨ اغـسطس ١٩٧٠ كـان حـائط الـصواريخ المـصري منتـصبا علـى الحافـة الغربية لقناة السويس.

فـى حلقـات الأسـتاذ محمـد حسنين هيكـل عـن "الطريـق إلى أكتوبر" عـرض الأستاذ هيكل الوثائق التى تثبت أن الرئيس عبد الناصر وقع خطة العبور "جرانيت ١ " عـام ١٩٧٠، وأسـتكمل اسـتعداداته لـشن الحـرب، وباكتمـال حـائط الـصواريخ وتحريكه حتى حافة الضفة الغربية لقناة السويس فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ كـان قـرار شـن الحـرب مـسألة وقـت فبعـد تـأمين سمـاء مـصر مـن الطيران الإسـرائيلى بـدأ العـد التنازلى للحظة العبور.

وفـى لقـاء لى مـع الـسيد/ سـامى شـرف- سـكرتير الـرئيس عبـد النـاصـر للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق – أكد لى أن الرئيس عبـد الناصـر فى أغسطس عام ١٩٧٠ وقع على خطط العبور "جرانيت ١" و "جرانيت ٢" و "القـاهرة ٢٠٠" والأخـيرة هـى التـى تعنـى الـضوء الأخـضر والنهـائى لبـدء تنفيـذ خطـط تحريـر الأراضى المحتلة، وليست الخطة " جرانيت ١ " فقط كما ذكر الأستاذ هيكل.

كـان قبـول وقـف إطـلاق النـار طبقـا لمبـادرة روجـرز خطـة تكتيكيـة لـدفع حائط صواريخ إلى الحافة الغربية لقناة السويس، ولالتقاط الأنفاس اسـتعدادا لحـرب التحرير التى ستحقق الحل الشامل والكامل للصراع العربي الإسـرائيلي، والتـى قـال عنها الرئيس عبد النـاصر فى جلسة مغلقة للجنة التنفيذية العليا للاتحـاد الاشـتراكى بتـاريخ ١٩٦٨/١٢/٣٠ : "سـيأتى إن شـاء الله اليـوم الـذى تعبر فيـه قواتنـا المـسلحة إلى شرق القناة لتطرد العدو من سيناء، ولن تكون المعركة هذه المرة معركـة أيـام سـتة أو سبعة، لكنها ستكون معركة حاسمة وفاصلة فى تحديد مستقبل المنطقة".

أعطـى الـرئيس عبـد النـاصـر أوامـره للفريـق محمـد فـوزى وزيـر الحربيـة بالاسـتعداد لـشن معركـة التحريـر فـور انتهـاء مهلـة وقـف إطـلاق النـار وكـان تقـدير الرئيس عبد النـاصر والقيادة العامة للقوات المسلحة أن تبدأ عملية العبور فـى الأسـبوع الأول مـن شـهر أكتـوبر ١٩٧٠، وإن لم يـتم ذلـك فالموعـد الثـانى لـشن الحـرب كـان خلال الفترة من الأسبوع الثالث من شهر أبريل ١٩٧١ وحتـى الأسـبوع الثـانى مـن شـهر مايو ١٩٧١.

وعلى الجانب السياسي كانت مبادرة روجرز تعنى انسحاب إسرائيل مـن كـل شبر فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربيـة والقـدس وحق اللاجئين الفلسطينيين فـى العودة أو التعويض حسب رغبتهم.

يقول الدكتور محمد حسن الزيات والـذى كـان يشغل منصب منـدوب مـصر الدائم فى الأمم المتحدة وقتئذ، أن الرئيس عبد النـاصر قام بتعيينه منـدوبا لمـصر فـى المباحثات الخاصة بمبادرة روجرز، وقبل عودته لعملـه اسـتدعاه الـرئيس عبـد النـاصـر

لمقابلتـه ليبلغـه أن مبـادرة روجـرز تعنـى انـسحاب إسـرائيل مـن كـل شـبر فـى سـيناء وقطاع غزة والضفة الغربية بما فيها مدينة القـدس، كما تعنـى حق الفلسطينيين فـى العـودة أو التعـويض طبقـا لقـرارات الأمـم المتحـدة، وعنـدما يـسأله الـدكتور محمـد حـسن الزيـات عـن الحـد الأدنـى للمطالـب المـصرية، يقـول لـه الـرئيس عبـد النـاصـر :"حدنا الأدنى هو القدس وحقوق الشعب الفلسطينى".

تـوفى الـرئيس جمـال عبـد النـاصـر يـوم ٢٨ سـبتمبر ١٩٧٠ وتـولى نائبـه أنـور السادات الرئاسة خلفا له.

اتهمـت إسـرائيل مـصر بانتهاكهـا لمبـادرة روجـرز وتحريـك قواعـد حـائط الصواريخ المصري حتى الحافة الغربية لقناة السويس بعد سريان قرار وقف إطلاق النـار، وكالعـادة تبنـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وجهـة النظـر الإسـرائيلية بالكامـل، قامـت إسـرائيل بتقـديم شـكاوى ضـد مـصر فـى الجمعيـة العامـة للأمـم المتحدة وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٧٠ سيصدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد الـشكاوى الإسـرائيلية، بـل ويـشدد علـى ضـرورة الانـسحاب الإسـرائيلى الكامـل والمبكر من الأراضى العربية المحتلة.

فـى يـوم ٤ فبرايـر ١٩٧١ يعلـن الـرئيس الـسادات فـى مجلس الأمـة المـصرى موافقتـه علـى مـد فـترة وقـف إطـلاق النـار لـثلاثين يومـا أخـرى، كمـا قـدم مـا أسمـاه بمبادرة ٤ فبراير جاء فيها:

"إن مـصر تـضيف إلى كـل الجهـود المبذولـة مـن أجـل الـسلام مبـادرة مـصرية جديدة، تعتبر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة فـى تنفيـذ قـرار مجلس الأمـن رقـم ٢٤٢، إننـا نطالـب خـلال فـترة وقـف إطـلاق النـار بانـسحاب جزئـى للقـوات الإسـرائيلية علـى الـشاطئ الـشرقى لقنـاة الـسويس، وذلـك كمرحلـة أولى الانـسحاب على طريق جدول زمنـى يـتم بعـد ذلـك وضـعه لتنفيـذ قـرار مجلس الأمـن، وإذا تحقـق ذلك خـلال الفـترة التـى حـددناها فإننـا علـى اسـتعداد كامـل للبـدء فـورا فـى مباشـرة تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد الدولى".

يقوم ممثل السكرتير العام للأمـم المتحـدة للـسلام جونـار يـارنج يوم ٨ فبرايـر ١٩٧١ بـإعلان مـشروعه للـسلام بوضـع برنـامج محـدد لتنفيـذ القـرار ٢٤٢ علـى الأقـل بالنـسبة لمـصر كبدايـة، وأخطـر يـارنج مـصر بمـشروعه الـذى كـان يقـرر انـسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وغزة كخطوة أولى نحو السلام الشامل.

تـرفض الحكومـة الإسـرائيلية مـشروع يـارنج، وتخطـره بأنهـا لـن تنـسحب إلى الحـدود المـصرية الفلـسطينية، ويـصرح أبـا إيبـان وزيـر الخارجيـة الإسـرائيلى : لمـاذا

توافق إسرائيل على مشروع يارنج الذى يقضى بالانسحاب الكامل من سيناء وقطاع غزة بينما الرئيس السادات يقترح قيام إسرائيل بانسحاب جزئى مقابل فتح قناة السويس وبدء مفاوضات؟!.

وعندما يعترض وزير الخارجية المصرى محمود رياض على مبادرة الرئيس السادات ويتساءل عن الهدف منها خاصة أنها تمثل تفريط فى الموقف المصرى وتراجع كامل عن السياسة المصرية منذ حرب ١٩٦٧ والتى تتمسك بالتسوية الشاملة، كما أن الرئيس عبد الناصر رهن إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية مرة أخرى بحصول الشعب الفلسطينى على حقوقه.

يجيبه الرئيس السادات: لأنه كان من الضرورى إنهاء مبادرة روجرز.

رغم أن موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يقول فى صفحة ١٨٥ من مذكراته "إن مبادرة روجرز كانت تقرر انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٤٨ على كل الجبهات.

ويقول عنها إسحاق رابين فى صفحة ١٢٦ من مذكراته أنها تقضى بتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بأن تكون الحدود بين إسرائيل والأردن متطابقة مع خط الهدنة عام ١٩٤٩ ، وأن تتحرر القدس الشرقية من الاحتلال الإسرائيلي، بينما كانت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير تعتبر مبادرة روجرز كارثة لإسرائيل لأنها لا تتضمن فقط انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية ولكن أيضا لأن هذا سيتم مقابل وثيقة تودعها الدول العربية الأمم المتحدة لا تتضمن على الإطلاق أى اعتراف بإسرائيل على أى مستوى، ولا حتى مفاوضات مباشرة.

ومناحم بيجن يصفها بأنها ميونيخ جديدة وتفريط فى أمن إسرائيل.

ولقد ظلت إسرائيل لمدة ثلاثين شهر بعد مبادرة السادات فى فبراير ١٩٧١ تصر فى جميع مباحثاتها غير المعلنة مع الولايات المتحدة الأمريكية على طلب سياسى محدد : أن تعطيها الولايات المتحدة الأمريكية ورقة رسمية تسجل فيها تراجعها النهائى عن مبادرة روجرز.

كانت بسالة القوات المسلحة المصرية وصمود الشعب المصرى وتمسك الرئيس عبد الناصر بالتسوية الشاملة للصراع العربي الإسرائيلى، واستمرار حرب الاستنزاف طوال الفترة من يونيو ١٩٦٧ وحتى أغسطس ١٩٧٠ هى الدافع للإدارة الأمريكية فى عهد نيكسون لتقديم مبادرة روجرز للتسوية الشاملة، وكانت خسائر إسرائيل فى حرب الاستنزاف هى سبب قبولها للمبادرة لذا فبعد إنهاء الرئيس السادات لمبادرة روجرز، والانقلاب الصامت فى السياسة المصرية الذى قاده

بمبادرة ٤ فبراير ١٩٧١، عادت إسرائيل مرة أخرى للعناد ورفض التسوية الشاملة والإصرار على المفاوضات المباشرة مع كل دولة عربية على حدة.

قرر الرئيس السادات انتهاج إستراتيجية المصالحة كما يقول الفريق محمد فوزى فى مذكراته، وكما صرح الرئيس السادات ذاته للكاتب الراحل أحمد بهاء الدين بأنه ينوى فك الاشتباك مع أمريكا، ومن أجل ذلك أسقط خيار التسوية الشاملة ورغم عظمة الإنجاز المهول للقوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يستغل الرئيس السادات ذلك وظل على موقفه وفى الطريق إلى زيارته للقدس المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧، قبل بمبدأ المفاوضات المباشرة فى الكيلو١٠١ على طريق السويس – القاهرة، وقبل بتسليم أوراق الصراع العربي الإسرائيلى إلى الصهيونى هنرى كيسنجر بل وأفتخر بأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة – بعد أن قام بتسمية صراع الوجود بيننا وبين إسرائيل باللعبة- فى يد الولايات المتحدة الأمريكية عدونا الرئيسى وراعية إسرائيل، ووافق على اتفاقيتى فك الاشتباك على الجبهة المصرية، وأصر على رفع الحظر البترولى عن الولايات المتحدة الأمريكية قبل تحقيق التسوية الشاملة، حتى وصل إلى القدس المحتلة ليقدم اعترافا علنيا بإسرائيل أدى فى خاتمة المطاف إلى القبول بأسوأ الشروط وأكثرها ظلما لمصر وإهدارا لدماء الشهداء فى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية التى وقعها الرئيس "السادات" فى واشنطن مع رئيس الوزراء الإسرائيلي سفاح دير ياسين "مناحم بيجن" برعاية الرئيس الأمريكى "جيمى كارتر" فى ٢٦ مارس ١٩٧٩، لتعود سيناء منزوعة السلاح إلى مصر، ولكن الحديث عن تلك المأساة بالتفصيل يحتاج لدراسة أخرى.

لو عدنا لقراءة خطاب الرئيس عبد الناصر بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٨، والذى أوردته فى مقدمة الدراسة سنجد أن الرئيس عبد الناصر تنبأ بكل ما سيحدث لمصر إذا وافقت على حل جزئي للصراع العربي الإسرائيلي يقضى بعودة سيناء فقط لها، رغم أن العروض التى قدمت للرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة كما رأينا لم تكن تقضى بنزع سلاح سيناء والمفاوضات المباشرة مع إسرائيل والاعتراف الرسمى بها و تبادل السفارات وتطبيع العلاقات معها بل فقط التعهد بإنهاء حالة الحرب فى وثيقة تودع فى سجلات الأمم المتحدة، عبد الناصر المهزوم رفض ذلك وواصل مشروعه ونضاله حتى وافته المنية، والسادات الذى قدمت له القوات المسلحة المصرية إعجاز العبور وافق على شروط أسوأ بما لا يقارن بالمعروض على عبد الناصر.

كان خيار الرئيس السادات بخروج مصر من العروبة و بالبحث عن حل

فردى للصراع العربى مع إسرائيل هو طلقة البداية لعقود مريرة في التاريخ العربي المعاصر، مزقت الوطن العربي شر ممزق ونسفت خيار التسوية الشاملة وأضاعت حقوق الشعب الفلسطينى.

لم تكن عروبة مصر مغامرة أو رغبة في الزعامة من الرئيس عبد الناصر بل كانت فرض التاريخ والجغرافيا على مصر، ولم تكن حروب مصر مع إسرائيل من أجل العرب فقط بل من أجل مصر في المقام الأول، لقد أنشأت إسرائيل لعزل مصر في أفريقيا و لوراثة دورها في الوطن العربي،وهذا ما أستوعبه عبد الناصر جيدا بينما لم يفهمه السادات مطلقاً.

يروى الأستاذ هيكل في برنامجه (مع هيكل) وقائع لقائه مع رئيس الوزراء الفرنسى الأسبق كوف دى مورفيل الذي قال له أنه جرت في الشرق الأوسط معركتين معركة دخول إسرائيل، ومعركة خروج مصر، وان دخول إسرائيل لا يتحقق إلا بخروج مصر، وان بريطانيا هى الدولة التي ساعدت على دخول إسرائيل، والولايات المتحدة الأميركية هى الدولة التي يجب أن تحقق خروج مصر، وأنكم كعرب تنبهتم للمعركة الأولى الخاصة بدخول إسرائيل وغابت عنكم معركة خروج مصر، أن الولايات المتحدة الأميركية لا تريد لمصر أن تعبر خط قناة السويس، لا مانع لدى الأميركيين من أن تصبح مصر بلدا أفريقيا جيدا أو بلدا إسلاميا جيدا ولكنهم لا يريدون أن تكون مصر بلدا عربيا جيدا، لقد كانت كل مشاكل الغرب مع جمال عبد الناصر بسبب أنه جلب المشرق العربي إلى مصر وأهتم بصياغة مشروع للوحدة عربية.

من خلال حلقات برنامج "مع هيكل" مجموعة "الطريق إلى أكتوبر" كشف الأستاذ هيكل أن الرئيس جمال عبد الناصر أمر بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٧ فى عملية استخباراتية أطلق عليها اسم العملية (عصفور). وقال الأستاذ هيكل أن هذه العملية تعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس فى تاريخ المخابرات فى العالم ولا تعادلها فى النجاح إلا العملية (ألترا) عندما نجحت مخابرات الحلفاء فى حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأمريكيين على علم كامل بكافة التحركات و الخطط العسكرية و الاستخباراتية الألمانية قبل حدوثها.

وعرض الأستاذ هيكل أحد أخطر تقارير المعلومات التى كشفتها عملية (عصفور) عندما توجه السيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة المصرية إلى منزل الرئيس عبد الناصر فى يوم ٦ ديسمبر ١٩٦٩ ومعه تسجيل لحديث دار بين الوزير المفوض الأمريكى فى سفارة الولايات المتحدة فى إسرائيل ومديرة مكتبه مع

السفير الأمريكى فى القاهرة وممثل المخابرات المركزية الأمريكية فى السفارة الأمريكية فى القاهرة.

واستمع الرئيس عبد الناصر بنفسه إلى تسجيل للحديث والذى جاء فيه أن عبد الناصر هو العقبة الرئيسية في قيام علاقات طبيعية بين المصريين والإسرائيليين. وأن هناك حالة من الالتفاف الشعبى المصرى والعربى حول عبد الناصر تجعل السلام مع إسرائيل بالشروط الأمريكية الإسرائيلية مستحيلاً. وأن مصر التي كانت من المفترض أنها مهزومة تبدو منتصرة في حين أن إسرائيل التي كان من المفترض أن تبدو منتصرة تبدو مهزومة وذلك بسبب حرب الاستنزاف. وأن سمعة "موشى ديان"أكبر بكثير من إمكانياته الشخصية. وأن قادة إسرائيل (غولدا مائير، موشى ديان، أهارون ياريف، إيجال ألون) أجمعوا على أن بقاء إسرائيل ونجاح المشروع الأمريكى الإسرائيلى فى المنطقة مرهون باختفاء الرئيس جمال عبد الناصر من الحياة وأنهم قرروا اغتياله بالسم أو بالمرض.

وأن غولدا مائير رئيسة وزراء العدو قالت بالنص: (we will get him): سوف نتخلص منه. و إلا فأن العالم العربى ضائع وسيخرج من نطاق السيطرة الأمريكية.

هذا ما جاء فى التسجيل الخطير الذى سمعه الرئيس عبد الناصر قبيل وفاته بتسعة أشهر.

وقد اختفى جمال عبد الناصر فجأة من الوجود يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وبهذا زالت أهم العقبات التى تحارب المشروع الأمريكى الإسرائيلى فى الوطن العربي، وفى ١٣ مايو ١٩٧١ تم انقلاب السادات على الثورة باعتقال المجموعة الناصرية فى السلطة ليحكم منفردا، وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالأداء المذهل للقوات المسلحة المصرية لتمنح الرئيس السادات صكوك الشرعية والشعبية لإتمام انقلابه للنهاية، وليفتح أبواب مصر للأمريكيين، ليمهد لنجاح المشروع الامريكى الإسرائيلى فى الوطن العربي، ولتقوم علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل.

وهكذا تحقق كل ما جاء فى التسجيل الخطير.

الهزيمة الحقيقية هى هزيمة الإرادة، مصر المهزومة فى يونيو ١٩٦٧ ظلت محتفظة باستقلال إرادتها السياسية ورغم الهزيمة لم تقبل مطلقا بحل جزئي للصراع العربي مع الكيان الصهيونى الذى كان ومازال صراعنا معه صراع وجود وليس صراع حدود، وظل هذا موقفها الثابت حتى استشهاد الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، بينما مصر التى أنتصر جيشها فى أكتوبر ١٩٧٣ قام الرئيس السادات بتسليم إرادتها السياسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية،

لينتج عن هذا كل ما نعانيه الآن فبعد ضياع استقلال الإرادة السياسية المصرية تم هدم مشروع النهضة القومى الذى قاده عبد الناصر فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، وفقدت مصر دورها الإقليمى كقوة مؤثرة فى الإقليم وفى العالم كله، وتم تفكيك اقتصادها الوطنى والتوقف عن خطط التنمية الطموحة، وربط اقتصادها بالاحتكارات الرأسمالية العالمية ليتحول من اقتصاد صناعى زراعى انتاجى إلى اقتصاد تابع ذيلى يرى مصر كسوق لتصريف المنتجات الأجنبية ليس أكثر، لتبدأ مصر رحلة خروجها من التاريخ.

وصدق الرئيس عبد الناصر عندما قال فى خطابه يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧:

"وإن تقع رقعة من أرض الوطن أسيرة فى يد عدو زود بإمكانيات تفوق طاقته فهذه ليست الهزيمة الحقيقية، ولا هى النصر الحقيقى للعدو، وإن تقع إرادة الشعب أسيرة فى يد هذا العدو فهذه هى الهزيمة الحقيقية وهذا هو النصر الحقيقى للعدو".

أليس هذا ما حدث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣؟!!

المصـــــادر:

- وثائق عبد الناصر ج١ (١٩٦٧- ١٩٦٨).
- وثائق عبد الناصر ج٢ (١٩٦٩- ١٩٧٠).
- اليوم السابع .. الحرب المستحيلة .. حرب الاستنزاف: محمود عوض.
- البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط.. مذكرات محمود رياض، ج١.
- شهادة سامى شرف سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر، ج١.
- الافتراء على ثورة يوليو : عبد الله إمام.
- مع هيكل ... مجموعة الطريق إلى أكتوبر.
- أكتوبر ١٩٧٣ .. السلاح والسياسة: محمد حسنين هيكل.
- جمال عبد الناصر .. قراءة جديدة فى تاريخنا المعاصر : عمرو صابح.
- مقال "عبد الناصر رفض استرداد سيناء منزوعة السلاح": سامى شرف.

عبد الناصر
ورمـــوز جماعة الإخوان المسلمـين

لم يترك قادة جماعة الإخوان المسلمين نقيصة إلا وألصقوها بالرئيس جمال عبد الناصر وتعددت اتهاماتهم له فمن الكفر بالله والردة عن الإسلام إلى العمالة للمخابرات الأميركية والشيوعية العالمية في وقت واحد، إلى الإدعاء بأن والدته السيدة/ فهيمة محمد حماد يهودية الأصل، رغم أنها من أسرة مصرية مسلمة من مدينة الإسكندرية ووالدها الحاج محمد حماد كان تاجر فحم معروف بالمدينة ومازال هناك أفراد على قيد الحياة من عائلة الحاج محمد حماد من أقارب الرئيس جمال عبد الناصر وهم عرب مصريون ومسلمون، ولكن هذه هى أخلاق الإخوان المسلمين مع خصومهم الكذب والافتراء والتدليس ورمى الناس بالباطل،ولم تقف حدود اتهاماتهم وأكاذيبهم عند ذلك الحد بل اتهموا جمال عبد الناصر أيضا بالماسونية والعمالة للصهاينة، رغم أنه هو الذى أصدر قرارا بإغلاق المحافل الماسونية ونوادى الروتارى والليونز في مصر في الستينات، وهو أشرس من تصدوا للصهيونية العالمية وحاربوها على امتداد فترة حكمه،هذا غير اتهاماتهم له بتدبير محاولة اغتياله بالمنشية عام ١٩٥٤، ثم تدبيره لمؤامرتهم بقلب نظام الحكم عام ١٩٦٥، وذلك في إطار حقده الدفين عليهم وسعيه لتدمير جماعتهم.

كل تلك الاتهامات الباطلة بسبب صراعهم مع الرئيس عبد الناصر على السلطة بعد الثورة المصرية، وهو الصراع الذى خسروه وأنتصر فيه عبد الناصر ولأنهم يتوهمون أنهم هم الإسلام لذا فكل شيء مباح في نقدهم وتشويههم لخصومهم السياسيين،ولكن لأن الحق أحق أن يتبع ولأنه لا يصح إلا الصحيح، تكشف لنا الوثائق كل يوم حقائق جديدة عن تلك الجماعة وقادتها في هذه الدراسة سوف أعرض مجموعة من الحقائق عن أبرز رموز تلك الجماعة ولنبدأ أولاً بالمستشار حسن الهضيبى المرشد الثانى للجماعة والذى تفجرت أثناء ولايته لأمور الجماعة الخلافات بين جماعة الإخوان المسلمين والرئيس جمال عبد الناصر.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه الذي سماه "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث" عن تولى المستشار حسن الهضيبى لمنصب المرشد العام للجماعة:

"استقدمت الجماعة رجلاً غريبًا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت، ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو التي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة".

وهذا الاعتراف الصريح من الإخوانى البارز الشيخ محمد الغزالي أحد أقرب الشخصيات للشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان ثبت الآن صدقه، ففى دراسة حديثة تحمل عنوان (الماسونية والماسون في مصر) صدرت في كتاب عن سلسلة مصر النهضة بدار الكتب للباحث وائل إبراهيم الدسوقى جمع فيها الباحث تاريخ الحركة الماسونية في مصر وأسم مشاهير الماسونيين المصريين جاء أسم المستشار حسن الهضيبى بينهم، هذا الرجل بادر الثورة بالعداء، قبل قيام الثورة جبن وخاف وعندما طلب منه الرئيس عبد الناصر دعم الثورة عند اندلاعها رفض طلبه، وبعد الثورة طلب الوصاية عليها وأن تحكم جماعة الإخوان المسلمين البلاد، وعندما رفض عبد الناصر سعى الهضيبى لتخريب كل محاولات رأب الصدع بين الثورة والجماعة، حتى انتهت الأمور إلى محاولة الأخوان المسلمين اغتيال الرئيس عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية عام ١٩٥٤ ورغم إنكار الإخوان لتلك المحاولة لسنين طويلة إلا أنهم عادوا واعترفوا بها مؤخرا في كتبهم وأحاديثهم وإن جاء الاعتراف كعادتهم ملتويا كالقول ربما يكون جناحا أو شعبة من الجماعة هو الذى أرتكب العملية وليست الجماعة كلها.

ومن أطرف ما ينسب للمستشار الماسونى حسن الهضيبى طلبه من الرئيس عبد الناصر قبل تفجر الخلافات بينهما أن يصدر قراراً جمهورياً بتعميم ارتداء الحجاب في مصر، وعندما تعجب الرئيس عبد الناصر من ذلك وقال له أن قراراً ذلك سيجعله مدعاة للسخرية وأن الناس سيتندرون عليه ويقولون لقد عاد الحاكم بأمر اللّه، وأن الدولة مسئوليتها الحفاظ على الأخلاق ورعاية الدين وليس فرضه قهرا على الناس، رفض الهضيبى منطق عبد الناصر، وهنا أخرسه الرئيس عبد الناصر بقوله له : كيف تطلب منى تعميم الحجاب بقرار في مصر كلها وأنت نفسك ابنتك التى تدرس في كلية الطب غير محجبة؟ فبهت الهضيبي ولم يستطع الرد على عبد الناصر.

ولكن ليس حسن الهضيبي هو الماسوني الوحيد من رموز الإخوان بل أن الأستاذ سيد قطب شخصيا كان ماسونيا وقد ورد أسمه في نفس الدراسة السابقة عن الماسون في مصر.

لقد كتب الشيخ "محمد الغزالي" في كتابه "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث" أن "سيد قطب" منحرف عن طريقة حسن البنا، وأنه بعد مقتل حسن البنا وضعت الماسونية زعماء لحزب الأخوان المسلمين، وقالت لهم ادخلوا فيهم لتفسدوهم، وكان منهم "سيد قطب".

للأسف الشديد قام الشيخ / محمد الغزالى بحذف تلك الفقرات من كتابه

في طبعاته اللاحقة تحت ضغط قادة جماعة الإخوان المسلمين، ولكن النسخ المتوفرة من الكتاب طبعة عام ١٩٦٣ وهى موجودة بسور الأزبكية بالقاهرة تحتوى تلك الاعترافات عن حسن الهضيبى وسيد قطب.

طيلة حياته كان الأستاذ سيد قطب متطرفا في موافقة سريع التأثر بما يجرى حوله، انضم "سيد قطب" إلى حزب الوفد ثم انفصل عنه، وانضم إلى حزب السعديين لكنه مل من الأحزاب ورجالها ،وعلل موقفه هذا قائلاً : "لم أعد أرى في حزب من هذه الأحزاب ما يستحق عناء الحماسة له والعمل من أجله". ويعترف الأستاذ سيد قطب لصديقه الكاتب / سليمان فياض أنه ظل لمدة ١١ عاما ملحدا، وفى عام ١٩٣٤ نشر الأستاذ سيد قطب في الأهرام مقالا يدعو فيه للعرى التام، وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، وقد أنضم الأستاذ "سيد قطب" إلى المحفل الماسونى الأكبر في مصر، وكان يكتب بعض مقالاته الأدبية في جريدة ماسونية هي "التاج المصري" لسان حال المحفل الأكبر الماسونى المصري.

هذان الرمزان الكبيران لجماعة الإخوان المسلمين كانا من الماسون، وهما من فجّرا الخلافات مع جمال عبد الناصر عامى ١٩٥٤، ١٩٦٥.

ولكن هل كانت كل رموز الإخوان المسلمين من الماسون؟ بالطبع لا، سنتنقل الآن إلى شهادة الأستاذ سيد قطب نفسه عن شخصية إخوانية أخرى هى السيدة/ زينب الغزالى حيث أتهمها الأستاذ سيد قطب صراحة وبنص كلماته في محاضر التحقيق معه في قضية تنظيم ١٩٦٥ أنها عميلة للمخابرات المركزية الأميركية، حيث يقول سيد قطب أن القيادى الإخوانى الأستاذ منير الدالة قد قام بتحذيره منها بقوله (أن شباب متهورين من الإخوان يقومون بتنظيم، وهم دسيسة على الإخوان بمعرفة المخابرات المركزية الأميركية التى وصلت إليهم عن طريق الحاجة زينب الغزالى، وأن المخابرات المصرية قد كشفتهم وكشفت صلاتهم بالمخابرات الأميركية).

السيدة زينب الغزالى التى صاغ لها الكاتب الصحفى الراحل مصطفى أمين كتابها الشهير (أيام من حياتى)، مصطفى أمين الذى قبض عليه عام ١٩٦٥ في حديقة منزله بالإسكندرية متلبسا مع ضابط المخابرات الأميركية بروس تايلور أوديل، وحوكم وأدين بالتجسس على مصر لصالح الولايات المتحدة الأميركية وحكمت عليه المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة جزاء خيانته لوطنه، في عام ١٩٧٤ أصدر الرئيس السادات قرارا جمهوريا بالعفو الصحى عنه ليستخدمه في حملته لتشويه جمال عبد الناصر وعهده، وقد لعب مصطفى أمين دوره باقتدار وزيف وعى أجيال بأكاذيبه وكتب العديد من الكتب في إطار الحملة المسعورة لتشويه

عبد الناصر وعهده، من أشهر ما كتب مصطفى أمين مذكرات اعتماد خورشيد، مذكرات برلنتى عبد الحميد، وكتاب (أيام من حياتى) لزينب الغزالى الذى صاغ فيه فيلم رعب رخيص عن العذاب الذي تعرضت له زينب الغزالى في السجن، وكيف إنها كانت تشاهد الرجال علي الأرض مضرجين في الدماء، وكانت تقول لهم صبرا صبرا علي الظلم والظالمين وتلك أكذوبة لا يصدقها سوى الحمقى لأنه من المعروف للجميع ان النساء لا يتواجدون مع الرجال في سجن واحد بل لهم سجن منفرد. وفي نفس الكتاب شبهت زينب الغزالي نفسها برابعة العدوية، وقالت أنها شاهدت بعينيها الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ملتذان بما يشاهدانه من تعذيب لها ولمعتقلى جماعة الإخوان المسلمين وتلك فرية حقيرة لم يسبقها لها أحد، هل كان الرئيس عبد الناصر يترك مهامه لكى يشاهد عمليات التعذيب التى تحدث لها، هذا إذا وافقنا جدلا على حديثها عن تعذيبها، فأننى أستطيع أن أؤكد أن الرئيس جمال عبد الناصر لم تطأ قدميه أرض السجن الحربى طيلة حياته، وهذا التأكيد بشهادة مسئولين نافذين في عهده ما زالوا أحياء يرزقون، ويعلمون عما يتكلمون!

كما أدعت زينب الغزالى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يزورها في المنام ويعدها بالانتقام من الظالمين، وهو مالم يحدث للصحابة والصديقين وحدث للسيدة/ زينب الغزالى!!

واللافت للنظر في الأمر أن يجتمع مصطفى أمين المدان بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الأميركية والذى لم يعد أمر تجسسه وخيانته لوطنه محل شك بعد أن تم الكشف عن وثائق المخابرات الأميركية منذ إنشائها وحتى نهاية عهد الرئيس الأميركى جورج دبليو بوش في كتاب (ميراث من الرماد... تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأميركية) للصحفي الأميركى تيم وينر، والذى أحتوى على تفاصيل ووثائق عمالة مصطفى أمين للأميركيين مع السيدة/زينب الغزالى التى أتهمها الأستاذ سيد قطب بالعمالة للمخابرات الأميركية وبكونها دسيسة على الإخوان المسلمين.

مثال أخر لقادة الأخوان الأستاذ أحمد رائف الذى تم القبض عليه في قضية تنظيم الإخوان المسلمين عام ١٩٦٥ بزعامة سيد قطب، وقد شهد ضد الأخوان المسلمين في التحقيقات، وتبرأ منهم وتعاون مع ضباط المباحث ضدهم، وأحمد رائف من مواليد عام ١٩٤٠ والتحق بكلية التجارة ولكنه لم يستطع أن يكمل تعليمه وفصل من الكلية بعد ان رسب ٤ مرات متوالية.

تعرف علي بعض المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين ومنهم سمير الهضيبي

وحسين غنام وغيرهم وقد عهدوا له ببعض الأمور الكتابية. وكان يحضر اجتماعاتهم السرية وعند اعتقاله عام ١٩٦٥ ظهر انه كان عينا عليهم وأنه انضم لهم ليضمن الإقامة في منزل سمير الهضيبي أطول وقت ممكن ويعرف أخبار التنظيم.

وعندما توفى الرئيس جمال عبد الناصر كتب أحمد رائف قصيدة شعرية ركيكة في رثائه، بعنوان (سوف يبقى خالدا بين الضمائر) مكونة من ٥٥ شطر ونشرتها جريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ٤ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٠ يقول في القصيدة:

قد مات ناصر
أيموت ناصر؟
لا لا أصدق.
أعظم الأبناء والبكري بين بنيك مات
أين أنت الآن يا أماه يا مصر الحبيبة؟!
كيف وصل الحزن في الدار الرحيبة في متاهات الأسى عبر الزمان؟!

وقد كتب أحمد رائف يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٠ إلى مدير المباحث العامة: يقول مادامت الصدور عامرة بحب مصر وخالصة من الحقد الأعمى الذي تميز به أفراد جماعة الأخوان المسلمين المنحلة أرجو التكرم بالمساعدة في نشر القصيدة المرفقة طيه في جريدة الجمهورية رثاء لأعظم من أنجبت مصر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، وبعد أن أفرج عنه عام ١٩٧١ سافر إلى السعودية وعاد من هناك بعد أن حصل على مبلغ مالى ضخم ليؤسس دار الزهراء للنشر والتى خصص إصدارتها بتوجيه من النظام السعودى للهجوم على جمال عبد الناصر وعهده،وبدأ إصدارات الدار بكتابة مذكراته التى حشاها بأكاذيب ومبالغات مفضوحة و بطولات وهمية لا أساس لها من الصحة وهو بماضيه غير المشرف لا يصلح لأن يؤخذ منه أو عنه ومازال يواصل دوره عبر فضائية الجزيرة بعد أن اعتمدته الجماعة كأحد مؤرخيها.

مثال أخر لقادة الإخوان وهو الأستاذ/ يوسف ندا والذى كشف المهندس أبو العلا ماضى الإخواني السابق ووكيل مؤسسي حزب الوسط - تحت التأسيس في حديثه مع مجلة "الإذاعة والتليفزيون" الذى أجرته معه سوسن الدويك عن قيام يوسف ندا بتزوير وثيقة ضد الزعيم جمال عبد الناصر ونظامه، وعن الخطة التي وضعها عبد الناصر وشارك فيها رؤساء أجهزة الأمن ضد جماعة الإخوان المسلمين وعناصرهم ونسائهم.

يقول المهندس أبو العلا ماضي: "هي بالفعل الوثيقة المؤامرة وهذه الوثيقة لها قصة، فقد كان معنا رجل فاضل هو المهندس مراد جميل الزيات وكان أمين عام نقابة المهندسين وقتها وكان من جماعة الإخوان، وقد حكى لنا الرجل القصة الآتية: أنه اعتقل منذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٧١ حوالي ست سنوات وجاءت لهم هذه الوثيقة داخل السجن وهي تقول بأن نظام جمال عبد الناصر ومعه صلاح نصر يحاولون أن يقضوا على الإخوان بتشريد أسرهم ودفعهم لممارسة الرذيلة وكتب في الوثيقة بالنص أن النساء (نساء الإخوان) سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات سوف يتحررن ويتمردن لغياب عائلهن وحاجتهن المادية قد تؤدي لانزلاقهن للخطيئة.

وقد نشرت هذه الوثيقة في كتاب "قذائف الحق" للشيخ محمد الغزالي كما نشرها المستشار الإخوانى علي جريشة في مذكراته أيضا، وهذه الوثيقة كانت مكتوبة بطريقة الوثائق السرية، فهي تبدأ بتقرير اللجنة المؤلفة برئاسة السيد زكريا محيي الدين رئيس الوزراء في حينه بشأن القضاء على تفكير الإخوان وبناء على أوامر السيد الرئيس بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم التوصل إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة ولوضع برنامج لأفضل الطرق التي يجب استعمالها في مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين:

١- غسل مخ الإخوان من أفكارهم.
٢- منع عدوى أفكارهم من الانتقال إلى غيرهم.

وقد اجتمعت اللجنة المشكلة من:

- سيادة رئيس مجلس الوزراء.
- السيد قائد المخابرات العامة.
- السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية.
- السيد قائد المباحث العامة.
- السيد مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر.

وذلك بمبنى المخابرات العامة بكوبري القبة وكانت الوثيقة مكونة من حوالي ثماني ورقات. ويكمل لي المهندس مراد جميل الزيات بعد ذلك أنه بعد خروجه من السجن قابل "يوسف ندا" القيادي الإخواني خارج مصر وحكي له كيف تتعرض جماعة الإخوان للظلم والاضطهاد على يد جمال عبد الناصر، وأظهر له الوثيقة فوجد "يوسف ندا" وقد أخذ يضحك حتى استلقى على ظهره من الضحك، فاستغرب مراد وسأله ولم الضحك؟ فقال له يوسف ندا "أنا يا مراد اللي فبركت

هـذه الوثيقـة !! فـدهش مـراد الزيـات وسـأله كيـف قمـت بفبركـة هـذه الوثيقـة الخطـيرة؟ ولمـاذا؟ فقـال لـه يوسـف نـدا ، لأن الحـرب خدعـة!! وهـؤلاء (نظـام عبـد الناصـر) أعـداء، وأريـد محـاربتهم، وكـل الأسـلحة مباحـة، وبالتـالي يجـوز الكـذب عليهم الطريـف أن تسميات المناصب التى فبركها يوسف نـدا في وثيقته المزورة لا وجود لها في الواقع، حيث لا يوجد منصب أسمه قائد المخابرات العامة أو قائد المباحث العامة من الأساس والأسماء الصحيحة هى رئيس المخابرات العامة، ومدير المباحث العامة والمثير للدهشة أنها خدعت البعض وخالت عليهم، لم يكتف يوسف ندا بكونه مزور وثائق ومدلس على التاريخ ولكنه لم يتقن حتى تزويره.

نصل الآن إلى سعيد رمضان أحد أبرز رموز الإخوان من معارضى الرئيس جمال عبد الناصر ومؤسس المركز الإسلامى في ألمانيا، وأحد مؤسسي رابطة العالم الإسلامي، حيث كشف المؤرخ والكاتب البريطانى الشهير (ستيفن دوريل) في كتابه الوثائقى (إم آى سكس: مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية) المعتمد على وثائق المخابرات البريطانية والأميركية والسويسرية والألمانية عن تفاصيل عمالة سعيد رمضان لأجهزة المخابرات العالمية، يقول دوريل أنه بعد تفجر الصراع بين محمد نجيب وعبد الناصر في عام ١٩٥٤ والذى انتهى لصالح عبد الناصر، وأعقبه نجاحه في التوصل لاتفاقية جلاء كامل مع البريطانيين، بدأت المخابرات البريطانية التفكير في تدبير انقلاب للإطاحة بنظام حكم جمال عبد الناصر، وقد وجدت المخابرات البريطانية ضالتها في جماعة الإخوان المسلمين كأفضل قوة لتنفيذ هذا المخطط وخصوصاً بعد تفجر الصراعات بينهم وبين جمال عبد الناصر.

وهنا يظهر اسم (سعيد رمضان) الذى كان قد انضم للإخوان المسلمين في ١٩٤٠ وتتلمذ على يد مؤسس الجماعة الشيخ (حسن البنا)، وتزوج ابنته في ١٩٤٩ ويضيف دوريل أن سعيد رمضان كان عميلا للمخابرات البريطانية والأميركية والسويسرية، وفى جنيف وبالتعاون مع سعيد رمضان قام ضابطا المخابرات البريطانية نيل ماكلين وجوليان آمري بتنظيم حركة مضادة لعبد الناصر من الإخوان المسلمين، علاوة على ذلك كان هناك تنسيق مع عدد آخر من جماعة الإخوان ممن لجئوا للسعودية لتنظيم انقلاب المخابرات البريطانية ضد نظام حكم جمال عبد الناصر، وقد علم الرئيس جمال عبد الناصر ببعض ما يفعله سعيد رمضان - كما يقول الكتاب - فقام بسحب الجنسية المصرية منه، كما كانت المخابرات السويسرية عندما انتقل سعيد رمضان إلى جنيف على علم بكونه عميل للمخابرات البريطانية والأميركية وانه يقوم بنشاط موجه بالتنسيق معهما ضد نظام

جمال عبد الناصر، ولكن - وكما يقول الكتاب مستنداً للأرشيف المخابراتى السويسرى - إن أجهزة المخابرات السويسرية تركته على أساس أن جماعته لا تعكس اتجاهات معادية للغرب بل تحارب ضد نظام عبد الناصر المعادى للغرب وهناك إمكانية لاستخدامها في خدمة المصالح الغربية، قام سعيد رمضان بالتنسيق مع حسن الهضيبى مرشد جماعة الإخوان المسلمين من خلال تريفور إيفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية بالتخطيط لعملية اغتيال جمال عبد الناصر في ٢٦ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٥٤، أثناء قيام عبد الناصر بإلقاء خطاب في ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية احتفالا بتوقيع اتفاقية الجلاء، حيث أطلق محمود عبد اللطيف أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ٨ رصاصات عليه لم تصبه وأصابت اثنين من مرافقيه، لتفشل محاولة الاغتيال التى دبرها سعيد رمضان مع المخابرات البريطانية وجماعة الإخوان المسلمين في مصر فشلا ذريعاً، كما يقول الكاتب البريطانى ستيفن دوريل ويترتب على فشلها الصدام الأول بين نظام جمال عبد الناصر والجماعة الطامعة في حكم مصر.

في يوم ٢٦ تموز- يوليو ١٩٥٦ يؤمم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس ويردها إلى مصر، وتنشط المخابرات البريطانية بأوامر من أنتونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى في وضع الخطط لاغتيال جمال عبد الناصر والإطاحة بنظام حكمه، يقول دوريل في يوم ٢٧ آب- أغسطس ١٩٥٦، يعقد جوليان آمري ضابط المخابرات البريطانية سلسلة لقاءات مع شخصيات مصرية ضمت ممثلين عن حزب الوفد ومقربين من رئيس الوزراء الوفدى السابق مصطفى النحاس باشا، كما قام بتنشيط اتصالاته من جديد بسعيد رمضان في جنيف، وتم وضع خطة تقوم على أنه أثناء عملية ضرب وغزو مصر تقوم المخابرات البريطانية بإخراج اللواء محمد نجيب من محبسه المنزلى ليتولى الرئاسة بدلاً من عبد الناصر، ويتم تعيين القيادى الوفدى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى في الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٢ رئيسا للوزراء، كما تم طرح اسم على ماهر باشا، وطرحت مجموعة أخرى من المتآمرين يقودها - حسب زعم الكتاب - اللواء حسن صيام - قائد سلاح المدفعية في ذلك الوقت، ومعه مجموعة من ضباط الجيش المتقاعدين ممن كانوا ساخطين على نظام جمال عبد الناصر، كما يكشف كتاب (إم آى سكس: مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية)عن دور المخابرات البريطانية في مساعدة سعيد رمضان لترتيب انقلاب ضد الرئيس عبدالناصر في ١٩٦٥ وهى العملية التى انتهت بالقبض على أغلب عناصرها فيما عرف بقضية تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥ والذى كان يرأسه في مصر الأستاذ سيد قطب.

ويضيف دوريل أن سعيد رمضان فيما بعد أسس مع يوسف ندا (مزور الوثائق ضد جمال عبد الناصر) بنك التقوى بدعم مالى سعودى وبمعرفة وكالة المخابرات المركزية الأميركية.

لم يكن كتاب (إم آى سكس: مغامرة داخل العالم السرى لجهاز المخابرات البريطانية) هو الكتاب الوحيد الذى تطرق إلى علاقات سعيد رمضان المشبوهة بأجهزة المخابرات العالمية فقد صدر مؤخرا كتاب (مسجد في ميونيخ) للكاتب الكندى إيان جونسون، والمسجد المشار إليه في عنوان الكتاب هو المركز الإسلامى في ميونيخ، الذى تأسس عام ١٩٥٨ على يد سعيد رمضان، وأصبح مركزا للإسلام الراديكالى في أوروبا، وفى الكتاب تم الكشف عن مفاجآت جديدة حول قيادات جماعة الإخوان المسلمين في أوروبا، حيث يشير الكتاب إلى أن سعيد رمضان صهر مؤسس الإخوان حسن البنا والقيادى بالجماعة الذي فر من مصر إلى أوروبا في الخمسينيات، كان حلقة الاتصال الرئيسية بين أجهزة المخابرات الغربية وجماعة الإخوان المسلمين.

ويضيف الكتاب أنه في عام ١٩٥٣ التقى سعيد رمضان مع الرئيس الأميركى إيزنهاور في البيت الأبيض لحثه على البقاء في أوروبا لمحاربة الشيوعية. وكان ضابط الاتصال بينهما عميل السى آى إيه الشهير روبرت دريهارد.

ويستشهد الكتاب بما كتبه محلل لـ سى آى إيه قائلا: «إن سعيد رمضان يبدو فاشيا، ويهتم بتجميع الأفراد من أجل السلطة». ويشير الكاتب إلى هذا التحليل باعتباره قراءة ذكية لرمضان ومنظمته، ويقول الكاتب إيان جونسون أن حكومات أميركا وألمانيا الغربية والعديد من المسلمين البارزين دعموا المركز الإسلامى في ميونيخ وتنافسوا للسيطرة عليه ليكون قاعدة لمحاربة نظام حكم جمال عبد الناصر هؤلاء هم رموز جماعة الإخوان المسلمين الذين عادوا الثورة المصرية وقائدها جمال عبد الناصر، وقد فضحتهم الوثائق كما فضحتهم آرائهم في بعضهم.

لم يكن صراعهم مع الرئيس عبد الناصر صراعا دينيا أبدا، بل كان صراعا على السلطة وحكم مصر، وعندما فشلوا في محاولاتهم قرروا تديين الصراع ليكون صراعاً بين الإسلام الذي يتوهمون أنهم حماته وبين الإلحاد الذى ألصقوه زورا بجمال عبد الناصر ونظام حكمه.

فهل كان جمال عبد الناصر ملحدا وكارها للأديان؟ لنلقى نظرة مركزة على الدين في فكر جمال عبد الناصر في كتاب (فلسفة الثورة) لجمال عبد الناصر الصادر عام ١٩٥٣، تناول عبد الناصر الدوائر التى ستتحرك فيها

السياسة المصرية ومنها الدائرة الإسلامية التى تتداخل مع الدائرة العربية والدائرة الأفريقية وتعد مصر جزء فاعل فيها.

كان الخليفة الراشد أبو بكر الصديق هو أول من بدأ جمع القرآن الكريم في مصحف وذلك بعد إلحاح من عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد مقتل معظم حفظة القرآن في حروب الردة، والخليفة الراشد عثمان بن عفان هو صاحب أول مصحف تم جمع وترتيب سور القرآن الكريم به، والرئيس جمال عبد الناصر هو أول حاكم مسلم في التاريخ يتم في عهده جمع القرآن الكريم مسموعا (مرتلا ومجودا) في ملايين الشرائط و الأسطوانات بأصوات القراء المصريين فى عهد جمال عبد الناصر تم زيادة عدد المساجد في مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام ١٩٧٠، أى أنه في فترة حكم ١٨ سنة للرئيس جمال عبد الناصر تم بناء عدد (عشرة آلاف مسجد) وهو ما يعادل عدد المساجد التى بنيت في مصر منذ الفتح الإسلامى وحتى عهد جمال عبد الناصر.

في عهد عبد الناصر تم جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح أو الرسوب كباقى المواد لأول مرة في تاريخ مصر بينما كانت اختيارية في النظام الملكي.

في عهد عبد الناصر تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله لجامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية، يقول الأستاذ محمد فائق في كتابه (عبد الناصر و الثورة الأفريقية) أن الرئيس عبد الناصر أمر بتطوير الأزهر بعد أن لاحظ من متابعته لأوضاع المسلمين في أفريقيا أن قوى الاستعمار الغربى كانت حريصة على تعليم المسيحيين العلوم الطبيعية (الطب – الهندسة – الصيدلة) ومنع تعليمها للمسلمين مما أدى لتحكم الأقليات المسيحية في دول أفريقية غالبية سكانها من المسلمين، وكانت هذه الأقليات المسيحية تتحكم في البلدان الأفريقية المسلمة وتعمل كحليف يضمن مصالح قوى الاستعمار الغربى التى صنعتها، لذا صمم الرئيس عبد الناصر على كسر هذا الاحتكار للسلطة وتعليم المسلمين الأفارقة علوم العصر ليستطيعوا حكم بلدانهم لما فيه مصلحة تلك البلدان.

أنشأ عبد الناصر مدينة البعوث الإسلامية التى كان ومازال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فداناً تضم طلاباً قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون في الأزهر مجانا ويقيمون في مصر إقامة كاملة مجانا أيضا، وقد زودت الدولة المصرية بأوامر من الرئيس عبد الناصر المدينة بكل الإمكانيات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين في الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب ذلك.

أنـشـأ عبـد الناصـر منظمـة المـؤتمر الإسـلامى التـى جمعـت كـل الـشعوب الإسلامية فى عهد عبد الناصر تم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم.

فى عهد عبد الناصر تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التى تذيع القرآن على مدار اليوم.

فـى عهـد عبـد الناصـر تم تـسجيل القـرآن كـاملاً علـى أسـطوانات وشـرائط للمرة الأولى في التاريخ وتم توزيع القرآن مسجلا في كل أنحاء العالم.

فى عهد عبد الناصر تم تنظيم مسابقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية ، والعـالم العربـى، والعـالم الإسـلامى، وكـان الـرئيس عبـد النـاصـر يوزع بنفسه الجوائز على حفظة القرآن.

فـى عهـد عبـد الناصـر تم وضـع موسـوعة جمـال عبـد الناصـر للفقـه الإسـلامى والتـى ضـمت كـل علـوم وفقـه الـدين الحنيـف في عـشرات المجلـدات وتم توزيعهـا في العالم كله.

فـى عهـد عبـد الناصـر تم بنـاء آلاف المعاهـد الأزهـريـة والدينيـة في مـصـر وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر في العديد من الدول الإسلامية.

سـاند جمـال عبـد الناصـر كـل الـدول العربيـة والإسـلامية في كفاحهـا ضـد الاستعمار.

كـان الـرئيس جمـال عبـد الناصـر أكثـر حـاكم عربـى ومـسلم حـريص علـى الإسلام ونشر روح الدين الحنيف في العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر.

سـجلت بعثـات نـشر الإسـلام في أفريقيـا وأسـيا في عهـد الـرئيس جمـال عبد الناصر أعلى نسب دخول في الدين الإسلامى في التاريخ، حيث بلغ عدد الذين اختـاروا الإسـلام دينـا بفـضل بعثـات الأزهـر في عهـد الـرئيس جمـال عبـد الناصـر ٧ أشخاص من كل ١٠ أشخاص وهـى نـسب غير مسبوقة و غير ملحوقة في التـاريخ حسب إحصائيات مجلس الكنائس العالمى.

في عهد عبد الناصر صدر قانون بتحريم القمار ومنعه، كما أصدر عبد الناصر قرارات بإغلاق كل المحافل الماسونية ونوادى الروتارى والمحافل البهائية ، كما تم إلغاء تراخيص العمل الممنوحة للنسوة العاملات بالدعارة التى كانت مقننة في العهد الملكى وتدفع العاهرات عنها ضرائب للحكومة مقابل الحصول على رخصة العمل والكشف الطبى.

فى عهد عبد الناصر وصلت الفتاة لأول مرة إلى التعليم الديني كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات، وأقيمت مسابقات عديدة في كل المدن لتحفيظ القرآن الكريم، وطبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم، وأهديت إلى البلاد الإسلامية وأوفدت البعثات للتعريف بالإسلام في كل أفريقيا و أسيا، كما تمت طباعة كل كتب التراث الإسلامى في مطابع الدولة طبعات شعبية لتكون في متناول الجميع، فيما تم تسجيل المصحف المرتل لأول مرة بأصوات كبار المقرئين وتم توزيعه على أوسع نطاق في كل أنحاء العالم.

كان جمال عبد الناصر دائم الحرص على أداء فريضة الصلاة يومياً كما كان حريصاً أيضاً على أداء فريضة صلاة الجمعة مع المواطنين في المساجد.

توفى الرئيس جمال عبد الناصر يوم الاثنين ٢٨ أيلول- سبتمبر ١٩٧٠ والذى يوافق هجريا يوم ٢٧ رجب ١٣٩٠، صعدت روح الرئيس جمال عبد الناصر الطاهرة إلى بارئها في ذكرى يوم الإسراء والمعراج، وهو يوم فضله الدينى عظيم ومعروف للكافة.

وبخصوص الدين المسيحى كانت علاقة الرئيس جمال عبد الناصر ممتازة بالبابا كيرلس السادس، وكان جمال عبد الناصر هو الذى سأل البابا كيرلس السادس عن عدد الكنائس التى يرى من المناسب بناؤها سنويا، وكان رد البابا (من عشرين إلى ثلاثين)، وكان الرئيس عبد الناصر هو الذى أمر بأن يكون عدد الكنائس المبنية سنويا خمسا وعشرين كنيسة، وأن يكون التصريح بها بتوجيه من البابا نفسه إلى الجهات الرسمية.

وعندما طلب البابا كيرلس السادس من الرئيس عبد الناصر مساعدته في بناء كاتدرائية جديدة تليق بمصر، وأشتكى له من عدم وجود الأموال الكافية لبنائها كما يحلم بها، قرر الرئيس عبد الناصر على الفور أن تساهم الدولة بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه في بناء الكاتدرائية الجديدة، وأن تقوم شركات المقاولات العامة التابعة للقطاع العام بعملية البناء للكاتدرائية الجديدة.

كما أنه بناء على أوامر الرئيس جمال عبد الناصر كان يعقد اجتماع أسبوعى كل يوم اثنين بين السيد/ سامى شرف - وزير شئون رئاسة الجمهورية والأنبا /صمويل - أسقف الخدمات وسكرتير البابا - لبحث وحل اى مشاكل تطرأ للمسيحيين.

كما أولى الرئيس جمال عبد الناصر اهتماما شديدا بتوثيق العلاقات بينه وبين الإمبراطور هيلاسيلاسى حاكم الحبشة (أثيوبيا) مستغلا في ذلك كون

مسيحيي أثيوبيا من الطائفة الأرثوذكسية، ودعا الإمبراطور هيلاسيلاسى لحضور حفل افتتاح الكاتدرائية المرقسية في العباسية عام ١٩٦٤، كما دعم توحيد الكنيستين المصرية والأثيوبية تحت الرئاسة الروحية للبابا كيرلس السادس، كان الرئيس عبد الناصر كعادته بعيد النظر في ذلك فقد أدرك أن توثيق الروابط بين مصر وأثيوبيا يضمن حماية الأمن القومى المصرى لأن هضبة الحبشة تأتى منها نسبة ٨٥٪ من المياه التى تصل مصر.

للأسف الشديد بعد وفاة الرئيس عبد الناصر والانقلاب على الثورة في ١٣ مايو ١٩٧١ وما أعقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ من ردة شاملة على سياسات عبد الناصر، تدهورت العلاقات المصرية الأثيوبية في عهد الرئيس السادات، ومازالت متدهورة حتى الآن واحتلت إسرائيل مكانة مصر في أثيوبيا، وفي أفريقيا كلها.

وفى عهد جمال عبد الناصر لم تقع حادثة واحدة طائفية بين المسلمين والمسيحيين، ولم تنتشر دعاوى تكفير الآخر ومعاداته.

لم يكن جمال عبد الناصر معاديا للدين ولم يكن ملحدا، بل كان أقرب حكام مصر فهما لروح الدين ودوره في حياة الشعوب وأهمية إضفاء المضمون الاجتماعى في العدالة والمساواة عليه.

لم يكن رموز جماعة الإخوان المسلمين شرفاء في خصومتهم مع جمال عبد الناصر وثورته، وتصوروا أن الخصومة السياسية مباراة رياضية تنتهى بالمصافحة وعفا الله عما سلف، حاولوا قتل جمال عبد الناصر أكثر من مرة، ودبروا أكثر من محاولة للإطاحة بنظام حكمه، وعندما فشلوا ودفعوا ثمن محاولاتهم الانقلابية وعداءهم للنظام الثورى، لم يكتفوا بذلك خرجوا من المعتقلات كالمتسول صاحب العاهة الذى يشحذ بعاهته، وبتحالفهم مع السادات والسعودية والمخابرات المركزية الأميركية تدفقت عليهم مئات الملايين من الدولارات وفتحت لهم المنابر لبخ سمومهم وأكاذيبهم عن أنبل وأشرف عربى في التاريخ الحديث، وعن عهده الذى يمثل استثناء لم يتكرر حتى الآن خلال ألف عام من التاريخ العربى، ولكن لآن الوثائق لا تكذب ولا تتجمل، والحقائق لابد أن تظهر مهما طال الزمن، كشفت أجهزة المخابرات التى عملوا لحسابها وتحالفوا معها أكاذيبهم وتدليسهم.

لقد زورت جماعة الإخوان المسلمين تاريخ جمال عبد الناصر وزيفت وعى أجيال من الشعوب العربية، ظنت أن جماعة تلصق باسمها صفة الإسلام لا يكذب قادتها ولا يزوروا وثائق ولا يتهموا الناس بالباطل ولا يتعاملوا مع مخابرات غربية ضد بلادهم.

لكى تفتح جماعة الإخوان المسلمين صفحة جديدة مع التيار الناصرى على قادتها الحاليين أن يصدروا كتبا تروى الحقيقة وأسباب صراعهم السياسى مع جمال عبد الناصر وليست تلك الهلاوس والادعاءات الكاذبة والحاقدة.

وكما اعتذر القيادى الناصري حمدين صباحى لجماعة الإخوان المسلمين عن الظلم الذى يعتقد أنه قد لحق بهم في عهد جمال عبد الناصر، نطالب قادة جماعة الإخوان المسلمين أن يعتذروا عن تشويهم عمدا وكذبا للرئيس جمال عبد الناصر وعهده، وعن اتهامهم الباطل له بالإلحاد ومحاربة الإسلام ولدى الجماعة المنابر ودور النشر وقنوات التليفزيون التى تمكنها من تقديم اعتذارها ليس لجمال عبد الناصر وعهده فقط بل للأجيال التى زيفوا وعيها وللتاريخ ذاته.

المصـــــادر:

Ian Johnson

1- Muslim Brotherhood in Europe
2- A Mosque in Munich: Nazis, the CIA, and the Rise of the Muslim Brotherhood in the West .

Stephen Dorell

1- Mi6: Inside The Covert World of her majesty's secret Intelligence Service, 2000.

- عبد الله امام، عبد الناصر والإخوان المسلمون.
- الشيخ محمد الغزالي، "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث"، الطبعة الثانية ١٩٦٣.
- وائل إبراهيم الدسوقى، الماسونية والماسون في مصر.
- محمد حسنين هيكل، خريف الغضب.
- عادل حمودة، سيد قطب من القرية إلى المشنقة.
- سامى شرف، مذكرات سامى شرف - ج٢.
- اللواء/ فؤاد علام، الإخوان وأنا.
- لماذا أعدمونى؟ أقوال سيد قطب في قضية تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥.
- زينب الغزالى، أيام من حياتى.
- خالد زهران، مقال: من قادة الإخوان المسلمين.
- حديث أبو العلا ماضى لمجلة الإذاعة والتليفزيون.
- د. سمير محمود قديح، خطط المخابرات البريطانية لاغتيال عبد الناصر.
- موقع الفكر القومى العربى.
- مع هيكل، حلقة لغز الدكتور عصفور.

حـــزب الوفـد
وتركة جمال عبد الناصر

منذ عودة حزب الوفد إلى الساحة السياسية المصرية، يبدو أن هم هذا الحزب وسبب عودته ومشكلته الرئيسية تتمثل فى الثأر والانتقام من الرئيس جمال عبد الناصر و ثورته وعهده وسياساته و أفكاره بصورة تبدو غير منطقية وتفتقر لأي حيادية فى التناول والمعالجة، و إذا صادفك سوء الحظ وأطلعت على محتويات عدد من جريدة حزب الوفد، ستجد أن جريدة الحزب رغم مرور كل تلك الأعوام على زوال الحقبة الليبرالية وعلى وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر تركز على موضوعين أساسيين عبر صفحاتها: الأول تقديم صورة وردية شديدة الروعة عم العصر الملكى وما أصطلح على تسميته بالحقبة الليبرالية من عام ١٩٢٣ - ١٩٥٢من تاريخ مصر المعاصر، والثانى تقديم صورة شديدة السلبية والسواد عن شخصية وعهد الرئيس جمال عبد الناصر، وتحميل جمال عبد الناصر مسئولية كل ما يحدث فى مصر من كوارث ومشاكل، وتلعب الجريدة وحزبها على وتر ضعف ذاكرة المصريين والمناخ العام فى مصر الطافح بالفساد والسخط من السياسات الحالية وهى سياسات معادية لسياسات و أفكار عبد الناصر وتدمج جريدة الحزب العهود الرئاسية الثلاثية فى عهد واحد ممتد من سنة ١٩٥٢ وحتى الآن، ومن اللافت للنظر أن المناخ السياسى الحالى والسياسات التى يتبناها الحزب الوطنى الحاكم فى مصر تكاد تكون متطابقة مع سياسات حزب الوفد فى سنواته الأخيرة قبل الثورة، وبالطبع مع حزب الوفد الحالى الذى يمثل ظهير وسند للحزب الوطنى الحاكم بحيث لا تستطيع التفرقة بين أفكار و سياسات كلا الحزبين الآن.

لقد مات حزب الوفد القديم وانتهى دوره السياسى فى تاريخ مصر بتوقيعه معاهدة ١٩٣٦ التى قال عنها مصطفى النحاس باشا أنها أتت لمصر بالاستقلال، لقد نشأ الوفد لكى يفاوض الإنجليز على الاستقلال وبكلمة النحاس باشا فقد انتهت مهمته، فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ عاد الوفد إلى الحكم عبر الدبابات البريطانية التى حاصرت القصر الملكى، وأجبرت الملك فاروق على تعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء على أساس أنه الأقدر هو و حزبه على تحقيق الاستقرار لمصر بما يخدم مصالح بريطانيا التى كانت تواجه موقفا عصيبا وهزائم متتالية فى الحرب العالمية الثانية، وقبل النحاس باشا الوزارة بفضل المعاهدة التى وقعها والتى لم تجلب لمصر الاستقلال بل جعلت من مصر مسرحا لمعارك الحرب العالمية الثانية، وأصبحت أراضيها وطرق مواصلاتها حكرا للمجهود الحربى البريطانى، ولولا انتصار الإنجليز على الألمان فى العلمين لأغرق الإنجليز مصر كلها فى حالة الهزيمة لمنع تقدم القوات الألمانية، وبعد ضمان النصر فى الحرب عام ١٩٤٤ ترك الإنجليز الملك فاروق يقيل النحاس باشا ووزارته ويطردهم من الحكم، شهدت تلك الفترة بداية

الحديث عن الفساد الضارب فى حزب الوفد فخرج منه قطبه مكرم عبيد فى مايو ١٩٤٢ بعدما رفض تمييز بعض أقارب النحاس باشا و أصهاره فى طلبات تصدير مريبة فى زمن الحرب كما رفض طلب النحاس باشا بترقية بعض أنصار الوفد استثنائيا، فيقرر النحاس باشا فصله من الوزارة ومن الهيئة الوفدية، فيكتب مكرم عبيد كتابه الشهير (الكتاب الأسود) الذى فضح فيه فساد الحزب وقادته بالوثائق و الأدلة.

وفى عام ١٩٤٦ يذهب النقراشى باشا رئيس وزراء مصر وقتها إلى مجلس الأمن الدولى عارضا قضية مصر و السودان مطالبا بجلاء الاحتلال البريطانى عن وادى النيل، وقبل أن يعرض النقراشى باشا قضية بلاده على المجلس تصل برقية من النحاس باشا زعيم حزب الوفد إلى مجلس الأمن وإلى السكرتير العام للأمم المتحدة يعلن فيها أن حكومة النقراشى باشا غير شرعية و لا تمثل شعب وادى النيل وأن مطالبها لا قيمة لها!!!

ظل الوفد خارج الحكم حتى انتخابات عام ١٩٥٠ والتى نجح فيها باكتساح كان مفاجئا حتى لقادة الوفد أنفسهم، خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخ مصر من عام (١٩٤٢ – ١٩٥٠) خرج من الوفد أعظم وأكثر كوادره ثقافة واستنارة وانضم له أغنى أغنياء مصر سواء من التجار أو من كبار ملاك الأراضى الزراعية وعلى رأسهم فؤاد باشا سراج الدين.

وبعد فوز الوفد فى الانتخابات يذهب النحاس باشا لمقابلة الملك فاروق ليتلقى منه التكليف الملكى بتشكيل الوزارة، وفى المقابلة يطلب النحاس باشا ذو الـ٧٣ عاماً من الملك فاروق ذو الـ٣٠ عاما أن يأذن له بتقبيل يده الكريمة قبل أن يبدأ معه أى كلام ليسقط بهذا الوفد سقوطه الأخير.

يقول رئيس الديوان الملكى حسن باشا يوسف والذى كان حاضرا للمقابلة، أن الملك فاروق عقب المقابلة قال له انه كان يتمنى أن تكون روح والده الملك فؤاد حاضرة للقاء، لكى ترى كيف نجح أبنه فيما فشل الملك فؤاد فيه بانحناء زعيم الوفد العتيد مصطفى النحاس لتقبيل يد الملك الشاب فاروق، ويكون من أول قرارات حكومة الوفد الأخيرة الموافقة على إصلاح اليخت الملكى (الحرية) لدى شركة إيطالية معينة حددها الملك فاروق بمبلغ قدره مليون جنيه مصرى، يوافق النحاس باشا على طلب الملك فاروق رغم سابق رفض النقراشى باشا لنفس الطلب عام ١٩٤٦، ورفض إبراهيم عبد الهادى باشا للطلب ذاته عام ١٩٤٨ عندما كانا رئيسان لوزراء مصر لما فى الطلب من رائحة عمولات كريهة ولما تعانيه مصر من أزمات اقتصادية، يوافق النحاس باشا على الطلب الملكى بمليون جنيه بل ويضيف

عليها دون طلب من الملك فاروق مبلغ عشرين ألف جنيه فروق نتيجة تخفيض سعر الجنيه المصري!!

يقول السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى فى مصر فى تقريره لوزير خارجيته عام ١٩٥١ عن حزب الوفد (من المدهش أنه لم يعد هناك مصدر لقوة الوفد إلا فساده، أن الفساد فى هذا الحزب أصبح العنصر الوحيد الذى يجمع كل المستفيدين بمواقعهم فيه، ويقرر موقف كل واحد منهم، ويدعوهم جميعا للبقاء معا مهما كان الثمن، فقد تخلى الحزب عن دوره كممثل لتحالف شعبى عريض يعتمد أساسا على الطبقة المتوسطة، وبدلا من ذلك أصبح حزبا من الأغنياء جداً وللأغنياء جداً) أعتقد أنه سوف تزول أى علامة للتعجب عندما نعرف أن المشروع القومى لوزارة الوفد الأخيرة كان مشروع مكافحة حفاء الشعب المصرى، وفى الوقت الذى كان الشعب المصرى يعانى فيه من الحفاء و الجوع والجهل و المرض، كان الأغنياء فى مصر بما فيهم أقطاب وزعماء حزب الوفد يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقراً.

ننتقل الآن إلى قرار النحاس باشا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ فقد أكتشف بعد توقيعه لها بـ١٥ سنة أنها لم تجلب الاستقلال لمصر، فقام بإلغائها مما ترتب عليه مذبحة الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ التى قتلت فيها قوات الجيش البريطانى ٥٠ شهيداً مصرياً وجرحت ٨٠ غيرهم من قوات البوليس المصرى بمدينة الإسماعيلية، وفى اليوم التالى ٢٦ يناير ١٩٥٢ اندلع حريق القاهرة واحترقت عاصمة البلاد لنلق نظرة تبين لنا أين كان حكام هذا الزمان الكئيب فى وقت الحريق؟ كان الملك فاروق يقيم حفلة لكبار قادة الجيش ولألف ضابط من ضباط الجيش المصرى فى قصر عابدين احتفالا ببلوغ ولى عهده أربعين يوما من العمر.

وكان مصطفى النحاس باشا فى منزله وتعذر الوصول إليه لأنه كان مشغولا مع مدام جورجينا وهى سيدة أرمينية متخصصة فى قص أظافر اليدين والقدمين (الباديكور و المانيكور)، وكانت تقصد منزله كل عشرة أيام للعناية بأظافره، بينما كان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين مشغولا بما هو أهم و أخطر، كان يشترى العمارة رقم ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت من الخواجة فتحى عريضة بمكتبه بوزارة الداخلية، وطلب أن لا يزعجه أحد حتى ينهى عملية البيع والشراء.

كان هذا يحدث والقاهرة تحترق وعندما فطن حكام هذا الزمان الكئيب لما يحدث بالعاصمة، كانت الأمور قد خرجت عن نطاق أى سيطرة ممكنة، ولم يعد هناك حل حتى لا تحترق مصر كلها إلا نزول الجيش إلى شوارع القاهرة لإيقاف الفوضى والدمار والنيران، وبالفعل نزل الجيش للشوارع وأستعاد السيطرة على البلاد.

فى هذا اليوم الأسود من تاريخ مصر سقطت الحقبة الليبرالية التى يتغنى بها حزب الوفد حتى الآن ويشيد بإنجازاتها ، الحقبة الليبرالية التى فشلت فى تحقيق الاستقلال السياسى لمصر ، وفشلت فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، الحقبة الليبرالية التى لم تكن فيها مصر ملكا لأهلها بل ملكا للأجانب من شتى الملل ومن مختلف البلاد ، كان الأجانب يملكون البنوك و الأراضى ووسائل النقل وأعمال البناء والمقاولات وحتى شركات الملح و الصودا ، الحقبة الليبرالية التى شهدت تشكيل الملك لتنظيم الحرس الحديدى الذى تم تكليف أعضائه باغتيال أعداء الملك وخصومه السياسيين، الحقبة الليبرالية التى شهدت اغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الأخوان فى الشارع وعلى رؤوس الأشهاد بتدبير القلم السياسى وفى يوم عيد ميلاد الملك فاروق، وعندما لم يمت البنا من الرصاص تم الإجهاز عليه فى المستشفى التى نقل لإسعافه فيها ، الحقبة الليبرالية التى شهدت اعتقالات جماعة الأخوان عام ١٩٤٨ وشهدت فضائح العسكرى الأسود الذى كان يعتدى على من يرفض الاعتراف من المعتقلين، الحقبة الليبرالية التى شهدت كم من الفضائح الأخلاقية التى نسفت جذور الأسرة التركية الدخيلة على مصر بدء من فضائح الملك فؤاد وانتهاء بفضائح زوجته الملكة نازلي وبناتها عندما سافروا لأمريكا وتنصروا هناك وعاشوا حياة كلها لهو وعبث ، إضافة لفضائح الملك فاروق وسرقاته وفضائح زيجاته وعلاقاته الغرامية ، الحقبة الليبرالية التى كان الملك فاروق يقيل ويعين فيها الوزارات بالرشاوى، الحقبة الليبرالية التى كانت مصر فيها مجتمع تسوده العلاقات شبه الإقطاعية و الرأسمالية المتخلفة وكان المحتل البريطانى يسيطر على كل مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية مدعوما بجيش الاحتلال المكون من ٨٠ ألف جندى بريطانى ومن الطبقة العميلة التى أنشأها من المصريين ومن الجاليات الأجنبية التى استوطنت مصر لتمص خيراتها وتنهب ثرواتها ومن الأسرة المالكة الدخيلة التى غرقت فى الفساد والانحلال وأصبحت فضائحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على كل لسان. وكان حزب الوفد ذاته قد تخلى عن قيادة الحركة الوطنية منذ موقفه المعيب فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأصبح حزبا للأغنياء جداً وظهرت انتماءاته اليمنية الرجعية المعادية لمصالح الأغلبية.

الحقبة الليبرالية التى استمرت ٢٩ عاما حكم حزب الوفد منها سبع سنوات فقط بسبب تزوير الانتخابات وإقالة الوزارات ويتباكون عليها الآن باسم الديمقراطية ، عن أى ديمقراطية تتحدثون؟!!

الحقبة الليبرالية التى تفتت فيها الوطن العربى إلى دول ودويلات واقعة تحت سيطرة الاستعمار الإنجليزى والفرنسى والأمريكى الجديد الداخل إلى المنطقة بعد

الحرب العالمية الثانية وكانت إسرائيل قد تم زرعها عنوة فى قلب العالم العربى على أرض فلسطين لتفصل العالم العربى لمشرق ومغرب ولتعمل كقاعدة إمبريالية لحماية مصالح الغرب فى أهم منطقة إستراتيجية بالنسبة للغرب حيث أنها مخزون النفط الأول فى العالم، ولوأد أى مشروع للنهوض القومى فى الوطن العربى فى تلك الظروف تفجرت ثورة عبد الناصر فى مصر، عندما تسلم عبد الناصر حكم مصر كانت مصر دولة فقيرة متخلفة صناعيا، محصولها الزراعى الأساسى هو القطن الذى كان حكرا بيد طبقة من الإقطاعيين والمضاربين والأجانب.

كان الاقتصاد المصرى متخلف وتابع للاحتكارات الرأسمالية الأجنبية، كان هناك ٩٦٠ شخصا فقط يسيطرون على كل الوظائف الأساسية فى مجالس إدارات الشركات الصناعية، من بين هؤلاء نجد ٢٦٥ مصرى فقط.

وكان بنك باركليز الإنجليزى يسيطر وحده على ٥٦ ٪ من الودائع، وكان بنك مصر قد تمت السيطرة عليه من جانب رؤوس الأموال الإنجليزية والأمريكية.

كان الاقتصاد المصرى عاجزا بسبب ارتباطه بالمصالح الأجنبية عن طريق البنوك و شركات التأمين والتجارة الخارجية فى الصادرات والواردات وكانت كل مرافق الاقتصاد المصرى بيد الأجانب واليهود.

الأمر الذى دعا الإقتصادى المصرى الكبير الدكتور عبد الجليل العمرى أن يصفه : (لقد كان الاقتصاد المصرى كبقرة ترعى فى أرض مصر، ولكن ضروعها كانت كلها تحلب خارج مصر).

إن الوثائق التاريخية تقدم لنا حقائق حالكة السواد عن أوضاع مصر الداخلية قبل الثورة فى الحقبة الليبرالية التى يتباكى عليها حزب الوفد.

كانت أخر ميزانية للدولة عام ١٩٥٢ تظهر عجزا قدره ٣٩ مليون جنيه. كما أن مخصصات الاستثمار فى مشروعات جديدة طبقا للميزانية سواء بواسطة الدولة أو القطاع الخاص كانت صفراً.

كما أن أرصدة مصر من الجنيه الإسترلينى المستحق لها فى مقابل كل ما قدمته من سلع وخدمات وطرق مواصلات لخدمة المجهود الحربى للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية وكان يبلغ ٤٠٠ مليون جنيه إسترلينى قد تم تبديده ولم يتبق منه إلا ٨٠ مليون جنيه إسترلينى.

(أثارت جريدة الوفد فى الثمانينيات هذه القضية أن مصر كانت دائنة لبريطانيا قبل الثورة والوثائق التاريخية تثبت أن المبلغ المتبقى من الدين وهو ٨٠ مليون

جنيه إسترلينى رفضت بريطانيا إعطاؤه لمصر طوال فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر نكاية فى عبد الناصر وسياساته ضدها، ولم تفرج عنه إلا فى منتصف السبعينيات فى عهد السادات الذى أعترف بذلك فى مذكراته).

وكان النهب الذى لحق بالأرض الزراعية فى مصر طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، نهب احتكرته أسرة محمد على فى البداية ثم أباحت نصيبا منه للمرابين الأجانب، ولطبقة من المصريين محدودة جدا عملت على خلقها لكى تكون ظهيرا لها أمام الغالبية، ثم أحتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢ فعملوا على خلق طبقة تدين لهم بالولاء وتتبنى نمطهم الحضارى ووزعوا على أفرادها آلاف الأفدنة، فى ظل ظروف مريبة وشديدة القسوة على الفلاح المصرى المقهور الذى تم تركه فريسة للجهل والفقر والمرض، لا يمتلك إلا جلبابا واحدا، ولا يجد قوت يومه، ويعامل كالعبيد لخدمة أسياده من الإقطاعيين وكانت شركة قناة السويس تجسد المأساة المصرية بكل أبعادها، فالقناة التى حفرت فى أرض مصر وبأيدى عشرات الآلاف من المصريين الذين جرت دماؤهم فيها قبل أن تجرى مياه البحر، تم سرقتها من مصر، وأصبحت شركة قناة السويس دولة داخل الدولة لها علم خاص وشفرة خاصة وجهاز مخابرات خاص وحى خاص محرم دخوله على المصريين وكان رئيس الشركة يعامل كرؤساء الدول محاطا بكل مراسم التبجيل والاحترام ولا يجرؤ مسئول مصرى على حسابه عن شيء.

وتثبت الوثائق الأمريكية و الفرنسية والإسرائيلية أن هذه الشركة دفعت من أموال مصر ٤٠٠ مليون جنيه إسترلينى لدعم الجهد العسكرى للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، كما قامت بدفع مبالغ مالية طائلة تقدر بعشرات الملايين للحركة الصهيونية فى فلسطين كتبرعات داعمة للمشروع القومى لليهود.

وبعد قيام إسرائيل أقامت معها إدارة شركة قناة السويس مكاتب للتنسيق المعلوماتى والمخابراتى بالتعاون مع جهاز الموساد، كما واصلت دفع الأموال للكيان الصهيونى دعماً له. وكانت خططها المستقبلية كلها مرتكزة على تمديد عقد امتياز القناة لمدة ٩٩ عاما جديد.

تم كل هذا أثناء تلك الحقبة الليبرالية التى يتباكى عليها حزب الوفد، بينما ينسى أن عبد الناصر هو الذى أسترد شركة قناة السويس من يد الأجانب ورد القناة إلى مصر رغما عن أنوف بريطانيا و فرنسا و حزب الوفد القديم و الجديد.

كانت خيرات و ثروات مصر مسلوبة من أهلها تمتصها طبقات عميلة وأسرة

حاكمة دخيلة وأجانب مرابون ويهود مستغلون. لم تكن مصر ملكا لأهلها ولم تكن لمصر سياسة خارجية مستقلة بل كانت سياستها تدور فى فلك السياسة البريطانية، وكان السفير البريطانى فى مصر حاكما بأمره تهتز لكلماته وإشارته ورغباته رؤوس الملك والباشوات وقادة حزب الوفد، ويقيم النحاس باشا حفلات التكريم له.

وعندما قرر الملك فاروق أن يدخل حرب فلسطين، فشل الجيش المصرى فى المعركة بسبب خيانة الجيوش العربية الأخرى ونقص الاستعداد، وغياب الكفاءة عن القيادات، وسوء التخطيط، وترتب على الهزيمة ضياع ٧٨ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية وإقامة الدولة اللقيطة (إسرائيل) خلال الحقبة الليبرالية تلك الحقبة الكئيبة والفاشلة فى التاريخ العربى التى ضاعت فيها فلسطين.

هذه هى حصيلة ونتائج الحقبة الليبرالية التى يتباكى عليها حزب الوفد وجريدته. فشلوا فى كل شيء، وجاءت ثورة عبد الناصر كنتيجة ورد فعل على فشلهم، ورغم ذلك تركوا كل هذا وتفرغوا للهجوم عليه وتشويه عهده، وتبلغ المهزلة ذروتها عندما تنتج السعودية مسلسل عن الملك فاروق ويذاع هذا المسلسل للمشاهدين العرب و المصريين ليقدم صورة خرافية من ألف ليلة وليلة عن الملك السعيد ذو الرأى الرشيد الذى كان عهده كله خير وسعادة، ولكن بدون سبب ولا مبرر، يقوم الضابط الشرير جمال عبد الناصر بقلب نظام حكمه و طرده هو وأسرته من مصر، للنظام السعودى خلافات عميقة وجذرية مع عبد الناصر و فكره ومن الطبيعى ان ينتج ويقدم كل ما يزور تاريخ عبد الناصر ويشوه الحقائق عن عهده، ولكن أن يستغل حزب الوفد و جريدته هذا المسلسل المزور وإعجاب الناس به لأنهم لا يدرون الحقيقة وتقوم بالترويج لخرافات عن هذه الحقبة الفاشلة فهذه هى ذروة المهزلة.

إذا كان حزب الوفد يعتقد أنه سينظف تاريخه بالمسلسلات السعودية، فإن تاريخ عبد الناصر يرد على أكاذيبهم و مسلسلاتهم بالأرقام و الوثائق، ولنقرأ سوياً ماذا تخبرنا الأرقام و الوثائق عن عهد عبد الناصر؟

عقب نجاح ثورة عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢. صدر قانون الإصلاح الزراعى الأول فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢، يتكون القانون من ٦ أبواب تشمل ٤٠ مادة، حددت المادة الأولى الحد الأقصى للملكية الزراعية بـ٢٠٠ فدان للفرد، وسمحت المادة الرابعة للمالك أن يهب أولاده مائة فدان. وقد سمح القانون للملاك ببيع أراضيهم الزائدة عن الحد الأقصى لمن يريدون، وأعطى لهم الحق في تجنب أراضي الآخرين المبيعة.

كما قرر القانون صرف تعويضات للملاك، فلقد قدرت أثمان الأراضي بعشرة أمثال قيمتها الإيجارية، وأضيف إليها الملكيات والتجهيزات الأخرى (الأشجار والآلات ...الخ) القائمة على الأرض بقيم عالية. ونظم صرف التعويضات بسحب مستندات على الحكومة تسدد على مدى ثلاثين عاما بفائدة سنوية.

وقرر القانون توزيع الأراضي الزائدة على صغار الفلاحين بواقع (٢ إلى ٥ أفدنة) على أن يسددوا ثمن هذه الأراضي على أقساط لمدة ثلاثين عاما وبفائدة ٣ % سنويا، يضاف إليها ١,٥٪ من الثمن الكلي للأرض؛ وفاء للموجودات التي كانت على الأرض (الأشجار الآلات... الخ). وتناول الباب الثاني من القانون تنظيم الجمعيات التعاونية في الأراضي الموزعة. أما الباب الرابع فقد حدد عددا من الإجراءات لمنع تفتيت الأراضي الموزعة، كما حدد ضريبة جديدة للأرض. وتناول الفصل الخامس العلاقة بين الملاك والمستأجرين. أما الفصل السادس والأخير فيتعلق بوضع حد أدنى لأجور عمال الزراعة، وبإعطائهم الحق في تنظيم نقاباتهم الزراعية.

وبلغ مجموع الأراضي التي يطبق عليها قانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ مساحة ٦٥٣,٧٣٦ ألف فدان تنتمي إلى ١٧٨٩ مالكا كبيرا، ولكن الأرض التي طبق عليها القانون في واقع الأمر بلغت ٣٧٢,٣٠٥ آلاف فدان، أما البقية وهي حوالي النصف فقد قام الملاك ببيعها بأساليبهم الخاصة حتى أكتوبر سنة ١٩٥٣ حينما ألغت الحكومة النص الذي كان يتيح للملاك بيعها بأساليبهم، ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى الثانى عام ١٩٦١وهو القانون (رقم ١٢٧ لسنة ١٣٨٠هـ=١٩٦١م)، وأهم ما في هذا القانون هو جعل الحد الأقصى لملكية الفرد ١٠٠ فدان، يضاف إليها ٥٠ فدانا لبقية الأسرة (الأولاد) للانتفاع فقط، وتحريم أي مبيعات للأرض من المالك لأبنائه، كما ألغى القانون الاستثناءات السابقة الخاصة بالأراضي قليلة الخصوبة.

وتقدر الأراضي التي آلت إلى "الإصلاح الزراعي" نتيجة هذا القانون بـ٢١٤,١٣٢ ألف فدان، ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى الثالث عام ١٩٦٩ وهو (القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٩) والذي جعل الحد الأقصى لملكية الفرد ٥٠ فداناً. على أن هذا القانون الأخير لم يجد فرصة للتطبيق في واقع الأمر.

وتقول الإحصائيات الرسمية بأنه حتى سنة ١٩٦٩ تم توزيع ٩٨٩,١٨٤ ألف فدان على الفلاحين منها ٧٧٥,٠١٨ ألف فدان تم الاستيلاء عليها وفقا لقوانين الإصلاح الزراعي، و١٨٤,٤١١ ألف فدان كانت تتبع بعض المؤسسات المختلف، أما الباقي وقدره ٢٩,٧٥٥ ألف فدان كان حصيلة أراضي لطرح لنيل.

ووفقا لنفس هذه الإحصائيات الرسمية فقد وزعت تلك الأراضي على

٣٢٥,٦٧٠ ألف أسرة، كما تم إنشاء الجمعيات الزراعية فى كل قرى مصر. وقامت الدولة عبر هذه الجمعيات بعمل نظام تخطيط شامل للزراعة على امتداد الجمهورية فتولت الدولة تحديد أنواع المحاصيل المزروعة وقدمت للفلاحين البذور والمبيدات والأسمدة، كما قامت بشراء المحاصيل من الفلاحين.

كان تفتيت الملكية الزراعية فى ظل التخطيط الشامل للزراعة عبر الدورة الزراعية يقضى على مشكلة البطالة فى الريف ويرفع المستوى الاقتصادى للفلاح المصرى فى إطار موازى لخطة الدولة الاقتصادية بتحقيق اكتفاء ذاتى من المحاصيل الزراعية.

كان الأهم والأعظم من كل ذلك هو التغير الذى طرأ على أوضاع الفلاح المصرى وأسرته حيث دخلت المدارس والوحدات الصحية إلى القرى وارتفعت نسبة الوعى ومعدلات التعليم وتحسنت الأوضاع الصحية والاقتصادية فى الريف بفضل الثورة.

وكان أضخم وأهم مشروعات الثورة وهو السد العالى من أجل الزراعة فى المقام الأول حيث وفر كميات المياه اللازمة لتحويل رى الحياض إلى رى دائم، وبفضله تم استصلاح ما يقرب من ٢ مليون فدان.

وقد استطاعت مصر فى عهد عبد الناصر أن تحقق الاكتفاء الذاتى من كل محاصيلها الزراعية ماعدا القمح الذى حققت منه ٨٠٪ من احتياجاتها. وفى عام ١٩٦٩ وصل إنتاج مصر من القطن إلى ١٠ ملايين و٨٠٠ ألف قنطار، وهو أعلى رقم لإنتاج محصول القطن فى تاريخ الزراعة المصرية على الإطلاق. وصلت المساحة المزروعة أرز فى مصر إلى ما يزيد على مليون فدان وهى أعلى مساحة زرعت فى تاريخ مصر.

كما تم تجربة زراعة أنواع جديدة من القمح كالقمح المكسيكى، والقمح جيزة ١٥٥.

وفى المجال الصناعى تم إنشاء المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومى فى سبتمبر ١٩٥٢.

وقام المجلس بإصدار خطة الاستثمارات العامة فى يوليو ١٩٥٣ وهى خطة طموحة لمدة ٤ سنوات بدأت بمقتضاها الدولة باستصلاح الأراضى وبناء مشروعات الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب، و شركة الأسمدة كيما، ومصانع إطارات السيارات الكاوتشوك، ومصانع عربات السكك الحديدية سيماف، ومصانع الكابلات الكهربائية، كما تم بناء المناجم فى

أسوان والواحات البحرية، وتم تمويل كل هذه المشروعات ذاتياً.

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أمم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس وردها إلى مصر. وبعد السد العالى، وفى الستينات تم مد خطوط الكهرباء من أسوان إلى الإسكندرية وعقب العدوان الثلاثى تم تمصير وتأميم ومصادرة الأموال البريطانية والفرنسية فى مصر، وتم إنشاء المؤسسة الاقتصادية عام ١٩٥٧ و التى تعتبر النواة الأولى للقطاع العام المصرى، وألت إليها كل المؤسسات الأجنبية الممصرة.

وفى ١٣ فبراير ١٩٦٠ أمم الرئيس عبد الناصر بنك مصر أكبر مصرف تجارى فى البلاد وكل الشركات الصناعية المرتبطة بعدما سقط هذا الصرح العملاق تحت سيطرة الاحتكارات البريطانية و الأمريكية أسترده عبد الناصر لمصر.

وفى يوليو ١٩٦١ صدرت القرارات الاشتراكية وبدا واضحا أن النظام يتجه نحو نوع من الاقتصاد المخطط تحت إشراف الدولة وبقيادة القطاع العام.

وقد استطاعت مصر عبر تلك الإجراءات تحقيق نسبة نمو من عام ١٩٥٧ – ١٩٦٧ بلغت ما يقرب من ٧ ٪ سنويا ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم [٨٧٠-أ] عن مصر الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٦.

وهذا يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على عصر عبد الناصر.

كانت تلك نتيجةً لا مثيل لها فى العالم النامى كله حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها فى العالم المتقدم باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية. فمثلاً ايطاليا وهى دولة صناعية متقدمة ومن الدول الصناعية الكبرى حققت نسبة نمو تقدر بـ٤,٥ ٪ فقط فى نفس الفترة الزمنية.

وبدأت مصر مع الهند و يوغوسلافيا منذ بداية الستينيات مشروعا طموحا لتصنيع الطائرات والصواريخ والمحركات النفاثة والأسلحة. حتى سنة ١٩٦٧ كانت مصر متفوقة على الهند فى صناعة الطائرات والمحركات النفاثة.

وتم صنع الطائرة النفاثة المصرية القاهرة ٣٠٠. وصنعت مصر أول صاروخين

من إنتاجها بمساعدة علماء الصواريخ الألمان ولكن شابهما عيوب فى أجهزة التوجيه.

فى عام ١٩٦٦ كان الفارق بين البرنامج النووى المصرى، ونظيره الإسرائيلى عام ونصف لصالح البرنامج النووى الإسرائيلي، ورغم النكسة كانت مصر على وشك تحقيق توازن القوى فى المجال النووي بينها وبين إسرائيل بحلول سنة ١٩٧١.

ولكن للأسف الشديد بعد وفاة الرئيس عبد الناصر أوقف الرئيس السادات كل هذه المشاريع ووأدها. ولننظر الآن إلى أى مدى وصلت الهند فى مجال الصواريخ والطائرات والسلاح النووى لندرك مدى بعد نظر جمال عبد الناصر وخطورة مشروعه النهضوى على المشروع الأمريكى الصهيونى فى المنطقة.

و فى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ جاء يوم الحساب لتجربة ومشروع جمال عبد الناصر فى الحرب العدوانية التى شنتها أمريكا وإسرائيل على الأمة العربية لإجهاض مشروع النهضة العربى الذى يقوده جمال عبد الناصر، تلك الحرب التى وصفها الرئيس الفرنسى شارل ديجول بأنها (المعركة أمريكية و الأداء إسرائيلى).

ورغم عنف الضربة وفداحة الهزيمة العسكرية. هل انهارت مصر وانتهت كما يحاول بعض العملاء من مدمنى تكريس الهزيمة إقناعنا، أن حرب ١٩٦٧ هى سبب كل مشاكل مصر؟!!

بإلقاء نظرة على أوضاع مصر عقب الهزيمة يتضح لنا الآتى تحمل الاقتصاد المصرى تكاليف إتمام بناء مشروع السد العالى العملاق، ولم يكتمل بناء هذا السد إلا سنة ١٩٧٠ قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر. السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسى و تنموى فى القرن العشرين.

كما تم بناء مجمع مصانع الألمونيوم فى نجع حمادى وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ٣ مليار جنيه.

وفى ظل النكسة حافظت مصر على نسبة النمو الاقتصادى قبل النكسة. بل أن هذه النسبة زادت فى عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ وبلغت ٨ ٪ سنويا.

واستطاع الاقتصاد المصرى عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى لأول و أخر مرة فى تاريخ مصر بفائض قدرها ٤٦,٩ مليون جنية بأسعار ذلك الزمان.

تحمل الاقتصاد المصرى عبء إعادة بناء الجيش المصرى من الصفر وبدون مديونيات خارجية كانت المحلات المصرية تعرض وتبيع منتجات مصرية من مأكولات وملابس وأثاث و أجهزة كهربية وكان الرئيس عبد الناصر يفخر أنه

يرتدى بدل وقمصان غزل المحلة ويستخدم الأجهزة الكهربائية المصرية (إيديال).

كما ترصد تقارير البنك الدولى بعض مظاهر التحول الاجتماعى العميق الذى شهدته مصر مابين عامى (١٩٥٢- ١٩٧٠) حيث زادت مساحة الأرض الزراعية بأكثر من ١٥%.

ولأول مرة تسبق الزيادة فى رقعة الأرض الزراعية الزيادة فى عدد السكان. لقد كان جمال عبد الناصر أول حاكم مصرى منذ عهد الفراعنة يوسع رقعة وادى النيل.

وزاد عدد الشباب فى المدارس والجامعات والمعاهد العليا بأكثر من ٣٠٠ % وزادت مساحة الأراضى المملوكة لفئة صغار الفلاحين من ٢,١ مليون فدان إلى حوالى ٤ مليون فدان.

كما حدث تقدم ملحوظ فى مجال المساواة، والعدالة الاجتماعية فى المدن أيضا بفعل الضرائب. وتم وضع حدود دنيا وعليا للرواتب والمرتبات. فلا أحد يعيش برفاهة وبذخ ولا أحد يعيش دون مستوى الكفاف.

وقبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

وبقبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز. استطاع أبطال القوات المسلحة تحريك حائط الصواريخ العظيم حتى حافة قناة السويس.

وبذلك تم إلغاء دور الطيران الإسرائيلى ذراع إسرائيل الطويلة فى الهجوم على مصر غرب قناة السويس وأصبح اندلاع حرب التحرير، وعبور الجيش المصرى للضفة الشرقية مسألة وقت.

كان الرئيس عبد الناصر يقدرها بزمن لا يتأخر عن أبريل ١٩٧١. وقبيل وفاة الرئيس صدق على الخطة جرانيت ١ وجرانيت ٢ والقاهرة ٢٠٠ وهى من أجل بدء عملية العبور وتحرير الأراضى العربية المحتلة. كما صدق على الخطة ٢٠٠ وهى الخطة الدفاعية التى تحسبت لحدوث ثغرة فى المفصل الحرج بين الجيشين الثانى والثالث المصرى.

والغريب أن الثغرة حدثت خلال حرب ١٩٧٣كما توقعت الخطة ٢٠٠ بالضبط، وذلك عقب قرار الرئيس السادات المتأخر بتطوير الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣.

صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها و اقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولى.

وثمن القطاع العام الذى بناه المصريون فى عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت فى عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

وتم بناء السد العالى أعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين باختيار الأمم المتحدة والذى يعادل فى بناؤه ١٧ هرم من طراز هرم خوفو.

كما تم خفض نسبة الأمية من ٨٠٪ قبل ١٩٥٢ إلى ٥٠٪ عام ١٩٧٠ بفضل مجانية التعليم فى كل مراحل الدراسة.

المجانية التى أنجبت لنا علماء من طراز (أحمد زويل، محمد النشائى، مجدى يعقوب، مصطفى السيد، يحيى المشد، سعيد بدير) وغيرهم كثيرون رغم كل افتراءات الجهلة والحاقدين على عهد عبد الناصر وسياساته الطموحة وليقرأ من يريد مذكرات و آراء هؤلاء العلماء الأفذاذ عن الرئيس عبد الناصر وعهده.

كما تم دخول الكهرباء والمياه النظيفة والمدارس والوحدات الصحية والجمعيات الزراعية إلى كل قرى مصر.

وتم ضمان التأمين الصحى والاجتماعى والمعاشات لكل مواطن مصرى كل ذلك تم بدون ديون على مصر، فمصر فى ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر كانت ديونها حوالى مليار دولار ثمن أسلحة اشترتها من الاتحاد السوفيتى، وقد تنازل عنها السوفيت فيما بعد ولم يتم سدادها.

ولم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأمريكى بل كان الجنيه المصرى يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزى المصرى.

ولم تكن هناك بطالة، ولم تكن هناك أزمة تعيينات أو وسائط أو رشاوى.

رحل الرئيس عبد الناصر والجنيه الذهب ثمنه ٤ جنيه مصرى.

وبعد رحيل الزعيم دخلت مصر حرب أكتوبر وهى محكومة بكل آليات

النظام الناصرى. القطاع العام الذى يقود التنمية. والجيش المصرى الذى بناه عبد الناصر عقب الهزيمة. وحائط الصواريخ الذى حركه عبد الناصر لحافة القناة قبيل وفاته، والخطط العسكرية الموضوعة منذ عهده.

لم يكن فيما قام به الرئيس جمال عبد الناصر معجزة أو أمر خارق للمألوف.

بل إن ذلك هو الطبيعى لبلد مثل مصر حباه الله كل المميزات والإمكانيات والثروات ليصبح دولة كبرى.

امتزج موقع مصر العبقرى وإمكاناتها وثرواتها مع نزاهة الرئيس عبد الناصر وبعد نظره ووطنيته وذكاؤه وثاقب فكره مما أدى لكل هذا النجاح. الذى تم فى فترة محدودة بعمر الزمن لا تزيد عن ١٨ عام، شابتها الكثير من المؤامرات، والحروب لإجهاض المشروع الناصرى.

وبوفاة الرئيس عبد الناصر والانقلاب الذى تم فى السياسات المصرية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، بدأت معاول الهدم تضرب فى الصرح العملاق لتركة الرئيس عبد الناصر فى مصر، ومازالت تضرب حتى الآن.

كل هذه الانجازات العملاقة التى كان تبدو حلما مستحيل الحدوث قبل عبد الناصر لا يرضى عنها حزب الوفد وجريدته وكأن هناك حالة مرضية من عمى البصر والبصيرة تسيطر على ذلك الحزب إزاء كل تاريخ الرئيس جمال عبد الناصر وفترة حكمه، رغم أن عبد الناصر سمح لهم بكل شيء عدا العمل السياسى الذى صالوا وجالوا فيه فسادا قبل ثورته، وحفظ لهم رؤؤسهم وأموالهم وأرواحهم ورغم ذلك لم يتركوا نقيصة إلا وحاولوا لصقها به؟؟

لماذا لا يقدم لنا حزب الوفد تصوره لحلول المشاكل الحالية فى مصر بدلاً من الهجوم غير المبرر على جمال عبد الناصر وعهده؟

يبدو حزب الوفد كملوك أسرة البوربون الذين وصفهم نابليون بأنهم (لم يتعلموا شيئا، ولم ينسوا شيئا، ولم يغفروا شيئا).

يا حزب الوفد الرئيس عبد الناصر توفى شهيداً فى سبيل أمته بعدما أنجز وأخطأ، أصاب وأخفق و لكنه حقق أعظم مشروع تنموى نهضوى عروبى فى التاريخ العربى الحديث.

فماذا فعلتم أنتم غير النواح والبكاء على أطلال الماضى الكريه وتشويه أنبل وأعظم زعيم عربى مصرى فى التاريخ الحديث؟

المصـــــــادر:

- كتاب (سقوط نظام) : محمد حسنين هيكل.
- كتاب (ملفات السويس) : محمد حسنين هيكل.
- كتاب (مذكرات سامى شرف) ج١ ، ج٢.
- كتاب (حديث الإفك و ديمقراطية الثعابين): كمال حافظ.
- كتاب (عبد الناصر : كيف حكم مصر؟): عبد الله امام.
- كتاب (النهب الثالث لمصر): سعد الدين وهبه.
- تقارير الأمم المتحدة و البنك الدولى المشار إليها.

عبد الناصر والسادات
(قيصر وبروتس)

(حتى أنت يا بروتس.... إذاً فليمت قيصر)

مقولة ذائعة الصيت تضرب للتدليل علي الخيانة بين الأصدقاء.

فإذا جاءتك الطعنة والخيانة من صديق مقرب يكون ألمها أقوى من طعنة العدو ويكون وقع الصدمة عليك شديداً ومدوياً...

و لا أجد أصدق من تلك المقولة لتفسير العلاقة بين جمال عبد الناصر وأنور السادات، فالعلاقة بين جمال عبد الناصر (قيصر) وأنور السادات (بروتس) تظل حتى الآن غير مفهومة على الإطلاق.

ما الذى جعل الرئيس عبد الناصر يعين السادات نائباً له فى ديسمبر ١٩٦٩ وعقب زيارة الملك السعودى فيصل بن عبد العزيز لمصر، وبعد ٣ شهور من إصابته بالنوبة القلبية الأولى فى سبتمبر ١٩٦٩.

ولماذا تركه فى هذا المنصب لمدة ٩ شهور كاملة حتى وفاته المفاجئة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠؟

تبدو كل النظريات، والآراء التى تبرر هذا الاختيار غير منطقية على الإطلاق.

الأستاذ محمد حسنين هيكل وهو صديق الرئيس عبد الناصر وشريكه الفكرى يقول إن الرئيس عبد الناصر قام بتعيين السادات نائباً له قبل سفره إلى المغرب لحضور اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي، وكانت تقارير المخابرات المصرية من المغرب قد أكدت وجود مؤامرة لاغتيال الرئيس عبد الناصر يدبرها الموساد بالتعاون مع وزير الداخلية ووزير الدفاع المغربى (الجنرال محمد أوفقير) وجهات عربية أخرى معادية لسياسات عبد الناصر، وبناء على هذه التقارير قام الرئيس عبد الناصر بتعيين السادات نائباً له تحسباً لأى احتمالات نجاح لمؤامرة اغتياله، وكانت وجهة نظر الرئيس عبد الناصر فى ذلك التعيين أن السادات يصلح رئيسا مؤقتا لفترة انتقالية، حتى يتم تنظيم أمور الدولة، ويقول الأستاذ هيكل أنه بعد عودة الرئيس عبد الناصر من المغرب سالماً وفى غمرة مشاغل الرئيس طوال التسعة شهور الأخيرة من حياته نسى السادات فى هذا المنصب حتى وافته المنية فى ١٩٧٠/٩/٢٨.

بينما يرى الوزير سامى شرف وهو أحد أقرب الشخصيات إلى عقل وقلب الرئيس عبد الناصر ومن أشد معاونى الرئيس عبد الناصر إخلاصاً له وفهماً لطريقة تفكيره، أن الرئيس عبد الناصر عين السادات نائباً له حتى يتسنى له

الحصول على معاش نائب رئيس جمهورية لأنه كان الوحيد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى لم يتم تعيينه كنائب لرئيس الجمهورية ، وأن الرئيس عبد الناصر نسى السادات فى هذا المنصب حتى وفاته المفاجئة.

تبدو رؤية الأستاذ هيكل والوزير سامى شرف وهما من أقرب الناس للرئيس عبد الناصر لأسباب تعيين السادات نائبا للرئيس عصية على الفهم.

فى قصة الأستاذ هيكل عند عودة الرئيس عبد الناصر بسلام من المغرب. لماذا لم يعزل السادات من منصبه؟ وكيف ينسى أمر خطير كهذا لمدة تسعة شهور كاملة وهو المعروف بدقته الشديدة؟

بينما قصة الوزير سامى شرف يمكن الرد عليها ببساطة فقد كان بوسع الرئيس عبد الناصر إمضاء قرار بمنح السادات معاش نائب للرئيس بدون تعيينه فعلياً فى المنصب لمدة طويلة.

بينما تبدو وجهة نظر الأديب الكبير يوسف إدريس فى كتابه (البحث عن السادات) لوناً من ألوان الكوميديا السوداء فهو يرى أن عبد الناصر اختار السادات نائباً له لأنه أكثر رفاقه جهلاً وغباء وسطحية ونفاقاً ، وأن غرض عبد الناصر الأساسى من اختياره للسادات نائبا له، هو أنه عند عقد أى مقارنة بين عبد الناصر والسادات سيترحم الناس على عبد الناصر وعهده وسيلعنوا السادات وعهده، وهى وجهة نظر تصلح فى رواية أو مسرحية أكثر مما تصلح فى تفسير التاريخ.

الدكتور مراد غالب سفير مصر فى الإتحاد السوفيتى إبان وفاة الرئيس عبد الناصر يقدم لنا فى مذكراته رواية أخرى.

وهى إن الرئيس عبد الناصر فى أغسطس ١٩٧٠ كان يُعد عبد اللطيف البغدادى أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة لخلافته، وأن الرئيس عبد الناصر قال له ذلك ضمنياً وطلب منه تقديم البغدادى للقادة السوفيت.

كما أن البغدادى نفسه صارح مراد غالب بذلك ولكن وفاة عبد الناصر المفاجئة حالت دوت تعيين البغدادى نائبا للرئيس.

فى يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ تصعد روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها ، ويصبح أنور السادات رئيساً لمصر ويجلس على كرسى عبد الناصر، وبصرف النظر عن حقيقة نوايا الرئيس عبد الناصر من تعيين للسادات نائباً له إلا انه فى النهاية وبسبب قرار عبد الناصر أصبح السادات رئيسا لمصر.

فى يوم ١٣ مايو ١٩٧١ يقوم السادات بانقلابه على عبد الناصر وثورته ويلقى

القبض على شركاؤه فى الحكم من الناصريين، ويلفق لهم تهم باطلة ويحبسهم فى غياهب السجون ويخلو له حكم البلاد ، ورغم الانقلاب يصر السادات فى كل أحاديثه وخطبه على إخلاصه لخط عبد الناصر السياسي وحفاظه على تراثه وفكره ونهجه فى الحكم.

فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يتخذ السادات أخيرا وبعد طول تأجيل قرار الحرب تسفر الحرب فى أيامها الأولى عن انتصارات ساحقة للقوات المسلحة المصرية والسورية على جبهتى سيناء والجولان، ورغم تبدل سير المعركة فيما بعد إلى الحد الذى جعل القوات الإسرائيلية تمتد على خط طوله ١٥٠٠ كيلومتر، من مشارف دمشق وحتى الكيلو ١٠١ على طريق السويس - القاهرة، إلا أن السادات خرج من الحرب بشرعية جديدة لحكمه أرادها أن تكون غير مستمدة من شرعية سلفه الرئيس عبد الناصر.

وفى يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ يقابل الرئيس السادات وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر فى اجتماع منفرد.

و فى هذا الاجتماع الخطير مع كيسنجر والذى روى كيسنجر تفاصيله فى مذكراته، يصارح السادات كيسنجر انه اختار الطريق الأمريكى لحل قضية الصراع العربى الاسرائيلى، وأنه ينوى التخلص من القومية العربية، كما انه يكره السوفيت ويعاديهم وانه عازم على نبذ الحل الاشتراكى وعلى التخلى عن تجربة التنمية المستقلة التى أنتهجها عبد الناصر وانه سيهدم أسطورة جمال عبد الناصر فى مصر والعالم العربى.

وبالفعل بدءًا من عام ١٩٧٤ تقود الصحف المصرية حملة تشويه رهيبة ضد جمال عبد الناصر وعهده، بتخطيط أمريكى وتمويل سعودى وبأقلام مصرية وبتشجيع واضح من السادات لإلصاق شتى التهم والجرائم والخطايا بعبد الناصر وعهده ورجاله، وهذه الحملة الظالمة مازالت مستمرة حتى الآن وبمنتهى القوة، لأن شبح عبد الناصر وشموخ مواقفه الوطنية مازالا يقضان مضاجع الحكام الخونة حتى اليوم.

حتى الآن قد يبدو هذا منطقيا لقد عقد السادات صفقة مع الشيطان الأمريكى وتشويه عبد الناصر وعهده جزء من هذه الصفقة، لأن نجاح الاحتلال الأمريكى للإرادة الوطنية المصرية لن يتم إلا بهدم نموذج استقلال الإرادة الوطنية الذى جسده عبد الناصر بأفكاره وبمشروعه القومى وبانجازاته الهائلة.

ولكن ما يثير الحيرة هو تصرف السادات نفسه الذى بدا دائما، وكأن

هناك ثأر شخصى يحكم علاقته بعبد الناصر فهو دائما متشوق للمقارنة بينه وبين سلفه ليثبت انه أفضل منه وفى كتابه الذى لم يصدق فى حرف واحد فيه (البحث عن الذات)، كال السادات للرئيس عبد الناصر وعهده ورجاله سيل من الشتائم والاتهامات بدون دليل واحد على ما يدعيه مما أظهر حقده وكرهه الشديد لعبد الناصر.

و بعد ٣ سنوات من حملة التشهير بعبد الناصر المتواكبة مع الدخول الأمريكى لمصر وقبول السادات بالحل الجزئى للصراع العربى الإسرائيلى والتفاوض المباشر مع إسرائيل وبدء عملية تفكيك المشروع الناصرى فى السياسة والاقتصاد والعلاقات الخارجية.

اندلعت الانتفاضة الشعبية فى (١٨و ١٩ يناير عام ١٩٧٧) والتى هددت عرش السادات وكادت تزيح حكمه لدرجة أن السادات جهز طائرته الرئاسية للهروب إلى إيران عند صديقه ومثله الأعلى فى خدمة المصالح الامبريالية الأمريكية شاه إيران محمد رضا بهلوى.

وعندما فشلت أجهزة الأمن المصرية فى إيقاف المظاهرات أمر السادات الجيش المصرى بالنزول للشوارع لاستعادة السيطرة على البلاد وينجح الجيش فى مهمته ويستعيد السادات عرشه.

وفى أول خطبة للسادات بعد المظاهرات لم يتمالك نفسه وهو يخطب أن يوجه السؤال للشعب المصرى: رافعين صور عبد الناصر ليه؟! ده أنا عملت اللى هو ماعملوش.

فوجئ السادات وكل أنصاره وأصدقائه داخل مصر وخارجها بصور عبد الناصر وأن ملايين المصريين والذين يتم تعريضهم لعملية غسيل مخ بشعة ممنهجة ومنظمة لتشويه شخصية وسياسات وعهد عبد الناصر خرجوا فى هذه المظاهرات رافعين آلاف الصور لجمال عبد الناصر الراقد فى قبره منذ ٧ سنوات.

حاول السادات جاهداً محو اسم عبد الناصر من التاريخ ومن الوجود لو كان بمقدوره.

فإستاد ناصر يصبح إستاد القاهرة وبحيرة ناصر المسماة بهذا الاسم فى كل الخرائط العالمية يصدر قرار جمهورى بتسميتها بحيرة السد، وصورة عبد الناصر التى حفرها السوفيت على جسم السد يحفر صورته فوقها، وخطب عبد الناصر ممنوع أن تذاع وصوره محظور وجودها، والمصائب كلها يتم لصقها بعهد عبد الناصر.

بـدا الأمـر وكـأن الـسادات مـصاب بعقـدة نفـسية أسمهـا عقـدة جمـال عبد الناصر.

اتخذ السادات الخط السياسى المناقض لعبد الناصر فى كل شىء ولكن حتى هذا لم يكن يبرر كل هذا العداء الشخصى الواضح للرجل الراقد فى قبره منذ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

خاصة أن عبد الناصر هو الذى ضمه لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥١ رغم معارضة كل الأعضاء لضمه.

وعبد الناصر هو الذى تغاضى عن هروبه ليلة الثورة ودخوله السينما مع أسرته وعدم اشتراكه فى الثورة رغم علمه بموعد قيامها، وعبد الناصر هو الذى رفض طرده من مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٣ بعد قضية انقلاب سلاح المدفعية التى كان من أسبابها وجود شخصية مشبوهة الانتماءات كأنور السادات فى مجلس قيادة الثورة.

وعبد الناصر هو الذى عفا عنه بعد العديد من الفضائح فى الخمسينيات والستينيات كان أخرها فضيحة الاستيلاء على قصر اللواء الموجى بوضعه تحت الحراسة عام ١٩٧٠ أثناء زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفيتى.

بدا عداء وكُره السادات للرئيس عبد الناصر غير مفهوم على الإطلاق خاصة فى ظل مواقف السادات نفسه فى حياة جمال عبد الناصر، فالسادات هو الوحيد من مجلس قيادة الثورة الذى لم يعارض جمال عبد الناصر مطلقاً، ولم يحدث أن قال له كلمة (لا) ولو مرة واحدة، وعندما كان يخاطب عبد الناصر لم يكن يقول له يا (جمال) بل كان يقول له يا (معلم). والسادات هو الذى أنحنى فى مجلس الأمة أمام تمثال نصفى للرئيس عبد الناصر أمام عدسات التليفزيون فى خطاب تنصيبه رئيسا للجمهورية ليرى العالم كله مدى وفائه للزعيم الراحل.

نافقه حيًّا حتى المذلة ونافقه بعد مماته بالركوع أمام تمثاله.

ثم لم يترك نقيصة إلا وألصقها بعبد الناصر فأى طبيعة نفسية كان يتمتع بها الرئيس الراحل أنور السادات؟!

إن ما حدث فى مصر لعبد الناصر برعاية السادات لم يحدث من قبل لزعيم أو قائد فى التاريخ، فالنظام الذى كان السادات على رأسه كان من صنع عبد الناصر نفسه، والسادات جاء للحكم على أساس أنه سيكمل مسيرة

عبد الناصر ولكنه فضلاً عن الانقضاض على كل سياسات سلفه قاد حملة صليبية ضارية ضد عبد الناصر محاولا اغتياله معنويا بشتى الطرق وهو أمر شديد الغرابة، فعبد الناصر نفسه الذى أنهى النظام الملكى وطرد أسرة محمد على وأسس النظام الجمهورى لم يفعل بالملك فاروق ما فعله السادات به.

بعد مرور كل تلك السنين تظل علاقة عبد الناصر بالسادات ملتبسة وغامضة وغير مفهومة بالمرة.

لماذا ظل السادات للنهاية بقرب عبد الناصر؟

ولماذا عينه عبد الناصر نائبا له رغم معرفته الوثيقة بمثالبه العديدة؟

وكيف لم يكتشف عبد الناصر كل هذا الكم من الكراهية والحقد داخل السادات تجاهه؟

و لماذا كان السادات بصرف النظر عن تناقض سياساته مع سياسات سلفه يكن كل هذا الحقد والكره لعبد الناصر الرجل الذى وضعه دون استحقاق ودون مبرر على عرش مصر والذى بفضله دخل السادات التاريخ؟؟

حديث الوثائق
بين محمد حسنين هيكل
ومصطفى أمين

تبدو العلاقة بين الأستاذين الكبيرين محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين فى غاية التعقيد والغموض خاصة من جانب مصطفى أمين.

تم إلقاء القبض على الأستاذ مصطفى أمين فى ٢١ يوليو ١٩٦٥ متلبسا مع ضابط المخابرات المركزية الأمريكية بروس تايلور أوديل فى حديقة منزل الأستاذ مصطفى أمين، وأثبتت الوقائع والأدلة عن القضية التى كانت تتابعها المخابرات العامة المصرية أن مصطفى أمين يتجسس على مصر لحساب المخابرات المركزية الأمريكية، وقد حوكم الأستاذ مصطفى أمين وأدين وحكمت عليه المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة، وطوال فترة المحاكمة والسجن كان الأستاذ هيكل على اتصال دائم بمصطفى أمين، بل أنه هو الذى قام بتوكيل محام للدفاع عنه وكان يمده فى سجنه بكل مستلزماته من أقلام وأوراق وأغذية وأدوية.

وحاول الأستاذ هيكل أكثر من مرة مع الرئيس عبد الناصر أن يخفف الحكم عن مصطفى أمين وأن يكتفى بكون مصطفى أمين تم كشف عمالته ويتركه يرحل خارج مصر.

ولكن رفض الرئيس عبد الناصر كان قاطعاً وقال لهيكل إنه لا يستطيع العفو عن الجواسيس.

كما قام الأستاذ هيكل بمساعدة أسرة الأستاذ مصطفى أمين أثناء محنته، وكانت علاقاته مستمرة مع توأم مصطفى أمين، الصحفى على أمين والذى كان يعمل مراسل للأهرام بأوروبا ومركزه مدينة لندن.

أصدر الرئيس السادات قراره بالإفراج الصحى عن مصطفى أمين فى ٢٧ يناير ١٩٧٤ والإفراج الصحى لا يسقط عن مصطفى أمين تهمة التجسس ولا حكم الإدانة.

وفى ٣١ يناير ١٩٧٤ خرج الأستاذ هيكل من الأهرام بعد تفاقم خلافاته مع الرئيس السادات عن الكيفية التى انتهت بها حرب أكتوبر ١٩٧٣ والأسلوب السياسى الذى يتبعه السادات فى حل قضية الصراع العربى الإسرائيلى وبسبب شعور الأستاذ هيكل المبكر باتجاه السادات لصلح منفرد مع إسرائيل على حساب باقى الأطراف العربية، ولرفض الأستاذ هيكل اعتماد الرئيس السادات المتزايد على الدور الأمريكى.

عقب خروج الأستاذ هيكل من منصبه تم تعيين الأستاذ على أمين الذى عاد من لندن رئيسا لتحرير الأهرام وتم تعيين شقيقه المفرج عنه صحياً مصطفى أمين رئيسا لتحرير الأخبار.

وبدأت حملة إعلامية ضارية من الأخوين أمين ضد الرئيس جمال عبد الناصر وعهده ورجاله بتشجيع من السادات ونظامه وبتمويل سعودى، وتخطيط أمريكى وعبر استكتاب كتبة وصحفيين أكلوا على كل الموائد واستفادوا من كل العصور وضمن هذه الحملة وضمن ما طالته من رموز كان الأستاذ محمد حسنين هيكل الذى تم نعته بشتى التهم سواء من السادات نفسه أو من أبواقه وكتبة نظامه.

فى تلك الفترة كتب الأستاذ مصطفى أمين سلسلة روايات من سنة أولى سجن إلى سنة تاسعة سجن وفيها لم يقدم دليل أو وثيقة واحدة تبرئه من تهمة العمالة والتجسس للأمريكان، بينما أنشغل الأستاذ هيكل بمقالاته وكتبه التى تنبأ فيها بالمصائب التى ستحدث لمصر وللوطن العربى جراء سياسات السادات المتحالف مع الأمريكيين والسعوديين، كما دافع فيها عن المشروع الناصرى وفند أكاذيب وخرافات أعدائه.

ثم جاءت لحظة الحقيقة عام ١٩٨٤ عندما أصدر الأستاذ هيكل كتابه الوثائقى (بين الصحافة والسياسة) والذى تناول فيه قضية الأستاذ مصطفى أمين بالتفصيل وكتب الأستاذ هيكل فى مقدمة الكتاب إنه ينشر هذا الكتاب وكل أطراف القضية على قيد الحياة ومن أجل التاريخ وتحدى الأستاذ هيكل الجميع وأولهم الأستاذ مصطفى أمين أن يستطيعوا تكذيب معلوماته ووثائقه.

يقول الأستاذ هيكل فى كتابه عن دار أخبار اليوم وعن الأخوين على أمين ومصطفى أمين: إن دار أخبار اليوم تم إنشاؤها بأموال المخابرات المركزية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أيقنت الولايات المتحدة بخروجها منتصرة من الحرب، بدأت إنشاء سلسلة من دور النشر الصحفية التى هدفها الترويج لسياسة الولايات المتحدة ونمطها فى الحياة والدفاع عن التوجهات والمصالح الأمريكية.

نشر الأستاذ هيكل فى الكتاب مقالات الأستاذين مصطفى وعلى أمين فى تمجيد الملك فاروق والهجوم على حزب الوفد كما نشر مقالاتهما فى تمجيد الرئيس عبد الناصر حتى قبل القبض على الأستاذ مصطفى أمين بأيام معدودة، نشر الأستاذ هيكل وثيقة من ٦٠ صفحة بخط يد الأستاذ مصطفى أمين وبأسلوبه المعروف فى الكتابة تتضمن الوثيقة رسالة منه للرئيس عبد الناصر يعترف فيها بعمالته للأمريكان ويطلب فيها العفو من الرئيس عبد الناصر.

فنّد الأستاذ هيكل إدعاءات مصطفى أمين بتعذيبه فى السجن مستعيناً

بشهادة محامى الأستاذ مصطفى أمين فى قضية التجسس والذى أنكر وقوع أى تعذيب على مصطفى أمين.

استعان الأستاذ هيكل بشهادات أصدقاء مقربين من مصطفى أمين مثل الصحفى اللبنانى سعيد فريحة ورئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب اللذان أكدا كلام هيكل عن عدم تعرض مصطفى أمين للتعذيب فى سجنه.

أتهم هيكل الأستاذ مصطفى أمين أنه كان يقوم بتهريب الأموال للخارج عبر أصدقائه فى المخابرات الأمريكية، كما أتهم توأمه على أمين بالعمالة للمخابرات البريطانية، والسعودية وأن السعوديين كان يصرفون عليه أثناء حياته بأوروبا.

أتهم الأستاذ هيكل الأستاذ مصطفى أمين انه يجيد فبركة الأكاذيب ويصدقها ويزيد عليها وإنه رجل لكل العصور.

نشر الأستاذ هيكل وثيقة شديدة الخطورة عن على أمين هى الوثيقة رقم ٢٨ بملحق وثائق كتاب (بين الصحافة والسياسة) وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة بخط الوزير/سامى شرف مرفوعة للرئيس/جمال عبد الناصر بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٠. وهى ترصد مجموعة من التحركات التى تتم ضد مصر على الصعيدين الداخلي والخارجى، وقد قام الأستاذ هيكل بالشطب على كلام الوزير سامى شرف الذى يرصد هذه التحركات لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى وقت صدور الكتاب.

ولكن ما يتعلق بموضوعنا هو تأشيرة بخط يد الرئيس عبد الناصر على الطرف الأيسر أعلى الصفحة كتب فيها : (لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له إن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠).

لقد كان على أمين هارباً من مصر بعد اتهام أخيه مصطفى أمين بالتجسس على مصر لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت الشبهات تحيط بعلى أمين أيضا، لذا فضل أن يظل خارج مصر ولكن كيف علم على أمين أن الوضع فى مصر سينتهى آخر ١٩٧٠؟

لقد توفى الرئيس/جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ أى قرب نهاية العام ٧٠ وبوفاته انقلبت كل الأوضاع فى مصر وفى الوطن العربى.

فكيف علم على أمين بوفاة الرئيس "جمال عبد الناصر" قبل الوفاة بثلاثة أشهر؟!! ومن هو المصرى الذى قال له على أمين أن الوضع فى مصر سينتهى أخر سنة ٧٠؟

ولماذا كتب الرئيس "جمال عبد الناصر" تلك التأشيرة بالذات؟ ولماذا تذكر على أمين بالتحديد؟!

ذكر الأستاذ هيكل فى كتابه (بين الصحافة والسياسة) أن قضية الأستاذ مصطفى أمين هى القضية رقم واحد فى سجلات المخابرات العامة المصرية وأن وثائقها وتفاصيلها فى متحف المخابرات العامة المصرية.

قال هيكل إن الإفراج عن مصطفى أمين جاء ضمن صفقة لإرضاء الأمريكيين، والسعوديين وأنه أفرج عنه مع مجموعة من عملاء أمريكا وإسرائيل وبطلب من كيسنجر والأمير سلطان بن عبد العزيز.

وتساءل الأستاذ هيكل لماذا تأخر السادات فى الإفراج عن مصطفى أمين كل تلك المدة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤ لو كان يعتبره بريئاً؟ ولماذا أفرج السادات عن مصطفى أمين إفراج صحى إذا كان واثقا من براءته؟ ولماذا لم يرفع الأستاذ مصطفى أمين قضية يطلب فيها إعادة محاكمته لتبرئة ساحته وتنظيف سمعته من تهمة العمالة والتجسس للأمريكان؟

وفى عام ١٩٩٠ أصدر الأستاذ هيكل كتابه (الانفجار ١٩٦٧) عن حرب ١٩٦٧ وفيه أعاد اتهام الأستاذ مصطفى أمين بالتجسس لحساب الأمريكان ونقل محضر لقاء بين الرئيس عبد الناصر والزعيم الباكستانى ذو الفقار على بوتو، يدين فيه الرئيس عبد الناصر الأستاذ مصطفى أمين وينقل لذو الفقار على بوتو وقائع قضيته كدليل على تآمر الأمريكان ضد مصر.

ولمدة ١٣ عاماً كاملة بعد صدور كتاب (بين الصحافة والسياسة) و٧ سنوات بعد صدور كتاب (الانفجار ١٩٦٧) وحتى يوم ١٣ أبريل ١٩٩٧ يوم وفاة الأستاذ مصطفى أمين لم يرد الأستاذ مصطفى أمين على كتابات هيكل ووثائقه وقائمة اتهاماته رغم تحدى هيكل له أن يرد إذا استطاع ورغم أن الكتب التى تدينه أمام التاريخ وزعت آلاف النسخ وطبعت عشرات المرات ولا تزال تُطبع.

انشغل الأستاذ مصطفى أمين خلال هذه المدة بصياغة كتب من نوعية مذكرات اعتماد خورشيد ومذكرات برلنتى عبد الحميد لتشويه عهد عبد الناصر عبر حكايات صفراء مثيرة، لا يصدقها عاقل وتثير غرائز الجهلة والعوام فقط.

حتى الآن مازالت بعض الأقلام تهاجم عبد الناصر وهيكل، وتدافع عن براءة مصطفى أمين.

ولهؤلاء جميعاً أتوجه بالسؤال: هل تحبون الأستاذ مصطفى أمين أكثر من نفسه؟ هل تتوقعون كسب قضية فشل صاحبها نفسه فى كسبها؟ هل هو إصرار أعمى على تزوير التاريخ؟

ورغم مرور كل تلك السنين يبقى السؤال معلقاً دون إجابة لماذا لم يرد الأستاذ مصطفى أمين على كتب ووثائق الأستاذ محمد حسنين هيكل ويبرئ ساحته وينظف سمعته من تهمة خيانة وطنه وهى أبشع تهمة قد يتهم بها إنسان؟

والإجابة متروكة لذكاء القارئ.

الأستاذ هيكل
ورجال الرئيس عـبد الناصر

الأستاذ محمد حسنين هيكل هو أهم صحفى عربى فى التاريخ، وهو يمثل بالفعل أسطورة حية تأثيرها أقوى من أى حزب ومن أى وزارة إعلام، وتمثل كتاباته وحواراته الصحفية والتليفزيونية أعظم وأهم مرجع تاريخى لمن يريد معرفة حقائق تاريخنا الحديث والمعاصر.

وأنا واحد من ملايين المعجبين والمحبين للأستاذ محمد حسنين هيكل قرأت كل كتبه وأتابع بشغف برنامجه (تجربة حياة) الذى يذاع على فضائية الجزيرة وأجد فى ذلك متعة عقلية كبيرة وفرصة ذهبية للاستماع لواحد من أهم الشخصيات العربية فى تاريخنا الحديث.

فى سلسلة حلقات الأستاذ هيكل الأخيرة والتى اختار لها عنوان (الطريق إلى أكتوبر) ويتناول فيها الفترة التى أعقبت هزيمة ١٩٦٧، لاحظت تركيز الأستاذ هيكل الشديد على الصراعات داخل النظام السياسى المصرى فى السنوات الأخيرة من حكم الرئيس جمال عبد الناصر، وإصرار الأستاذ هيكل على تقسيم رجال الرئيس عبد الناصر إلى معسكرين، معسكر يدعو إلى الحرية ورفع القيود وتخفيف قبضة النظام الأمنية وتحييد الولايات المتحدة الأمريكية على رأسه محمد حسنين هيكل، وأنور السادات، ومعسكر يدعو إلى التشدد والثورة الشاملة وعدم التهادن مع أعداء الثورة فى الداخل وفى الخارج وتوثيق العلاقات مع السوفيت على رأسه على صبرى، وشعراوى جمعة، وسامى شرف.

ويستطرد الأستاذ هيكل فى تلك الحلقات لتبيان كيفية تصديه لمخططات معسكر التشدد وذلك عبر تأثيره على أفكار وقرارات الرئيس جمال عبد الناصر.

والحقيقة فقد شغلنى طويلاً التفكير فى سبب تركيز الأستاذ هيكل على ذلك الموضوع بالذات وهجومه على أقطاب معسكر التشدد.

وقد توصلت لاستنتاج أتمنى أن يكون خاطئا وإن كانت الشواهد توحى بصحته.

أعتقد أن الأستاذ هيكل يبحث عن مبرر لتفسير انحيازه للرئيس السادات أثناء أحداث مايو ١٩٧١ ودوره فى ترتيب الانقلاب على الثورة لذا يضغط بشدة على الطبيعة القمعية لأقطاب معسكر التشدد وانحيازهم للسوفيت لكى يثبت خطأ توجهاتهم وصحة موقفه المستقل، كما أظن وبعض الظن إثم أن الأستاذ هيكل سيقوم بنفس التبرير فيما بعد لتفسير خلافاته مع الرئيس السادات عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ على أساس اكتشافه انحياز الرئيس السادات السافر للأمريكيين، وبهذا يكون الأستاذ هيكل هو الشخص الوحيد المستقل الذى يمثل ضمير مصر فى مجابهة معسكرى الانحياز للسوفيت وللأمريكيين.

فى رأيى كواحد من عشاق الأستاذ هيكل أنه لا يحتاج للبحث عن مبرر لخطأه الفادح فى أحداث مايو ١٩٧١، فهو أكبر من محاولة البحث عن التطهر من نقطة سوداء فى تاريخه عبر اختلاق وقائع غير حقيقية هو أول من يعلم بعدم صحتها.

فلم يكن أقطاب مايو منحازين للسوفيت كما يوحى لنا، كما أن انحياز الرئيس السادات للأمريكيين سابق على حرب أكتوبر ١٩٧٣ والأستاذ هيكل يعلم ذلك جيداً.

لم يكن ليضير الأستاذ هيكل فى شيء أن يتجاوز تلك النقطة بدلاً من تصفية حسابات قديمة بطريقة تغاير ما عودنا عليه فى كتاباته التى تتسم بالدقة والتوثيق والرد بالمنطق والأرقام على مخالفيه.

إن المتابع للحلقات الأخيرة للأستاذ هيكل سيلاحظ أخطاء عديدة فى تواريخ الوقائع وأسماء الشخصيات وذلك للمرة الأولى فى تاريخ الأستاذ هيكل، لأن الأستاذ هيكل هنا يبرر موقفه ولا يؤرخ للأحداث كما حدثت فعلاً.

مثلا موضوع تنظيم القضاء واعتقال الدكتور جمال العطيفى، لقد تم اعتقال الدكتور جمال العطيفى فى يناير ١٩٦٩، وأفرج عنه بعد بضعة أيام، بينما تم تشكيل لجان تنظيم القضاء فى أواخر يوليو ١٩٦٩، وكانتا لجنتين فى بادئ الأمر إلى أن اقنع هيكل الرئيس عبد الناصر بأن يرأس السادات لجنة موحدة وأن ينضم الدكتور جمال العطيفى لها، وفعلاً تم ضم اللجنتين وانضم العطيفى للجنة الموحدة، ولم يصطدم مع أعضائها إطلاقاً.

وبخصوص انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فقد حصل السيد على صبرى على أعلى نسبة من الأصوات بلغت ١٣٤ صوت بينما حصل السادات على ١١٨ صوت وجاء ترتيبه الرابع فى عدد الأصوات.

وعندما سأل الرئيس عبد الناصر شعراوى جمعة عن سر تراجع أصوات المؤيدين للسادات، قال شعراوى جمعة للرئيس: لقد فعلنا المستحيل مع الأعضاء حتى يصل السادات لتلك النسبة.

وكان رد الرئيس عبد الناصر: طيب لو كنتم ما عملتوش المستحيل كان جرى ايه؟ وضحك الرئيس عبد الناصر وركب سيارته وغادر مبنى الاتحاد الاشتراكى وبصحبته السادات الذى كان يستمع لهذا الحوار.

هذه هى حقيقة ما حدث وليس كما روى الأستاذ هيكل فى برنامجه.

وبخصوص الفريق محمد فوزى يلاحظ المتابع لحديث الأستاذ هيكل إصراره

على تهميش دوره، والتركيز على دور الفريق الشهيد عبد المنعم رياض، ولا أحد ينكر دور الفريق الشهيد عبد المنعم رياض فى التخطيط وإعادة البناء للقوات المسلحة المصرية بعد النكسة، ويكفي الفريق رياض ويغنيه وضعه للخطة (جرانيت) التى تم تنفيذ الجزء الأول منها بتعديلات الفريق الشاذلى يوم العبور، كما أن استشهاده البطولى كرس صورته كرمز خالد للعسكرية المصرية والعربية، ولكن هذا لا ينفى دور وجهد الفريق محمد فوزى فى عملية إعادة البناء والتخطيط للتحرير، ولكن الأستاذ هيكل لم يتجاوز خلافاته الشخصية مع الفريق فوزى والتى حدثت عندما كتب الأستاذ هيكل مقاله الشهير (تحية للرجال) وشرح فيه الصعوبات التى ستواجه القوات المسلحة المصرية أثناء عملية العبور بما يوحى لقارئ المقال أن عملية العبور مستحيلة.

وقد حدثت ردود فعل عنيفة داخل القوات المسلحة عقب نشر المقال، ولكى يمتص الفريق فوزى مشاعر غضب العسكريين، قال فى أحد اجتماعاته مع كبار القادة العسكريين (سيبوا لى هيكل، أنا هتصرف معاه)، ونقل الفريق محمد صادق ما دار فى هذه الجلسة للأستاذ هيكل بطريقة استفزت هيكل وجعلته يتوجس من نوايا الفريق فوزى ضده، فحملها الأستاذ هيكل فى نفسه، ويبدو أنه لم ينساها حتى الآن.

كما كشف الأستاذ هيكل فى حلقات برنامجه تفاصيل العملية (عصفور) عندما أمر الرئيس جمال عبد الناصر بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٧.

وقال الأستاذ هيكل أن هذه العملية تُعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس فى تاريخ المخابرات فى العالم ولا تعادلها فى النجاح إلا العملية (ألترا) عندما نجحت مخابرات الحلفاء فى حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأمريكيين على علم كامل بكافة التحركات والخطط العسكرية والاستخباراتية الألمانية قبل حدوثها.

وأضاف هيكل: كان يعلم بسر العملية (عصفور) حوالي عشرة أشخاص في مصر كلها. وأن أنور السادات لم يعلم بسر العملية (عصفور) بأوامر من الرئيس عبد الناصر ذاته.

ويقول الأستاذ محمد حسنين هيكل، أن السادة (علي صبري، شعراوي جمعة، الفريق محمد فوزي، سامي شرف) رفضوا بعد وفاة الرئيس عبد الناصر أن يعرف الرئيس الجديد أنور السادات بسر العملية "عصفور"، لعدم ثقتهم فيه، ولأن

بعض ما وصلهم عبر تلك العملية به ما يدين الرئيس السادات، ويستوجب محاكمته أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى.

ويضيف الأستاذ هيكل أن معرفة الرئيس السادات بسر العملية (عصفور) حدثت قبيل انقلاب مايو عام ١٩٧١ وكان الأستاذ هيكل هو الذي أطلع السادات على السر.

وقال الأستاذ هيكل أن عملية (عصفور) ظلت تسير بنجاح وظل تدفق المعلومات جارياً منذ ديسمبر ١٩٦٧ حتى يوليو ١٩٧١ عندما أفشى الرئيس أنور السادات سر العملية (عصفور) لصديقه كمال أدهم مدير المخابرات السعودية وصاحب العلاقات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذى نقل المعلومة فور علمه بها للأمريكيين مما أنهى العملية الناجحة وأغلق باب كنز المعلومات للأبد.

هكذا ببساطة يخبرنا الأستاذ هيكل أن معرفة الرئيس السادات بالعملية (عصفور) كانت من خلاله، وأن إفشاء سرها تم بفضل الرئيس السادات وصديقه كمال أدهم رجل المخابرات المركزية الأمريكية الأول فى الشرق الأوسط الذى نقل له الرئيس السادات السر وهو يعلم حقيقته جيداً، فقد كان صديقاً له منذ أوائل الستينيات وعلاقاته وثيقة للغاية به، وهو ما يؤكد مخاوف أقطاب مجموعة مايو من معرفة الرئيس السادات بسر خطير كهذا.

وحقيقة لا أدرى ألم يشعر الأستاذ هيكل بتأنيب الضمير لأنه ساهم فى إفشاء سر خطير كهذا ولو بحسن نية؟!

ألم يشعر أن خصومه من أقطاب مجموعة مايو كانوا محقين فى مخاوفهم من الرئيس السادات وعلاقاته بالأمريكيين؟!

كان للأستاذ هيكل خلافاته العميقة مع الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب، وقد لعب الأستاذ هيكل دوراً خطيراً فى الهجوم على الاتحاد الاشتراكى وإبراز سلبياته والتهوين من شأنه، وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر توجس الأستاذ هيكل من أن يقوم قادة الاتحاد الاشتراكى وعلى رأسهم على صبرى بتصفية حساباتهم معه وكان ذلك أحد أسباب تحالفه مع الرئيس السادات الذى كان يشاركه نفس الأفكار بخصوص الاتحاد الاشتراكى وعلى صبرى.

كما كان الأستاذ هيكل يشارك الرئيس السادات نفس الأفكار حول تحييد أمريكا وكراهية السوفيت والمعركة المحدودة بعد استنفاذ كل محاولات البحث عن حل سلمى، وبخصوص الديمقراطية كان الأستاذ هيكل هو الذى

كتب أنه أخترع حكاية أن الصراع على السلطة فى مايو ١٩٧١ كان صراع بين الديمقراطية والديكتاتورية لكى يضفى مسحة شعبية على الرئيس السادات ويبرر سر إلقاء كل قيادات البلد وأخلص المعاونين للرئيس عبد الناصر فى السجون والمعتقلات، بينما كان الرئيس السادات يريد أن يقول للشعب أنه ألقى القبض على رجال عبد الناصر لأنهم أرادوا منعه من لقاء وزير الخارجية الأمريكى وليم روجرز.

وهكذا فإن استخدام الأستاذ هيكل لتلك الحجة يجعله يناقض كتاباته السابقة، والحقيقة التى لا يريد أن يعترف بها الأستاذ هيكل هى أن رجال الرئيس عبد الناصر هم الذين كانوا مع ديمقراطية القيادة وعدم إنفراد الرئيس السادات بالحكم.

والصراع فى الأساس كان يدور بين فريقين فى السلطة، الفريق الأول يرى ضرورة الحفاظ على سياسات عبد الناصر داخليا وخارجيا ويصر على الحل الشامل للصراع العربى الإسرائيلى، والفريق الثانى يرى أنه حان الوقت للتراجع عن سياسات عبد الناصر داخليا وخارجيا ولا يصر على الحل الشامل للصراع العربى الإسرائيلى، وللأسف الشديد انتصر الفريق الثانى الذى كان الأستاذ هيكل الرجل الثانى فيه بعد الرئيس السادات.

أخفق أقطاب ما أصطلح على تسميته بمجموعة مايو ماعدا على صبرى الذى كان معزولا عن مصادر القوة منذ إقالته من منصبه فى ٢ مايو ١٩٧١(معسكر التشدد كما يسميهم الأستاذ هيكل) فى التصدى لانقلاب السادات رغم تكشف نواياه لهم، ولكنهم لم يشاركوا معه فى الخطوات التى أتخذها فيما بعد لتفكيك الثورة، ولم يزرعوا فى رأسه أفكار من نوعية تحييد أمريكا، والمعركة المحدودة لتحريك الموقف، ولم يروجوا لها فى مقالاتهم وأحاديثهم، ولم يدافعوا عن كل القوى اليمينية فى مصر ومصالحها وهو ما فعله الأستاذ هيكل للأسف الشديد فى الفترة من ١٩٧٠ – ١٩٧٤ قبل أن يكتشف بنفسه كما ذكر فى كتبه إن إدارة السادات السياسية لحرب أكتوبر ٧٣ أهدرت تضحيات الرجال والأمة العربية كلها وسلمت مصر للأمريكيين.

الطريف أن اكتشاف الأستاذ هيكل لهذه الكارثة فى يناير ١٩٧٤، كان قد سبقه وأكتشفه قبله بسنوات ومنذ أبريل ١٩٧١ خصمه اللدود السيد/على صبرى، والذى يصب الأستاذ هيكل عليه حمم غضبه فى أحاديثه الأخيرة ولنقرأ معا مقتطفات من أقوال السيد/على صبرى كما جاءت فى تسجيلات قضية مايو وقبل قيام السادات بانقلابه.

محادثــة تليفونيــة بــين علــى صــبرى وشــعراوى جمعــة يــوم ٢ أبريــل ١٩٧١ يقول على صبرى عن السادات: بكره يسلم البلد للأمريكان.

محادثة تليفونية بين على صبرى ومحمد فائق عقب إقالة على صبرى يوم ٢ مايو ١٩٧١. يقول على صبرى : السادات بيبيع البلد للأمريكان وبيهد كل اللى بناه عبد الناصر فى ٢٠ سنة، لن أتحمل المسئولية أمام التاريخ وأمام أولادى وأمام الشعب إذا تم حكم الفرد فى مصر وليس أى فرد بل أنور السادات، سوف يقوم بتصفية كل العناصر الكويسة فى البلد.

ويضيف فى حديثه : حايضربكوا الجزم، وأنا ما أقبلش أنى أضرب بالجزمة.

هذه كلمات على صبرى فى أبريل ومايو ١٩٧١ أليس هذا هو ما حدث بالضبط يا أستاذ هيكل فيما بعد واكتشفته أنت متأخرا ثلاث سنوات عنه؟!!

لقد تخلص الرئيس السادات من كل معاونيه فى انقلاب مايو محمد حسنين هيكل.. محمد أحمد صادق.. الليثى ناصف.. محمد عبد السلام الزيات.. ممدوح سالم.. عزيز صدقى.. محمود فوزى كما فعل مع كل خصومه من رجال عبد الناصر فى مايو ١٩٧١ الذين جعلوه رئيسا ، وأجلسوه على كرسى جمال عبد الناصر.

ولم يسلم الرئيس جمال عبد الناصر ذاته من السادات الذى قاد حملة عاتية لتشويه عهده واغتيال شخصيته معنويا وإلصاق كل الموبقات به.

كل هذه التناقضات لا تليق بك يا أستاذ هيكل وتصفية الحسابات التاريخية بهذا الأسلوب أنت فى نظرى ونظر كل محبيك أكبر وأعظم منه.

وهذا التبرير لن ينجح لأن نظرة واحدة على أحوال مصر والأمة العربية منذ نجاح انقلاب مايو ١٩٧١ تكفى وتزيد لتوضيح الخطأ الفادح الذى تورطت فيه بتحالفك مع الرئيس السادات وقتها.

مؤخرا فى حوار للدكتور مصطفى الفقى مع جريدة المصرى اليوم قال (أن الرئيس المصرى القادم يجب أن يحظى بموافقة أمريكا وإسرائيل)، وقد أستنكر الأستاذ هيكل ذلك فى رسالة مكتوبة للجريدة وتساءل منذ متى حدث ذلك؟ للأسف يا أستاذ هيكل حدث ذلك منذ تحالفت مع الرئيس السادات فى مايو ١٩٧١ ، ومنذ تم الانقلاب على كل مبادئ وأفكار وسياسات جمال عبد الناصر. أحب الأستاذ هيكل وأحترمه ولكن حبى للرئيس جمال عبد الناصر ومبادئه وعهده وللحقائق التاريخية أكبر.

خطة الخلاص من جمال عبد الناصر
خفايا الدور السعودى فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

"السعودية من يوم العدوان لغاية دلوقتى بتهاجمنا.. بتهاجمنا فى جرايدها وبتهاجمنا فى إذاعتها ، لكن لو بدينا إحنا بكره نهاجم السعودية كل الدنيا حتقول إن عبد الناصر ابتدا المهاترات وبيهاجم الملك فيصل، وباقول دلوقت بقى لنا شهر ونص من يوم المعركة، الجرايد السعودية بتهاجمنا، الإذاعة السعودية بتهاجمنا وتظهر الشماتة فينا، وبرغم كده، باقول إن إحنا قمنا بالواجب والرجال دايماً يقوموا بالواجب، ما هربناش من المعركة، كوننا خسرنا المعركة مش عيب، لكن لو كنا هربنا من المعركة كان دا اللى يكون عيب".

هذه هى كلمات الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ تعليقا على حملة الهجوم والشماتة التى شنها النظام السعودى بقيادة الملك فيصل بن عبد العزيز على هزيمة مصر فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧.

ولكن هل أقتصر الأمر على الشماتة السعودية فقط فى هزيمة مصر أم أن الأمر أعقد وأعمق من ذلك؟!

هذا ما سأعرضه موثقا من خلال هذه الدراسة.

فى شهر نوفمبر من عام ٢٠٠٧م كتبت مقالى (غياب عبد الناصر... هل كان صدفة؟!)، وفيه عرضت مجموعة من الوثائق المنشورة والمتاحة للجميع والتى تثبت وجود مخطط للتخلص من الرئيس جمال عبد الناصر ونظام حكمه قبل نهاية عام ١٩٧٠م.

كان من ضمن الوثائق التى نشرتها فى المقال وثيقة خاصة بالملك السعودى الراحل فيصل بن عبد العزيز نقلتها عن كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب/حمدان حمدان، والوثيقة عبارة عن رسالة من الملك فيصل إلى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون.

وهى وثيقة بتاريخ ٢٧ ديسمبر١٩٦٦ م، وتحمل رقم ٣٤٢ من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودى، وفيها يقول الملك السعودى:

"من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكرياً وإعلامياً، فلن يأتى عام ١٩٧٠ – كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت – وعرشنا ومصالحنا فى الوجود لذلك فأننى أبارك، ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا، أن اقترحوه، لأتقدم بالاقتراحات التالية:

- أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة، ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية، بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

- سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع اقتطاع جزء من أراضيها، كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر.

- لا بد أيضا من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة، كيلا يبقى للفلسطينيين أي مجال للتحرك، وحتى لا تستغلهم أية دولة عربية بحجة تحرير فلسطين، وحينها ينقطع أمل الخارجين منهم بالعودة، كما يسهل توطين الباقى فى الدول العربية.

- نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق، بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل، علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (١٩٦٥) بإمداد البرازانى بالمال والسلاح من داخل العراق، أو عن طريق تركيا وإيران.

يا فخامة الرئيس إنكم ونحن متضامين جميعا سنضمن لمصالحنا المشتركة ولمصيرنا المعلق، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها، دوام البقاء أو عدمه.

أخيراً أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة، وللولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو وارتباط أوثق وازدهار".

المخلص: فيصل بن عبد العزيز

ملك المملكة العربية السعودية

عندما قرأ السيد"سامى شرف" سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات وزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق تلك الرسالة/الوثيقة فى مقالى (غياب

عبد الناصر.. هل كان صدفة؟) على موقع منتديات الفكر القومى العربى قام بكتابة هذا التعليق :

"كنت فى زيارة لإحدى البلدان العربية الشقيقة سنة ١٩٩٥ وفى مقابلة تمت مع رئيس هذه الدولة تناقشنا فى الأوضاع فى المنطقة وكيف أنها لا تسير فى الخط السليم بالنسبة للأمن القومى وحماية مصالح هذه الأمة واتفقنا على انه قد حدث ذلك منذ أن سارت القيادة السياسية المصرية بدفع من المملكة النفطية الوهابية والولايات المتحدة الأمريكية على طريق الاستسلام وشطب ثابت المقاومة من أبجديات السياسة فى مجابهة الصراع العربى الصهيونى، ولما وصلنا لهذه النقطة قام الرئيس العربى إلى مكتبه، وناولنى وثيقة وقال لى : يا أبو هشام أريدك أن تطلع على هذه الوثيقة وهى أصلية وقد حصلنا عليها من مصدرها الأصلى فى قصر الملك فيصل، ولما طلبت منه صورة قال لى يمكنك أن تنسخها فقط الآن على الأقل وقمت بنسخها ولعلم الأخوة أعضاء المنتدى فهى تطابق نص الوثيقة المنشورة فى هذا المكان وقد راجعت النص الموجود لدى بما هو منشور أعلاه فوجدتهما متطابقين، أردت بهذا التعليق أن أؤكد رؤية مفادها ان عدوان ١٩٦٧ كان مؤامرة مدبرة وشارك فيها للأسف بعض القادة العرب وقد يكون هناك ما زال بعد خفيا عنا مما ستكشفه الأيام القادمة، رحم الله عبد الناصر العظيم، كان وسوف يظل البعبع لأعداء العروبة والوحدة، ولن يصح إلا الصحيح وإن طال الزمن".

كان هذا هو تعقيب الوزير"سامى شرف" على تلك الوثيقة بالغة الخطورة، وعندما تشرفت بلقائه سألته عن أسم الرئيس العربي الذى أطلعه على الوثيقة الأصلية لرسالة الملك فيصل بن عبد العزيز إلى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون؟

فأجابنى السيد "سامى شرف" : أنه الرئيس السورى الراحل "حافظ الاسد".

وبقراءة دقيقة للرسالة/الوثيقة يمكننا ملاحظة التالى:

- الخطة التى يقترحها الملك السعودى للعمل ضد الدول العربية تكاد تكون هى خطة الحرب الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧م.

- زوال العرش السعودى عام ١٩٧٠م إذا استمرت خطط جمال عبد الناصر واستمرت قواته فى اليمن، والجدير بالملاحظة أن عبد الناصر هُزم عسكريًا عام ١٩٦٧م وتوفى عام ١٩٧٠م.

- بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها، لا مانع لدينا من إعطاء

المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول

(أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

هذه الجملة الواردة فى الرسالة/الوثيقة هى ما تم فعلا بعد الهزيمة فى ١٩٦٧ عقب الهزيمة العربية فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧، تم عقد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ وفيه تعهدت الدول العربية البترولية(السعودية، الكويت، ليبيا) بتقديم مساعدات مالية إلى دول المواجهة مع إسرائيل لكى تستطيع مواصلة الحرب والعمل على محو أثار الهزيمة، كما أتفق الرئيس عبد الناصر مع الملك فيصل على حل لمشكلة اليمن تضمن عودة فرقتين مصريتين كانتا هناك إلى مصر.

كنت أول من نشر هذه الرسالة/الوثيقة نقلا عن كتاب(عقود من الخيبات) للكاتب"حمدان حمدان"، وقد انتشرت على الشبكة الإلكترونية ونسب الكثيرون الفضل لأنفسهم فى اكتشافها ونشرها، وليس هذا ما يعنينى فى الأمر ولكن المثير للسخرية فيه هو أن معظمهم لم يشر للكاتب "حمدان حمدان" ذاته، وهوأول من نشر الرسالة/الوثيقة فى كتاب مطبوع.

كانت شهادة الوزير "سامى شرف" عن الوثيقة هى أكثر ما يعنينى فى الأمر، فرجل المعلومات الأول فى نظام الرئيس عبد الناصر أقر بصحتها وهذا خير دليل على كونها غير مفبركة أو مزورة.

ويبدو أننى موعود باكتشاف الوثائق الموجودة بالكتب والتى لا يراها ولا يلحظها الباحثون المختصون بالتاريخ فأثناء قراءتى لكتاب (فى تاريخ الأمة العربية الحديث.. المشروع القومى الذى لم يتم) للدكتور"ذوقان قرقوط"، والصادر عن مكتبة مدبولى فى القاهرة عام ٢٠٠٦م، وجدت فى صفحتى ٥٠٥،٥٠٦ من الكتاب المفاجأة التالية حيث نشر الكاتب صورة أصلية من الوثيقة التالية:

توصيات اللجنة عن الوجود العدوانى المصرى فى اليمن

مولانا صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم

يا صاحب الجلالة:

بناء على توصياتكم الكريمة لوضع التقرير الخاص عن وجود العدو المصرى فى اليمن وتوجيهات جلالتكم لاقتراح ما نراه من موجبات إزالته، اجتمعت فى يوم ٥ رمضان ١٣٨٦ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ م – اللجنة الخاصة بمجلس

الوزراء بغياب بعض الأعضاء وحضور أصحاب السمو وعدد من الخبراء الأميركان الآتية أسماؤهم :

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية.

سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران.

سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

صاحب المعالى كمال أدهم مندوب رئيس الوزراء ومستشار المكتب الخاص.

السيد : كيم روزفلت مدرب خبراء وزارة الدفاع والقسم العسكرى الأميركى.

وقررنا ما يلى:

١- رفع التقرير المرفق لجلالتكم المتضمن — لخطة الخلاص — من العدو الجاثم فى اليمن- وكل الأعداء لرفعه بعد إقراره من جلالتكم إلى فخامة الرئيس لندون جونسون، والحذف منه أو الإضافة إليه ما ترونه جلالتكم.

٢- تأكد لنا بما لا شك فيه أبدا أن المصريين المعتدين لن ينسحبوا من اليمن ما لم يرغموا بقوة جبارة تضربهم وتشغلهم عنها بأنفسهم عنا إلى الأبد ، وأنه ما لم تتحرك صديقتنا العظيمة أميركا لدعم إسرائيل لردع المصريين فسوف لن يأتى عام ١٣٩٠ هـ او كما قال الخبراء الأميركان عام ١٩٧٠م — وفى هذه الأرض لنا ولأميركا بقية من وجود ؛ بعد أن تأكد لنا أن ما دفعناه من أموال شارك فى دفعها أصدقاؤنا الأميركان وشركة أرامكو زادت عن ألف مليون ريال بين أسلحة وذخيرة ونقليات وأدوية وعملة نقدية ورقية وفضية وذهبية ذهبت كلها دون جدوى ؛ ولسوف ندفع أضعافها فى سبيل نصرنا على المصريين والثوريين اليمنيين فى اليمن ؛ لكن هذه الأموال لن تجدى نفعا ما لم يتحرك أصدقاؤنا الأميركان لاقتلاع هذا العدو المشترك من جذوره ؛ إلا أن الشئ الذى يطمئن نفوسنا أن أميركا أصبحت متفقة بوجهة نظرنا أكثر مما مضى حسبما أخبرنا السيد كيم روزفلت والجنرال ليبى قائد القوات الضاربة فى الشرق الأوسط وإخوتنا الخبراء الأميركان الآخرون الذين كتبوا إلى مراجعهم العليا ، واستطاعت هذه المراجع إقناع الرئيس جونسون بجدوى مثل هذه التوصيات، إلا أن الرئيس جونسون طلب شخصيا إليهم (أن تكون المبادرة من جلالة الملك فيصل ليبعث برأيه فى الموضوع بصفته عاهل المملكة العربية السعودية المعتبرة فى المنطقة والمسئولة عن هذه المشكلة بالذات) ويقول الإخوة الخبراء الذين فاتحوا جونسون فى رغبة المملكة السعودية أن الرئيس جونسون أردف على قوله برغبته أن يكتب عاهل المملكة رسميا قائلاً:

(مع أنه سبق لإسرائيل أن تقدمت بطلب دعمها مستأذنة لخوض معركة حاسمة مع المصريين والسوريين تشل أنظارهم بعدها عن بعد النظر لشيء اسمه "القومية العربية" لكننا لم نرد للولايات المتحدة الأميركية أن تقدم على دعم إسرائيل فى معركة مصيرية كهذه فى منطقة أكثرها دول عربية تحيط بإسرائيل ما لم نأخذ رأى كبار أصدقائنا العرب فى المنطقة، وموافقة جلالة الملك فيصل وأسرته بالذات مع الاستئناس برأى الملك حسين، وبعد ذلك سنبدأ بدعم إسرائيل لإجراء عملية الشلل النهائى- لمصر وسوريا بواسطتها حينما نرمى بكل ثقلنا فى هذه المعركة لنضمن لها النجاح).

هذا هو حرفياً ما نقله لنا الخبراء الأميركان عن لسان الرئيس جونسون، وسيشرح الخبراء لجلالتكم هذا مفصلا. والله الموفق يحفظكم ويأخذ بيدكم لتحقيق الآمال.

اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء

٥ رمضان ١٣٨٦ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٦٦م

هذا هو النص الكامل لصورة الوثيقة المنشورة فى كتاب الدكتور "ذوقان قرقوط".

(فى تاريخ الأمة العربية الحديث.. المشروع القومى الذى لم يتم)

وهى مرقمة ومختومة بخاتم مجلس الوزراء السعودى.

هذه الوثيقة المنشورة هى اقتراحات وتوصيات اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء السعودى للخلاص من جمال عبد الناصر والجيش المصرى فى اليمن، عبر توجيه ضربة إسرائيلية أمريكية لمصر وسوريا.

وهذه هى التوصيات التى بناء عليها قام الملك فيصل بن عبد العزيز بكتابة رسالته للرئيس الأمريكى جونسون يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦م.

وهكذا نشر "حمدان حمدان" فى كتابه "عقود من الخيبات" الرسالة/الوثيقة للملك فيصل إلى الرئيس جونسون، ونشر الدكتور "ذوقان قرقوط" التوصيات والاقتراحات التى ادت للرسالة/الوثيقة فى كتابه (فى تاريخ الأمة العربية الحديث.. المشروع القومى الذى لم يتم).

ولكن هل هاتين الوثيقتين فقط هما الدليل على التآمر السعودى على مصر ودور النظام السعودى فى هزيمة يونيو ١٩٦٧م؟.

سننتقل الآن إلى أهم كاتب صحفى عربى فى التاريخ وهو الأستاذ "محمد حسنين هيكل" لكى نرى جوانب أخرى تكشف خفايا الدور السعودى فى هزيمة مصر والعرب فى حرب يونيو ١٩٦٧.

فقد نشر الأستاذ هيكل فى كتابه "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل- الجزء الثانى" الوثيقة التالية:

سجل السفير الأمريكى فى جدة (باركر هارت) فى برقية إلى وزارة الخارجية الأمريكية (وثيقة رقم ٤٣/٣٦٦٥١ بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٤) محضر مقابلة جرت بينه وبين الملك (فيصل بن عبد العزيز)

يقول السفير الأمريكى: "اتصل بى البروتوكول صباح أمس لإبلاغى أننى مطلوب فى الطائف فى الساعة ٤:١٥ ولم يعطنى البروتوكول أى إيضاحات فيما عدا أن هناك طائرة سوف تحملنى إلى الطائف بعد الظهر استقبلنى الملك فيصل فى قصر الشبرة فى الساعة التاسعة مساء فى حضور السقاف وفرعون، وقال الملك إن هناك شيئا حدث وهو يريد إخطارى به بنفسه كصديق شخصى لى وكممثل لبلد صديق له ولأسرته، ثم قال الملك إنه خلال يومين سابقين (يومى ١٣ و١٤ أغسطس) قامت ثلاث طائرات مصرية باختراق المجال الجوى السعودى جنوب شرق جيزان فوق مناطق قبائل الحارث وأبو عريش، وإن هذه الطائرات قامت بعدة دورات على ارتفاعات منخفضة فى محاولة ظاهرة للاستفزاز، كما أن لديه معلومات من داخل اليمن تؤكد أن هناك قوات مصرية تتحرك صوب الحدود السعودية، وقد حاولت أن أسأل الملك بإلحاح عن تفاصيل أكثر بشأن هذه المعلومات، ولم يكن لديه شيء لا عن حجم هذه القوات ولا عن تسليحها ولا عن مواقعها، وقد قال الملك إن هذه التطورات تثير فى ذاكرته ما سبق أن سمعه عن مؤامرة بين مصر والعراق والأردن (!) لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالى : حسين يأخذ الحجاز، والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية، واليمن تأخذ الجنوب، وباقى المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر.

قال لى الملك أيضا إن ناصر أوحى إلى صديقه الصحفى هيكل بأن ينشر خطة عن منظمة عربية للبترول، ثم أضاف إن السعودية محاصرة، وقد لا تكون السعودية دولة كبيرة أو قوية، ولكنها دولة تريد أن تحتفظ بأراضيها وشرفها، وإذا كان ناصر كما هو واضح يريد أن يضع يده على المملكة متصورا أن (فيصل) سوف يقف ساكتا فى انتظار أن يختنق، فهو مخطئ فى ذلك، وأشار الملك إلى أنه سوف يقاوم عسكريا، وهو قد أتخذ عدة قرارات يريد أن يبلغنى بها الآن:

١- قرر أن يدخل أسلحة إلى المنطقة المنزوعة السلاح على حدود اليمن وقد أصدر أمرا فعلا بذلك.

٢- إنه أعطى أوامر بالفعل إلى قواته أيضا بأن تحتشد على حدود اليمن لتكون فى وضع يسمح لها بأن تدافع عن السعودية.

٣- وهو الآن لا يعتبر نفسه مرتبطا باتفاق فصل القوات فى اليمن، وسوف يساند الملكيين بأى طريقة يراها مناسبة.

إننى أبديت دهشتى للملك، كما أبديت له إستغرابى لكل ما قاله عن الاتفاق الثلاثى بين مصر والعراق والأردن، ثم أطلعنى الملك على تقرير مخابرات سعودى يحوى معلومات عن أن ضباطا من الجيش المصرى رتبوا عملية لقتل ناصر يوم ٢٦ يوليو، وأضاف الملك (أن ناصر مريض جدا)، ثم أمر بإخلاء القاعة من كل الحاضرين عداه وعداى، وانتهزت الفرصة ورجوت الملك ألا يبعث بقوات إلى حدود اليمن، وأن يحتفظ بما يشاء من قوات فى أوضاع تأهب فى أى مكان يراه بعيدا عن الحدود، فتدخل الملك بحدة قائلاً: (أخرجوا القوات المصرية من اليمن وسوف ينهار هذا النظام الذى يدعون بمساعدته فى شهر أو اثنين على أكثر تقدير، ثم استجمع الملك حيويته ليقول لى (إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى)، وكان يعنى (ناصر) ثم قال لماذا تصبرون عليه؟

ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يوميا، مرة بسبب فيتنام، ومرة بسبب كوبا، ومرة بسبب الكونجو؟ ما الذى يخصه فى الكونجو؟ إن مقترحاته بشأن نزع السلاح فى جنيف جاءته مباشرة من فى شكل تعليمات من موسكو، وأبديت تحفظى ولكن الملك كان لا يزال يصر على أن (ناصر) يعادينا ويخدعنا، وإننا مازلنا نحاول استرضاؤه، وذكرته أننا عطلنا توريد القمح إلى مصر طبقا للقانون ٤٨٠ عقابا لناصر على سياسته، وعقب الملك أوقفوا عنه الطعام تماما وسوف ترون ما يحدث".

انتهى نص الوثيقة التى أوردها الأستاذ هيكل فى كتابه.

يقول الأستاذ هيكل فى تعليقه على هذه الوثيقة إن هذه المقابلة كانت غريبة وفاقدة للمصداقية لأنه بخلاف طلب الملك فيصل من الأمريكيين (تجويع المصريين وقطع القمح عنهم)، فقد كان الأردن حليفاً للسعودية فى حرب اليمن، ويضيف الأستاذ هيكل ان إسرائيل أيضا كانت تشجع التحالف المساند للملكيين فى اليمن ولعبت دورا هاما فى العمليات العسكرية أطلق عليه الاسم الكودى (مانجو)

حيث اشتدت حاجة قوات المرتزقة فى اليمن إلى مؤن وذخائر تلقى على مواقعهم من الطائرات بالباراشوت وقد قام الطيران الإسرائيلى بهذا الدور.

فى كتابه "الانفجار ٦٧" الصادر عام ١٩٩٠ م، ذكر الأستاذ هيكل الواقعة التالية، : فى يوم ٢١ يونيو ١٩٦٦ وصل الملك فيصل بن عبد العزيز إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى زيارة رسمية، وكانت مجموعة المقدمة السعودية قد سبقته وأوضحت للمسئولين الأمريكيين ان الخطر بالنسبة للسعودية ليس إسرائيل، وأن الخطر الحقيقى هو حركة القومية العربية كما تمثلها القاهرة ونظام حكم جمال عبد الناصر، وأن السعودية مصرة على تنفيذ فكرة المؤتمر الإسلامى كبديل لجامعة الدول العربية، وخلال الزيارة التقى الملك فيصل بالرئيس الأمريكى جونسون لمدة نصف ساعة فى اجتماع منفرد لم يحضره معهما إلا مترجم من المخابرات الأمريكية وليس وزارة الخارجية كما جرت العادة، وقد أذيع تصريح بعد الاجتماع المنفرد جاء فيه :

(إن تدهور الأوضاع فى اليمن بعد تعثر اتفاق جده وفشله قد جرى بحثه بين الرئيس والملك، وأن الرئيس قدم للملك تعهد الولايات المتحدة بأن السعودية تستطيع الاعتماد على صداقة أمريكا مهما كانت تطورات الأمور فى اليمن).

وفى كتابه (عام من الازمات) الصادر عام ٢٠٠١م، عاد الأستاذ هيكل مرة أخرى لتناول الدور السعودى فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ م،فخلال الجزء الذى خصصه فى الكتاب عن الوثائق الإسرائيلية المفرج عنها بخصوص حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ نجد التالى:

أن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى مايو ١٩٦٧م، وبعد أن تم تجهيز كل الخطط لضرب مصر، أراد أن يستوثق من احتمالات غضب الشارع العربى على العروش العربية فى حالة شن إسرائيل الحرب على مصر وقد أستقر رأيه بعد التشاور مع مساعديه على التوجه بالسؤال مباشرة إلى ملكين فى المنطقة تعتبر الولايات المتحدة عرشهما مسألة هامة لأمنها القومى، وهما الملك حسين بن طلال فى الأردن، والملك فيصل بن عبد العزيز فى السعودية، وبالفعل قابل روبرت كومار مساعد الرئيس جونسون الملك حسين فى عمان يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧، كما توجه ريتشارد هيلمز مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لمقابلة الملك فيصل بن عبد العزيز فى نفس اليوم فى لندن التى كان الملك فيصل فى زيارة رسمية لها من أجل تخيير الحكومة البريطانية بين حلين:

الأول: تأجيل تنفيذ سياسة الانسحاب من شرق السويس، واستمرار بقاء

القوات البريطانية فى المنطقة لسنة كاملة على الأقل حتى يتمكن الجميع من ترتيب أوضاعهم، وإلا فإن إتمام الانسحاب البريطانى فى المواعيد المعلنة عام ١٩٦٨ م كما أعلن رسميا من مجلس العموم البريطانى، سوف يخلق فراغا يملؤه الجيش المصرى ويدخل إلى عدن ذاتها.

الثانى: أن تبذل الحكومة البريطانية مساعيها لإقامة تجمع يضم كل دول شبه الجزيرة العربية والخليج لكى يكون للمنطقة تجمع إقليمى تتمايز به عن الجامعة العربية، ويكون للسعودية فيه دور مؤثر يوازى الدور المصرى فى جامعة الدول العربية التى يوجد مقرها فى القاهرة.

وقد تمت المقابلة بين الملك فيصل وريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ فى جناح الملك فى فندق دورشستر وحضر المقابلة بين الملك وهيلمز السيد كمال أدهم مستشار الملك الخاص ورئيس المخابرات السعودية وشقيق زوجته (الملكة عفت)، أستمر الاجتماع من العاشرة مساء وحتى الثانية صباحا وقد تم تأمين مكان الاجتماع بواسطة خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وعاد هيلمز عقب الاجتماع إلى واشنطن لإخطار الرئيس الأمريكى بما دار مع الملك فيصل، وكما نعلم جميعا بعد هذا اللقاء بأسبوع اندلعت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م.

كما يروى الأستاذ هيكل فى كتابه (عام من الأزمات) تلك الواقعة المليئة بالدلالات، حيث قابل الأستاذ هيكل السيد "كمال أدهم"- رئيس المخابرات السعودية خلال حكم الملك فيصل بن عبد العزيز- فى بيته فى لندن فى ربيع عام ١٩٨٥ م، وفى اللقاء سأله الأستاذ هيكل عما جرى فى اجتماع الملك فيصل بريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧، وهل كان الملك يعرف بالتدابير الأمريكية والإسرائيلية لمصر ولجمال عبد الناصر؟

ورد عليه السيد كمال أدهم قائلا " أسمع لست سياسيا مثل الآخرين أقول أى كلام والسلام، ما سألتنى فيه لن أرد عليه، ولكنى أريدك أن تعلم، وأنا أقولها لك بمنتهى الصراحة، صديقك الرئيس جمال كان فى مواجهة مفتوحة وعنيفة ضد المملكة، والمعركة كانت سياسية ونفسية وأخيرا أصبحت عسكرية فى اليمن، والملك فيصل مسئول عن مملكته، مسئول أمام أسرته، مسئول أمام أخوته وأبنائه يسلم لهم الأمانة كاملة كما استلمها، واجبه واضح أمام العرش والأسرة، وعليه أن يتصرف بما يحقق (المصلحة) وهذا هو كل شيء وليس هناك شيء أخر، لا تستطيع أن تسائل الملك فيصل إلا فيما هو مسئول عنه "العرش والأسرة"، وهل نجح فى حمايتهما طوال حكمه أم لم ينجح؟ وهل كانت المملكة أقل أو أكثر استقرارا عندما تركها عما كانت عليه عندما تسلمها؟هذا هو المحك، كان

الخطر الأكبر علينا أيام ملكه هو صديقك الرئيس جمال وبالنسبة لنا فى المملكة فإن فيصل أنتصر فى التهديد الذى مثله علينا الرئيس جمال، ونحن لا نتعب رؤوسنا بكثرة الأسئلة ولا بالخوض فى الحكايات والتواريخ، ويتابع الأستاذ هيكل روايته لتفاصيل اللقاء، وسكت السيد كمال أدهم وهو يشعر أننى أتابعه بتركيز شديد ثم قال : كنت صريحا معك لم أتكلم كلام سياسيين ولم أتكلم كلام رجل غامض كلمتك بصراحة وأنت حر فيما تفهمه مما قلت".

ويضيف الأستاذ هيكل أنه سمع نفس فحوى كلام "كمال أدهم" من أحد الأمراء الشبان البارزين فى الأسرة السعودية فيما بعد.

لم يسقط نظام الرئيس جمال عبد الناصر فى مصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وبالتالى لم يتحقق الهدف السياسى من الحرب كما لم تتوقف مؤامرات النظام السعودى على مصر بعد الهزيمة.

- بينما انا أقرأ كتاب (جمال عبد الناصر.. أخر العرب) للكاتب الفلسطينى الأمريكى/ سعيد أبو الريش، والصادر عن "مركز دراسات الوحدة العربية"، وجدت فى صفحة (٣٦١) من الكتاب المفاجأة التالية، حيث كتب سعيد أبو الريش: "قام السعوديون، على وجه الخصوص، بنشر مذكرات زائفة تعزى إلى عامر، تحمل عبد الناصر الذنب عن حالة عدم تهيئة الجيش المصرى، وتشرح الاستراتيجية التى أنتجت النكسة.

هذه المذكرات الكاذبة هى من تلفيق المخابرات السعودية، مع أرجحية مساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى إعدادها.

لقد سلم المذكرات إلى والدى الذى كان مراسل مجلة تايم "نواف بن عبد العزيز" الذى أصبح فيما بعد مساعدا لأخيه الملك "فيصل" الذى تظاهر بتفضيله صديقا قديما يعمل فى الصحافة.

لقد قرر والدى ومعه زمرة من القراء، أن وثيقة المذكرات صادقة لا غبار عليها.

لكن مجلة لايف بعد نشرها مقتطفات ثلاثة منها، اكتشفت أنها غير صحيحة،وهو ما أثار دهشة محررى لايف وأبى على السواء.

فقد أبلغهم اللواء راضى عبد الله، رئيس المخابرات الأردنية، أنه شارك فى إعدادها.

وقد جاءت هذه المذكرات، بجانب جملة من النشاطات الأخرى، مثل دعم

الإخوان المسلمين بالمال، لتقنع عبد الناصر أن ينحى قمة الخرطوم جانبا، ويقتنع أن السعوديين مازالوا مصممين على الإطاحة به، فإن لم يكن فتقزيمه على الأقل.

وهكذا أصبح مؤتمر الخرطوم مجرد لعبة تآمرية قصد منها استرضاء الجماهير العربية لا أكثر ".

وفى هامش الصفحة أشار الكاتب إلى التوضيح التالى: "حتى لا يبدو هناك تناقض فأن مجلتى تايم ولايف الأسبوعيتين كانتا تصدران عن مؤسسة صحفية أمريكية واحدة باسم تايم- لايف، وذلك قبل أن تتوقف لايف عن الصدور نهائياً فى عام ١٩٧٢ بعد أن كانت تحولت إلى مجلة شهرية لبعض الوقت".

هذه شهادة شاهد عيان عن حقيقة تلك المذكرات التى فبركها السعوديون ونسبوها زوراً للمشير الراحل عبد الحكيم عامر.

ويبدو أن غرام الملك فيصل بن عبد العزيز والمخابرات السعودية بتزييف الكتب والوثائق لتشويه جمال عبد الناصر وعهده لم يقف عند تلك المحاولة بل لحقتها محاولات أخرى عديدة كان أشهرها وأخطرها كتاب(لعبة الأمم) لمندوب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مايلز كوبلاند.

ففي عام ١٩٦٩ نشر مندوب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (مايلز كوبلاند) كتابه ذائع الصيت (لعبة الأمم) والذي أوحى فيه بصلة الثورة المصرية وجمال عبد الناصر بالولايات المتحدة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد أصبح هذا الكتاب بمثابة المرجع الرئيسي لكل أعداء عبد الناصر وثورته، وفى عام ١٩٨٨ نشر الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه (سنوات الغليان) الذي أورد فيه مجموعة من الوثائق والرسائل التي تثبت أن كوبلاند نصاب ومحتال، وأنه نشر كتابه بأوامر أمريكية في إطار الحرب الأمريكية المستمرة على عبد الناصر والتي تهدف لتشويه سمعته من أجل اغتيال شخصيته معنوياً في أعين الجماهير العربية بعد الهزيمة.

- وقد هاج كوبلاند بعد أن فضحه الأستاذ هيكل بالوثائق، وهدد الأستاذ هيكل برفع قضايا ضده، وحتى الآن بعد مرور كل تلك السنوات على صدور كتاب (سنوات الغليان) لم يفعل كوبلاند شيء مما هدد به، وفى سلسلة حوارات للأستاذ هيكل لمجلة روز اليوسف في منتصف التسعينيات صرح أن كتاب مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) مولته المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٩ في إطار سعى الملك فيصل بن عبد العزيز الدءوب للقضاء على شعبية جمال عبد الناصر بين الشعوب العربية، وهو السعي الذي وافق هوى المخابرات المركزية الأمريكية

ومندوبها مايلز كوبلاند، وأشار الأستاذ هيكل إلى أن أي كتاب يصدره أحد العاملين فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لابد أن يحصل على موافقة مسئولى الوكالة، وتتم عملية مراجعة دقيقة لما يحتويه لمعرفة مدى خدمته لمصالح وغايات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأهداف السياسة الأمريكية وهو ما خضع له بالطبع كتاب (لعبة الأمم).

المدهش فى الأمر أن هناك كتب عربية عديدة ظهرت كان مرجعها الأساسى والرئيسى هو كتاب (لعبة الأمم) مثل كتاب (ثورة يوليو الأمريكية) لمحمد جلال كشك،وقد راجت تلك الكتب وأصبح بعض الموتورين من الثورة وقائدها يستعينون بها فى إطار هجومهم على ثورة ٢٣ يوليو.

- لم يكتف النظام السعودى بالتورط فى تدبير الهزيمة لمصر فى عام ١٩٦٧ بل أيضا أنخرط فى عملية الاغتيال المعنوى لشخصية جمال عبد الناصر ونظام حكمه أثناء حياة جمال عبد الناصر كما نرى.

فى الحلقة الأخيرة من برنامج "مع هيكل" - مجموعة الطريق إلى أكتوبر- عرض الأستاذ هيكل مجموعة من الوثائق عن الأطراف التى تريد قتل جمال عبد الناصر وتلح عليه قبل نهاية عام ١٩٧٠، وقبل أن يبدأ حرب التحرير ضد إسرائيل وكان من ضمن تلك الأطراف النظام السعودى، وللسعوديين باع طويل فى وضع المؤامرات للتخلص من جمال عبد الناصر سواء فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز أو فى عهد خلفه الملك فيصل بن عبد العزيز، وقد روى الأستاذ هيكل تفاصيل بعض تلك المؤامرات فى كتابه (سنوات الغليان)، كما نشرها الدكتور"رفعت سيد أحمد"فى دراسته الموثقة "مؤامرات مجهولة لاغتيال عبد الناصر".

هذا ما تخبرنا به الوثائق التى تم كشفها حتى الآن عن خفايا الدور السعودى فى التآمر على مصر خلال عهد الرئيس جمال عبد الناصر،فمن التحريض على تجويع المصريين إلى حث الأمريكيين على ضرب مصر عسكريا عام ١٩٦٧م، إلى تلفيق وفبركة الكتب والمذكرات لتشويه تاريخ جمال عبد الناصر وثورته،إلى التخطيط الدائم لاغتيال جمال عبد الناصر والخلاص منه.

وما خفى كان أعظم.

عروبة مصر..
هل كانت مغامرة ناصرية خاسرة؟

"إن هدفنا من التحرك إلى الشام هو إعادة الأمن إلى نصابه واسترجاع حقوق عزيز مصر وعمل الخير للأمة الإسلامية وتأمين سلامة الحدود وخدمة الدين والدولة وإنقاذ الأمة الإسلامية من كارثة التشتت والاضمحلال، فالشام هى بوابة الديار المصرية".

هذه الكلمات لحاكم مصر محمد على باشا كما وردت بالنص في الجزء الثانى من المحفوظات الملكية، فقد أدرك الباشا الألبانى الأصل أن أمن مصر موجود في الشام (فلسطين، الأردن، لبنان، سورية) الآن، وأن من يريد السيطرة على مصر عليه أولا السيطرة على الشام.

في تشرين الأول- أكتوبر ١٨٣١ يهاجم الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا عكا مدعما بالأسطول المصري في البحر المتوسط وفى مدة وجيزة ينجح إبراهيم باشا فيما فشل فيه نابليون بونابرت قبله ويستولى على عكا ومعظم المدن الساحلية في الشام، وتدخل باقى المدن السورية طواعية في حكم مصر هربا من وحشية الحكم العثمانى، وفى يونيو ١٨٣٢ يدخل الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا مدينة دمشق، وفى يوليو ١٨٣٣ تقع معركة (بيلان) بين الجيش المصري والجيش العثمانى ويمزق الجيش المصري الجيش العثمانى ويشتت فلوله ويتوغل في الأناضول ويطلب إبراهيم باشا من والده محمد على باشا السماح له بالتوغل في تركيا ودخول الأستانة، فقد كان إبراهيم باشا أبعد نظرا من والده وأكثر ميلا لانتهاز تلك الفرصة التاريخية للقضاء على الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض)، والاستقلال بالأقطار العربية وإعلان الدولة العربية وقاعدتها مصر، ولكن محمد على باشا منع ولده من تنفيذ حلمه وذلك لخشيته من تحالف القوى الأوروبية ضده، وهو خطأ سيندم عليه فيما بعد عقب فشل محاولاته للحصول على استقلال مصر والشام بالطرق الدبلوماسية من بريطانيا وفرنسا وهو ما قوبل بالرفض التام من كلتيهما.

في ٢٩ أيار- مايو ١٨٣٤ يكتب القنصل الإنجليزى العام في الإسكندرية إلى حكومته "إن الدولة السياسية الموحدة (مصر والشام) التي تتشكل تحت حكم محمد على تمثل قوة ضارة بمصالح إنجلترا في الشرق الأوسط وخاصة إذا استقامت في مملكة منسجمة قوامها العروبة".

ويكتب المستشار النمساوى مترنيخ في ٢٠ تشرين الثاني- نوفمبر ١٨٣٤ إلى قيصر روسيا نيقولا الأول محذرا من مشروع محمد على الرامى إلى الاستقلال وخلق دولة عربية قوية مركزها مصر والشام.

وفى يوم ٤ آب- أغسطس ١٨٣٩ يتلقى محمد على باشا رسالة من بالمرستون

وزير خارجية بريطانيا حملها له القنصل الإنجليزى العام في مصر تقول (إن إنجلترا تعترض على الوجود المصري الحالى في الشام، ولكن أوروبا كلها لا تعترض على توسع مصر في أفريقيا بل على العكس ستنظر إليه بعين العطف، ويستطيع محمد على باشا أن يضمن هناك عدم تعرضه لأى هجمات بل مساعدته أيضا في مهمته).

هكذا وبمنتهى الصراحة بريطانيا تشجع محمد على باشا على التوسع المصري في أفريقيا ولكنها تعارض وتمانع الوجود المصري في الشام وقيام دولة عربية موحدة من مصر والشام، وعندما يرفض محمد على باشا الانصياع للأوامر البريطانية تجتمع عليه أوروبا كلها لتطرد مصر من الشام بعد مواجهة شرسة تنتهى بخروج القوات المصرية من الشام وفرض اتفاقية لندن ١٨٤٠ على مصر والتى قيدت مصر بشروط خاصة بتحديد حجم وتسليح الجيش المصري لتبدأ عملية تقويض الإرادة السياسية المصرية، فمصر التي تم إجبارها بالقوة على الانسحاب من الشام ومن فلسطين تتكفئ إلى الداخل وتتخلى عن عمقها الاستراتيجي في المشرق العربي، وتفكك صناعاتها الوطنية وتفتح أبوابها للمنتجات الأوروبية وللتدخلات الخارجية في سياساتها الداخلية حتى ينتهى الأمر باحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢.

كان الاحتلال هو المحصلة النهائية لخروج مصر من الشام وتحولها من قوة إقليمية عظمى إلى مستعمرة بريطانية.

ولكن هل يكفى هذا لدرء خطر الوحدة العربية ولنفى احتمال تكرار توحد العرب في كيان واحد مستقل وقوى؟!

لا لم يكتف أعداءنا بذلك لأنهم لا يحاربوننا بالقطعة بل عبر مخطط طويل المدى، قبيل إجبار محمد على بالقوة على القبول باتفاقية لندن ١٨٤٠ وما ترتب عليها من الخروج المصري من الشام، قامت إنجلترا في ١٩ أيلول- سبتمبر ١٨٣٩ بتعيين أول قنصل مقيم لها في مدينة القدس من أجل إقامة أول مستعمرة يهودية في فلسطين.

وفى يوم ٢٤ كانون الثاني- يناير ١٨٣٩ تنشر جريدة التايمز البريطانية مقالا تطالب فيه بوقوف بريطانيا بجوار اليهود من أجل استعادة حقوقهم في فلسطين وإقامة دولة لهم هناك تضمن خروج مصر من فلسطين ومنطقة الشام كلها وتحجز مصر في أفريقيا بعيدا عن المشرق العربي.

وفى نفس العام ١٨٣٩ تقرر بريطانيا حماية اليهود المتواجدين في فلسطين، رغم أن بريطانيا ذاتها لم تمنح اليهود حقوقهم في بريطانيا إلا في عام ١٨٩٠ أى بعد ٥١ سنة من قرارها بحمايتهم في فلسطين، وهكذا وضعت بريطانيا اللبنة الأولى

للمشروع الصهيونى في فلسطين من أجل عزل مصر عن الشام عبر زرع كيان دخيل على الوطن العربي يعمل كقاعدة متقدمة لحماية مصالح الإمبريالية البريطانية ويعوق بالقوة أى محاولة للوحدة العربية.

ولأن الإمبراطوريات الاستعمارية مصالحها واحدة وإن تبدلت أسماءها فالولايات المتحدة الأميركية هى التي منحت إسرائيل شهادة ميلادها الرسمية في ١٥ أيار- مايو ١٩٤٨ لتعمل كقاعدة متقدمة للإمبريالية الأميركية فوجود إسرائيل في الوطن العربي ككيان دخيل معادى للمحيط العربي هو خير ضمان لمنع أي محاولات للوحدة العربية فهى تمثل حاجز بين مشرق ومغرب الوطن العربي، كما أن وجودها سيلعب الدور الأبرز في وأد أى مشروع نهضوى عربى في المنطقة ويبدد الآمال المعقودة على الاستفادة من عوائد النفط لصالح تقدم الوطن العربي.

فشلت الجيوش العربية بسبب نقص الاستعداد وغياب التخطيط والخيانة في التصدى للمشروع الصهيوني، وخسر العرب حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وضاع من أرض فلسطين ٧٨٪ من مساحتها، تأسست عليها دولة إسرائيل.

فى فجر يوم ٢٣ تموز- يوليو ١٩٥٢ يفجر جمال عبد الناصر الثورة المصرية، فالضابط الشاب الذي حارب في فلسطين عام ١٩٤٨ وحوصر في الفالوجة، عاد من الحرب ساخطا على الأوضاع السياسية في وطنه وفى الوطن العربي كله، عاد حالما بقلب تلك النظم الحاكمة المفلسة والعميلة والتى رأى أنها صنعت الهزيمة قبل أن تنتصر إسرائيل فعلا على أرض المعركة وتغتصب ٧٨٪ من فلسطين، لمس جمال عبد الناصر مأساة فلسطين على الأرض عن قرب وأدرك الهدف الحقيقى من زرع إسرائيل في قلب العالم العربي وأيقن أن أمن مصر القومى موجود خارج حدودها موجود في الشام، لذا عندما كتب كتابه الشهير (فلسفة الثورة) حدد الدوائر التي سوف تتحرك من خلالها السياسة الخارجية المصرية من خلال الدائرة العربية ثم الدائرة الأفريقية ثم الدائرة الإسلامية ومن خلال العمل عبر تلك الدوائر وأولها الدائرة العربية حدد جمال عبد الناصر هوية وانتماء مصر العربي وعقب استقرار الأمور للرئيس جمال عبد الناصر على الصعيد الداخلى في مصر قام بتكليف أجهزته بدراسة أوضاع الوطن العربي ووضع الخطط لتحريره من الاستعمار إيمانا منه أن حرية العرب من حرية مصر وأن استقلال مصر سيظل منقوصا طالما لم تتحرر كل الدول العربية.

عندما قرأ دافيد بن غوريون مؤسس إسرائيل كتاب (فلسفة الثورة) لجمال عبد الناصر، قال أن هذا الكتاب أسوأ من كتاب (كفاحي) لهتلر،

لأن قيام النظام الجديد في مصر بدور قيادي نشط في الوطن العربي سيدفع بالأمور تجاه الحرب مع إسرائيل.

يبرز الوجه العربي الصرف لمصر الثورة التي تدعم وتساعد كل حركات التحرر العربية ماديا وإعلاميا وتخوض حرب ضروس ضد قوى الاستعمار القديم في الوطن العربي، فتنفجر ثورة الجزائر عام ١٩٥٤ في وجه فرنسا وتخوض مصر حرب ضروس ضد حلف بغداد في نفس العام، وعندما ترفض الولايات المتحدة الأميركية طلب الرئيس عبد الناصر منها تسليح الجيش المصري، يكسر الرئيس عبد الناصر احتكار الغرب للسلاح ويعقد أول صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥ مما يجعله في أعين الجماهير يبدو كبطلها وأملها في التحرر والوحدة واللحاق بالعصر، وعندما ترفض الولايات المتحدة مساعدة مصر في تمويل السد العالى وتشهر بمصر وبالرئيس عبد الناصر، ينتهز الرئيس عبد الناصر الفرصة ليحقق حلمه بتأميم شركة قناة السويس، ليضرب بسيف البطل بين عيني الطغاة ويكرس مكانه إلى الأبد في التاريخ كثائر أممي ضد الاستعمار، وبصمود الشعب المصري بقيادة الرئيس عبد الناصر أمام العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ والدعم العربي لها أثناء العدوان، تخرج مصر منتصرة من تلك الحرب وتتعزز مكانة الرئيس عبد الناصر في مصر وفي الوطن العربي وأيقن العرب أن عهدا جديدا قد بدأ وأن بطلا عربيا فذا قد ظهر على مسرح التاريخ.

كانت سورية أول بلد عربى يستقل بعد الحرب العالمية الثانية وكانت هى مهد الحركة العربية ومنبت القومية العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر في مواجهة عنصرية الحكم التركى الذي قادته حكومة الاتحاد والترقى في العقد الأول من القرن العشرين، وكانت سورية هى مركز الثورة العربية الكبرى خلال الحرب العالمية الأولى تلك الثورة المظلومة تاريخيا التي ركب الهاشميون موجتها وأجهضوا أهدافها من أجل ضمان حصولهم على عروش لهم، ورغم فشل الثورة وتمزيق سورية الكبرى إلى أربع دول (سورية، لبنان، الأردن، فلسطين) إلا أن فكرة القومية العربية وتوحيد سورية ظلت حلما وغاية يسعى لها القوميون العرب، وفى منتصف الخمسينيات بدأ حزب البعث في سورية يشجع الوحدة مع مصر ويرى في عبد الناصر أمله المنتظر في تحقيق أهداف الحزب القومية في سورية وفى الوطن العربي، فهو أول حاكم مصرى في التاريخ يتبنى القومية العربية ويدعو للوحدة العربية مدعما بكل إمكانيات مصر كقطر قاعدة يمثل أهم وأقوى الأقطار العربية الكفيلة بنجاح الوحدة العربية كما أنه يمتلك رصيدا من الانجازات عند الجماهير العربية على امتداد الوطن العربي كله ويتمتع بجاذبية شخصية شديدة،

تضافرت كل تلك العوامل لتفرض السؤال الملح ما الذي يعوق الوحدة بين مصر وسورية؟، خاصة أن سورية وقعت منذ استقلالها في دائرة الانقلابات المتتالية المدبرة خارجيا من أجل السيطرة عليها، وبعد الخلاص من حكم أديب الشيشكلى اتخذت الحكومة الوطنية التي تكونت في سورية موقف مؤيد على طول الخط لسياسات عبد الناصر، ولعب الضباط السوريون من ذوى الاتجاه القومى العروبى بقيادة عبد الحميد السراج دورا بارزا في مساعدة مصر أثناء العدوان الثلاثى بنسفهم لخط أنابيب البترول الذي يمر عبر سورية حاملا البترول إلى أوروبا، وأصبح واضحا لكل القوى الطامعة في المنطقة أن هناك محور مصرى سورى مناهض للغرب وعملاءه يناهض حلف بغداد ويخرج منتصرا من حرب السويس ويعمل على إفشال مبدأ إيزنهاور لملء الفراغ في المنطقة بعد هزيمة الاستعمار القديم، لذا يبدأ التخطيط الأميركى للسيطرة على سورية الحلقة الأضعف في المحور المصري السورى وتدبر المخابرات الأميركية انقلابا في الأردن يطيح بحكومتها الوطنية كخطوة أولى للإطاحة بالحكومة الوطنية في سورية، وتحشد أميركا كل حلفاءها في المنطقة عبر خطة محكمة يقودها ضابط المخابرات الأميركى هندرسون لترتيب الانقلاب في سورية، وتتجمع القوات المسلحة التركية على الحدود السورية والقوات المسلحة العراقية على الحدود السورية انتظارا لإشارة البدء بغزو سورية، وعندما يطلب السوريون مساعدة مصر يقرر الرئيس عبد الناصر إرسال أسطول مصرى يضم بضع ناقلات للجنود وثلاث مدمرات تصل إلى ميناء اللاذقية السورى في ١٣ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٥٧ لتحمى استقلال سورية وتحبط مخطط الغزو الخارجى وتحدث دويا عالميا يوضح أن مصر لن تسمح بترك سورية نهبا للمؤامرة العالمية وأن استقلال سورية من استقلال مصر.

تعالت الأصوات في سورية المطالبة بالوحدة مع مصر، ورأى قادة البعث الرئيس عبد الناصر كأنه (بسمارك العرب) الذي يملك القوة والشعبية الكفيلة للبعث بإحكام سيطرته على سورية، وساعد في ذلك عجز أجنحة الجيش السورى المتصارعة على الاتفاق على زعامة تتولى أمور سورية، مما جعل قيادات حزب البعث تشجع الضباط السوريين في مسعاهم للوحدة الفورية مع مصر.

وفى ليلة ١١- ١٢ كانون الثاني- يناير ١٩٥٨ توجه إلى القاهرة ١٤ ضابطا يمثلون كل مراكز القوى في الجيش السوري يحملون معهم مذكرة وقع عليها جميع أعضاء المجلس العسكري السوري تطالب بالوحدة الفورية.

رفض الرئيس عبد الناصر الاستجابة لطلب الضباط السوريين إلا إذا طلبت الحكومة السورية الشرعية والرئيس السورى شكرى القوتلى منه الوحدة، وفى

يـوم ١٦ ينـاير ١٩٥٨ يعـود الـضباط الـسوريين وبـصحبتهم قطـب حـزب البعـث ووزيـر الخارجيـة الـسورى صـلاح البيطـار لـيعلن أمـام الـرئيس عبـد النـاصـر: (إن الحكومـة السورية تريد إتمام الوحدة كمطلب شعبى وقومى دائم، وكطريق لا بـديل غيره إلى استقرار سورية).

وافق الرئيس عبد الناصر على قبول الأمـر مبـدئيا ولكنـه وضـع ثلاثـة شـروط لقبوله الوحدة الفورية:

١ـ أن يـتم إجـراء اسـتفتاء شـعبى علـى الوحـدة في مـصر وسـورية، حتـى يقـول الشعبان المصري والسورى رأيهما في الوحدة ويعبرا عن إرادتهما الحرة.

٢ـ أن يتوقف النـشاط الحزبـى الـسورى، وأن تقـوم كـل الأحـزاب الـسورية دون استثناء بحل نفسها.

٣ـ أن يتوقـف تـدخل الجـيش الـسورى في الـسياسة توقفـا تامـا، وأن ينـصرف ضبـاطه إلى مهـامهم العـسكرية لـيصبح الجيش أداة دفـاع وقتـال، ولـيس أداة سـلطة وسـيطرة، هـذا يعنـى خـروج كـل قـادة الكتـل الـسياسية في الجيش وفـى مقـدمتهم أعضاء المجلس العسكرى من الخدمة العسكرية، وتفرغهم للعمل السياسى.

ورفض الرئيس عبد الناصر أى تفاوض حول تلك الشروط التي نمت عـن دهـاء سياسـى بـالغ وبعـد نظـر ملحـوظ، فهـذه الـشروط تعنـى أن الوحـدة مطلـب شـعبى جمـاهيرى ولـيس نخبـوى سـلطوى كمـا أنهـا تفـرغ الـساحة الـسياسية الـسورية مـن الأحزاب الـتي سـببت القلاقـل داخليـا وخارجيـا في سـورية، كمـا أنهـا تعـزل الـضباط السوريين المسيسين عـن مـصادر قـوتهم في الجيش، وتجعـل مـن الـرئيس عبـد النـاصر صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في دولة الوحدة.

وافق قادة حزب البعث على شروط الرئيس عبد الناصر على أمل أن يـسيطروا علـى (الاتحـاد القـومي) التنظيـم الـسياسـي الوحيـد لدولـة الوحـدة ويكونـوا هـم القـوة المحركة له في ظل خلو الساحة من الأحزاب الأخرى، خاصة أنهم مهندسـو الوحـدة، وبأمل أن تكون لهم الأفكار وللرئيس عبد الناصر الزعامة، وقـد خـاب مـسعاهم في ذلك لأن الرئيس عبد الناصر كان أكثر منهم ذكـاء، وكانت رؤيتـه لدولـة الوحـدة تمنـع وجـود أى مركـز قـوى داخـل التنظـيم الـسياسـى أو داخـل الـسلطة الـسياسية يمكن أن ينازعه قراراته أو يشكل قيدا على حركته.

كان الشعب السورى متقدا بالحماس للوحدة، وشكلت إرادته وحبـه للـرئيس عبـد النـاصـر قـوة ضـاغطة علـى الـسياسيين والعـسكريين في سـورية، وفـى ١ فبرايـر ١٩٥٨ أعلـن عـن الاتفـاق علـى أسـس الوحـدة بـين مـصر وسـورية، وفـى يـوم ٥ فبرايـر

١٩٥٨ عقد مجلس الأمة المصري اجتماعا في القاهرة، كما عقد مجلس النواب السورى اجتماعا في دمشق، قرر كل مجلس في اجتماعه الموافقة على طرح أسس الوحدة في استفتاء عام يجرى يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ مع ترشيح جمال عبد الناصر رئيسا لدولة الوحدة التي حملت أسم (الجمهورية العربية المتحدة)، وتم الاستفتاء في موعده المحدد وجاءت نتيجته كاسحة لصالح الوحدة ورئاسة جمال عبد الناصر للجمهورية العربية المتحدة، ويوم ٢٤ شباط- فبراير ١٩٥٨ يصل الرئيس عبد الناصر إلى دمشق لأول مرة في حياته ويستقبله الشعب السورى استقبالا أسطوريا في مشهد غير مسبوق في التاريخ، حيث زحف ملايين السوريين واللبنانيين والأردنيين لرؤية الرجل الذي تعلقت به قلوبهم ورأوا فيه السبيل إلى تحقيق مطامحهم وأمالهم، كان ما حدث مثارا لقلق كل النظم العربية والإقليمية التي نظرت بعين الريبة إلى ما اعتبرته توسعا مصريا بقيادة جمال عبد الناصر يسعى إلى خلق إمبراطورية مصرية، فقد أبدى الملك السعودي سعود بن عبد العزيز رفضا قاطعا للوحدة بين مصر وسورية لأنه رأى فيها تعاظما لنفوذ مصر الإقليمي والدولي لذا حاول إفشال الوحدة عبر تدبير مؤامرتين لاغتيال الرئيس عبد الناصر، الأولى عن طريق رشوة العقيد عبد الحميد السراج مدير المكتب الثاني في سورية بمبلغ ١٢ مليون جنيه إسترليني، وقد جارى السراج المتآمرين وحصل منهم على شيكات بأجزاء من المبلغ المرصود لاغتيال عبد الناصر بينما أبلغ الرئيس عبد الناصر بكل تفاصيل المؤامرة، التي أعلنها الرئيس للعالم كله من شرفة قصر الضيافة في دمشق أثناء زيارته الأولى لسورية، وكانت المؤامرة الثانية للملك سعود تهدف إلى تفجير طائرة الرئيس عبد الناصر يوم قدومه إلى سورية للمرة الأولى كرئيس لدولة الوحدة، وقد فشلت كلتا المؤامرتين وتسبب الكشف عنهما في فضيحة سياسية للملك سعود بن عبد العزيز، وسوف يظهر دور الملك سعود فيما بعد في تمويل الانقلاب على دولة الوحدة والتآمر مع الضباط الانفصاليين، كما أثار قيام دولة الوحدة قلق رئيس وزراء تركيا (عدنان مندريس) فيكتب إلى وزير الخارجية الأميركي جون فوستر دالاس يقول: (إن الموقف الحالى وتطوراته تدعونا إلى إعادة تقييم الأمور، لقد ذهبت إلى فراشى بالأمس وعلى حدود بلادي الجنوبية ستة ملايين، واستيقظت صباح اليوم لأجدهم قد أصبحوا ٣٦ مليونا).

كما أثار قيام دولة الوحدة حلف شمال الأطلنطى فتم عقد دورة طارئة لبحث التغيرات الإستراتيجية الناجمة عن قيام دولة الوحدة، وراح ممثل تركيا في الحلف ينبه الأعضاء إلى خطورة مشروع عبد الناصر حليف السوفيت على الغرب، وقدم ممثل بريطانيا مذكرة عن "التوسع الإمبريالي المصري" شبه فيها أطماع جمال عبد الناصر بأطماع محمد على، وأكد فيها أن جمال عبد الناصر يطمح لخلق

اتحـاد مـن الجمهوريـات العربيـة تحـت حكمـه يـضم أيـضا بلـدان الاتحـاد الأفريقـى لكـى يسيطر على أهم منطقة إستراتيجية في العالم ويخنق الغرب.

فـى أوراق الـرئيس الأميركـى إيزنهـاور نقـرأ لـه هـذا التعليـق حـول قيـام دولـة الوحـدة "أنـني حتـى هـذه اللحظـة لم أفهـم مـاذا حـدث في الـشرق الأوسـط؟، إن كـل مـا قرأتـه لم يجعلنـى مهيـأ للتطـورات الـتي جـرت، فهـل كنـا علـى علـم بهـا أم أننـا فوجئنا مثل الآخرين؟ لقد كانت سياستنا كما أعـرف هـى انتـزاع سـورية بعيـدا عـن مصر وعزل ناصر بأخذ سعود من جانبـه، فـإذا نحـن نفاجـأ بـالعكس تمامـا، ناصـر يستولى على سورية بالكامل ثم يقوم هو بعزل سعود أننـى أريـد تقريـرا عـن الكيفيـة التي تم بها ذلك".

وترسـل وزارة الخارجيـة الأميركيـة توجيـه سـرى إلى جميـع سـفراء الولايـات المتحدة الأميركية في المنطقة نصه:

سرى للغاية

توجيه رقم : ٢٢٧٩

تسجيل: ١٨ أبريل ١٩٥٨

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأميركية في الشرق الأوسط وحدهم

سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

- إن وزارة الخارجيـة الأميركيـة تؤكـد أن الأهـداف الأساسـية لـسياسة الولايات المتحـدة في علاقاتهـا مـع الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، باقيـة مـن غـير تغيير، إنها تؤكد من جديد أن ازدياد نفوذ مـصر يتعـارض مـع القـرار المـشترك للكـونجرس عـن الـشرق الأوسـط، ويـؤدى إلى تقويـة القوميـة العربيـة ويشجع الاتجاهـات المـضادة للغرب، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأميركا في الشرق الأوسط وفـى أفريقيـا، ثـم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد، الذي يعتبر حلقـة هامـة في شـبكة الـدفاع عـن العـالم الحر، ويمـس بالـضرر موقـف إسـرائيل ومـصالحها، الأمـر الـذي لا تـستطيع الولايـات المتحدة أن تتجاهله.

- إن وجـود الـسيطرة علـى مواصـلات نقـل بـترول الـشرق الأوسـط إلى أوروبـا سواء عن طريق قناة السويس، أو عن طريق أنابيب البترول المتجهة إلى البحـر الأبـيض تحـت الـسيطرة الفعليـة للقـاهرة، يعـرض المـصالح الأميركيـة في المنطقـة لخطـر أكيد، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في وضع يمكنها مـن ممارسـة ضغط علـى الولايـات المتحـدة وغيرهـا مـن القـوى الغربيـة، وهـذا الاحتمـال يمكـن أن يتحول إلى سـلاح مخيف في يد الـرئيس ناصـر.

- يتحتم علينا أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسورية، ولا يجب أن تتوقف جهودنا لإيجاد فاصل بين البلدين، وينبغى أن يظل ذلك من أبرز أسس سياستنا في المنطقة.

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها في أى لحظة ملائمة أن تتدخل، وينبغى تدعيم هذه القوى من غير كلل، وينبغى أن نذكر دائما أن أي تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر، وإنما سيجعل من السهل محاربة القومية العربية في أى شكل تتخذه في الشرق الأوسط.

- وسوف تتكلل جهودنا بالنجاح أكثر إذا أمكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربي، وبالنسبة لهذه المهمة فإن ممثلى الولايات المتحدة سواء في الأقسام الدبلوماسية أو في أقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربي عليهم أن ينشروا الاعتقاد العام بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا على كل الحكومات العربية، وفى البلاد الملكية علينا أن نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة، كما أنه في الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات، كما ينبغى انتهاز كل الفرص لتقوية الاتحاد العراقى الأردنى الذي سوف يستمر في الحصول على تأييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصري.

وعلى الجانب الأخر فوجئ السوفيت بالطريقة التي تمت بها الوحدة، خاصة وقد تضمنت تصفية لدور الحزب الشيوعي السوري، وسافر زعيم الحزب خالد بكداش إلى صوفيا يوم ٤ شباط - فبراير ١٩٥٨ قبل جلسة مجلس النواب السوري - الذي كان عضوا به - للتصويت على قيام دولة الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للدولة، وهاجم بكداش بضراوة دولة الوحدة والرئيس عبد الناصر بتشجيع من السوفيت المعادين لفكرة القومية العربية.

ورغم اعتراف الاتحاد السوفيتى بالدولة الجديدة (الجمهورية العربية المتحدة)، إلا أن الصراع تفجر بين السوفيت وعبد الناصر إعلاميا بعد قيام الثورة العراقية في ١٤ تموز- يوليو ١٩٥٨ وانحياز عبد الكريم قاسم قائد تلك الثورة إلى الشيوعيين ومذابحه تجاه القوميين العرب في العراق وعدائه لعبد الناصر ودولة الوحدة فقد أتخذ السوفيت جانب قاسم ضد عبد الناصر مما حدا بالأخير إلى اعتقال كل الشيوعيين في الجمهورية العربية المتحدة في ليلة رأس السنة (١٩٥٨/ ١٩٥٩)، ورغم ذلك لم تتأثر العلاقات الاقتصادية المصرية السوفيتية وبعد حين هدأت حدة الحرب الإعلامية بين القاهرة وموسكو لحرص عبد الناصر على عدم

نسف كل جسوره مع السوفيت، ولإدراك خروشوف لأهمية دور عبد الناصر المناوئ للغرب وللولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

رأى الزعيم الاسرائيلي دافيد بن غوريون في قيام دولة الوحدة كارثة تهدد وجود إسرائيل وتضعها بين فكى كسارة البندق (مصر وسورية).

رغم أن الرئيس عبد الناصر لم يكن مؤيدا في البداية لإتمام الوحدة بالصورة السريعة التي تمت بها وكان يرغب في فترة انتقالية لتمهيد الأمور والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين مصر وسورية، لإدراكه فوارق مراحل التطور الاجتماعى والاقتصادى بين البلدين إلا أنه تحت ضغط الظروف وافق على إتمام الوحدة الفورية لرغبته في إنقاذ سورية من التهديدات التي تتعرض لها، وقد نجحت الوحدة المصرية السورية في تحقيق الاستقرار لسورية بعد فترة طويلة من الانقلابات والمشاكل التي عانت منها عقب استقلالها، كما أن الوحدة حمت استقلال لبنان وأسقطت مبدأ إيزنهاور لملء الفراغ في الشرق الأوسط عقب خروج الاستعمار القديم من المنطقة، كما ساهمت الوحدة في قيام الثورة العراقية في ١٤ تموز- يوليو ١٩٥٨ وإسقاط حلف بغداد وإفشال السياسة الاستعمارية الأميركية في المنطقة، كما استطاعت سورية في ظل الوحدة أن تحقق تغييرات اجتماعية واقتصادية عميقة كانت تبحث عنها منذ استقلالها، وجاءت القوانين الاشتراكية في تموز- يوليو ١٩٦١ تحقيقا لأحلام ومطالب متراكمة منذ عقود لذا وقف ضدها التجار والإقطاعيون السوريون..

فى فجر يوم ٢٨ أيلول- سبتمبر ١٩٦١ تمت عملية الانقلاب على دولة الوحدة بتحرك وحدات من الجيش في سورية بقيادة المقدم عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر للسيطرة على دمشق ومحاصرة مقر المشير، وقد رفض الرئيس عبد الناصر التصدى للانقلاب باستخدام القوة ورفض أن يتم رفع سلاح عربى ضد سلاح عربى وأمر بإيقاف عمليات التصدى للانقلاب بالقوة، كما لم يعارض في عودة سورية للانضمام للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية كعضو مستقل، كان لعدم وجود اتصال جغرافى مباشر بين مصر وسورية دورا كبيرا في نجاح الانقلاب، كما كان لحجم التآمر الخارجى الدور الأكبر في نجاح الانفصال فكما تكشف الوثائق تلاقت مصالح حلف غير مقدس مكون من (المخابرات المركزية الأميركية – المخابرات البريطانية – الملك سعود بن عبد العزيز ملك السعودية – الملك حسين بن طلال ملك الأردن – الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم- الموساد الاسرائيلي- الضباط السوريين المرتشين) للعب الدور الأعظم في الانقضاض على دولة الوحدة.

أيـد قـادة حـزب البعـث (أكـرم الحـوراني – صـلاح البيطـار) انقـلاب الانفصاليين، كما أيده الرئيس السورى السابق على الوحدة شكرى القوتلى، فبعد فشل حزب البعث في تحويل سورية لحكر بعثى خاص تحت حكم الرئيس عبد الناصر لاعتقاد قادة البعث أنهم منحوا سورية للرئيس عبد الناصر وبالتالى فإن على الرئيس عبد الناصر أن يفعل ما يريده قادة البعث، وعندما رفض الرئيس عبد الناصر ذلك بذل قادة البعث كل جهودهم في سبيل فصم الوحدة لإدراكهم أنهم لن يستطيعوا حكم سورية منفردين طالما ظل جمال عبد الناصر رئيسا لدولة الوحدة.

سقطت دولة الوحدة قبل أن تتدعم أركانها لأنها تمت تحت ضغوط داخلية وخارجية كانت تعانى منها سورية فجاءت الوحدة بين مصر وسورية كضرورة أمن قومى بين البلدين أكثر منها كهدف قومى.

كان الانفصال بداية المؤامرة لتصفية حركة التحرر الوطنى العربي وكان الطلقة الأولى في الطريق إلى النكسة عام ١٩٦٧، فالرئيس عبد الناصر الذي ألمته ضربة الانفصال شخصيا وبعدما تكشف له حجم التآمر العربي والغربى على مشروع الوحدة العربية، أصبح أكثر حذرا وراديكالية داخليا وخارجيا، فالميثاق يصدر عام ١٩٦٢ وفيه يشدد الرئيس عبد الناصر على وحدة الهدف بدلا من وحدة الصف بين النظم العربية، وتسير مصر بخطى واسعة في الخطة الخمسية الأولى وبدا واضحا تصميم الرئيس عبد الناصر على انتهاج نظام اقتصادي اشتراكي بعيدا عن الاحتكارات الرأسمالية العالمية، وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ تندلع ثورة اليمن ضد نظام أسرة حميد الدين الاستبدادي المتخلف.

كانت السعودية الخائفة من انتقال الثورة إليها هى التي بدأت التدخل في ثورة اليمن بالتحالف مع الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، وأنشأت السعودية للملكيين محطة إذاعية للتنديد بالنظام الثورى الجديد، كما وفرت الحماية والغطاء اللازم للأمير البدر ليقود الملكيين مدعوما بجيوش من المرتزقة بتخطيط أميركي بريطاني، وأمام هذه التدخلات طلب الثوار اليمنيون من الرئيس عبد الناصر حماية جمهوريتهم الوليدة حتى لا يسقط اليمن مرة أخرى تحت الحكم الامامى المتخلف، ووافق الرئيس عبد الناصر على دعم الثورة اليمنية عسكريا بقوات مسلحة مصرية في عملية كبرى كان أسمها الكودى (العملية ٩٠٠٠) كما تولت مصر مهمة إدخال الحضارة إلى اليمن بإنشاء جهاز للدولة لأول مرة في تاريخ اليمن، وتأسيس المستشفيات والمدارس والطرق والموانئ والمطارات من أجل نقل اليمن إلى القرن العشرين، أدت هذه التطورات إلى اشتعال الثورة في عدن واليمن

الجنـوبى وقـد دعمتهـا مـصر بكـل ثقلـها في عمليـة كـان أسمهـا الكـودى (صلاح الدين).

فعمت الثورة أنحاء اليمن شمالا وجنوبا وهددت معاقل الرجعية العربية ومنابع البترول شريان الحياة للحضارة الغربية، كما واصل الرئيس عبد الناصر دعمه لثورة الجزائر حتى تحررت عام ١٩٦٢ وكما دعمت مصر كل حركات التحرر الوطنى على امتداد العالم الثالث، فرغم الخلافات العربية الطاحنة والتآمر الغربى رفض الرئيس عبد الناصر أن تخرج مصر من عروبتها وتنعزل عن إقليمها

في عام ١٩٦٣ يظن رئيس الوزراء الاسرائيلي دافيد بن غوريون أن الرئيس عبد الناصر قد أصبح يائسا ومحبطا من تعاملاته مع العرب، وأنه مهيأ الآن لفض يده من الخلافات والمشاكل العربية، فيرسل له عرض للسلام مع إسرائيل عبر دينيس هاميلتون رئيس تحرير جريدة التيمس البريطانية الذي قام بإبلاغ رسالة بن جوريون إلى صديقه الأستاذ محمد حسنين هيكل، رفض الرئيس عبد الناصر عرض السلام الاسرائيلي مدركا أنه مساومة على عروبة مصر مقابل الصلح مع إسرائيل.

وفى شتاء عام ١٩٦٤ يعقد حلف شمال الأطلنطى اجتماعا لمناقشة ورقة العمل التركية التي أعدها وزير الخارجية التركى وتحمل عنوان (تصفية عبد الناصر).

ومحضر هذه الجلسة الذي يناقش ورقة العمل التركية يتحدث عن الدور المشاكس والمضاد لمصالح الغرب الذي تلعبه مصر بزعامة جمال عبد الناصر عبر العديد من المشكلات التي تسبب فيها عبد الناصر من إفشال فكرة الأحلاف العسكرية:

- شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية.
- تأميم القناة - تمصير وتأميم المصالح الأجنبية في مصر.
- الوحدة مع سورية.

ثم ثورة اليمن وهي الطامة الكبرى بالنسبة لمصالح الغرب.. فوجود الجيش المصري في اليمن لمساندة الثوار أدى إلى نشوء وضع خطير هو تحكم مصر في طريق المواصلات بالبحر الأحمر من الشمال عبر قناة السويس، ومن الجنوب عبر مضيق باب المندب.

كما أن هذا الوجود يهدد بزوال العرش الملكى السعودى الذي يحارب الثورة اليمنية وهو العرش الموالى للغرب والذى يضمن تدفق البترول إلى الغرب بكل يسر.

وتعرض الوثيقة إلى الأطراف العربية التي تعادى طموحات جمال عبد الناصر وسياساته وتحددها في :

المملكة العربية السعودية

الأردن

ليبيا تحت حكم الملك السنوسى.

كما تلفت النظر لسوء العلاقات المصرية السورية والمصرية العراقية

كما تتحدث عن النفوذ المصري في إفريقيا المعادى لمصالح الغرب

وتدعو لدراسة الاقتراح بتوجيه ضربة عسكرية موجعة إلى عبد الناصر كما تطالب بتحويل اليمن إلى مستنقع يغوص فيه الجيش المصري مما يساعد على إنجاح الضربة العسكرية الموجهة إلى مصر.

مع التنبيه على أنه إذا استمر الوضع الحالى في اليمن فإن العرش السعودى مهدد بالزوال عام ١٩٧٠.

فى نفس الفترة تتصاعد الضغوط الأميركية على الرئيس عبد الناصر لإيقاف برامج تصنيع الصواريخ والطائرات المصرية وإخضاع المشروع النووى المصري للرقابة الدولية، وفى عام ١٩٦٥ يتم تجميد العمل ببرنامج إمداد مصر بالقمح الأميركى لزيادة الضغط الاقتصادى على الرئيس عبد الناصر ومحاولة تطويعه للأهداف الأميركية وتفكيك مشروعه المضاد للإستراتيجية الأميركية في المنطقة، وفى عام ١٩٦٦ ورغم كل الرواسب العالقة في العلاقات المصرية السورية عقب الانفصال يعقد الرئيس عبد الناصر اتفاقية دفاع مشترك مع سورية.

وعندما تفشل كل مشاريع تطويع عبد الناصر للإرادة الأميركية تصبح الحرب هى الحل الوحيد المتبقى لإسقاط جمال عبد الناصر وإنهاء مشروعه القومى، ويتم نصب فخ جر مصر إلى الحرب عبر تهديد إسرائيل بغزو سورية في أيار- مايو ١٩٦٧، فتندلع حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ والتى انتهت بهزيمة فادحة للدول العربية (مصر، سورية، الأردن) ورغم الهزيمة لم يسقط نظام جمال عبد الناصر بفضل تمسك الجماهير العربية في مصر وفى كل أقطار الوطن العربي ببقائه، وعندما تكشفت للرئيس عبد الناصر بعض الحقائق عما جرى في الحرب مثل عدم حدوث حرب حقيقية على الجبهة الأردنية وخسارة الأردن لستة عشر شهيدا في الحرب كلها وتسليم الجيش الأردنى القدس والضفة الغربية لليهود دون مقاومة، كما علم الرئيس عبد الناصر بما جرى على الجبهة السورية من إعلان سقوط مدينة القنيطرة في يد العدو قبل سقوطها ومن صعود المدرعات الإسرائيلية لهضبة الجولان دون مقاومة، لم يفقد الرئيس عبد الناصر إيمانه بالعروبة وبدور مصر في

العالم العربي ورفض كل عروض السلام الإسرائيلية بعودة سيناء فقط إلى مصر مقابل سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، وفى حديث له إلى أساتذة وطلبة الجامعات المصرية عقب مظاهرات الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨ يقول الرئيس جمال عبد الناصر:

"أنا عارف مدى الغضب ودى المفاجأة اللى أصابتنا جميعا بعد النكسة وبعد اللى حاصل وعارف أن الشعب العربي في مصر غاضب وحزين لأن جيشه نال هزيمة غير مستحقة ولأن سيناء تم احتلالها بس أنا بدى أقول لكم حاجة الرئيس تيتو بعت لى رسالة جت له من ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل بيطلب فيها أنه يقابلنى في أى مكان في العالم لنتحدث ولكى نصل إلى حل وبيقول أنه مش هيتعامل معى معاملة منتصر مع مهزوم، وإن إسرائيل مستعدة ترد لنا سيناء من غير شروط مذلة إلا شرط واحد بس أن مصر تبقى دولة محايدة يعنى لا قومية عربية ولا عروبة ولا وحدة عربية نبقى في حالنا ومالناش دعوة بإسرائيل ولا نحاربها، إسرائيل قتلت الفلسطينيين وإحنا مالنا، إسرائيل ضربت سورية إحنا محايدين، ضربت الأردن.. لبنان، مصر مالهاش دعوة وما تتكلمش.

يعنى خدوا سيناء وطلقوا العروبة والقومية والوحدة ونبيع نفسنا للشيطان، أنا طبعا قولت للرئيس تيتو الكلام ده مرفوض القدس والضفة والجولان وسيناء يرجعوا مع بعض، إحنا مسؤولين عن كل الأراضى العربية، إحنا مسؤولين عن حل مأساة شعبنا العربي في فلسطين، مش هنقبل شروط، ومش هنخرج من عروبتنا، ومش هنساوم على أرض ودم العرب، لن تقبل الجمهورية العربية المتحدة بحل جزئى أبدا، معركتنا واحدة وعدونا واحد وهدفنا واحد تحرير أرضنا كلها بالقوة ولن نقبل مشاريع منفصلة للسلام، حبيت أنقل لكم الموضوع ده علشان تعرفوا أن المشكلة مش سيناء بس، الأميركان واليهود ضربونا في ٦٧ علشان يساومونا بيها على عروبتنا وعلى شرفنا وعلى قوميتنا".

لم يعد سرا الآن أن إسرائيل والولايات المتحدة حاولتا باستماتة إغواء الرئيس عبد الناصر بقبول صلح منفرد مقابل استعادة سيناء كاملة وبغير قيود لنزع سلاح القوات المسلحة المصرية في سيناء بشرط الخروج من الصراع العربي الاسرائيلي.

وفى حديث لرئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول مع مجلة نيوزويك الأميركية عدد (١٧ شباط- فبراير ١٩٦٩) يقول: "خلال العقدين الأخيرين كررنا دائما في إسرائيل قولنا بأننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر، أننى مازلت مستعدا لأن أطير إلى القاهرة، ولن أتحدث مع ناصر كمنتصر ولكنى سأبلغه أن إسرائيل مستعدة لإعادة سيناء كاملة إلى مصر وبدون أى قيد أو شرط حيث أنه لم تكن لإسرائيل في أى وقت طلبات من أجل نزع سلاح سيناء، ولكن بالنسبة

لمرتفعات الجولان والقدس والضفة الغربية فأن إسرائيل ببساطة لن تتنازل عنها، سنرد لناصر سيناء بدون شروط مقابل أن يهتم بشئون مصر ولا يتدخل في شئون الدول العربية الأخرى".

رفض الرئيس عبد الناصر كل تلك العروض وأصر على عودة الأراضى العربية كلها وعلى الوصول إلى حل شامل للصراع العربي الاسرائيلي، أدرك الرئيس عبد الناصر أن عروبة مصر هى قدرها ومستقبلها وسبيل العرب الوحيد للوحدة ككتلة قوية في عالم لا يرحم الكيانات الصغيرة، أدرك أن قيادة مصر للوطن العربي تكون بأفعالها وبكونها ممثلة لكل طموحات وأمال الشعوب العربية، لم تكن العروبة والقومية عنده تعنى السيطرة المصرية كما حدث في عهد محمد على بل كانت رؤيته أشمل لمفهوم الأمن القومى العربي الجامع لكل الدول العربية وكان مؤمنا أن المصالح العربية مشتركة وواحدة، لذا رفض بشدة أن يخرج من عروبته وأن ينعزل بمصر، كان الرئيس عبد الناصر مؤمنا بمعركة المصير الواحد لذا ظل مهتما بتكوين الجبهة الشرقية في معركة العرب المقبلة مع إسرائيل، وطلب من ياسر عرفات أن تنطلق ولو رصاصة فلسطينية يوميا داخل فلسطين المحتلة حتى يدرك العالم أن هناك قضية شعب تم اغتصاب وطنه لن تموت.

توفى الرئيس جمال عبد الناصر عقب مؤتمر القمة العربية بالقاهرة الذي عقد لوقف الحرب التي قادها ملك الأردن الراحل حسين ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية، مات جمال عبد الناصر شهيدا في سبيل أمته، مات وهو يجاهد ضد أعداءه في إسرائيل وأميركا.

ولنرى ما الذي حدث بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر؟

فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأميركى الأسبق نقرأ التالى أنه شعر بالسعادة البالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأميركية في المنطقة الأهم للولايات المتحدة في العالم، ويحلل كيسنجر أوضاع المنطقة عقب وفاة عبد الناصر، ويصل أن الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصر وإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أميركى، وأن يتضمن ثلاثة شروط:

١- طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها

٢- يترك مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق في العالم العربي.

٣ـ أن تظهر التجربة الثورية التي قادها عبد الناصر في مظهر التجربة الفاشلة.

وعلى الجانب الاسرائيلي يقول مناحم بيجن عن وفاة عبد الناصر (إن وفاة عبد الناصر، تعني وفاة عدو مر، إنه كان أخطر عدو لإسرائيل. إن إسرائيل لهذا السبب لا تستطيع أن تشارك في الحديث الذي يملأ العالم كله عن ناصر وقدراته وحنكته وزعامته).

ويقول بن غوريون (كان لليهود عدوين تاريخيين هما فرعون في القديم، وهتلر في الحديث، ولكن عبد الناصر فاق الأثنين معا في عدائه لنا، لقد خضنا الحروب من أجل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه).

و يقول حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلي: (بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقا أمام إسرائيل وعاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلون باختفاء شخصيته الكاريزماتية).

ويقول المفكر الاسرائيلي آمنون روبنشتاين : إن مصر يجب آلا تكون طرفا في الصراع العربي الاسرائيلي، إن تورط مصر الكبير في النزاع العربي الاسرائيلي تمخض بصفة خاصة بسبب سياسة جمال عبد الناصر التي كانت تقوم على ركنين أساسيين يعوزهما الحكمة:

١ـ إمكانية وجود وحدة عربية.

٢ـ معاداة الغرب.

وقد رفض جمال عبد الناصر طيلة حياته العدول عن تلك السياسات والآن بعد وفاته نأمل أن تراجع القيادة المصرية الجديدة تلك السياسات لكى تنهى الحرب بين مصر وإسرائيل في مصر ولعيوب بنيوية في تركيب النظام الناصرى خرج النقيض المتطرف للناصرية من قلب النظام وعبر انقلاب أبيض بدون قطرة دماء في ١٣ مايو ١٩٧١، وعقب الانقلاب وبعد فشل محاولات الوصول إلى حل سلمى برعاية أميركية، أضطر الرئيس السادات إلى اتخاذ قرار الحرب متحالفا مع السوريين وفى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تندلع الحرب الخامسة بين العرب وإسرائيل ويحقق المصريون والسوريون ما يشبه الإعجاز في أول أيام المعركة خاصة على الجبهة المصرية التي شهدت عملية العبور العظيم، وعند الحديث عن العبور يجب التنبيه إلى نقطة هامة وجوهرية لقد تم العبور بسواعد المصريين وعبر خطة محكمة وأداء مذهل بالسلاح السوفيتى ولكنه أيضا تم بفضل السوريين، فالطيران الاسرائيلي وهو ذراع إسرائيل الطويلة ركز ٨٠٪ من قوته على الجبهة السورية في اليوم الأول للحرب لقربها من العمق الاسرائيلي ولآن المدرعات السورية في اندفاعها لتحرير

أراضيها المحتلة أوحت للإسرائيليين أنها ستدخل إلى فلسطين المحتلة ذاتها، لذا تم تركيز ٨٠ ٪ من الطيران الاسرائيلي على الجبهة السورية، و٢٠٪ على الجبهة المصرية التي تفصلها صحراء سيناء الشاسعة عن العمق الاسرائيلي، وهو ما كان له دوره في نجاح عملية العبور العظيم بالطريقة التي تمت بها.

وهكذا بالدليل العملى ثبت جدوى الوحدة خلال اليوم الأول للمعركة، فقد حققت حرب ١٩٧٣ مخاوف بن جوريون من قيام دولة الوحدة التي شبهها بوقوع إسرائيل بين فكى كسارة البندق، وبرغم تفجر الخلافات أثناء الحرب وبعدها بين مصر وسورية والاتهامات المتبادلة بين الرئيسين السادات والأسد عقب قرار الرئيس السادات بالوقفة التعبوية وعدم التزامه بما تم الاتفاق عليه مع الرئيس الأسد قبل الحرب، فقد كسرت حرب ١٩٧٣ هالة تفوق المقاتل الاسرائيلي وتخلف الجندى العربي.

منحت الحرب الرئيس السادات الشعبية التي كان يفتقدها منذ بداية حكمه وجلبت له شرعية جديدة غير مستمدة من شرعية سلفه الرئيس عبد الناصر رغم أن الجيش المصري الذي حارب وأنتصر تم بناءه في عهد الرئيس عبد الناصر والخطط التي نفذت كانت موروثة من عهد الرئيس عبد الناصر، ولكن الرئيس السادات قرر استغلال الانتصار العسكرى في تحويل مسار مصر والانقضاض على الناصرية وعلى العروبة.

فى يوم ٧ تشرين الثاني- نوفمبر وبعد وقف إطلاق النار بأيام قليلة كان الرئيس السادات يستقبل هنرى كيسنجر في قصر الطاهرة للمرة الأولى مباشرة بعد العديد من الرسائل بينهما قبل الحرب وأثناءها وبعدها، وفى هذا الاجتماع المنفرد بين الرجلين فوجئ كيسنجر كما كتب بنفسه في مذكراته بالسادات وأطروحاته.

فالرئيس السادات لم يطلب منه أن تعمل الولايات المتحدة على انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة في حرب ١٩٦٧ في إطار تسوية شاملة للصراع العربي الاسرائيلي وتفاوض على حقوق الشعب الفلسطيني.

بل كل ما طلبه هو انسحاب اسرائيلي من ثلثى سيناء حتى خط العريش – رأس محمد، وبهذا خالف الرئيس السادات الموقف العربي الثابت منذ حرب ١٩٦٧، وحتى هذا المطلب رغم سرور كيسنجر به، رفضه كيسنجر قبل الرجوع للإسرائيليين، والرئيس السادات يصارح كيسنجر أن حصار الجيش الثالث ليس جوهر المسألة وخطوط ٢٢ أكتوبر لا تصلح للنقاش بين صانعى سياسة مثله هو

وكيسنجر، أن السادات راغب بشدة في عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة،وهى العلاقات التي تم قطعها بين مصر والولايات المتحدة عقب حرب ١٩٦٧.

وإثر الدور الأميركى الواضح في الحرب تخطيطا وتنفيذا، وإثر هذا القرار المصري قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية بالولايات المتحدة وتم خروج ٦٢ ألف أميركى من الوطن العربي في مشهد مهين لهيبة وكرامة الولايات المتحدة الأميركية، وهاج الرئيس الأميركى جونسون معتبرا ما حدث صفعة لمكانة الولايات المتحدة وتحريض شرير من الرئيس عبد الناصر، وطوال الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ حاولت الولايات المتحدة العمل على عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأميركية دون جدوى لإصرار مصر على أن تلزم الولايات المتحدة إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية قبل تلك الخطوة،والآن يقوم الرئيس السادات وبعد حرب ضارية اهتزت فيها ثقة إسرائيل وتم كسر جيشها بتقديم هذا العرض المجانى، أغتبط كيسنجر لذلك وفى ذهنه ما هو أبعد وأهم، فعودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأميركية تفتح الباب لعودة علاقات أميركا بكل دول العالم العربي، ويبلغ الرئيس السادات كيسنجر أنه قرر أن يرفع مستوى التمثيل الدبلوماسى فورا من قائم بالأعمال إلى سفير بالنسبة لمصر والولايات المتحدة، وكل ذلك بدون مقابل.

ولم يكتف الرئيس السادات بذلك بل يبلغ كيسنجر أنه ليس خلفا للرئيس عبد الناصر بل خلفا لأجداده من الفراعنة الكبار، ويبلغه أنه ينوى تصفية ميراث سياسات الرئيس عبد الناصر الاقتصادية والاجتماعية وتوجهاته القومية العربية، وسيعمل على طرد السوفيت من الشرق الأوسط.

ويقول السادات لكيسنجر لقد كانت حماقة وطيش من عبد الناصر محاولاته الدائمة لابتزاز الأميركان وتحقيق أهداف مصر من خلال محاربة السياسة الأميركية في العالم العربي وعلى امتداد العالم، وإن مصر خاضت ما يكفيها من حروب من أجل العرب وتتطلع إلى السلام.

يسجل كيسنجر في مذكراته تلك الكلمات عن الرئيس السادات (أنه يمثل لى أفضل فرصة لكى نقلب المشاعر والاتجاهات العربية والمواقف العربية تجاه إسرائيل، وهى أفضل فرصة تتاح لدولة إسرائيل منذ قيامها)، يقول كيسنجر أنه هو الذي أوحى للرئيس السادات أن المشكلة بين مصر وإسرائيل هى مشكلة نفسية نتجت عن عدم ثقة إسرائيل بنوايا مصر وخوفها على أمنها، وأن يجب على مصر أن تعطى إسرائيل الإحساس بالأمان وتهتم بشئونها فقط بدلا من الاهتمام

بمـشاكل العــرب الآخــرين، وكالعــادة يوافقــه الــرئيس الــسادات ويــصارحه أن المشكلة الأساسية نجمت من رفض الرئيس عبد الناصر الاعتراف بالهزيمة عام ١٩٦٧ وإصـراره علـى الحـل العـسكرى للـصراع وتمـسكه بحـل شـامل علـى كـل الجبهات العربية مما كلف مصر الكثير.

كان خيار الرئيس السادات خروج مصر من العروبة والبحث عن حل فردى لصراعها مع إسرائيل وفصل الجبهات العربية هو البداية لعقود مريرة في التاريخ العربي المعاصر، مزقت الوطن العربي شر ممزق، لم تكن عروبة مصر مغامرة أو رغبة في الزعامة من الرئيس عبد الناصر بل كانت فرض التاريخ والجغرافيا على مصر، ولم تكن حروب مصر مع إسرائيل من أجل العرب فقط بل من أجل مصر في المقام الأول، لقد أنشأت إسرائيل لعزل مصر في أفريقيا ولوراثة دورها في الوطن العربي، يقول رئيس الوزراء الاسرائيلي بن جوريون لوزير الخارجية الأميركى جون فوستر دالاس في ١٤ أيار- مايو ١٩٥٣: "أنكم مهتمون بمصر وأود أن ألفت نظركم إلى أن إسرائيل تملك نفس المزايا التي تملكها مصر، فكلاهما يطل على البحر الأبيض والبحر الأحمر وما بين ميناء إيلات وميناء حيفا يمر نفس الشريان الحيوى الذي يمر بين بورسعيد والسويس وهو مهيأ لحفر قناة جديدة تصل مابين البحرين، وأنا لا أعرف لماذا يريد المصريون أن نخرج من النقب، إن لديهم صحارى بأكثر مما يكفيهم ولديهم أرض تزيد عن حاجتهم وحجم بلادهم يساوى ٣٦ مرة حجم إسرائيل)، هكذا يعلنها بن جوريون بصراحة إسرائيل تستطيع بموقعها وراثة دور مصر، وإسرائيل ليست مستعدة للتخلى عن صحراء النقب لأنها تفصل مصر عن المشرق العربي.

ويروى الأستاذ هيكل في برنامجه (مع هيكل) وقائع لقائه مع رئيس الوزراء الفرنسى الأسبق كوف دى مورفيل الذي قال له أنه جرت في الشرق الأوسط معركتين معركة دخول إسرائيل، ومعركة خروج مصر، وان دخول إسرائيل لا يتحقق إلا بخروج مصر، وان بريطانيا هى الدولة التي ساعدت على دخول إسرائيل، والولايات المتحدة الأميركية هى الدولة التي يجب أن تحقق خروج مصر، وأنكم كعرب تنبهتم للمعركة الأولى الخاصة بدخول إسرائيل وغابت عنكم معركة خروج مصر، أن الولايات المتحدة الأميركية لا تريد لمصر أن تعبر خط قناة السويس، لا مانع لدى الأميركيين من أن تصبح مصر بلداً أفريقياً جيداً أو بلداً إسلامياً جيداً ولكنهم لا يريدون أن تكون مصر بلدا عربيا جيدا، لقد كانت كل مشاكل الغرب مع جمال عبد الناصر بسبب أنه جلب المشرق العربي إلى مصر وأهتم بصياغة مشروع للوحدة عربية.

يقول الصحفى المصري الأستاذ أنيس منصور رائد التطبيع مع إسرائيل والمقرب من الرئيس السادات أن فى تاريخ إسرائيل مفاجأتين:

الأولى: وعد بلفور: الذي أنتقل بإسرائيل من مجرد الحلم إلى الواقع، وأقام لها شعبا وأرضا وجيشا.

والثانية: مبادرة السادات عام ١٩٧٧ التى منحت إسرائيل الحياة والبقاء.

ويضيف الأستاذ أنيس منصور: "رأيت شخصية يهودية مخلصة تقول للرئيس السادات : لو قبلت قدميك الآن فسوف يكون ذلك أعمق صلاة، فقد أنقذت الشعب اليهودى من الدمار".

هذه الشهادة للأستاذ أنيس منصور وثيق الصلة بالرئيس السادات والمؤمن بسياسات السادات تمنحنا رؤية واضحة عن مدى اهتمام الإسرائيليون بالصلح مع مصر لضمان خروجها من الصراع العربى الاسرائيلي كما توضح مدى امتنان الإسرائيليين لسياسات الرئيس السادات التى منحتهم السلام مع مصر الذى حلموا به منذ تأسيس دولتهم، الغريب فى الأمر أن الرئيس عبد الناصر رفض عقب الهزيمة الفادحة عام ١٩٦٧ أن يقبل مجرد التفاوض المباشر مع إسرائيل، كما لم يقبل الحل الجزئى وعودة سيناء فقط لمصر وأصر على الحل الشامل بينما قبل الرئيس السادات الحل الجزئى وعودة سيناء فقط منزوعة السلاح إلى مصر رغم النصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتلك مفارقة غير مفهومة وغير مسبوقة فى التاريخ كله.

لفت نظرى فى كل السير الذاتية التى كتبها أوربيون وأميركيون عن الرئيس جمال عبد الناصر أن هناك أكليشيه واحد متكرر يجمع بين تلك السير الذاتية للرئيس الراحل هو "أنه كان بإمكان الرئيس عبد الناصر أن يفعل المزيد من أجل رفاهية مصر لو أنه قلل من مساعداته وتدخلاته فى شئون الدول العربية الأخرى ".

يبدو هذا الأكليشيه المتكرر بما يحمله من معانى شديد الدلالة عن الرؤية الغربية لمصر، ولكن هل كانت عروبة مصر سببا فى مشاكل مصر الاقتصادية بالفعل؟

لقد ساعد الرئيس جمال عبد الناصر الثورة الجزائرية بمبلغ ٦٠ مليون جنيه مصري، وبعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ أشترى الرئيس بومدين أسلحة لمصر فى الفترة من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار، وفى فترة الوحدة دفعت مصر لسوريا مبلغ ٦ ملايين جنيه مصري، وفى مواجهة حلف بغداد لم تنفق مصر شيئا بل دعمت إذاعاتها وكتلت الشعوب العربية لمقاومة المشاريع الاستعمارية فى

المنطقة، وأنفقت مصر مبلغ ٥٠٠ مليون جنيه لإنشاء الدولة الحديثة (مدارس – مستشفيات – طرق – جهاز الدولة) فى اليمن ولنقل اليمن إلى القرن العشرين، وبعد حرب ١٩٦٧ فى قمة الخرطوم ١٩٦٧ تعهدت الدول العربية بدفع ٩٥ مليون جنيه سنويا لمصر لتعويض خسائرها فى الحرب، وعندما احتاجت مصر لطائرة قاذفة مقاتلة سنة ١٩٧٠ أشترى الرئيس الليبى معمر القذافى لمصر صفقة طائرات قاذفة ميراج ضخمة(مائة وواحد طائرة ميراج – وأربع طائرات تدريب) من فرنسا بمئات الملايين من الدولارات، وفى عام ١٩٧٣ وحده دفعت ليبيا القذافى لمصر تكاليف شراء أسلحة وصلت قيمتها إلى مليار دولار، كان ضمنها القوارب المطاطية التى استخدمتها قوات الموجة الأولى فى عبور قناة السويس وكان شراؤها من إيطاليا، وفى الفترة من سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٧٧ وقبل مبادرة السادات للسلام دفعت الدول العربية لمصر مبلغ تتراوح تقديراته من ١٦ مليار دولار إلى ٢١ مليار دولار.

وعندما أجتمع مؤتمر القمة العربى فى بغداد سنة ١٩٧٩ وجدت الدول العربية أن خروج مصر على الصف العربى بصلح منفرد مع إسرائيل سوف يؤدى إلى إضعاف الوطن العربى، وفى محاولة لإثناء الرئيس السادات عن توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل، قرر الحكام العرب إرسال وفد ممثلاً لهم يحمل عرضا للرئيس السادات بمنح مصر مبلغ ٥ مليارات دولار كمنحة لا ترد وتدفع مرة واحدة.

رفض الرئيس السادات مجرد استقبال وفد القمة العربية وقال: "أنا لا أريد أن أظل مع المتخلفين، وإنما مكانى هناك فى الغرب مع المتقدمين".

ولكن حتى مع الأخذ فى الاعتبار تبريرات الرئيس السادات لمواقفه وسياساته فإذا نظرنا إلى عروبة بمصر بمنطق التجار والسماسرة من الحكام سوف نجد بحسبة بسيطة أن مصر هى المستفيدة ماديا من عروبتها ومن قيادتها للوطن العربى، وهو ما ينسف كل مبررات الرئيس السادات لما فعله بعد حرب تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٣.

ولنلقى نظرة أكثر شمولا على أوضاع مصر الاقتصادية فى زمن العروبة والحروب مع إسرائيل (زمن المتخلفين كما وصفه الرئيس السادات).

تخبرنا الأرقام وهى لا تكذب ولا تتجمل بالتالى: أن مصر فى عهد العروبة والحروب حققت نسبة نمو من عام ١٩٥٧– ١٩٦٧ بلغت ما يقرب من ٧ ٪ سنويا.

ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم [٨٧٠ - أ] عن مصر الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ كانون الثاني- يناير ١٩٧٦.

وهذا يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن

تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على عصر عبد الناصر.

كانت تلك نتيجةً لا مثيل لها فى العالم النامى كله حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها فى العالم المتقدم باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية.

فمثلا إيطاليا وهى دولة صناعية متقدمة ومن الدول الصناعية الكبرى حققت نسبة نمو عن تقدر بـ٤,٥ ٪ فقط فى نفس الفترة الزمنية.

وبدأت مصر مع الهند ويوغوسلافيا منذ بداية الستينيات مشروعا طموحاً لتصنيع الطائرات والصواريخ والمحركات النفاثة والأسلحة.

وحتى سنة ١٩٦٧ كانت مصر متفوقة على الهند فى صناعة الطائرات والمحركات النفاثة وتم صنع الطائرة النفاثة المصرية القاهرة ٣٠٠.

وصنعت مصر أول صاروخين من إنتاجها بمساعدة علماء الصواريخ الألمان ولكن شابهما عيوب فى أجهزة التوجيه.

فى عام ١٩٦٦ كان الفارق بين البرنامج النووى المصري، ونظيره الاسرائيلي عام ونصف لصالح البرنامج النووى الإسرائيلي، ورغم النكسة كانت مصر على وشك تحقيق توازن القوى فى المجال النووي بينها وبين إسرائيل بحلول سنة ١٩٧١.

و فى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ جاء يوم الحساب لتجربة ومشروع جمال عبد الناصر فى الحرب العدوانية التى شنتها أميركا وإسرائيل لإجهاض مشروع النهضة العربى الذى يقوده جمال عبد الناصر، تلك الحرب التى وصفها الرئيس الفرنسى شارل ديجول بأنها (المعركة أميركية والأداء اسرائيلي).

ورغم عنف الضربة وفداحة الهزيمة العسكرية.

هل انهارت مصر وانتهت كما يحاول إقناعنا بعض العملاء من مدمنى تكريس الهزيمة والمعادين للعروبة، أن العروبة وحرب ١٩٦٧ هما سبب كل مشاكل مصر؟!!

بإلقاء نظرة على أوضاع مصر عقب الهزيمة يتضح لنا الأتى تحمل الاقتصاد المصري تكاليف إتمام بناء مشروع السد العالى العملاق، ولم يكتمل بناء هذا السد إلا سنة ١٩٧٠ قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر.

السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين والذى يعادل فى بناؤه ١٧ هرم من طراز هرم خوفو.

كما تم بناء مجمع مصانع الألمونيوم فى نجع حمادي وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ٣ مليار جنيه.

وفى ظل النكسة حافظت مصر على نسبة النمو الاقتصادى قبل النكسة بل أن هذه النسبة زادت فى عامى ١٩٦٩ و١٩٧٠ وبلغت ٨ ٪ سنويا.

وأستطاع الاقتصاد المصري عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى لأول وأخر مرة فى تاريخ مصر بفائض قدرها ٤٦,٩ مليون جنية بأسعار ذلك الزمان.

تحمل الاقتصاد المصري عبء إعادة بناء الجيش المصري من الصفر وبدون مديونيات خارجية كانت المحلات المصرية تعرض وتبيع منتجات مصرية من مأكولات وملابس وأثاث وأجهزة كهربية.

وكان الرئيس عبد الناصر يفخر أنه يرتدى بدل وقمصان غزل المحلة ويستخدم الأجهزة الكهربائية المصرية (إيديال).

كما ترصد تقارير البنك الدولى بعض مظاهر التحول الاجتماعى العميق الذى شهدته مصر مابين عامى (١٩٥٢- ١٩٧٠).

حيث زادت مساحة الأرض الزراعية بأكثر من ١٥٪، ولأول مرة تسبق الزيادة فى رقعة الأرض الزراعية الزيادة فى عدد السكان.

لقد كان جمال عبد الناصر أول حاكم مصري منذ عهد الفراعنة يوسع رقعة وادى النيل.

وزاد عدد الشباب فى المدارس والجامعات والمعاهد العليا بأكثر من ٣٠٠٪.

وزادت مساحة الأراضى المملوكة لفئة صغار الفلاحين من ٢,١ مليون فدان إلى حوالى ٤ مليون فدان.

كما حدث تقدم ملحوظ فى مجال المساواة، والعدالة الاجتماعية فى المدن أيضا بفعل الضرائب.

وتم وضع حدود دنيا وعليا للرواتب والمرتبات.

فلا أحد يعيش برفاهة وبذخ ولا أحد يعيش دون مستوى الكفاف.

وقبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

وبقبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز، أستطاع أبطال القوات المسلحة تحريك حائط الصواريخ العظيم حتى حافة قناة السويس.

وبذلك تم إلغاء دور الطيران الاسرائيلي ذراع إسرائيل الطويلة فى الهجوم على مصر غرب قناة السويس وأصبح اندلاع حرب التحرير، وعبور الجيش المصري للضفة الشرقية مسألة وقت.

كان الرئيس عبد الناصر يقدرها بزمن لا يتأخر عن نيسان- أبريل ١٩٧١ وقبيل وفاة الرئيس صدق على الخطة جرانيت. وهى خطة العبور التى نفذ الجزء الأول منها فى ظهيرة يوم ٦ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٣ كما صدق على الخطة ٢٠٠ وهى الخطة الدفاعية التى تحسبت لحدوث ثغرة فى المفصل الحرج بين الجيشين الثانى والثالث المصري.

والغريب أن الثغرة حدثت كما توقعت الخطة ٢٠٠ بالضبط عقب قرار الرئيس السادات المتأخر بتطوير الهجوم المصري يوم ١٤ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٣.

صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها واقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولى.

وثمن القطاع العام الذى بناه المصريون فى عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت فى عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

كما تم خفض نسبة الأمية من ٨٠ ٪ قبل ١٩٥٢ إلى ٥٠٪ عام ١٩٧٠ بفضل مجانية التعليم فى كل مراحل الدراسة.

كما تم دخول الكهرباء والمياه النظيفة والمدارس والوحدات الصحية والجمعيات الزراعية إلى كل قرى مصر.

وتم ضمان التأمين الصحى والاجتماعى والمعاشات لكل مواطن مصري

كل ذلك تم بدون ديون.

كما لم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأميركى بل كان الجنيه

المصري يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزى المصري.

كما تخبرنا الأرقام أن مصر فى زمن العروبة والحروب أشترت أسلحة من الاتحاد السوفيتى من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٣ بمبلغ ٤ مليار دولار، سددت من هذا المبلغ مليار دولار فقط للسوفيت الذين تنازلوا عن الثلاثة مليارات الباقية لمصر، خاضت مصر بالسلاح السوفيتى أربع حروب ضد إسرائيل : حرب السويس ١٩٥٦، حرب يونيو ٦٧، حرب الاستنزاف ١٩٦٧ – ١٩٧٠، حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبالنسبة لحرب اليمن فقد كانت كل أسلحتها منحة من السوفيت للقوات المسلحة المصرية، ولم تدفع مصر قرشا واحدا فيها.

فى نفس تلك الفترة الزمنية من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٥ كان شاه إيران البائد يشترى من الولايات المتحدة سنويا أسلحة بمبلغ ٤ مليار دولار يدفعها مقدماً ونقداً.

الطريف فى الأمر أنه عقب قرار الرئيس السادات بتنويع مصادر الحصول على السلاح، أشترت مصر من الغرب فى الفترة من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٧٨ أسلحة بمبلغ ٧ مليار دولار، أى أن مصر فى ظل البحث عن السلام وعقب إعلان الرئيس السادات أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى أخر الحروب أشترت أسلحة فى ٤ سنوات فقط بثمن مضاعف لما أشترته من أسلحة خلال ٢٠ عاما شهدت خمس حروب (حرب ٥٦ – حرب اليمن – حرب ٦٧ – حرب الاستنزاف – حرب ٧٣).

كما تخبرنا أرقام منظمة الصليب الأحمر الدولى أن مصر من سنة ١٩٤٨ وحتى سنة ١٩٧٣ خاضت ٥ حروب ضد إسرائيل خسرت فيها.

٣٩ ألف شهيد، ٧٣ ألف جريح، ٦١ ألف معوق.

بينما تخبرنا الأرقام أن مصر خلال الفترة من ١٩٨٠ وحتى ٢٠١٠ وبدون أن تخوض أى حروب ضد إسرائيل خسرت فى حوادث الطرق ١٨٠ ألف قتيل، و٥٠٠ ألف جريح ومعوق، لأن مصر منذ الثمانينيات تحتل مركز من المراكز الثلاثة الأولى ضمن أعلى الدول فى حوادث الطرق.

وهكذا فإن الخروج من العروبة، ومقولات الرئيس السادات عن أخر الحروب وحفظ دماء المصريين لم يحفظ دماء المصريين، ولم يمنع عنهم الموت فى حوادث عبثية على الطرق.

والأرقام الاقتصادية الموثقة أثبتت أن العروبة لم تكن أبدا مغامرة ناصرية غير محسوبة، لم تكن أبدا رغبة فى الزعامة أو بحثا عن مجد شخصى للرئيس

عبد الناصر بل كانت ذات خير مزدوج لمصر وللأمة العربية كلها.

لم تكن العروبة أبدا عائقا أمام تقدم مصر الاقتصادى والاجتماعى، وما أنفقته مصر فى سبيل القضايا العربية استردته أضعافا مضاعفة.

أن حل مشاكل مصر هو فى تبنى دورها الطبيعى فى قيادة الوطن العربى وليس بالانسحاب من دورها الذى فرضته عليها الجغرافيا، وفرضه عليها التاريخ.

مصر العروبية المغامرة المحاربة حققت أعظم مشروع نهضوى عربى فى القرن العشرين فى خلال فترة لم تتجاوز ٢٠ عاما، بينما مصر أولا مصر المهادنة المنعزلة عن مشاكل إقليمها، مصر الحكيمة المسالمة المستسلمة. ما الذى حققته منذ عام ١٩٧٤ حتى الآن؟

هل حلت مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية؟

هل انتقلت إلى العالم الأول أو حتى العالم الثانى؟

هل حققت اختراقات علمية وتقنية وثقافية؟

هل تحسنت أحوال الشعب المصري الصحية والاقتصادية والتعليمية؟

ما الذى جنته مصر من سياسة مصر أولا، وكفاية عروبة، وخيار السلام الاستراتيجى، و٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أميركا فى كل تلك الفترة الزمنية الطويلة؟

التى تكفى وتزيد لبناء مصر كلها من الصفر من أسوان إلى الإسكندرية لو كانت مصر حطاما مدمراً وخراباً.

لقد انتقلت ماليزيا فى أقل من ٣٠ عام من حكم مهاتير محمد من حال إلى حال اقتصاديا وتقنيا وتعليميا، وإيران الثورية المحاصرة المشاغبة تحقق كل يوم قفزة فى برنامجها النووى وفى صناعة الصواريخ والأقمار الصناعية، وتركيا فى خلال أقل من ٢٠ عاما حققت قفزات نوعية فى مجالات التعليم والصحة وصناعة السلاح.

فما الذى حققته مصر خلال كل تلك الأعوام من السلام مع العدو والخروج من دورها فى الوطن العربى؟

عندما تقابل الزعيم الكوبى فيدل كاسترو مع الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٠ فى نيويورك أثناء اشتراكهما فى أعمال الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة دار بينهما الحوار التالي:

كاسترو: إن انتصار مصر فى السويس كان إلهاما كبيرا لنا ونحن نقاتل

فـى جبـال " سـييرا مايـسترا ". ورحنـا نقـول لأنفـسنا : إذا كانـت مـصر وحـدها قـد استطاعت أن تتصدى لغـزو ثـلاث دول – بريطانيـا وفرنـسا وإسـرائيل – فمعنـى ذلـك أننا نستطيع.

إن كوبا مهددة بالغزو يا سيادة الرئيس، ونحن نريد أن نستفيد مـن خبـرتكم فى دحر الغزاة.

جمـال عبـد الناصـر : إن الخطـأ الـذى وقـع فيـه الغـزاة فـى الـسويس هـو أنهـم تصوروا مصر وحدها ، وهذا ليس صحيحاً.

ان تفـاعلات تاريخيـة وحـضارية – بمـا فـى ذلـك وحـدة الـدين واللغـة والثقافـة – جعلت شـعب مـصر واحـداً مـن شـعوب أمـة كـبيرة يربطهـا نفـس المـستقبل ويجمعهـا نفـس المصير.

وهذا هو سر انتصار مصر وسر هزيمة أعداء لها كانوا أقوى منها.

انهـم وضـعوا خطـتهم علـى أسـاس مـصر وحـدها ، وحـين جـاءوا للغـزو فقـد اكتشفوا متأخرين أن مصر لم تكن وحدها.

انهم فوجئوا أن أمة بأسرها تمتد أرضها من المحيط إلى الخليج قامت ضدهم

نحن أغلقنا قناة السويس، ولكـن نـسف خط أنابيـب البترول عبر سـوريا لم يكـن فـى تـأثيره أقل مـن قفل خليج السويس، لقـد توقـف مـرور البترول مـن الـشرق الأوسـط إلى الغرب، ومن بغداد إلى الدار البيضاء أصبحت المنطقة كلها عرضة للانفجار.

إننـا قاومنـا فـى ميـدان القتـال أحـد عـشر يومـا وحـدنا ، ومـع كـل يـوم مقاومـة كانت أرصـدتنا الـسياسية تـزداد وتـكبر، ذلـك أدى إلى هـزة فـى العـالم، ذلـك هـو الـذى شجع الاتحاد السوفيتي، ذلك هو الذى أرغم " أيزنهاور " على أن يقف ضد حلفائه.

ما أريدك أن تعرفه هو أن مصر لم تكن وحدها.. هذا هـو سـر انتـصارنا فـى السويس.

حصة مصر من مياه النيــل

بين "عبد الناصر ومبارك"

نهر النيل هو شريان الحياة لمصر منذ بدء التاريخ، وهو يجري من الجنوب إلى الشمال نحو مصبه في البحر الأبيض المتوسط، وحوض النيل هو مسمي يطلق علي ١٠ دول إفريقية يمر فيها نهر النيل؛ سواء تلك التي يجري مساره مخترقا أراضيها، أو تلك التي يوجد علي أراضيها منابع نهر النيل، أو تلك التي يجري عبر أراضيها الأنهار المغذية لنهر النيل. ويغطي حوض النيل مساحة ٣,٤ مليون كم٢ من المنبع في بحيرة فيكتوريا وحتى المصب في البحر المتوسط.

ويبلغ عدد الدول المشاركة في حوض نهر النيل عشراً، وهي من المنبع إلى المصب كما يلي: بوروندي ورواندا وتنزانيا وكينيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وأوغندا وإثيوبيا وإرتريا (بصفة مراقب) والسودان ومصر وقد تم توقيع اتفاقيات تنظم توزيع حصة كل دولة من دول حوض النيل من مياه نهر النيل وهذه الاتفاقيات هى:

اتفاقية مياه النيل ١٩٢٩: هي اتفاقية أبرمتها الحكومة البريطانية - بصفتها الاستعمارية- نيابة عن عدد من دول حوض النيل (أوغندا وتنزانيا وكينيا)، في عام ١٩٢٩ مع الحكومة المصرية يتضمن إقرار دول الحوض بحصة مصر المكتسبة من مياه النيل، وإن لمصر الحق في الاعتراض (الفيتو) في حالة إنشاء هذه الدول مشروعات جديدة على النهر وروافده، وتبع هذا اتفاقية عام ١٩٥٩ تعطي لمصر حق استغلال ٥٥,٥ مليار متر مكعب من مياه النيل من أصل ٨٤ مليار متر مكعب تصل إلى السودان ليتبقى للخرطوم ١٨,٥ مليار متر مكعب من مياه النيل.

وقد تضمنت اتفاقية عام ١٩٥٩ بند الأمن المائي، الذي يقضي بعدم السماح بإقامة مشروعات على حوض النيل إلا بعد الرجوع إلى دولتي المصب (مصر والسودان)، والجدير بالذكر أن محكمة العدل الدولية كانت قد قضت عام ١٩٨٩ بأن اتفاقيات المياه شأنها شأن اتفاقيات الحدود، ولا يجوز تعديلها.

وفي فبراير ١٩٩٩ تم توقيع مبادرة حوض النيل بين دول حوض النيل العشر، بهدف تدعيم أواصر التعاون الإقليمي (سوسيو- اجتماعي) بين هذه الدول. وقد تم توقيها في تنزانيا.

وفي مايو ٢٠٠٩، عقد اجتماع وزاري لدول حوض النيل في كينشاسا عاصمة الكونغو الديمقراطية لبحث الإطار القانوني والمؤسسي لمياه النيل، ورفضت مصر التوقيع على الاتفاقية بدون وجود بند صريح يحافظ على حقوقها التاريخية فى مياه النيل.

وفي يوليو ٢٠٠٩، عقد اجتماع طارئ لوزراء خارجية دول حوض النيل

بالإسكندرية، مصر، وفي بداية الجلسات صدر تحذيرات باستبعاد دول المصب (مصر والسودان) من توقيع الاتفاقية، ثم أعطيت مهلة ٦ أشهر للدولتين. وقد حذر المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية السفير حسام زكي من خطورة الاندفاع وراء ادعاءات زائفة لا أساس لها من الصحة تروجها أيد خفية في بعض دول المنبع تدعى زورا معارضة مصر لجهود ومشرعات التنمية بهذه الدول، مشيرا إلى أن مصر كانت وستظل الداعم الرئيسي والشقيقة الكبرى لدول حوض النيل فى مدينة عنتيبى الأوغندية يوم ١٠ مايو ٢٠١٠ وقعت خمس دول من دول حوض النيل "إثيوبيا وأوغندا ورواندا وتنزانيا وكينيا"على الاتفاقية الإطارية، وقد رفضت دولتا المصب "مصر والسودان"، التوقيع على الاتفاق لأنه ينهى الحصص التاريخية للدولتين "٥٥,٥ مليار متر مكعب لمصر و١٨,٥ مليار متر مكعب للسودان"، كما تطالب مصر بإخطارها قبل إقامة أى مشاريع مائية مثل السدود على نهر النيل، وتطالب أيضا بضرورة الحصول على موافقة بالإجماع أو بالأغلبية قبل إقامة أى سدود ومشاريع مائية على نهر النيل، وهو مالم يتضمنه نص الاتفاق الذى وقع فى عنتيبى الذى ركز على أن مرتكزات التعاون بين دول مبادرة حوض النيل تعتمد على الاستخدام المنصف والمعقول للدول، بأن تنتفع دول مبادرة حوض النيل انتفاعاً منصفاً ومعقولاً من موارد مياه المنظومة المائية لنهر النيل، على وجه الخصوص الموارد المائية التى يمكن تطويرها بواسطة دول مبادرة حوض النيل وفق رؤية لانتفاع معقول.

وهذه هى أول مرة فى التاريخ تجتمع فيها دول المنبع وتوقع اتفاقاً ضد مصر والسودان دولتى المصب.

وكان من المثير للدهشة فى الأمر أن يخرج علينا بعض رجال النظام المصرى الحاكم ليتهموا الرئيس جمال عبد الناصر بالتسبب فى سوء العلاقات المصرية الأفريقية لاهتمامه بالعرب على حساب الأفارقة، وكان الدكتور/ مصطفى الفقى رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب هو أول من صرح بذلك، ثم نشر الدكتور/ عبد المنعم سعيد رئيس مجلس إدارة الأهرام مقالا يحمل نفس المعنى.

يبدو هذا التبرير لسوء العلاقات المصرية الأفريقية إذا وافقنا عليه عصى على الفهم ومستحيل تصديقه لأن الرئيس جمال عبد الناصر صعدت روحه إلى بارئها منذ ٤٠ عاما، وتعاقب على حكم مصر من بعده الرئيس السادات ثم الرئيس مبارك، ولأى عاقل فإن ٤٠ عاما تكفى وتزيد لإصلاح العلاقات المصرية الأفريقية، بل وعلاقات مصر بالست قارات بل وبالكواكب الأخرى فى الفضاء الخارجى على امتداد الكون.

ولكن هل كانت العلاقات المصرية الأفريقية سيئة بالفعل فى عهد عبد الناصر كما يدعى مصطفى الفقى وعبد المنعم سعيد ، للتعرف على حقيقة العلاقات المصرية الأفريقية فى عهد الرئيس عبد الناصر سنعرض كتاب (عبد الناصر والثورة الأفريقية) للسيد/ محمد فائق رجل عبد الناصر للمهام الخاصة فى أفريقيا.

يقول السيد/محمد فائق فى كتابه أن الثورة المصرية بالنسبة لقارة أفريقيا بمثابة الثورة الفرنسية بالنسبة لقارة أوروبا ، قبل الثورة لم تكن لمصر علاقات خارجية بدول القارة الأفريقية ماعدا أثيوبيا والصومال وجنوب أفريقيا ، ولكن بعد الثورة وتطبيقا لرؤية الرئيس عبد الناصر التى شرحها فى كتابه (فلسفة الثورة) عن الدوائر الثلاثة المتداخلة التى سوف تتحرك فيها السياسة المصرية الدائرة العربية والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية،كلف الرئيس عبد الناصر، السيد/محمد فائق أن يقوم بدراسة أوضاع القارة وأن يتصل بكل حركات التحرير الأفريقية ، وأن يقيم علاقات مع الطلاب الأفارقة الذين يدرسون بالأزهر الشريف، ومع الحجاج الأفارقة الذين يصلون لمصر قبل توجههم للأراضى المقدسة ، ويقول السيد/محمد فائق أن الاتصالات قبل قرار تأميم قناة السويس وخروج مصر منتصرة على قوى العدوان الثلاثى كان تتم بصعوبة ، ولكن بعد حرب ١٩٥٦ تغير الوضع وأصبح زعماء حركات التحرير والثوار الأفارقة هم الذين يسعون إلى مصر وإلى جمال عبد الناصر الذى أصبح بالنسبة لهم ملهما وزعيما قادرا على مجابهة قوى الاستعمار ،فقد كبرت مكانة مصر لدى الأفارقة عندما قدمت لهم نموذجا جديدا للتحرر عبر استخدام القوة المسلحة أثناء مباحثات الجلاء ثم عبر تحدى قوى الاستعمار بتأميم القناة.

وهنا يؤكد السيد/محمد فائق على صحة وجهة نظر الرئيس عبد الناصر فيما يخص عدم ضم السودان بالقوة إلى مصر ، ويضيف فائق رغم سعى مصر للوحدة مع السودان وبذلها كل المستطاع لتحقيق ذلك إلا أن إصرار السودانيين على الاستقلال جعل عبد الناصر يوافق على مضض، وتكون مصر أول الدول التى تعترف باستقلال السودان، وكما يقول فائق كان لهذا القرار أثر هائل على صورة مصر فى أفريقيا لأنها رفضت حق الفتح ومنحت السودانيين حقهم فى تقرير مصيرهم، كما قرر الرئيس عبد الناصر استمرار عمل المؤسسات التعليمية والثقافية المصرية فى السودان، كما ترك أسلحة الجيش المصرى هدية للجيش السودانى، ويرى السيد/محمد فائق أنه لكل ذلك عندما قرر الرئيس عبد الناصر بناء السد العالى لم يجد ممانعة من حكومة السودان التى وقعت مع مصر اتفاقية ١٩٥٩.

وفـى حـوار صـحفى للـسيد/محمـد فـائق حـول موضـوع الـسودان كـانـت تلـك إجاباته:

ما حقيقة انفصال مصر عن السودان وكيف تم هذا الانفصال؟

محمد فائق : قبـل قيـام الثـورة كـان الملك فـاروق قـد تـوج نفـسه أسميـا ملكـا لمـصر والـسودان، بـدافع مـن تأييـد القـوى الوطنيـة وللعلاقـة التاريخيـة بـين مـصر والسودان والترابط الأسري، وقد نحت الثورة منحى مختلفا وذلك لوجود تيـار كـبير جداً داخل السودان يعارض الوحدة مع مصر.

بريطانيـا وأمريكـا تغـذيان هـذا التيـار وتحثانـه علـى ضـرورة الانفـصال عـن مصر، وعبد النـاصر قبل فكـرة تقرير مـصير الـسودان في مفاجـأة أذهلـت الاسـتعمار الإنجليـزي.

وقبـل عبـد النـاصر بهـذه الفكـرة لإيمانـه بـأن فكـرة حـق "الفـتح" باتـت أمـرا لا يتماشـى مـع روح العـصر، رغـم إيمانـه بأهميـة الوحـدة في وادي النيـل، لكـن مـن منطق أن تأتي الوحـدة بإرادة شـعبية جامعـة وليس إكراهـاً، وهـذه النقطـة حكمـت علاقة الرئيس عبد النـاصر بكـل مشروعات الوحدة الـتي أتـت بعد ذلـك، لأنـه كـان يؤكد ضرورة أن تكون هذه الوحدة لا إكراه فيها ولا حتى شبهة إكـراه، لكنهـا وحـدة تقـوم بـإرادة الـشعوب، وكـان الـسبب الأساسـي في ذلـك أن عبـد النـاصر أراد إدخال تقرير مصير السودان في مفاوضات الجلاء مع الإنجليز عـن مـصر، لأنـه كـان ينظر إلى ضـرورة تحريـر الـسودان مـن الاسـتعمار الانجليـزي أيضا، لأنـه لا معنـى لأن يخـرج الإنجليـز مـن الـسويس (مـصر) ويبقـوا في الـسودان، وبالإضـافة إلى أنـه سـواء كـان السودان في وضع الوحدة مع مصر أو قرر مصيره بالاستقلال فـإن أمنـه بالنـسبة لمصر مهم جدا، وإذا ظـل متحـدا مـع مـصر فسيكـون هنـاك ٧ حـدود إفريقيـة أخـرى واقعـة تحـت الاحـتلال، وكـان ذلـك دافعـا لـدخول مـصر في مواجهـة شـاملة مـع الاستعمار، ففرنسا كانت موجودة في تشاد وإفريقيا الوسـطى، وانجلـترا موجـودة في كينيا وأوغندا وبلجيكـا موجودة في الكونغو.

الأمر الثاني كـان عبد النـاصر ينظر إلى أمن السودان مـن خـلال حـدوده لـدول إفريقيا، وهو ما أدخـل مـصر في مواجهة شـاملة مـع الاسـتعمار القـديم، وبالفعـل بعـد فشل عدوان عام ١٩٥٦ انتهت الإمبراطورية البريطانية.

سؤال: بعد الانفصال هل تخلت مصر عن عمقها الاستراتيجي في الجنوب؟

محمـد فـائق : لا طبعـا، بـدليل أنـه بعـد ١٩٦٧ تم نقـل الكليـة الحربيـة إلى الخرطوم وأنشأنا مطاراً هناك، وهو ما يعني أن السودان ظل هـو العمـق الاسـتراتيجي

لأمن مصر، وقد عملت مصر "الثورة" على إقامة علاقة قوية ومتينة مع السودان ودول إفريقيا وساهمت في تحرير تلك الدول من الاستعمار.

مصر كانت ترغب في الوحدة لكنها كانت تأمل في تحقيقها عبر إرادة شعبية، غير أن حزب الاتحاد الوطني السوداني بقيادة إسماعيل الأزهري سعى إلى الاستقلال، فبادرت مصر بالاعتراف بالسودان كدولة مستقلة حتى تكسب مزيداً من الصداقة والعلاقة مع السودان، بل واستمرت في دعم الاستقلال باعتبار أن تأمين السودان هو بوابة مصر والثورة للدخول إلى إفريقيا لمساندة حركات التحرر من الاستعمار.

وفى نفس السياق يذكر المؤرخ الدكتور عاصم الدسوقى الحقائق التالية عن مصر والسودان أن الإنجليز منذ أن احتلوا مصر (١٨٨٢) فرضوا سيطرتهم علي السودان، وترضية للخديوي عباس حلمي الثاني حتى يبتعد عن مصطفي كامل أبرموا اتفاقيتين لحكم السودان ثنائيا بين مصر وإنجلترا (في ١٩ يناير، ١٠ يوليو ١٨٩٩) وكان في حقيقته حكما إنجليزياً خالصاً وليس ثنائياً، لأن إنجلترا تختار الحاكم العام للسودان وهو إنجليزي وخديوي مصر يصدر أمر تعيينه. هذه واحدة أما الثانية فإن إنجلترا انتهزت فرصة اغتيال الجنرال لي ستاك سردار الجيش المصري في السودان (١٩ نوفمبر ١٩٢٤) لتخرج الجيش المصري من السودان. وظلت الحكومات المصرية تطالب بعودة الجيش المصري للسودان في معظم المفاوضات التي جرت مع بريطانيا من ١٩٢٧ إلي ١٩٣٦ دون جدوي.

وأما الثالثة فإن مصطفي النحاس عندما ألغي معاهدة ١٩٣٦ في ٨ أكتوبر ١٩٥١ ومعها اتفاقيتا الحكم الثنائي للسودان أعدت حكومته مرسوما بمشروع قانون بأن يكون للسودان دستور خاص تضعه جمعية تأسيسية تمثل أهالي السودان. فما معني أن يكون للسودان دستور بأيدي أبنائه.. هل يعني تبعية لمصر أم استقلالا؟ وما معني كلمة النحاس في هذا السياق؟

والرابعة أن بريطانيا اشترطت في مارس ١٩٥٣ للدخول في مفاوضات مع حكومة يوليو بشأن الجلاء أن توافق مصر علي مبدأ استقلال السودان بمقتضي استفتاء.. فهل كان يتعين علينا أن نرفض استقلال السودان الذي ضمه محمد علي لولايته بالقوة في ١٨٢٢.. وهل من اللائق أن تقوم ثورة في مصر تطالب بالجلاء والاستقلال وتمنعه عن أهالي السودان.

ويرصد السيد /محمد فائق فى كتابه مساعدات مصر لكل دول القارة الأفريقية من أجل تحريرها من الاستعمار، كما يتناول الدور المصرى الهام فى تقديم

كـل المساعدات الاقتصادية والـدعم السياسى لكـل دول أفريقيـا بعـد تحررهـا مـن الاسـتعمار، ويركـز فـائق علـى الـدور المـصرى فـى الـصومال فـى القـرن الأفريقـي لأهميتها القصوى لمصر وللملاحة فى قناة السويس وهو ما نعانى منه الآن بعد تفكك الدولـة فـى الـصومال وظهـور عـصابات القراصـنة،وفى الكونغـو أحـد دول حـوض النيـل، كما ينوه فائق للأثر الضخم الذى كسبته مصر من دعمها لثورة الجزائر.

كما يوضح لنا السيد/محمد فائق لم تتأخر مصر فى دعم ومساندة كل حركات التحرير فى القارة الأفريقية، كما قامت ببث عشرات الإذاعات الأفريقية الموجهة باللغات المحلية للأفارقة وفى عام ١٩٦٣ ينشئ الرئيس جمال عبد الناصر مع قادة أفريقيا منظمة الوحدة الأفريقية ويجعل عبد الناصر مقرها فى أثيوبيا إرضاء لشعوب أفريقيا على اعتبار أن شعب أثيوبيا أسود مثلهم، والأهم إرضاء الإمبراطور الأثيوبي هيلاسيلاسى الذى كان يحاول بين وقت وأخر الاحتجاج على مشروعات المياه المصرية والسد العالى.

كما يذكر فائق الدور الهائل لشركة النصر للاستيراد والتصدير التى أنشئت بقرار من عبد الناصر لربط مصالح دول أفريقيا واقتصادها مع مصر وكان لديها فروع فى ٢٥ دولة أفريقية،كان هناك وعى بأهمية دور مصر فى أفريقيا وأهمية دول القارة فى دعم المحور الاستراتيجي المصرى، فلا خلاف حول أهمية السودان ومنطقة الحزام الاستوائي وغرب وجنوب أفريقيا لمصر. وكانت شركة النصر إحدى وسائل السياسة المصرية فى تحقيق هذا الهدف عبر دعم التعاون الاقتصادي والتجاري مع تلك الدول، وبخاصة بعد انتهاء العدوان الثلاثى حين سعت مصر لدعم وجودها فى أفريقيا لمواجهة الاختراق الإسرائيلي الذى كان بمثابة يد الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مصالحها فى القارة السمراء بعد الانسحاب الصوري للاستعمار من دول القارة سواء كان بريطانياً أو فرنسياً ويكشف فائق فى كتابه الدور المصرى فى طرد إسرائيل من أفريقيا، وقطع معظم الدول الأفريقية لعلاقاتها مع إسرائيل عقب حرب ١٩٦٧.

ويتناول فائق ملاحظة الرئيس عبد الناصر لخطة الاستعمار تعليم الأقليات المسيحية فى الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة العلوم الطبيعية (الطب- الهندسة- الصيدلة)، وذلك لكي يخلق منهم طبقة موالية له دينياً وسياسياً تتحكم فى الأغلبية المسلمة لذا كان قرار عبد الناصر تحويل الأزهر إلى جامعة عصرية وإنشاء مدينة البعوث الإسلامية لاستقبال آلاف الطلاب الأفارقة وربطهم بمصر عبر تعليمهم علوم العصر وهو ما أتى ثماره فيما بعد فقد أصبح منهم حكام ووزراء ومسئولين فى بلدانهم.

وبفضل بعثات الأزهر دخل الإسلام ٧ من كل ١٠ عرض عليهم الإسلام فى أفريقيا فى عهد عبد الناصر، كما أنشأ عبد الناصر بأموال الدولة المصرية البطريركية المرقصية فى القاهرة لتكون الكنيسة الأم فى القارة الأفريقية وتنضوي تحت سلطتها الكنيسة الأثيوبية ويصبح البابا المصرى هو الزعيم الروحي لمسيحيي أثيوبيا وحكامها ودعا الإمبراطور هيلاسيلاسى لحضور حفل افتتاحها عام ١٩٦٤.

عبد الناصر هو الذى أوفد الأطباء والمهندسين والمدرسين إلى دول القارة الأفريقية، وأمتد نفوذ مصر فى أفريقيا فى عهده من شمال القارة إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، بل كانت مصانع النسيج المصرية تنتج الأزياء الوطنية للأفارقة ولديها خطوط إنتاج مخصصة لاحتياجات الدول الأفريقية،كما غزت منتجات المصانع الحربية المصرية دول القارة الأفريقية.

الكتاب ملئ بالوقائع والأدلة التى تثبت رؤية الرئيس عبد الناصر بعيدة النظر لأهمية القارة الأفريقية بالنسبة لمصر ودول حوض النيل بالذات، عبد الناصر هو الذى ساعد على تحرير كينيا وأوغندا وتنزانيا والكونغو فى كتيب (العلامة جمال حمدان ولمحات من مذكراته الخاصة) الذى صدر حديثا بالقاهرة يقول العالم الراحل : جمال عبد الناصر هو الحاكم المصرى الوحيد الذى فهم الجغرافيا السياسية لمصر،لذا فالناصرية هى مستقبل مصر،لأن الناصرية هى مصر كما ينبغى أن تكون.

لذا لم يكن غريبا أن يقول نيلسون مانديلا عن الرئيس عبد الناصر أنه زعيم زعماء أفريقيا.

كما قال عنه أثناء زيارته الأولى لمصر عام ١٩٩٥ وأثناء تكريمه بجامعة القاهرة كان لدي موعد قد تأخر ربع قرن مع رجل رفعت رأسي من بعيد كي يراه، ثم حالت ظروف قاهرة بينه وبيني لألقاه، وحين جئت إلي مصر فقد كان من سوء حظي أن جمال عبد الناصر لم يعد هناك سأزور فى مصر ثلاث أماكن الأهرامات والنيل العظيم وضريح الرئيس جمال عبد الناصر وكان نيلسون مانديلا هو الذى صرح فى المؤتمر الصحفي عقب فوز جنوب أفريقيا بتنظيم كأس العالم ٢٠١٠ وحصول مصر على صفر من الأصوات، لو كان جمال عبد الناصر على قيد الحياة ودخلت مصر المنافسة أمام جنوب أفريقيا على شرف استضافة كأس العالم لكرة القدم ٢٠١٠ لانسحبت جنوب أفريقيا على الفور من الوقوف أمام مصر ولكن الظروف تغيرت الآن ومصر لم تعد مصر عبد الناصر، هذه شهادة مانديلا للرئيس عبد الناصر الذى كان رمزا وملهما لكل قادة التحرر

فى أفريقيا (سيكوتورى- لومومبا- نيريرى- نكروما - جومو كينياتا)،لقد وصل النفوذ المصرى فى أفريقيا فى عهد جمال عبد الناصر إلى الحد الذى جعل فرنسا تفاوض مصر على اقتسام مناطق النفوذ فى القارة السمراء.

وفى ظل ما تواجهه مصر من مشاكل مع دول حوض النيل الآن جاءت شهادة رئيس الوزراء الكينى رايلا أودينغا الذى قال أثناء زيارته الحالية لمصر "الدول الإفريقية لن تكون وفية لما قدمته مصر عبدالناصر، إذا أضرت بمصالح مصر في نهر النيل، والدور التاريخي الذي لعبته مصر فى عهد الرئيس عبد الناصر هو الذي حرر القارة السمراء".

وعبر أودينغا عن امتنانه البالغ لمصر وزعيمها عبدالناصر الذي منح والده جاراموغي أودينغا جواز سفر مصرياً، ليتمكن من التحرك بحرية بعد أن سحب الاستعمار البريطاني أوراق والده ليمنعه من المطالبة باستقلال كينيا في المحافل الدولية.

لم تكن لسياسات الرئيس عبد الناصر أى عواقب سلبية على العلاقات المصرية الأفريقية بل أن العكس هو الصحيح فعقب انقلاب مايو ١٩٧١ تمت الإطاحة بكل القيادات الناصرية من مؤسسة الحكم المصرية،وكان منهم السيد/محمد فائق الذى تم الحكم عليه بالسجن مع رفاقه من رجال مايو وأنتقل ملف أفريقيا الذى ظل طوال عهد عبد الناصر من مسئولية مؤسسة الرئاسة المصرية إلى وزارة الخارجية.

وفى عهد الرئيس السادات بدأ خروج مصر من أفريقيا ودخول إسرائيل مكانها،وتحولت أفريقيا إلى ساحة من ساحات الحرب الباردة وأنخرط الرئيس السادات فى مغامرات عقيمة تخدم مصالح القوى الإمبريالية كان منها نادى السافارى وهو حلف ضم ٥ دول " فرنسا – السعودية – إيران – مصر – المغرب".

كان هدفه حماية المصالح الاستعمارية فى أفريقيا عبر محاربة التسلل الشيوعى فى القارة السمراء، وعندما تعرض عرش الديكتاتور موبوتو للخطر فى الكونغو، تدخلت قوات مصرية ومغربية تابعة للنادى لإجهاض التمرد وتثبيت موبوتو على عرشه، كما حارب نادى السافارى الثورة الشيوعية فى أثيوبيا التى قادها منجستو هيلا ميريام وهو مأ تسبب فى أزمة فى العلاقات المصرية الأثيوبية وقتها، يقول الدكتور بطرس غالى فى كتابه (طريق مصر إلى القدس) أنه سافر إلى أثيوبيا حاملا رسالة من الرئيس السادات إلى منجستو هيلا ميريام، ولكن منجستو رفض مقابلته وكلف أحد وكلاء وزارة الخارجية الأثيوبية بتسلم رسالة السادات

منه وهو فى المطار، دون أن يسمح له بمجرد الخروج من المطار وبعدها أستقل الدكتور بطرس غالى الطائرة عائداً إلى مصر،ويقول فى كتابه أن كل همه كان ألا تعرف الصحافة بالأمر، وفى موضع أخر من نفس الكتاب يقول الدكتور/بطرس غالى أنه رصد تراجع الدور المصرى فى أفريقيا لذا طلب من أنيس منصور الصحفى المقرب من الرئيس السادات أن يفاتح الرئيس فى ذلك خاصة سوء العلاقات المصرية الأثيوبية وأهمية تحصين حقوق مصر فى مياه النيل القادمة من هضبة الحبشة، ولكن أنيس منصور رفض ذلك وقال للدكتور بطرس غالى: إن مثل هذه المسائل لا تهم الرئيس الآن، فهو لا يهتم إلا بمصلحته السياسية المباشرة)، كان نشاط نادى السافارى الذى ورط فيه الرئيس السادات مصر يتم برعاية وتنسيق من المخابرات المركزية الأمريكية والموساد الإسرائيلي.

فى عهد الرئيس السادات تم إهمال نشاط شركة النصر للاستيراد والتصدير إلى أن تم تصفيتها فى الثمانينيات، وبعد وفاة الرئيس السادات، وتولى الرئيس مبارك للرئاسة، حدثت مشاكل بين مصر والسودان عقب انقلاب جبهة الإنقاذ عام ١٩٨٩ والدور المخرب الذى لعبه حسن الترابى فى تأزيم العلاقة مع مصر، ودعمت مصر حركة تحرير جنوب السودان بزعامة جون جارانج ضد نظام البشير - الترابى، ثم انفجرت الأوضاع بعد محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أثيوبيا عام ١٩٩٥ لتصل إلى أسوأ ما يمكن ثم بدأ النزاع المصرى السودانى على مثلث حلايب وشلاتين.

وبعد خروج الترابى من السلطة فى السودان بدأت العلاقات المصرية السودانية تتحسن مرة أخرى،وتوقفت مصر عن دعم حركة تحرير جنوب السودان ولكن فى نفس الوقت بدأ الدخول الإسرائيلي والأمريكي والصيني والإيراني فى القارة الأفريقية وكان ذلك خصما من الدور المصرى الذى بدأ مسيرة انحداره منذ عهد الرئيس السادات، ورغم أن مصر تمتلك أضخم تمثيل دبلوماسي فى أفريقيا إلا أن الخبراء يشككون فى كفاءة الدبلوماسيين المصريين بالقارة.

كما أن دور مصر فى منظمة الوحدة الأفريقية التى تحولت إلى الإتحاد الأفريقي ورثته ليبيا ورغم ذلك فإن الموقف الذى تواجهه مصر الآن ليس مستحيلا وتمتلك مصر أكثر من حل الجهود دبلوماسية التهديد بالقوة ترشيد استخدام المياه.

تستطيع مصر أن تستعيد دورها فى القارة إذا توافرت لها الإرادة والقدرة على الفعل، ولاشك فى وجود دور إسرائيلي أمريكي يلعب ضد مصالح مصر، إسرائيل قدمت للكونغو ورواندا عام ٢٠٠٩ دراسات تفصيلية لبناء ٣ سدود، ومنذ عام ٢٠٠٠ تقدم لهما دعم فني فى الري والزراعة مجانا.

ووقعت إسـرائيل مـع أوغنـدا اتفاقيـة عـام ٢٠٠٠ لتنفيـذ مـشاريع ري فـى عـشر مقاطعات متضررة من الجفاف، ومشاريع أخـرى لاسـتخدام الميـاه المتدفقـة مـن بحـيرة فيكتوريا وهذه المياه تمد النيل الأبيض أحد روافد النيل بمياهه مما يؤثر على حصة مصر.

وطمع إسرائيل فى مياه نهر النيل ليس جديد أو مفاجئ بل بدأ منـذ التفكير فى إقامة وطن قومي لليهود فـى فلسطين، ظهـرت الفكـرة بشكل واضـح في مطلـع القرن العشرين عندما تقدم الصحفي اليهودي تيـودور هرتـز - مؤسـس الحركـة - عـام ١٩٠٣ م إلى الحكومة البريطانية بفكـرة تـوطين اليهـود في سيناء واسـتغلال مـا فيهـا مـن ميـاه جوفيـة وكـذلك الاسـتفادة مـن بعـض ميـاه النيـل، وقـد وافـق البريطـانيون مبدئياً على هذه الفكـرة على أن يتم تنفيذها في سرية تامة.

ثـم رفـضت الحكومتـان المـصرية والبريطانيـة مـشروع هرتـز الخـاص بتـوطين اليهـود في سـيناء ومـدهم بميـاه النيـل لأسـباب سياسـية تتعلـق بـالظروف الدوليـة والاقتصادية في ذلك الوقت.

مشاريع لاستغلال مياه النيل:

في الوقت الـراهن يمكـن القـول إن هنـاك أربعـة مـشاريع أساسـية يتطلـع إليهـا الإسـرائيليون بهدف استغلال مياه النيل:

١- مشروع استغلال الآبار الجوفية :

قامـت إسـرائيل بحـصر آبـار جوفيـة بـالقرب مـن الحـدود المـصرية، وتـرى أن بإمكانهـا اسـتغلال انحـدار الطبقـة الـتي يوجـد فيهـا المخـزون المـائي صـوب اتجـاه صحراء النقب، وقد كشفت ندوة لمهندسين مـصريين أن إسـرائيل تقـوم بـسرقة الميـاه الجوفيـة مـن سـيناء وعلـى عمـق ٨٠٠ متر مـن سـطح الأرض، وكـشف تقريـر أعدتـه لجنـة الـشؤون العربيـة بمجلس الـشعب المـصري في يوليـو ١٩٩١م أن إسـرائيل تعمـدت خـلال الـسنوات الماضية سـرقة الميـاه الجوفيـة في سيناء عـن طريـق حفـر آبـار ارتوازيـة قادرة على سحب المياه المصرية وذلك باستخدام آليات حديثة.

٢- مشروع اليشع كالي:

في عـام ١٩٧٤م طـرح اليـشع كـالي - وهـو مهنـدس إسـرائيلي- تخطيطـاً لمـشروع يقـضي بنقـل ميـاه النيـل إلى إسـرائيل، ونـشر المـشروع تحـت عنـوان: (ميـاه الـسلام) والذي يتلخص في توسيع ترعة الإسماعيلية لزيادة تدفق المياه فيهـا، وتنقـل هـذه الميـاه عن طريق سحارة أسفل قناة السويس بعد اتفاقيات السلام لتنفيذ المشروع.

٣- مشروع يؤر:

قدم الخبير الإسرائيلي شاؤول أولوزوروف النائب السابق لمدير هيئة المياه الإسرائيلية مشروعاً للرئيس أنور السادات خلال [مباحثات كامب ديفيد] يهدف إلى نقل مياه النيل إلى إسرائيل عبر شق ست قنوات تحت مياه قناة السويس وبإمكان هذا المشروع نقل ١ مليار م٣، لري صحراء النقب منها ١٥٠ مليون م٣، لقطاع غزة، ويرى الخبراء اليهود أن وصول المياه إلى غزة يبقي أهلها رهينة المشروع الذي تستفيد منه إسرائيل فتتهيب مصر من قطع المياه عنهم.

٤- مشروع ترعة السلام (١):

هو مشروع اقترحه السادات في حيفا عام ١٩٧٩م، وقالت مجلة أكتوبر المصرية: "إن الرئيس السادات التفت إلى المختصين وطلب منهم عمل دراسة عملية كاملة لتوصيل مياه نهر النيل إلى مدينة القدس لتكون في متناول المترددين على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وحائط المبكى".

وقد بدأ الدور الإسرائيلي ينشط في السنوات الخمس الماضية، إذ بدأت سلسلة نشطة من الاتصالات مع دول منابع النيل خصوصا أثيوبيا (رئيس وزراءها زيناوي زار تل أبيب أوائل يونيو ٢٠٠٤)، وأوغندا لتحريضها علي اتفاقية مياه النيل القديمة المبرمة عام ١٩٢٩.

ومع أن هناك مطالبات منذ استقلال دول حوض النيل بإعادة النظر في هذه الاتفاقيات القديمة، بدعوى أن الحكومات القومية لم تبرمها ولكن أبرمها الاحتلال نيابة عنها، وأن هناك حاجة لدى بعض هذه الدول خصوصًا كينيا وتنزانيا لموارد مائية متزايدة؛ فقد لوحظ أن هذه النبرة المتزايدة للمطالبة بتغيير حصص مياه النيل تعاظمت في وقت واحد مع تزايد التقارب الصهيوني من هذه الدول وتنامي العلاقات الأفريقية مع الصهاينة.

وهكذا عادت المناوشات بين دول حوض النيل للظهور خاصة بين مصر وتنزانيا، وانضمت إلى هذا المبدأ أوغندا وكينيا وطلبت الدول الثلاث من مصر التفاوض معها حول الموضوع.

كذلك أعلنت أثيوبيا رفضها لاتفاقية ١٩٢٩ واتفاقية ١٩٥٩ في جميع عهودها السياسية منذ حكم الإمبراطور ثم النظام الماركسي "منجستو" وحتى النظام الحالي، بل وسعت عام ١٩٨١ لاستصلاح ٢٢٧ ألف فدان في حوض النيل الأزرق بدعوى "عدم وجود اتفاقيات بينها وبين الدول النيلية الأخرى"، كما قامت بالفعل عام ١٩٨٤ بتنفيذ مشروع سد "فيشا" - أحد روافد النيل الأزرق- بتمويل من بنك

التنمية الأفريقي، وهو مشروع يؤثر على حصة مصر من مياه النيل بحوالي ٠،٥ مليار متر مكعب، وتدرس ثلاثة مشروعات أخرى يفترض أنها سوف تؤثر على مصر بمقدار ٧ مليارات متر مكعب سنويًا.

أيضًا أعلنت كينيا رفضها وتنديدها - منذ استقلالها- بهذه الاتفاقيات القديمة لمياه النيل لأسباب جغرافية واقتصادية، مثل رغبتها في تنفيذ مشروع استصلاح زراعي، وبناء عدد من السدود لحجز المياه في داخل حدودها.

وكانت جبهة السودان هي الأهم، لأسباب عدة في مقدمتها إنها تمثل ظهيرا وعمقا استراتيجيا لمصر، التي هي أكبر دولة عربية وطبقا للعقيدة العسكرية الإسرائيلية فإنها تمثل العدو الأول والأخطر لها في المنطقة، ولذلك فان التركيز عليها كان قويا للغاية.

في تصريح لوزير الموارد المائية المصري السابق [محمود أبو زيد] في ١١ مارس ٢٠٠٩، في بيان له حول أزمة المياه في الوطن العربي - ألقاه أمام لجنة الشئون العربية – عندما حذر من تزايد النفوذ الأمريكي والإسرائيلي في منطقة حوض النيل من خلال "السيطرة على اقتصاديات دول الحوض وتقديم مساعدات فنية ومالية ضخمة " بحسب تعبيره"!

وبالفعل تم طرح فكرة "تدويل المياه" أو تدويل مياه الأنهار من خلال هيئة مشتركة من مختلف الدول المتشاطئة في نهر ما وكان الهدف منه هو الوقيعة بين مصر ودول حوض النيل، وقد ألمح وزير الموارد المائية المصري السابق محمود أبو زيد في فبراير ٢٠٠٩ من وجود مخطط إسرائيلي– أمريكي للضغط علي مصر لإمداد تل أبيب بالمياه بالحديث عن قضية "تدويل الأنهار"، وأكد أن إسرائيل لن تحصل علي قطرة واحدة من مياه النيل.

وخطورة الخلاف الحالي بين دول منابع النيل ودول المصب هو تصاعد التدخل الإسرائيلي في الأزمة عبر إغراء دول المصب بمشاريع وجسور وسدود بتسهيلات غير عادية تشارك فيها شركات أمريكية، بحيث تبدو إسرائيل وكأنها إحدى دول حوض النيل المتحكمة فيه أو بمعني أخر الدولة "رقم ١١" في منظومة حوض النيل، والهدف بالطبع هو إضعاف مصر التي لن تكفيها أصلا كمية المياه الحالية مستقبلا بسبب تزايد السكان والضغط علي مصر عبر فكرة مد تل أبيب بمياه النيل عبر أنابيب وهو المشروع الذي رفضته مصر عدة مرات ولا يمكنها عمليا تنفيذه حتي لو أردت لأنها تعاني من قلة نصيب الفرد المصري من المياه كما إن خطوة كهذه تتطلب أخذ أذن دول المنبع.

تظل أثيوبيا هى رأس الحربة فى أزمة الاتفاقية الإطارية ولدى مصر كروت متعددة تستطيع استخدامها ضد أثيوبيا منها اريتريا التى تعادى أثيوبيا ، وبالفعل التقى الرئيس مبارك مع الرئيس االارتيرى أسياسى أفورقا فى القاهرة ، والصومال أيضا التى تتنازع مع أثيوبيا على إقليم الأوجادين للأسف الشديد أيدت مصر دخول القوات الأثيوبية للصومال فى العام الماضي ، هناك أيضا القبائل الأثيوبية التى تنوى حكومة أثيوبيا إقامة السدود فى أراضيها ، وقد صرح زعماء تلك القبائل بأنهم لن يسمحوا للحكومة الأثيوبية بإغراق أراضيهم إلا على جثثهم ، كما تستطيع مصر إحداث انشقاق بين دول المنبع واستقطاب بعضها لصالح رؤية مصر.

لابد من ملاحظة أن الدور الإسرائيلي هو الوجه الأخر للدور الأمريكي فى الأزمة ، فقد كانت أمريكا هى أول من فكرت فى إنشاء سدود فى أثيوبيا عام ١٩٦٤ نكاية فى مصر وبالفعل أعدت دراسة شاملة عن السدود فى أثيوبيا ولكن علاقات عبد الناصر بهيلاسيلاسى أجهضت التنفيذ وقتها كما يشكل بيع السودان أراضيه لمستثمرين أجانب خطرا أكبر على مصر ، فالسودان يرغب فى زراعة ٢٠مليون فدان ولكي يحدث ذلك سيكون على حساب حصة مصر من المياه ،لابد من أن تستثمر الشركات المصرية فى السودان سد تيكيزى الذى بنته أثيوبيا صممته شركة أمريكية ونفذته شركة صينية وأنقص من حصة مصر بالفعل حوالى ٢٠ مليون متر مكعب.

لابد من استكمال المشروعات المكملة للسد العالى والتي توقفت بعد عام ١٩٧٠ عندما خرجت الغربان الناعقة تشكك فى السد العالى وتطالب بهدمه ، السد العالى الذى حمى مصر من جفاف أستمر حوالى ١٠ سنوات بالقارة الأفريقية ،ومن ٣ فيضانات مدمرة ، السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة كأعظم مشروع هندسي وتنموي فى القرن العشرين ، من هذه المشروعات المكملة مشروع العوامات على سطح بحيرة ناصر ، فقد أفاد الخبراء أن ١٠ مليار متر مكعب من مياه البحيرة يتبخر سنويا بسبب عدم تنفيذ المشروع الطمي المتراكم خلف بحيرة ناصر والذى يبلغ سنويا ١٠٠ألف طن لماذا لا يتم رفعه وتزويد التربة المصرية به؟ يجب تغيير طريقة الري ، إلغاء ملاعب الجولف ، التوقف عن إهدار المياه فيما لا يلزم ، مصر تمتلك العديد من الأدوات وتستطيع أن تستخدمها إذا أرادت بشرط توافر الإرادة الوطنية والقدرة على الفعل.

الرئيس والمشــــير .. "وكعب أخـيل"

كلما حلت الذكرى الكئيبة لهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، يخرج علينا فلاسفة تكريس الهزيمة لينعقوا كالغربان فى وجوهنا عن مسئولية جمال عبد الناصر عما جرى فى المعركة، ويتباكون على المشير عبد الحكيم عامر الذى قام الرئيس عبد الناصر بتلبيسه مسئولية الهزيمة، وجعله كبش فداء لأخطائه، ولم يكتف عبد الناصر بذلك بل أمر بقتل صديق عمره ورفيق كفاحه عبد الحكيم عامر لكى يدفن معه فى قبره أسرار الهزيمة إلى الأبد.

تبدو تلك الأسطوانة المشروخة مكررة علينا سنويا منذ تمت الردة على الثورة فى سبعينيات القرن الماضى، ومؤخرا خرج علينا البعض بإدعاءات جديدة عن وجود مذكرات للمشير عبد الحكيم عامر كتبها بخط يده تحتوى على تقييمه لمعركة ١٩٦٧، وأرائه فى الرئيس عبد الناصر، ومخاوفه من أن يتم اغتياله لطمس حقيقة ما جرى أثناء الحرب، والطريف فى الأمر إننا لم نرى أو نقرأ ورقة واحدة بخط يد المشير الراحل تثبت صحة هذه الإدعاءات، بل كل ما رأيناه كان مجموعة أوراق مطبوعة من الإنترنت منقولة عن مجلة لايف الأمريكية.

أثناء مراجعتى لكتاب (جمال عبد الناصر.. أخر العرب) للكاتب الفلسطينى الأمريكى/ سعيد أبو الريش، والصادر عن "مركز دراسات الوحدة العربية"، وجدت فى صفحة (٣٦١) من الكتاب المفاجأة التالية، حيث كتب سعيد أبو الريش:

"قام السعوديون، على وجه الخصوص، بنشر مذكرات زائفة تعزى إلى عامر، تحمل عبد الناصر الذنب عن حالة عدم تهيئة الجيش المصرى، وتشرح الإستراتيجية التى أنتجت النكسة.

هذه المذكرات الكاذبة هى من تلفيق المخابرات السعودية، مع أرجحية مساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى إعدادها.

لقد سلم المذكرات إلى والدى الذى كان مراسل مجلة تايم "نواف بن عبد العزيز" الذى أصبح فيما بعد مساعدا لأخيه الملك "فيصل" الذى تظاهر بتفضيله صديقا قديما يعمل فى الصحافة.

لقد قرر والدى ومعه زمرة من القراء، أن وثيقة المذكرات صادقة لا غبار عليها.

لكن مجلة لايف بعد نشرها مقتطفات ثلاثة منها، اكتشفت أنها غير صحيحة،وهو ما أثار دهشة محررى لايف وأبى على السواء.

فقد أبلغهم اللواء راضى عبد الله، رئيس المخابرات الأردنية، أنه شارك فى إعدادها.

وقد جاءت هذه المذكرات، بجانب جملة من النشاطات الأخرى، مثل دعم الإخوان المسلمين بالمال، لتقنع عبد الناصر أن ينحى قمة الخرطوم جانبا، ويقتنع أن السعوديين مازالوا مصممين على الإطاحة به، فإن لم يكن فتقزيمه على الأقل.

وهكذا أصبح مؤتمر الخرطوم مجرد لعبة تآمرية قصد منها استرضاء الجماهير العربية لا أكثر".

وفى هامش الصفحة أشار الكاتب إلى التوضيح التالى "حتى لا يبدو هناك تناقض فأن مجلتى تايم ولايف الأسبوعيتين كانتا تصدران عن مؤسسة صحفية أمريكية واحدة باسم تايم- لايف، وذلك قبل أن تتوقف لايف عن الصدور نهائيا فى عام ١٩٧٢ بعد أن كانت تحولت إلى مجلة شهرية لبعض الوقت".

هذه شهادة شاهد عيان عن حقيقة تلك المذكرات المفبركة المنسوبة زورا للمشير الراحل عبد الحكيم عامر،تلك البضاعة الفاسدة التى يحاول البعض بيعها لنا الآن لتصفية حسابات سياسية مع عبد الناصر وعهده.

ويبدو أن غرام الملك فيصل بن عبد العزيز والمخابرات السعودية بتزييف الكتب والوثائق لتشويه جمال عبد الناصر وعهده لم يقف عند تلك المحاولة بل لحقته محاولات أخرى عديدة كان أشهرها وأخطرها كتاب (لعبة الأمم) لضابط المخابرات الأمريكى مايلز كوبلاند.

ففي عام ١٩٦٩ نشر ضابط المخابرات الأمريكية (مايلز كوبلاند) كتابه ذائع الصيت (لعبة الأمم) والذي أوحى فيه بصلة الثورة المصرية وجمال عبد الناصر بالولايات المتحدة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد أصبح هذا الكتاب بمثابة المرجع الرئيسي لكل أعداء عبد الناصر وثورته، وفى عام ١٩٨٨ نشر الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه (سنوات الغليان) الذي أورد فيه مجموعة من الوثائق والرسائل التي تثبت أن كوبلاند نصاب وأفاق وأنه نشر كتابه بأوامر أمريكية في إطار الحرب الأمريكية المستمرة على عبد الناصر والتي تهدف لتشويه سمعته ومن أجل اغتيال شخصيته معنوياً في أعين الجماهير العربية بعد الهزيمة، وهاج كوبلاند وهدد الأستاذ هيكل برفع قضايا ضده، وحتى الآن بعد مرور كل تلك السنوات على صدور كتاب (سنوات الغليان) لم يفعل كوبلاند شيء مما هدد به، وفى سلسلة حوارات للأستاذ هيكل لمجلة روز اليوسف في منتصف التسعينيات صرح أن كتاب مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) مولته المملكة

العربية السعودية عام ١٩٦٩ في إطار سعى الملك فيصل الدءوب للقضاء على شعبية جمال عبد الناصر بين الشعوب العربية، وهو السعي الذي وافق هوى المخابرات المركزية الأمريكية ورجلها مايلز كوبلاند، وأشار هيكل إلى أن أي كتاب يصدره أحد ضباط المخابرات المركزية الأمريكية لابد أن يحصل على موافقة من المخابرات المركزية الأمريكية، وتتم عملية مراجعة دقيقة لما يحتويه لمعرفة مدى خدمته لمصالح وغايات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأهداف السياسة الأمريكية وهو ما خضع له بالطبع كتاب (لعبة الأمم).

والحقيقة أن الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر والتى ظهرت حتى الآن هى مشروع البيان الذى أعده المشير، لكى يذيعه من الاسماعيلية فى حال نجاح الخطة التى كانت مرسومة لوصوله إلى موقع القوات المسلحة هناك أثناء محاولة الانقلاب التى كان يعد لها مع رجاله عقب النكسة، وقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل بنشر هذا البيان فى كتابه (الانفجار ١٩٦٧)- طبعة الأهرام فى الصفحات من ١٠٨١ إلى ١٠٨٩.

وفى هذا البيان المكتوب بخط يد المشير الراحل، يقول عبد الحكيم عامر: "نتيجة لكل ذلك.. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال".

هذا اعتراف صريح من المشير الراحل بأنه هو الذى أصدر قرار الانسحاب غرب القناة، وفيه رد مفحم على بعض الأقلام التى مازالت تصر على أن الرئيس عبد الناصر هو الذى أصدر قرار الانسحاب، وفرضه على المشير عامر.

من المحزن أن شهداء مصر فى اليوم الأول للقتال كان ٢٩٤ شهيدا، وبعد قرار المشير المنفرد بالانسحاب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وبالطريقة التى تم تنفيذ القرار بها، وصل عدد الشهداء المصريين إلى ٦٨١١ شهيدا مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ عندما قبلت مصر قرار وقف إطلاق النار.

لقد أقر الرئيس عبد الناصر فى خطاب تنحيه عن السلطة يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ بمسئوليته الكاملة عن الهزيمة، وبخطأ تقديراته، وباستعداده للعقاب من شعبه، لم يتنصل من مسئوليته ولم يلق بها على المشير عامر رغم أن المشير عامر لم يعارض خطوة واحدة فى عملية التصعيد نحو الحرب، بل كان سباقا فى التحريض عليها، وبرقيته من الباكستان للرئيس عبد الناصر فى ديسمبر عام ١٩٦٦ التى تطالب بسحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء خير دليل على رغبته فى خوض معركة

عسكرية ضد إسرائيل قبل انفجار الوضع فى منتصف شهر مايو ١٩٦٧، كما أن المشير عامر وكل قادة الجيش المصرى حضروا اجتماع الرئيس عبد الناصر معهم يوم ٢ يونيو١٩٦٧، وهو اجتماع مسجل بالصوت والصورة، وفيه قال الرئيس عبد الناصر للمشير ولكل القادة المجتمعين:

- إسرائيل سوف تبدأ عدوانها يوم ٥ يونيو ١٩٦٧.
- إسرائيل سوف تبدأ عدوانها بضربة جوية.
- إسرائيل تعتمد على عنصر المفاجأة والمرونة وتريد معركة قصيرة.

وقد تثبت الرئيس عبد الناصر من المشير والقادة المجتمعين فردا فردا عن استيعابهم لتحذيراته، ولكن الغريب أن تحذيرات الرئيس لم تتجاوز فى تبليغها خارج قاعة الاجتماع، فقد أستمع القادة للتحذيرات ولم يتخذوا أى إجراء لتنفيذها، فقد أتضح عقب الهزيمة أن اللواء محمد عبد الحميد الدغيدى قائد الطيران والدفاع الجوى فى سيناء، لم يعرف بتحذير الرئيس إلا بعد وقوع الهزيمة، بل أن الفريق عبد المحسن مرتجى قائد الجبهة المصرية، والفريق عبد المنعم رياض قائد الجبهة الأردنية، ووزير الدفاع السورى حافظ الأسد، لم يقم المشير بإخطارهم بتحذيرات الرئيس.

وقد ذكر الفريق أول محمد فوزى واللواء حسن البدرى واللواء عبد المنعم خليل، إن المشير عامر قال للقادة العسكريين المجتمعين بعد أن غادر الرئيس عبد الناصر جلسة الاجتماع ما معناه " هو الريس نبى.. ولا بيعلم الغيب".

وبخصوص موضوع الضربة الجوية الأولى وتأثيرها على المعركة، فى نفس الاجتماع المذكور أوضح الرئيس عبد الناصر للقادة المجتمعين أن الظروف السياسية تمنعنا من توجيه الضربة الأولى، وعندما أعترض الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية على ذلك، وقال أن ذلك سيصيب قواته بالشلل، سأله الرئيس عبد الناصر عن سبب ذلك، فقال الفريق صدقى محمود لأن خسائره ستبلغ من ١٠٪ إلى ١٥٪ من حجم القوات الجوية، وعندما سأله الرئيس لماذا هذه النسبة؟، قال الفريق لوجود طائراتنا فى مطارات سيناء، فطلب منه الرئيس سحب الطائرات من مطارات سيناء إلى داخل البلاد، وتشغيل المظلة الجوية لتلافى الخسائر بقدر الإمكان، وقد وافقه المشير عامر على ذلك ولم يعترض، ولكن للأسف بحجة عدم التأثير على الروح المعنوية للمقاتلين وللطيارين لم يتم سحب الطائرات من مطارات سيناء، بل وقرر المشير صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ الذهاب إلى سيناء لقيادة المعركة من هناك، مما أدى لتعطيل شبكة الدفاع الجوى لوجود طائرته فى الجو، وخروج قادة القوات من مواقعهم فى سيناء واصطفافهم فى مطار بيرتماده انتظار لوصوله،

وقد فاجأت الطائرات الإسرائيلية المهاجمة طائرة المشير فى الجو وهى فى طريقها إلى سيناء، مما أضطر المشير أن يأمر بالعودة إلى القاهرة.

والحديث عن أخطاء المشير عامر فى إدارة المعركة تطول، وليس معنى ذلك عدم مسئولية الرئيس عبد الناصر عن الهزيمة، لقد أعترف الرئيس عبد الناصر بأخطائه كلها بداية من ثقته المطلقة فى المشير عامر، إلى عدم تدخله فى سير المعركة العسكرية وتنحية المشير بعد يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، وفى النهاية تحمل الرجل مسئوليته كاملة عما تم، وبدأ الإعداد للثأر والانتقام مما حدث فى يونيو ١٩٦٧.

تبقى قضية وفاة المشير عبد الحكيم عامر يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧، وحتى الآن مازال البعض يصر على أن المشير عامر تم قتله غدرا بأمر عبد الناصر وبأيدى رجاله، ولكن لنحاول تقديم قراءة موضوعية لما حدث بالفعل. تجمع كل المصادر والشهادات على أن المشير عبد الحكيم عامر فكر وحاول أكثر من مرة أن ينتحر.

كانت البداية كما روى الأستاذ هيكل فى برنامجه "مع هيكل" محاولة يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ فعقب إصدار المشير لقرار الانسحاب الكارثى بدون علم الرئيس عبد الناصر، أتصل مساء نفس اليوم وزير الحربية شمس بدران بالرئيس عبد الناصر يرجوه الحضور لمركز القيادة لأن المشير سينتحر، وبالفعل ذهب عبد الناصر إلى هناك وقال للمشير أنه هو المسئول عن الهزيمة، ورجاه ألا يضيف الفضيحة إلى الهزيمة وظل معه حتى أقنعه بالعدول عن قرار الانتحار.

وكانت المرة الثانية التى قرر فيها المشير الانتحار يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ حيث ذكر الدكتور ثروت عكاشة فى مذكراته أنه تلقى اتصال هاتفى من مدير المخابرات العامة صلاح نصر ابلغه فيه بنية المشير عامر أن ينتحر، ورجاه صلاح نصر إن يذهب للمشير ليقنعه بالعدول عن قراره لعلمه بصلته الطيبة به، وبالفعل ذهب الدكتور ثروت عكاشة له ورغم إصرار المشير على قراره بالانتحار يومها، يقول الدكتور ثروت عكاشة أنه أخذ يحادثه ويسرى عنه ويذكر له موقف الدين من المنتحر حتى أثناه عن قراره.

وفى الجلسة التى جمعت المشير بالرئيس عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ فى منزل عبد الناصر وبعد مصارحة الرئيس للمشير أنه أجهض انقلابه وقبض على رجاله وحدد إقامته فى منزله، حاول المشير الانتحار للمرة الثالثة ولكنه فشل بعد تدخل السيدين حسين الشافعى وأنور السادات وطبيب الرئيس الدكتور الصاوى حبيب.

وكان كل الحاضرين شهودا على تلك المحاولة.

وكانت المرة الرابعة التى حاول فيها المشير أن ينتحر يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧

بعدما تم تحديد إقامته باستراحة المريوطية بالهرم، فعندما ذهب الفريق محمد فوزى لاصطحابه إلى مقر إقامته لاحظ أن المشير يلوك شيئا فى فمه وعلى الفور قام بنقله إلى مستشفى المعادى للقوات المسلحة حيث تم علاجه وعمل غسيل معدة له.

نحن هنا أمام رجل حاول أن ينتحر أربع مرات وفى كل مرة كان يفشل لتدخل الرئيس عبد الناصر ووزراءه وأجهزة حكمه وإنقاذهم لحياته دائما.

فى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ ينجح المشير أخيرا فى الانتحار فى مقر إقامته باستراحة المريوطية بالهرم حيث تناول جرعة من السم وفشلت كل محاولات علاجه ولقى حتفه.

تولى عصام الدين حسونة وزير العدل وقتها وهو من أصدقاء المشير وأل عامر الإشراف على التحقيق فى قضية وفاة المشير.

وانقسم التحقيق إلى شقين، شق شرعى تولاه أكبر الأطباء الشرعيين حول نوع السم وكيفية الوفاة.

وشق قانونى تولاه النائب العام وقتها محمد عبد السلام مع عدد من وكلاء النيابة وتم خلاله التحقيق فى كل ظروف الحادث وسماع شهادات كل من له صلة بالمشير الراحل.

أعد خبراء الطب الشرعى تقريرا من ٥٢ صفحة وقع عليه أربعة من أكبر الأطباء الشرعيين فى مصر حيث تبين أن المشير انتحر بتناوله سم الأكونتين وبالبحث عن مصدر حصوله عليه أثبت التحقيق أنه حصل عليه من صلاح نصر مدير المخابرات العامة الذى أعترف أن السم كان موجودا بالمخابرات ولكنه نفى أن يكون قد تم استخدامه ضد أى مصرى.

أجمع كل الشهود عدا أبناء المشير عامر أن المشير قد انتحر.

وهكذا انتهى التحقيق فى شقيه الشرعى والقانونى بإثبات انتحار المشير عبد الحكيم عامر خاصة وان له أكثر من سابقة حاول فيها الانتحار.

يروى وزير العدل عصام الدين حسونة الذى أشرف على التحقيق فى قضية وفاة المشير أنه تقابل عام ١٩٧٥ مع صديقه المهندس حسن عامر شقيق المشير الراحل الذى أخبره انه تقابل مع السادات الذى طلب منه أن يقدم طلب لإعادة التحقيق فى قضية وفاة المشير.

وأخبره السادات أنه سيجد كل مساندة وتأييد منه فى طلبه.

بالفعل فى أغسطس عام ١٩٧٥ تم تقديم طلب بإعادة التحقيق فى قضية وفاة المشير عبد الحكيم عامر، وتم فتح التحقيق فى القضية بسماع أقوال الشهود مرة أخرى.

كما تطوع أحد خبراء السموم بإعداد تقرير عن القضية بعد مرور ٨ سنوات على وفاة المشير، والطريف أن هذا الخبير لم يرى المشير لحظة وفاته ولم يقم بمعاينة جثته أو تشريحها "فهو مثل شاهد ما شافش حاجة" ولكنه كتب تقرير إنشائى لم يأت فيه بجديد عن تقرير الأطباء الذين عاينوا الجثة لحظة الوفاة.

ولكن ما أثار الريبة أن هذا الخبير (اللى ما شافش حاجة)، رغم كل هذا أنهى تقريره المفبرك إلى أن المشير قد تم قتله بدس السم له هكذا بدون دليل ورغم كل الشهادات أصر الخبير الذى لم يرى شيئا ولم يعاين شيء أن يختم تقريره المفبرك بذلك.

انتهى التحقيق الجديد إلى الحفظ لعدم وجود أدلة جديدة.

كان واضحا أن الهدف من إثارة الموضوع سياسي لتشويه الرئيس عبد الناصر وعهده حتى ولو أستدعى ذلك المتاجرة بجثة المشير الراحل.

فى عام ١٩٧٥ أصدر النائب العام محمد عبد السلام الذى كان يحقق فى قضية وفاة المشير مذكراته فى كتاب عنوانه (سنوات عصيبة) هاجم فيه الرئيس عبد الناصر وعهده بضراوة، ولكنه عندما تعرض لقضية وفاة المشير أكد أنه انتحر ونفى احتمالية اغتياله جملة وتفصيلا.

بعد كل هذه الشهادات والوثائق والأدلة تجد البعض حتى الآن يصر على أن المشير مات مقتولا غدرا.

رغم أنه بالتدقيق فى الأحداث والوقائع سنلاحظ أنه لو كان الرئيس عبد الناصر يرغب فى قتل المشير، لماذا لم يتركه الرئيس ينتحر يوم ٦ يونيو١٩٦٧ وذهب له ليثنيه عن قراراه وهى الواقعة التى رواها شمس بدران وزير الحربية وأقرب الناس للمشير؟!

لماذا يقتله الرئيس وقد تم عزله وتحديد إقامته وتجريده من كل سلطاته وإجهاض محاولته الانقلابية والقبض على كل أعوانه المتآمرين؟! ولماذا رفض الرئيس عبد الناصر أن يتم إعدام الملك فاروق فى بداية الثورة رغم إصرار زملائه على إعدامه جزاء جرائمه واكتفى بطرده فقط من مصر؟! و لماذا لم يقتل الرئيس عبد الناصر اللواء محمد نجيب بعد صراعه معه على السلطة عام ١٩٥٤ وبعد وصول معلومات لعبد الناصر أن نجيب متواطئ مع الأخوان وكان على علم بمحاولتهم اغتيال الرئيس عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ واكتفى بعزله وتحديد إقامته فى فيلا المرج؟

بـل والأكثـر خطـورة مـن هـذا انـه أثنـاء العـدوان الثلاثـى عـام ١٩٥٦ وردت معلومات استخباراتية أن قوى العدوان تخطط لخطف محمد نجيب من فيلته وإعلانه رئيسا للبلاد والتفاوض معه على التسليم بعد عزل عبد الناصر أو اغتياله؟ ورغم ذلك كان كل ما فعله الرئيس عبد الناصر هو نقل محمد نجيب إلى مكان مجهول ومحصن فى الصعيد بعيدا عن مكان إقامته فى المرج حتى انتهت الحرب فقام بإعادته لمقره.

وإذا صدقنا الخرافة التى تقول إن عبد الناصر أغتال المشير ليدفن أسرار الهزيمة معه ويتخذه كبش فداء لأخطائه، ألم يكن من الأولى أن يقتل معه كلا من صلاح نصر رئيس المخابرات العامة وشمس بدران وزير الحربية؟ أليس هذان هما الأقرب للمشير وهما من اشتركا معه فى التخطيط لانقلابه الفاشل عام ١٩٦٧ ويعلمان كل الحقائق والأسرار عن الهزيمة؟ لماذا لم يقتلهما واكتفى بمحاكمتهما وسجنهما فقط لو كانت هناك أسرار خفية يريد عبد الناصر طمسها؟!!

لقد قال الرئيس عبد الناصر فى خطاب تنحيه عن الرئاسة (أنه يتحمل المسئولية كلها عما حدث) لم يلق بالتهمة على أحد ولم يبحث عن كبش فداء لتبرير ما حدث.

لم يكن الرئيس عبد الناصر أبدا قاتلا أو دمويا بل كان لديه نفور طبيعى من سفك الدماء، ولم يأمر أبدا باغتيال أحد، بل كان رافضا للاغتيالات السياسية كوسيلة لتحقيق الأغراض.

كان عبد الناصر متأثرا برواية تشارلز ديكنز الشهيرة عن الثورة الفرنسية "قصة مدينتين".

وكان يقول دائما "إن إراقة الدماء تؤدى إلى المزيد من الدماء".

فى الأساطير الإغريقية كان أخيل ابنا لـ"بيليوس"، ملك ميرميدون، وكانت أمه "ثيتس" من الحوريات، ولكي يصبح أخيل من الخالدين (غير الفانين)، قامت أمه بغمره في مياه نهر سيتكس، إلا أنها وحين غمرته كانت ممسكة بكعبه خوفا من أن يسقط من يديها ويغرق فى مياه النهر، لذا أصبح كعبه نقطة ضعفه لأنه المكان الوحيد في جسمه الذي لم يغمره الماء المقدس، وعندما فشلت كل محاولات الطراوديين لقتل أخيل قام الأمير الطراودى باريس بتصويب سهمه نحو كعب أخيل فمزقه وتمكن بذلك من قتل أخيل.

كانت العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر هى كعب أخيل بالنسبة لعبد الناصر.

ناصـــــــر ٦٧

في يوم ٥ حزيران- يونيو من كل عام تحل الذكرى الكئيبة لهزيمة العرب في حرب عام ١٩٦٧ وقد أصبحت تلك الذكرى بمثابة موسم سنوى للندب واللطم وشق الثياب والتنديد بجمال عبد الناصر وعهده، والإدعاء بأن تلك الهزيمة هى سبب كل ما تعانيه مصر من مشاكل ومصائب وأزمات الآن، وكأن ٤٣ عاما كاملة لم تمر على تلك الذكرى الكئيبة، وكأن جمال عبد الناصر نفسه لم تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها منذ ٤٠ سنة.

ونجد البعض يسأل ببلاهة منقطعة النظير: من المسئول عن الهزيمة؟

وكأن الرئيس عبد الناصر لم يعلن في خطابه يوم ٩ حزيران- يونيو ١٩٦٧ مسئوليته الكاملة عما حدث وخطأ تقديراته واستقالته من منصبه، وقبوله لأى عقاب، وكأن الشعوب العربية كلها لم ترفض استقالته وتطالبه بالبقاء والثأر.

وخلال موسم اللطم والندب وصب اللعنات على جمال عبد الناصر الذى وقعت الهزيمة على يديه، يتم التغافل عن حرب الاستنزاف وحرب تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٣ وزيارة السادات للقدس ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والقفز فوق كل ذلك وكأن عبد الناصر مازال يحكم حتى الآن.

تبدو تلك الظاهرة من أغرب ما يكون ولا يوجد مثيل لها إلا في مصر وفى الوطن العربى، فلا توجد أمة في التاريخ لم تتعرض للهزيمة وبصورة أبشع وأكثر ضراوة مما حدث في حرب حزيران- يونيو ١٩٦٧، فقد تعرضت ألمانيا وفرنسا واليابان في الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال ليس فقط للهزيمة ولكن لاحتلال المنتصر لأراضيهم، وتعرضت بريطانيا لهزائم مروعة خلال معارك الحرب العالمية الثانية قبل أن تنتصر في نهاية الحرب، ولم نجد مسئولا من أى دولة منهم يخرج ليعلن لشعبه أن سبب ما تعانيه تلك الدول من مشاكل يرجع لهزيمة وقعت في أربعينيات القرن الماضى، وحتى الولايات المتحدة الأميركية أعظم قوة في التاريخ حتى الآن تعرضت في ١١ أيلول- سبتمبر ٢٠٠١ لهجوم بالطائرات أسقط هيبتها وكشف عورات نظامها الدفاعى، وأوضح للعالم أنه مهما بلغت قوة أى دولة فمن الممكن ضربها وإيذاءها..

يبدو ما يحدث في مصر بالذات في ذكرى النكسة مقصودا ومدروسا بدقة فالأمر يشبه تحميل الشعب المصرى بعقدة ذنب مما حدث من أجل تذكيره دوما أن عبد الناصر جلب الهزيمة لبلده وكأن تاريخه كله هو تلك الهزيمة، وليس شيئا أخر، وكأن قطار التاريخ توقف في محطة ٥ يونيو، ولم يغادرها حتى الآن.

حقيقـة أوضاع مصـــر
بعد الهـزيمة

تحمل الاقتصاد المصرى تكاليف إتمام بناء مشروع السد العالى العملاق، ولم يكتمل بناء هذا السد إلا سنة ١٩٧٠ قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر الذى أعلن بُشرى انتهاء المشروع العملاق أثناء خطابه في العيد الثامن عشر للثورة.

السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسي وتنموي في القرن العشرين.

السد العالي الذى يعادل في حجم بناؤه ١٧ هرما من طراز هرم خوفو.

كما تم بعد النكسة بناء مجمع مصانع الألمونيوم في نجع حمادي وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ٣ مليار جنيه.

وفي ظل النكسة حافظت مصر على نسبة النمو الاقتصادي قبل النكسة والتى بلغت ٧٪ حسب تقرير البنك الدولى رقم «٨٧٠ أ» عن مصر الصادر في واشنطن بتاريخ ٥ كانون الثاني- يناير ١٩٧٦.

بل أن هذه النسبة زادت في عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ وبلغت ٨٪ سنوياً.

كانت تلك النسبة للنمو الاقتصادي في مصر لا مثيل لها في العالم النامى كله حيث لم يزد معدل التنمية السنوى في أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف في المائة بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها في العالم المتقدم باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية.

فمثلا ايطاليا وهى دولة صناعية متقدمة ومن الدول الصناعية الكبرى حققت نسبة نمو عن تقدر بـ٤,٥٪ فقط في نفس الفترة الزمنية.

وأستطاع الاقتصاد المصرى عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى لأول وأخر مرة في تاريخ مصر بفائض قدرها ٤٦,٩ مليون جنية بأسعار ذلك الزمان.

تحمَّل الاقتصاد المصرى عبء إعادة بناء الجيش المصرى من الصفر وبدون مديونيات خارجية كانت المحلات المصرية تعرض وتبيع منتجات مصرية من مأكولات وملابس وأثاث وأجهزة كهربية.

وكان الرئيس عبد الناصر يفخر أنه يرتدى بدل وقمصان غزل المحلة ويستخدم الأجهزة الكهربائية المصرية (ايديال)، وقبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

وبقبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز، أستطاع أبطال القوات المسلحة تحريك حائط الصواريخ العظيم حتى حافة قناة السويس.

وبذلك تم إلغاء دور الطيران الاسرائيلي ذراع إسرائيل الطويلة في الهجوم على

مصر غرب قناة السويس وأصبح اندلاع حرب التحرير، وعبور الجيش المصري للضفة الشرقية مسألة وقت.

كان الرئيس عبد الناصر يقدرها بزمن لا يتأخر عن نيسان- أبريل ١٩٧١.

وقبيل وفاة الرئيس صدق على الخطة جرانيت. وهي خطة العبور التي نفذ الجزء الأول منها في ظهيرة يوم ٦ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٣.

كما صدق على الخطة ٢٠٠ وهي الخطة الدفاعية التي تحسبت لحدوث ثغرة في المفصل الحرج بين الجيشين الثاني والثالث المصري.

صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها بعد ثلاثة أعوام من النكسة واقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولي.

وثمن القطاع العام الذي بناه المصريون في عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت في عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

كل ذلك بدون ديون فمصر في ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر كانت ديونها حوالى مليار دولار ثمن أسلحة أشترتها من الاتحاد السوفيتي، وقد تنازل عنها السوفيت فيما بعد ولم يتم سدادها.

ولم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأميركي بل كان الجنيه المصرى يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزي المصري.

رحل الرئيس عبد الناصر والجنيه الذهب ثمنه ٤ جنيه مصري.

كل تلك الانجازات تمت بعد النكسة ومن نفس النظام الذي تمت الهزيمة في عهده. لم تكن هزيمة حزيران- يونيو ١٩٦٧ بسبب فشل نظام حكم عبد الناصر بل كانت عقابا أميركيا على نجاح عبد الناصر في بناء نموذج ثورى اقتصادى واجتماعي ناجح شكل خطرا جسيما على المشروع الأميركى والصهيونى في الوطن العربي.

وكانت كلمات الرئيس الفرنسى شارل ديجول خير معبر عن حقيقة عدوان

يونيو ١٩٦٧ : «المعركة أميركية والأداء إسرائيلي».

وبعد رحيل الزعيم عبد الناصر دخلت مصر حرب أكتوبر وهى محكومة بكل آليات النظام الناصرى.

القطاع العام الذى يقود التنمية.

والجيش المصرى الذي بناه عبد الناصر عقب الهزيمة.

وحائط الصواريخ الذي حركه عبد الناصر لحافة القناة قبيل وفاته.

والخطط العسكرية الموضوعة منذ عهده.

رفض الرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة مباشرة كل عروض السلام الإسرائيلية بعودة سيناء فقط إلى مصر مقابل سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، وفى حديث له إلى أساتذة وطلبة الجامعات المصرية عقب مظاهرات الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨ يقول الرئيس جمال عبد الناصر: " أنا عارف مدى الغضب ومدى المفاجأة اللى أصابتنا جميعا بعد النكسة وبعد اللى حاصل وعارف أن الشعب العربى في مصر غاضب وحزين لأن جيشه نال هزيمة غير مستحقة ولأن سيناء تم احتلالها بس أنا بدى أقول لكم حاجة الرئيس تيتو بعت لى رسالة جت له من ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل بيطلب فيها أنه يقابلني في أي مكان في العالم لنتحدث ولكى نصل إلى حل وبيقول أنه مش هيتعامل معى معاملة منتصر مع مهزوم، وإن إسرائيل مستعدة ترد لنا سيناء من غير شروط مذلة إلا شرط واحد بس أن مصر تبقى دولة محايدة يعني لا قومية عربية ولا عروبة ولا وحدة عربية نبقى في حالنا ومالناش دعوة بإسرائيل ولا نحاربها، إسرائيل قتلت الفلسطينيين وإحنا مالنا، إسرائيل ضربت سوريا إحنا محايدين، ضربت الأردن.. لبنان، مصر مالهاش دعوة وما تتكلمش.

"يعنى خدوا سيناء وطلقوا العروبة والقومية والوحدة ونبيع نفسنا للشيطان، أنا طبعا قولت للرئيس تيتو الكلام ده مرفوض القدس والضفة والجولان وسيناء يرجعوا مع بعض، إحنا مسئولين عن كل الأراضي العربية، إحنا مسئولين عن حل مأساة شعبنا العربي في فلسطين، مش هنقبل شروط، ومش هنخرج من عروبتنا، ومش هنساوم على أرض ودم العرب، لن تقبل الجمهورية العربية المتحدة بحل جزئي أبدا، معركتنا واحدة وعدونا واحد وهدفنا واحد تحرير أرضنا كلها بالقوة ولن نقبل مشاريع منفصلة للسلام، حبيت أنقل لكم الموضوع ده علشان تعرفوا أن المشكلة مش سيناء بس، الأميركان واليهود ضربونا في ٦٧ علشان يساومونا بيها على عروبتنا وعلى شرفنا وعلى قوميتنا".

لم يعد سرا الآن بعد أن تم الإفراج عن معظم الوثائق الغربية أن إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية حاولتا باستماتة إغواء الرئيس عبد الناصر بقبول صلح منفرد مقابل استعادة سيناء كاملة وبغير قيود لنزع سلاح القوات المسلحة المصرية في سيناء بشرط الخروج من الصراع العربى الإسرائيلى.

فى حديث لرئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول مع مجلة نيوزويك الأميركية عدد ١٧ شباط- فبراير ١٩٦٩ يقول: "خلال العقدين الأخيرين كررنا دائما في إسرائيل قولنا بأننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر، أننى مازلت مستعدا لأن أطير إلى القاهرة، ولن أتحدث مع ناصر كمنتصر ولكنى سأبلغه أن إسرائيل مستعدة لإعادة سيناء كاملة إلى مصر وبدون أى قيد أو شرط حيث أنه لم تكن لإسرائيل في أى وقت طلبات من أجل نزع سلاح سيناء، ولكن بالنسبة لمرتفعات الجولان والقدس والضفة الغربية فأن إسرائيل ببساطة لن تتنازل عنها، سنرد لناصر سيناء بدون شروط مقابل أن يهتم بشئون مصر ولا يتدخل في شئون الدول العربية الأخرى".

رفض الرئيس عبد الناصر كل تلك العروض وأصر على عودة الأراضى العربية كلها وعلى الوصول إلى حل شامل للصراع العربى الإسرائيلى، أدرك الرئيس عبد الناصر أن عروبة مصر هى قدرها ومستقبلها وسبيل العرب الوحيد للوحدة ككتلة قوية في عالم لا يرحم الكيانات الصغيرة، أدرك أن قيادة مصر للوطن العربى تكون بأفعالها وبكونها ممثلة لكل طموحات وأمال الشعوب العربية، لم تكن العروبة والقومية عنده تعنى السيطرة المصرية على الوطن العربى بل كانت رؤية عبد الناصر أشمل لمفهوم الأمن القومى العربى الجامع لكل الدول العربية وكان مؤمنا أن المصالح العربية مشتركة وواحدة، لذا رفض بشدة أن يخرج من عروبته وأن ينعزل بمصر،لذا بدأ التخطيط لرد الاعتبار والثأر مما حدث في حرب حزيران- يونيو ١٩٦٧.

طبق عبد الناصر عمليا مقولته الخالدة.. أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.... لذلك لم ينم عبد الناصر منذ الهزيمة ليلة هنيئة حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها في ٢٨ أيلول- سبتمبر ١٩٧٠.. ثلاث سنوات أنجز فيها عبد الناصر ما أدى لصنع أسطورة العبور.. يقول الدكتور جمال حمدان في كتابه "٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية": في الواقع أن فترة ما بين الحربين (حزيران- يونيو٦٧، تشرين الاول- أكتوبر٧٣). والتي استمرت نحو ست سنوات ونصف السنة. كانت فترة "كمون " و"إعداد" ثم "اختمار" و"انطلاق" نحو القفزة الكبرى.. ونحن نستطيع أن نقدر هذه الفترة حق قدرها في سياق الصراع العام إذا نحن حللناها

إلى مراحل تطورية. فهناك أربع مراحل أساسية.. (الصمود) (الردع)(الاستنزاف) (وقف اطلاق النار).. فالصمود من "حزيران- يونيو ٦٧ حتى آب- أغسطس ٦٨" مدة سنة وشهران.. هي أساساً مرحلة "الدفاع الحذر" تخللتها معارك رأس العش والمدمرة إيلات وبعض معارك جوية متحدية.. والردع من "أيلول- سبتمبر٦٨ حتى شباط - فبراير ٦٩" مدة ستة شهور.. هي أساساً مرحلة " الدفاع النشط " تلخصها معارك المدفعية التي اتصل فيها التراشق بالنيران عبر القناة.. وكان من نتائجها بناء العدو لخط بارليف الأول.. أما مرحلة الاستنزاف من "آذار- مارس ٦٩ حتى آب- أغسطس ٧٠" مدة سنة ونصف السنة.. فتعد أساساً مرحلة " الهجوم الحذر" ففيها تم تدمير خط بارليف ألأول بالمدفعية المكثفة المستمرة طوال شهرين.. آذار- مارس ونيسان- أبريل ١٩٦٩.. ثم توالى عبور الكوماندوز ليلاً ونهارا بقوات متزايدة ثم بلا انقطاع، كما تكررت غارات الضفادع البشرية على موانئ العدو تحرقها وتغرق سفنه فيها ، هذا فضلاً عن الغارات والمعارك الجوية المتصاعدة ، وذلك كله في وجه غارات العدو المضادة على الجزر المنعزلة والعمق المدني إلى جانب جبهة القناة. أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة وقف إطلاق النار من آب- أغسطس ٧٠ حتى تشرين الأول- أكتوبر٧٣" مدة ثلاث سنوات وشهران.. وهي أساساً فترة اللا حرب واللا سلم.. من هذا التصنيف نرى أن فترة ما بين الحربين تكاد أولاً تتنصف ما بين مراحل الدفاع بأشكاله ودرجاته المختلفة ومابين مرحلة اللا حرب واللا سلم "ثلاث سنوات وشهران لكل منهما".. والمراحل الدفاعية الأولى تكاد بدورها تتنصف بين الصمود والردع السلبي في جانب وبين الاستنزاف الإيجابي في الجانب الآخر.. "حوالي سنة ونصف السنة لكل منهما".. وإذا كان العدو قد تفرغ في مرحلة وقف النار لبناء خط بارليف الثاني وتدعيم وجود في سيناء.. فقد تفرغت القوات المصرية للتدريب الداخلي النهائي والحاسم وإعادة بنائها وتطويرها للمعركة الكبرى.. وهكذا ترسم المراحل مجتمعة عملية متنامية متصاعدة تتعاقب وتتكامل في زحف صاعد منتظم من البناء العسكري والاختبار الحربي وكانت كلها بخبراتها وتجاربها ونتائجها مدرسة عملية أخرى بالفعل وتدريبات جزئية مجزأة على معركة التحرير الكبرى في أكتوبر... من هنا ثبت أن سنوات ما قبل المعركة.. تلك السنوات " الست" القاسية والصبور.. لم تكن سدى.. ففي هذه الفترة أتيح لقواتنا وقياداتها المجال لنوعين أساسيين من التدريب والتجريب : تدريب نموذجي معملي.. وتدريب ميداني واقعي فبالتخطيط الثاقب الواعي والإرادة المصرة ، جرى التدريب الشاق المثابر العنيد " قيل ٣٠٠تجربة"! على " ماكيت" إقليمي من الحجم الطبيعي وفي لاندسكيب طبيعي اختير بعناية وعن عمد من ليكون أقرب ما يمكن شبهاً ببيئة القناة ومسرح القتال سواء تضاريس أرض أو عمق مجرى أو سرعة تيارات.. وقد

كانت منطقة على قطاع من ترعة الإسماعيلية.. حيث أقيم سد ترابي مشابه تماما لسد العدو.. هي هذا المسرح التدريبي والتجريبي على العبور والاختراق.. كذلك فلقد أجريت عملية التدريب أحيانا على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه عملية التدريب أحياناً على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه مجراها.. حيث تتوسط المجرى جزيرة البلاح الغربي بينما كانت تسيطر عليه قواتنا سيطرة كاملة وفي مأمن تام من أنظار العدو وأخطاره.. ولا يظن أحد أن هذه التجارب والتدريبات.. حتى كتجارب وتدريبات. كانت بالمهمة السهلة.ففضلاً عن صعوبات توفير المسرح الملائم بالمواصفات المحددة.. كانت هناك اعتبارات إمكان استخدام الذخيرة الحية.. وبإحداث خسائر في الأرواح والممتلكات والمزروعات بل والأرض الزراعية نفسها.. كذلك ضرورة إقامة ثم هدم الساتر الترابي الصناعي عدة مرات في كل تجربة واحدة.. ثم تكريك وتطهير المجرى المائي من رديمها بعد تلك المرات وإعادته إلى مكانه على ألأرض من جديد.. كل أولئك مع ما يعني من مضاعفة أحجام مكعبات والردم والتكويم والتكريك عدة أضعاف الحجم الكلي للعملية الحقيقية الواحدة نفسها في ميدان القتال الفعلي. وكما يذكر كتاب حرب رمضان فإن تدريب وحدة هندسية واحدة " من ٨٠ وحدة مطلوبة" كان يستدعي تحريك حجم من الأتربة والوحل يعادل ١٢ مرة مثل ما ستقوم بإزاحته فعلاً أثناء المعركة، في حين ترتفع هذه النسبة إلى ١٥ ضعفاً بالنسبة لمجمل العملية كلها تجريباً وتدريباً.. بهذا كله وبمثله وبغيره كانت العملية قد أصبحت بمثابة "الأمر اليومي" أو حتى الخبز اليومي بالنسبة للمهاجم المصري المقتحم.. كل المعدات والأسلحة جاهزة "مشونة" في أماكنها بالضبط لساعة الصفر.. وكل فرد يعرف دوره ومكانه ولحظته المحددة، مما حقق ساعة التطبيق نتائج قياسية مذهلة من الكفاءة والاقتدار والنجاح فاقت أعرض أحلام التخطيط نفسه وأشد توقعاته تفاؤلاً..

وقد أورد إبراهيم خليل إبراهيم في كتابه وطني حبيبي عن حرب أكتوبر وعن دور جمال عبدالناصر.. "رفض الشعب والجيش مرارة الهزيمة، وبعد اقل من شهر بعد نكسة ١٩٦٧ تمكن عدد محدود من جنود الصاعقة من صد هجوم بعض الدبابات الإسرائيلية.. وانتهى القتال الذي دام أياما بإيقاف تقدم القوات الإسرائيلية نحو جنوب بورسعيد، ولم تعاود القوات الإسرائيلية الهجوم عليها أبدا، وظلت رأس العش المنطقة الوحيدة التي لم تدنس بالاحتلال والقوات الإسرائيلية، وفي يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر يوليو عام ١٩٦٧ قامت القوات الجوية المصرية بطائراتها المتبقية بغارة ضد المواقع الإسرائيلية قرب القنطرة وفجرت ودمرت تشوينات الأسلحة والذخيرة التي جمعتها إسرائيل من سيناء، ولاحت بوادر استرداد

الثقة حينما تمكنت لنشات الصواريخ المصرية قرب بورسعيد في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٦٧ من إغراق المدمرة الإسرائيلية - إيلات - والتي كانت تعادل ثلث المدمرات الإسرائيلية الموجودة بالبحر.وتوالت قصفات المدفعية المصرية علي طول مواجهة قناة السويس حتي عشرين كيلو مترا داخل سيناء. وفي عام ١٩٦٨ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر القانون رقم ٤ الذي نظم وضع القوات المسلحة ضمن الإطار العام لأجهزة الدولة وحدد بمقتضاه سلطات فعالة لرئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى، واختصاصات وزير الحربية ورئيس الأركان، وتم إعادة تنظيم المناطق العسكرية لتغطي ارض مصر كلها، وتم علي أساس هذا التنظيم تحويل تنظيم قيادة المنطقة العسكرية الشرقية التي كانت تخضع لها من قبل وحتي عام ١٩٦٧ م القوات الموجودة في سيناء، ومنطقة القناة بقيادتين ميدانيتين اقتسمتا الجبهة بالتساوي وهما: الجيش الثاني الذي كلف بالقطاع الشمالي من الجبهة، والجيش الثالث الذي كلف بالقطاع الجنوبي، وأنشئت أيضا قيادة قوات الدفاع الجوي وأصبحت مع أوائل عام ١٩٦٨ م بمثابة القوة الرئيسية الرابعة في القوات المسلحة. وقد شهدت القوات الجوية عملية بناء غير مسبوقة شملت تخرج ١٢ دفعة من الطيارين، ١٠ دفعات من الملاحين، وتجهيز هندسي لمختلف المطارات والقواعد الجوية وإنشاء مطارات جديدة في كل أنحاء مصر، وتعددت صور الإنشاءات بين دشم محصنة، ودشم ذخيرة، ومراكز قيادة، وبلغ حجم الإنشاءات في القوات الجوية ثمانية أضعاف الهرم الأكبر، وتضاعفت ساعات الطيران للطيارين مرتين ونصف، وتضاعفت طلعات رمي الطيارين بالقنابل والصواريخ مابين ١٨ الي ٢٠ مرة. وكانت عملية إعادة بناء قوات الدفاع الجوي تمثل في حد ذاتها قصة بطولة بمفردها حيث كان لدينا فقط بضعة مدافع ورشاشات مضادة للطائرات، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ، وقليل من أجهزة الرادار. وقد حاولت إسرائيل تدمير إرادة مصر فقامت بغارات جوية وصل عددها من يوليو حتي سبتمبر عام ١٩٦٩ حوالي ١٠٠٠ غارة في العمق ضد بعض الأهداف المدنية لتوسيع رقعة القتال. واتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قرارا ببناء مواقع محصنة لصواريخ الدفاع الجوي.. ثم اتخذ قرارا بإقامة حائط الصواريخ علي امتداد الجبهة الغربية لقناة السويس، ووصل حجم الأعمال الهندسية في حائط الصواريخ ١٢ مليون متر مكعب أعمال ترابية، ومليون ونصف مليون متر مكعب من الخرسانة العادية، ومليونين خرسانة مسلحة، ٨٠٠ كيلو متر طرق أسفلت، ٣٠٠٠ كيلو متر طرق ترابية، وقدرت تكاليف حائط الصواريخ بحوالي ٧٦ مليون جنيه، وبعد عملية إعادة البناء تم تنفيذ العديد من العمليات القتالية كبروفة طبق الأصل لعملية العبور ففي أيلول- سبتمبر عام ١٩٦٨ قامت المدفعية المصرية بتدمير بطاريات الصواريخ ارض / ارض قصيرة المدى التي

إقامتها إسـرائيل في مواجهـة مـدينتي الإسماعيليـة والـسويس وبقيـة القـرى بمنطقـة القنـاة، ورغـم محـاولات إسـرائيل التـدخل بقواتهـا الجويـة ضـد المدفعيـة المـصرية فـان عمليـات القـصف المـدفعي تواصـل جنبـا الـي جنـب مـع عمليـات العبـور والـتي تزايـدت بشـكل كـبير منـذ يونيـو ١٩٦٩ وفي يوليـو ١٩٦٩ قامـت قـوة مـصرية بعمليـة عبـور مـن منطقة بور توفيق واقتحمت موقعا إسرائيليا وقتلت وجرحت نحو ٤٠ جندي واستمرت في الموقع لمدة ساعة بعد أن دمـرت ٥ دبابـات إسـرائيلية ومركـز مراقبـة وعـادت بـأول أسـير إسـرائيلي، وفي التاسـع مـن ديـسمبر عـام ١٩٦٩ قامـت طـائرة مـيج ٢١ مـصرية بإسـقاط أول طـائرة فـانتوم إسـرائيلية. وفي يوليـو ١٩٧٠ تمكنـت صـواريخ الـدفاع الجوي في أسبوع واحـد مـن إسـقاط ١٧ طـائرة إسـرائيلية فيمـا عـرف بأسـبوع تـساقط الطـائرات الفـانتوم الإسـرائيلية. وخـلال معـارك الاسـتنزاف خـسرت إسـرائيل ثلاثـة أمثال ما لحقها من خسائر بشرية خلال حرب ١٩٦٧،و فقـدت خلالهـا ٤٠ طيـارا، ٢٧ طائرة قتـال، ومـدمرة، و٧ زوارق وسـفن إنـزال، و١١٩ مجنـزرة، ٧٢ دبابـة، ٨١ مـدفع ميـدان وهـاون، ومقتـل ٨٢٧ جنـديا وضـابطا وإصـابة ٢١٤١ فـردا، كانـت حـرب الاستنزاف التى قادها عبد الناصر هى الخطوة الأولى نحو العبور العظيم.

عنـدما تحـدث الأسـتاذ هيكـل فـى أحاديثـه الأخـيرة عـن تفاصـيل العمليـة المخابراتيـة (عـصفور)، كـشف أحـد أخطـر تقـارير المعلومـات التـى كـشفتها عمليـة (عصفور)، عندما توجه السيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة المصرية إلى منـزل الـرئيس عبـد الناصـر فـى يـوم ٦ ديـسمبر ١٩٦٩ ومعـه تـسجيل لحـديث دار بـين الـوزير المفـوض الأمريكـى فـى سـفارة الولايـات المتحـدة فـى إسـرائيل ومـديرة مكتبـه مـع السفير الأمريكـى فـى القـاهرة وممثـل المخـابرات المركـزية الأمريكيـة فـى الـسفارة الأمريكية فى القاهرة وأستمع الرئيس عبد الناصر إلى الحديث والذى جاء فيه:

أن عبـد الناصـر هـو العقبـة الرئيـسية في قيـام علاقـات طبيعيـة بـين المـصريين والإسرائيليين.

وأن هناك حالة من الالتفاف الشعبى المصري والعربى حول عبد الناصر تجعل السلام مع إسرائيل بالشروط الأمريكية مستحيلاً.

وإن مـصر الـتي كانـت مـن المفـترض أنهـا مهزومـة تبـدو منتـصرة في حـين أن إسـرائيل الـتي كـان مـن المفـترض أن تبـدو منتـصرة تبـدو مهزومـة بـسبب حـرب الاستنزاف.

وأن سمعة "موشى ديان"أكبر بكثير من إمكانياته الشخصية.

وأن قادة إسرائيل (جولـدا مـائير، موشـى ديـان، أهـارون يـاريف، إيجـال أللـون)

أجمعوا على أن بقاء إسرائيل ونجاح المشروع الأمريكى فى المنطقة مرهون باختفاء الرئيس جمال عبد الناصر من الحياة وأنهم قرروا اغتياله بالسم أو بالمرض.

وأن جولدا مائير رئيسة وزراء العدو قالت بالنص: "We will get him" سوف نتخلص منه وإلا فأن العالم العربى ضائع وسيخرج من نطاق السيطرة الأمريكية، ومستقبل دولة إسرائيل فى خطر بالغ.

ولشدة خطورة تلك المعلومات فضلّ السيد أمين هويدي أن يستمع الرئيس عبد الناصر بنفسه للتسجيل كاملا.

فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ توفى الرئيس جمال عبد الناصر بعد ٩ شهور من معرفته بالخطة الأمريكية الإسرائيلية لاغتياله، فعقب مؤتمر القمة العربية بالقاهرة الذى عقد لوقف الحرب التى قادها ملك الأردن الراحل حسين ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية، مات جمال عبد الناصر شهيدا فى سبيل أمته، مات وهو يناضل ضد المشروع الأمريكى الصهيونى فى العالم العربى.

ولنرى ما الذى حدث بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر؟ فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق نقرأ التالى أنه شعر بالسعادة البالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأمريكية فى المنطقة الأهم للولايات المتحدة فى العالم، ويحلل كيسنجر أوضاع المنطقة عقب وفاة عبد الناصر، ويصل أن الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصر وإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أمريكى، وأن يتضمن ثلاثة شروط:

١- طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها.

٢- يترك مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق فى العالم العربى.

٣- أن تظهر التجربة الثورية التى قادها عبد الناصر فى مظهر التجربة الفاشلة.

وعلى الجانب الإسرائيلى يقول مناحم بيجن عن وفاة عبد الناصر (إن وفاة عبد الناصر، تعني وفاة عدو مر، إنه كان أخطر عدو لإسرائيل. إن إسرائيل لهذا السبب لا تستطيع أن تشارك في الحديث الذي يملأ العالم كله عن ناصر وقدراته وحنكته وزعامته).

ويقول بن جوريون (كان لليهود عدوين تاريخيين هما فرعون فى القديم، وهتلر فى الحديث، ولكن عبد الناصر فاق الاثنين معا فى عدائه لنا، لقد خضنا الحروب من أجل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه).

و يقول حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى : (بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقا أمام إسرائيل وعاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلون باختفاء شخصيته الكاريزماتية).

ويقول المفكر الإسرائيلى آمنون روبنشتاين : إن مصر يجب آلا تكون طرفا فى الصراع العربى الإسرائيلى، إن تورط مصر الكبير فى النزاع العربى الإسرائيلى تمخض بصفة خاصة بسبب سياسة جمال عبد الناصر التى كانت تقوم على ركنين أساسيين يعوزهما الحكمة :

١- إمكانية وجود وحدة عربية.

٢- معاداة الغرب.

وقد رفض جمال عبد الناصر طيلة حياته العدول عن تلك السياسات والآن بعد وفاته نأمل أن تراجع القيادة المصرية الجديدة تلك السياسات لكى تنهى الحرب بين مصر وإسرائيل.

لم تكن حرب يونيو ١٩٦٧ هى نهاية التاريخ، ولم تكن هى سبب مشاكل مصر والعرب الآن، ولم يكن عبد الناصر المهزوم فى يونيو ١٩٦٧ هو الذى ذهب إلى القدس وأعترف بالكيان الصهيونى، وقبل بالحل الجزئى المنفرد للصراع العربى الإسرائيلى، ولم يكن عبد الناصر هو الذى خطب فى الكنيست الإسرائيلى وفوق رأسه العبارة المقيتة (من النيل إلى الفرات..أرضك يا اسرائيل) ولم يكن عبد الناصر هو الذى فكك القاعدة الصناعية الضخمة التى بناها المصريون فى الخمسينيات والستينيات، ولم يكن هو الذى خصخص القطاع العام المصرى، وبدد ثروات البلاد وباع أراضيها للسماسرة والمستغلين من شتى الجنسيات، لم يكن عبد الناصر هو الذى انسحب من العالم العربى وأفريقيا وأسيا، ولم يكن عبد الناصر هو الذى حول مصر لمحمية أمريكية حليفة لإسرائيل، بل أن تصديه للمشروع الأمريكى الصهيونى هو سبب العدوان على مصر فى يونيو ١٩٦٧، وصموده ورفضه لمشروعات السلام المنفردة ربما يكون هو سبب وفاته المفاجئة فى سبتمبر ١٩٧٠.

فى كتيب (العلامة جمال حمدان ولمحات من مذكراته الخاصة) الذى صدر حديثا بالقاهرة يقول العالم الراحل : جمال عبد الناصر هو الحاكم المصرى الوحيد الذى فهم الجغرافيا السياسية لمصر، لذا فالناصرية هى مستقبل مصر، لأن

الناصرية هى مصر كما ينبغى أن تكون.

الأمم العقيمة فقط والشعوب الميتة هى التى تعلق شماعة فشلها على حدث تم منذ ٤٣ عاما، فى عهد رجل مات منذ ٤٠ عاما.

وحتى لو قررنا تجاهل كل تلك المعلومات والأدلة الموثقة على نجاح مشروع الرئيس عبد الناصر حتى بعد الهزيمة فى حرب ١٩٦٧، أين كان حكام مصر خلال ٤٠ عاما من اختفاء عبد الناصر من الوجود، لو أفترضنا أن عبد الناصر ترك مصر خرابا وحطاما مدمرا، فإن مرور ٤٠ عاما على وفاته تكفى وتزيد لبناء مصر من الصفر، .لقد انتقلت ماليزيا فى أقل من ٣٠ عام من حكم مهاتير محمد من حال إلى حال اقتصاديا وتقنيا وتعليميا، وإيران الثورية المحاصرة المشاغبة تحقق كل يوم قفزة فى برنامجها النووى وفى صناعة الصواريخ والأقمار الصناعية، وتركيا فى خلال أقل من ٢٠ عاما حققت قفزات نوعية فى مجالات التعليم والصحة وصناعة السلاح.

كان جمال عبد الناصر رجلا استثنائيا فى التاريخ المصرى والعربى، وكان عهده كله استثناء فى التاريخ العربى، مع عبد الناصر دخل العرب التاريخ وبوفاته والانقضاض على تجربته بدأ خروجهم من التاريخ والذى يكاد الآن يصبح نوعا من الانتحار التاريخى وليس مجرد خروج مؤقت.

الهزيمة الحقيقية هى هزيمة الإرادة وليست الهزيمة فى معركة عسكرية تمت منذ ٤٣ عاما، تبدو مواسم اللطم والندب والعويل عندما تحل ذكرى الهزيمة من كل عام وكأنها مخططات مدروسة لقتل روح الارادة لدى الشعب المصرى، ولتكريس روح الهزيمة بداخله والعجز عن التغيير، وتبدو مبررات تحميل جمال عبد الناصر الفشل المصرى الحالى على كل الأصعدة نكتة سخيفة تليق بشعب من المعتوهين والمجانين فاقدى القدرة على التمييز، لأن أى منصف سيدرك إن النظام الذى يحكم مصر منذ عام ١٩٧٤ وحتى الأن هو النقيض المتطرف لنظام حكم جمال عبد الناصر، وسياساته المناقضة والمعادية للناصرية هى سبب كل ما تعانيه مصر من مصائب ومحن، وليس البطل الراقد فى قبره منذ أربعة عقود.

عن العملية عصفور وانقلاب مايو...
مفاجأة مذهلة

فجر الكاتب الصحفى الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل عدة قنابل تاريخية من العيار الثقيل في حلقاته الجديدة من برنامج "تجربة حياة"، والتي تحمل عنوان "الطريق إلي أكتوبر" وتعرض على فضائية الجزيرة. فقد كشف الأستاذ هيكل أن الرئيس جمال عبد الناصر أمر بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٧ فى عملية إستخباراتية أطلق عليها أسم العملية (عصفور) وقال هيكل أن هذه العملية تعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس فى تاريخ المخابرات فى العالم ولا تعادلها فى النجاح إلا العملية (ألترا) عندما نجحت مخابرات الحلفاء فى حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأمريكيين على علم كامل بكافة التحركات والخطط العسكرية والإستخباراتية الألمانية قبل حدوثها، وأضاف هيكل : "كان يعلم بسر العملية (عصفور) حوالي عشرة أشخاص في مصر كلها، وأن نائب الرئيس عبد الناصر وقتها السيد أنور السادات لم يعلم بسر العملية (عصفور) بأوامر من الرئيس عبد الناصر ذاته..

وبعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ /٩ /١٩٧٠ رفض السادة (على صبرى، شعراوى جمعة، سامى شرف، والفريق محمد فوزى) أن يعرف الرئيس الجديد أنور السادات بسر العملية " عصفور " لخوفهم على العملية منه ولعدم ثقتهم فيه، ولأن بعض ما وصلهم عبر تسجيلات تلك العملية فيه ما يدين الرئيس السادات، ويستوجب محاكمته.

وقال الأستاذ هيكل أنه هو الذى أطلع الرئيس السادات على سر العملية (عصفور)، ووصف هيكل المعلومات التى حصلت عليها مصر بفضل تلك العملية المتفردة بالكنز الثمين والذى لا يقدر بثمن. وقال هيكل أن عملية (عصفور) ظلت تسير بنجاح وظل تدفق المعلومات جاريا منذ ديسمبر ١٩٦٧ حتى يوليو ١٩٧١ عندما أفشى الرئيس أنور السادات سر العملية (عصفور) لصديقه كمال أدهم مدير المخابرات السعودية وصاحب العلاقات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذى نقل المعلومة فور علمه بها للأمريكيين مما أنهى العملية الناجحة وأغلق باب كنز المعلومات للأبد. وبينما أنا أتابع حديث الأستاذ هيكل أنتابنى شعور أننى قرأت له من قبل ما يشير إلى تلك العملية المتفردة فى تاريخ المخابرات، وبمراجعتى لكتابه (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة) طبعة الأهرام الأولى عام ١٩٩٣، تيقنت من صدق شعوري، حيث كتب الأستاذ هيكل فى صفحة ١٣٨ من الكتاب(لم يكن الرئيس السادات وقتها يعرف ما فيه الكفاية عن القدرات التى بلغتها المخابرات المصرية، والحقيقة أن هذا الجهاز الكبير كان قد حقق لنفسه

مستوى عال فى مجال الأمن القومى وقد وصلت كفاءته إلى حد أنه تمكن من وضع أجهزة تنصت وتسجيل فى بيت ومكتب القائم على شئون المصالح الأمريكية " دونالد بيرجس " وقد شملت الرقابة كل غرفة فيه، بما فى ذلك مكتب ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " يوجين ترون " ومسكنه أيضاً).

وكتب الأستاذ هيكل فى الهامش رقم ٩ لنفس الصفحة (لم يعد هناك حرج فى ذكر ذلك الآن لأن الأمريكان عرفوا فيما بعد الحقيقة وقاموا بإعادة بناء للبيت وتنظيفه من كل أدوات التسمع والتنصت فيه) كما نشر الأستاذ هيكل في الفصلين الخامس والسادس من نفس الكتاب محاضر تفريغ لتسجيلات الأحاديث الواردة من السفارة الأمريكية، وفى الملحق الوثائقى للكتاب فى الصفحات من ٧٥٨ حتى ٧٦٠ نشر الأستاذ هيكل صورة لغلاف تفريغ شريط مسجل بين المستر "يوجين ترون" واللواء "عبد المنعم أمين"، وبين المستر " دونالد بيرجس" واللواء "عبد المنعم أمين".

وهكذا اكتشفت أن الأستاذ هيكل قام منذ ١٦ سنة وقت صدور كتاب (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة) بالإشارة إلى العملية (عصفور) دون تسميتها ودون أن يذكر كل تفاصيلها، كما قام بنشر تفريغ لبعض تسجيلاتها بما يخدم موضوع كتاب (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة)، وبالتالى فإن إشارته الأخيرة عن العملية ليست هى أول مرة يتكلم فيها عن العملية (عصفور).

و أثناء إعدادى لدراسة عن حرب يونيو ١٩٦٧ كان من ضمن المراجع التى قررت الاستعانة بها مذكرات السيد / محمود رياض وزير خارجية مصر وأمين عام جامعة الدول العربية الأسبق، وفى الجزء الثالث من مذكرات محمود رياض والذى صدر بعنوان (أمريكا والعرب) عن دار المستقبل العربى – الطبعة الأولى عام ١٩٨٦، وفى صفحتى ١١٨ - ١١٩ من الكتاب وجدت مفاجأة مذهلة عن العملية (عصفور) أيضا بدون تسميتها، حيث يقول السيد/ محمود رياض فى مذكراته:

وقد اطلعت مؤخرا على التحقيقات التى تمت مع السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية الأسبق بواسطة النيابة العامة فى يونيو ١٩٧١، وقد ورد فيها أن شعراوى جمعة أثناء اجتماعه مع أعضاء التنظيم الطليعى للاتحاد الاشتراكى ذكر ما يلى: أننى نقلت إلى الموجودين بعض ما علمته مما دار بين بيرجس (القائم على شئون المصالح الأمريكية فى مصر) وجوزيف سيسكو (مساعد وزير الخارجية الأمريكى) وما دار فيه من حديث يتصل بأمور كثيرة منها ما يمس سلامة البلاد أرجو إعفائى من ذكرها.

ثم يقول السيد/ محمود رياض أن السيد/ شعراوى جمعة قرر أن يطلعه بعد خمسة عشر كاملة على الحديث الذى دار بين سيسكو وبيرجس مساء يوم ٩ مايو ١٩٧١، وهو الحديث الذى رفض الإفصاح عنه أثناء تحقيقات النيابة العامة معه فى قضية مايو ١٩٧١.

ويضيف السيد/ محمود رياض أن السيد/ شعراوى جمعه أخبره أن مباحث الداخلية استطاعت أن تضع أجهزة تصنت فى منزل بيرجس القائم على رعاية المصالح الأمريكية فى مصر وأمكن تسجيل الحديث الذى أدلى به سيسكو لبيرجس حول ما سمعه من السادات أثناء مقابلته له بعد ظهر ذلك اليوم – ٩ مايو ١٩٧١ – فقد أبلغ السادات سيسكو أنه سيقوم بتغيير وزير الخارجية محمود رياض ووزير الدفاع محمد فوزى لأنهما يضغطان عليه من أجل بدء معركة التحرير هذا علاوة على إصرار وزير الخارجية على الحل الشامل، كما ذكر السادات لسيسكو أيضا أنه قرر فصل حوالى مائة وخمسين عضوا من الاتحاد الاشتراكى وهم الذين عارضوه فى اللجنة المركزية عندما طرح مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا..

نحن هنا أمام إشارة أخرى للعملية (عصفور) بدون تسميتها أو توضيح كافة تفاصيلها، وهى أسبق من إشارة الأستاذ هيكل لها فى كتابه (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة)، لأن كتاب محمود رياض صدر قبل كتاب هيكل بسبع سنوات كاملة، بالطبع الأستاذ هيكل كما ذكر فى برنامجه (مع هيكل) علم بسر العملية من الرئيس عبد الناصر شخصيا عام ١٩٦٨، ووصلت وثائقها وتفصيلاتها كلها له حسب اعتقادى عقب انقلاب مايو ١٩٧١، عندما أمر الرئيس السادات سكرتيره السيد/أشرف مروان أن يقوم بتسليم الأستاذ هيكل كل الوثائق والأوراق والملفات التى كانت فى مكتب السيد/ سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية وسكرتير الرئيس للمعلومات الأسبق.

الاختلاف الوحيد هنا أن الأستاذ هيكل ذكر أن جهاز المخابرات العامة هو الذى زرع أجهزة التنصت الخاصة بالعملية، بينما فى رواية السيد/شعراوى جمعة أن مباحث الداخلية هى التى قامت بذلك.

ولكن أكثر ما يعنينى هنا ليس إكتشافى للمرة الثانية وجود إشارة للعملية (عصفور) قبل تصريح الأستاذ هيكل عن تفاصيلها، أو من الذى زرع أجهزة التنصت فى السفارة الأمريكية، ما يعنينى هو مغزى الكلام الخطير الذى قاله شعراوى جمعة لمحمود رياض.

إن معنى كلام السيد / شعراوى جمعة أن الكبار فى مجموعة مايو (شعراوى جمعة – سامى شرف – الفريق محمد فوزى) كانوا على علم بخطة الرئيس السادات للتخلص منهم والانقلاب على الثورة منذ يوم ٩ مايو ١٩٧١ أى قبل الانقلاب بأربعة أيام كاملة، لأن الانقلاب تم يوم ١٣ مايو ١٩٧١ بعد استقالة أقطاب مجموعة مايو من مناصبهم عقب إقالة الرئيس السادات لشعراوى جمعة وزير الداخلية، وفى يوم ١٤ مايو طرد السادات رئيس مجلس الأمة ووكيليه و١٥ عضو من المجلس، ويوم ١٥ مايو ١٩٧١ لم يحدث فيه شيء إطلاقا، ولكن الرئيس السادات أختاره يوما للاحتفال بانقلابه ويبدو سر اختياره لهذا اليوم بالذات غير مفهوم لأنه يوم حزين بالنسبة لكل عربى إذ يوافق ذكرى قيام دولة إسرائيل ويوم عيدها القومى.

ويبدو لى أن هذه هى أول مرة فى التاريخ يعلم فيها مسئولون سياسيون بما يدبر لهم قبل وقوعه بأربعة أيام كاملة، إن علمهم بما هو قادم ليس تخمينا أو توقعا بل عبر حديث مسموع عما يحاك لهم ولمصر، ويبدو تفسير تصرفات هؤلاء المسئولين بناء على علمهم غير مفهوم على الإطلاق ،الرئيس السادات يعلن لجوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكى عن نيته فى تحويل مسار السياسة المصرية والتخلص من سياسات الرئيس عبد الناصر، وينقل له ضيقه من وزيرى الخارجية والحربية لإصرارهما على المعركة والوصول إلى حل شامل، وليس ذلك فقط بل ينقل له عزمه التخلص من كل المسئولين الذين يعارضون سياساته الجديدة، وقبل ذلك بأسبوع يوم ٢ مايو ١٩٧١ كان قد أقال نائبه السيد/ على صبرى من منصبه.

وفى محادثة تليفونية بين السيد /على صبرى والسيد/محمد فايق وزير الإعلام عقب إقالته.

يقول على صبرى : أن السادات بيبيع البلد للأمريكان وبيهد كل اللى عبد الناصر بناه فى ٢٠ سنة.

بل أن الفريق أول/ محمد فوزى وزير الحربية يجتمع بكبار الضباط فى الجيش ويصارحهم أن السادات بيبيع البلد للأمريكان وبيهدم كل مبادئ الثورة هكذا كان هؤلاء الرجال الناصريين المؤتمنين على ميراث الرئيس عبد الناصر وخطه النضالى الإشتراكى واعين بنوايا السادات وأهدافه ولنرى الآن كيف تصرفوا؟

سعد زايد محافظ القاهرة وأحد الضباط الأحرار يطلب من الفريق فوزى دبابة وخمس عساكر لاعتقال السادات وإجهاض المؤامرة على الثورة فيرفض الفريق

فوزى ويقول له أن مهمة الجيش هى تحرير الأراضى المحتلة فقط وليس الانقلاب على الشرعية وينسى الفريق فوزى للأسف أن طلب سعد زايد ليس الانقلاب على الشرعية ولكن وأد الانقلاب على الثورة الذى يتم فعلاً.

وينسى أن أى حرب سوف يقودها من انقلب على مبادئ العروبة والقومية لن تحرر الأراضى المحتلة ولن تحقق الحل الشامل.

إن الأمر هنا وبعد قراءة ماورد فى مذكرات السيد/محمود رياض لم يعد فقط انقلاب السادات على خط عبد الناصر والردة على الثورة، فحديث السادات مع سيسكو يكشف نواياه بالنسبة لأقطاب مجموعة مايو أنفسهم، ليست الثورة فقط هى التى تواجه التهديد بل هم أيضا يواجهون خطر فقدان رؤوسهم ومناصبهم، ورغم علمهم المسبق بنوايا السادات والتى ستطول الثورة وتطولهم أيضا، فإنهم عقب قرار الرئيس السادات إقالة السيد/ شعراوى جمعة من منصبه، يقررون الاستقالة من مناصبهم وترك الملعب للسادات، الذى يقبل استقالاتهم منتشيا ثم يقرر القبض عليهم وتلفيق قضية انقلاب على الشرعية لهم، ويخلو له الميدان لينفذ انقلابه كاملا ويطبق خط الردة على الثورة كما خطط مع الأمريكيين.

الطريف فى الأمر أن السيد/شعراوى جمعة بعد القبض عليه وفى تحقيقات النيابة معه كما أورد محمود رياض فى مذكراته رفض الإفصاح للمحقق عن كيفية علمه بنوايا الرئيس السادات حتى لا يكشف سر العملية (عصفور)، إلى هذا الحد كان هؤلاء الرجال أبرياء؟!

من نسق مع الأمريكيين لانقلابه على الثورة، ومن يبحث عن حل فردى سيهتم بعملية (عصفور)؟!!

إن منطق السيد/شعراوى جمعة فى ذلك يماثل منطق الفريق فوزى عندما رفض طلب سعد زايد، وعندما صارح ضباط الجيش قبل الانقلاب أن الرئيس السادات يبيع البلد للأمريكيين ثم استقال بعدما أخلى ذمته.

كنت أتمنى أن أعرف إحساس السيد/ شعراوى جمعة عندما علم أن الرئيس السادات فى شهر يوليو ١٩٧١ أى بعد الانقلاب بشهرين وعقب علمه بسر العملية (عصفور) من الأستاذ هيكل أفشى السر لصديقه كمال أدهم مدير المخابرات السعودية الذى نقل السر للمخابرات الأمريكية فور علمه به لتصمت ميكروفونات (عصفور) إلى الأبد.

للأسف الشديد كانت اللعبة أكبر من رجال الرئيس عبد الناصر، ورغم قربهم الشديد من الرئيس عبد الناصر لمدة طويلة لم يتعلموا منه كيفية حسم الأمور.

رحل الرئيس عبد الناصر وترك لهم كل مقاليد السلطة، وكان السادات لا يملك شيئا منها غير منصبه كنائب للرئيس فقط، جعلوه رئيسا ورغم كشفهم لنواياه منذ البداية، فشلوا فى التصدى له، وسلموا له مصر كلها ليفعل بها ما يشاء.

يلوم البعض الرئيس عبد الناصر على اختياره للسادات كنائب له، وينسى هؤلاء أن الرئيس عبد الناصر ترك أقرب الناس لفكره وسياسته فى أخطر مؤسسات الدولة، وهم الذين فشلوا فى التصدى لانقلاب السادات.

هناك أخطاء تاريخية لا تغتفر لأنها تتعلق بمصائر الشعوب، كان خطأ رجال الرئيس عبد الناصر فى أحداث مايو ١٩٧١ واحدا من تلك الأخطاء التاريخية الفادحة.

وكانوا هم أول من دفعوا ثمن هذا الخطأ التاريخى ثم دفعت مصر والأمة العربية أثمان مضاعفة لخطأهم.

أنا شخصياً أكن لهم جميعا خالص التقدير والاحترام لنزاهتهم وشرفهم وثباتهم على المبادئ ولكن ذلك لا يمنعنى من الإقرار بخطأهم فى التصدى لانقلاب السادات، وإن كنت أستثنى منهم السيد/على صبرى لأنه حذرهم من السادات ونواياه ودعاهم للتصرف والحسم.

فى بداية الستينيات قال الرئيس عبد الناصر (لو قوى الثورة المضادة اتحركت هالبس الكاكى تانى واعمل ثورة جديدة).

للأسف بعد غيابه تحركت قوى الثورة المضادة من قلب النظام واستولت على حكم البلاد.

رحم اللّه الرئيس عبد الناصر، وغفر اللّه لرجاله.

بين السادات وشاه إيـران..
هل نتعلم شــيء؟

تبدو العلاقة التى ربطت بين الرئيس المصرى الراحل أنور السادات وشاه إيران الأخير محمد رضا بهلوى لافتة للنظر ومثيرة للتساؤلات، فشاه إيران الراحل كان واحد من أشد أعداء مصر والعرب كافة ومواقفه المعادية للعرب والتى تتسم فضلا عن العداء بالاحتقار أيضا معروفة للجميع، فالشاه محمد رضا بهلوى أعترف بدولة إسرائيل اعترافا فعليا عام ١٩٤٨ وإن تمهل بعض الشئ فى الاعتراف بها قانونيا، وقد قامت بين إيران وإسرائيل فى عهده علاقات ثقافية وتجارية وعسكرية وتنسيق كامل بين أجهزة المخابرات المدنية والعسكرية، وكان الشاه منذ نشأة إسرائيل وطوال فترة حروبها مع العرب حتى سقوط عرشه هو ممولها الأول بالبترول الإيرانى الذى تحركت به مدافعها ودباباتها وطائراتها وغواصاتها لقتل العرب.

وفى يوليو ١٩٦٠ قرر الشاه إقامة تمثيل دبلوماسى كامل بين إيران وإسرائيل، ورأى الرئيس عبد الناصر فى ذلك سابقة خطيرة لأنها ستكون أول مرة تعترف فيها دولة إسلامية بإسرائيل اعترافا كاملا، وقد يتخذ هذا كذريعة لدول أخرى فى أفريقيا وأسيا.

لذا وجه الرئيس عبد الناصر تحذيرا عنيفا للشاه فى خطاب عام تحدث فيه عن خطورة اعتراف الشاه بإسرائيل وانه بهذا الاعتراف يؤكد للعالم كله ولشعبه أنه ألعوبة فى يد المخابرات المركزية الأمريكية التى أعادته إلى العرش بعد الانقلاب المضاد على ثورة مصدق، كما حذره الرئيس عبد الناصر بأن نهايته ستكون كنهاية أمثاله من العملاء وخدم الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تسبب تقريع الرئيس عبد الناصر للشاه فى قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران، ولكنه أفسد مخطط الشاه بالاعتراف الكامل بإسرائيل، فاكتفى بإقامة بعثة لرعاية المصالح بين البلدين.

وفى نفس الوقت عندما أتصل الثوار الإيرانيون بأجهزة المخابرات المصرية وطلبوا مساعدة الرئيس عبد الناصر، وافق على دعمهم ومساعدتهم وفتح لهم معسكرات التدريب على السلاح وأعمال المخابرات، كما أمر بتخصيص إذاعة موجهة للشعب الإيرانى باللغة الفارسية تحضه على الثورة ضد حكم الشاه.

وعندما بدأ الإمام الخومينى نضاله الثورى ضد حكم الشاه بعث برسائل لجميع حكام العالم العربى والإسلامى يطلب منهم مساعدته فى نضاله، كان الرئيس المسلم والعربى الوحيد الذى استجاب له هو الرئيس عبد الناصر الذى أمر بإرسال مبلغ ١٥٠ ألف دولار دعما للثوار.

وفى يونيو ١٩٦٦ زار رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى أشكول إيران والتقى

بالشاه من أجل التنسيق معه للحرب المقبلة ضد مصر ولتأمين احتياطات إسرائيل البترولية خلال فترة الحرب وقد وجه أشكول للشاه سؤالين

الأول: هل جمال عبد الناصر عدو لإيران كما هو عدو لإسرائيل أم لا؟

وأجابه الشاه بالإيجاب.

والثانى : هل نقف ساكتين أمام عدو مشترك أم نتحرك للقضاء عليه بتنسيق جهودنا معا للخلاص منه؟

وقد وافقه الشاه على ضرورة التنسيق سويا للخلاص من عبد الناصر.

وبالفعل مع بداية عام ١٩٦٧ كان لدى إسرائيل مخزون احتياطى من البترول الإيرانى يغطى جميع احتياجاتها لمدة ٣ شهور.

أعتبر الشاه انتصار إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ نصرا له وأعتقد أن نظام حكم الرئيس عبد الناصر قد انتهى بهذه الهزيمة وهو مالم يحدث، وطوال فترة حرب الاستنزاف من ١٩٦٧ – ١٩٧٠ كان الشاه يواصل تمويل إسرائيل بالبترول الإيرانى.

فى مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها.

يقول الإمام على خامنئى - مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحالى- عن وفاة الرئيس عبد الناصر: (كنت معتقلا فى سجون الشاه الذى كان يكن لعبد الناصر كراهية شديدة، ولاحظت فى اليوم الحزين لوفاته حالة ابتهاج فى السجن بين الضباط والحراس وعندما سألت عن السبب علمت بوفاة الرئيس عبد الناصر، وأقسم بالله أننى بكيت عليه كما لم أبك على أبى وأمى، لقد كان الزعيم الوحيد الذى ساعد الإمام الخومينى، وأمد الثورة بالمال والسلاح وقواعد التدريب).

عقب نجاح انقلاب الرئيس السادات على الثورة فى مايو ١٩٧١، وبعد الزج برجال الرئيس جمال عبد الناصر فى السجون، قرر الرئيس السادات إيقاف كل المساعدات للثوار الإيرانيين كما أغلق الإذاعة الموجهة باللغة الفارسية للشعب الإيرانى لحضه على الثورة ضد الشاه.

وعندما اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ قرر الاتحاد السوفيتى إرسال معدات وأسلحة عبر جسر جوى سوفيتى لكلا من مصر وسوريا لتعويضهما عن خسائرهما فى المعركة الدائرة، رفض شاه إيران رفضا مطلقا أن يمر الجسر الجوى السوفيتى فوق المجال الجوى الإيرانى وذلك حتى يتيح الفرصة لإسرائيل لكى تسترد أنفاسها

وحتى يعطل وصول المعدات والأسلحة السوفيتية للعرب لأطول وقت ممكن، وكانت تركيا هى التى فتحت مجالها الجوى لعبور الجسر الجوى السوفيتى.

ورغم تحالفه الوثيق مع إسرائيل خلال تلك الحرب إلا أن الشاه كان أكبر المطالبين برفع أسعار البترول مدفوعا بنصائح من شركات البترول الأمريكية، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى المستفيد الأكبر من قرار رفع سعر البترول.

حيث تخبرنا الأرقام أن نصيب العرب مجتمعون من فوائض البترول عام ١٩٧٤ وعقب قرارات الخفض الانتاجى ورفع الأسعار بلغت ٦٠ مليار دولار، أما شركات البترول ومعظمها أمريكية فبالإضافة إلى أرباحها من ارتفاع الأسعار لخام البترول، حصلت من عملياتها البترولية الأخرى (التكرير والتسويق) على ٧ دولارات صافى ربح مقابل كل دولار حصلت عليه الدول المنتجة للبترول، أنعش قرار رفع أسعار البترول الاقتصاد الأمريكى عبر الودائع والاستثمارات العربية الهائلة فى البنوك والشركات الأمريكية، فقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت الولايات المتحدة تواجه عجز فى ميزان مدفوعاتها، الذى تحسن ابتداء من عام ١٩٧٤ بفضل الارتفاع الصاروخى لأسعار البترول، كانت أوروبا واليابان أكثر المتضررين من قرار رفع أسعار البترول.

عقب الحرب وأثناء مفاوضات فك الاشتباك الأول على الجبهة المصرية، أصدرت الحكومة العراقية بيانا ضد هذه المفاوضات، أشتكى منه الرئيس السادات لوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر، فأبلغه كيسنجر أنه سيكفيه شر أى شيء يجيئه من العراق، وكتب على الفور رسالة إلى شاه إيران، وفى اليوم التالى مباشرة من حديث الرئيس السادات مع كيسنجر، كانت قوة عسكرية إيرانية تقتحم الحدود العراقية وتشتبك مع نقطة حدودية عراقية، انشغلت الحكومة العراقية بهذا العدوان على أراضيها حتى تم توقيع فك الاشتباك الأول.

يقول الكاتب الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين فى كتابه (محاوراتى مع السادات) أن الرئيس السادات عام ١٩٧٤ صارحه بإعجابه الشديد بشاه إيران وذكاؤه الخارق، وصارحه بأنه يعتبره مثله الأعلى بين كل حكام العالم، وأضاف الرئيس السادات فى حديثه للأستاذ أحمد بهاء الدين إن سر عظمة الشاه تكمن فى إدراكه أن هناك قوة عظمى واحدة فى العالم هى الولايات المتحدة الأمريكية، وإن كل الذين عادوا أمريكا (نهرو- نكروما- سوكارنو- عبد الناصر) تخلصت منهم إلا الشاه الذى أعادته أمريكا لعرشه عقب ثورة مصدق، وتعمل جاهدة على

الحفاظ على نظام حكمه وتلبية رغباته.

توطدت علاقة الرئيس السادات بالشاه سياسيا وشخصيا عقب اختيار الرئيس السادات للطريق الأمريكى لحل الصراع العربى الإسرائيلى وربما قبل ذلك، وبدء من عام ١٩٧٤ توثقت علاقات الطرفين وبدأ نوع من التحالف بينهما، وأشترك السادات مع شاه إيران فى نادى السافارى وهو حلف ضم ٥ دول (فرنسا – السعودية – إيران – مصر – المغرب).

كان هدفه حماية المصالح الاستعمارية فى أفريقيا عبر محاربة التسلل الشيوعى فى القارة السمراء، وعندما تعرض عرش الديكتاتور موبوتو للخطر فى الكونغو، تدخلت قوات مصرية ومغربية تابعة للنادى لإجهاض التمرد وتثبيت موبوتو على عرشه، كما حارب نادى السافارى الثورة الشيوعية فى أثيوبيا التى قادها منجستو هيلا ميريام، كان نشاط نادى السافارى يتم برعاية وتنسيق من المخابرات المركزية الأمريكية والموساد الإسرائيلى.

وعندما هبت رياح الثورة على عرش الطاووس فى إيران، كان الرئيس السادات من أشد المهتمين بدعم عرش الشاه والحفاظ على حكمه لدرجه أنه قطع محادثاته فى كامب دافيد ذات يوم لكى يتصل بالشاه ويعلن له مساندته له، وعقب نجاح الثورة وهروب الشاه من إيران مع أسرته كان الرئيس السادات هو الوحيد الذى قبل استضافته فى مصر وخصص له قصر القبة لكى يقيم فيه، وتغاضى الرئيس السادات عن المظاهرات الشعبية الغاضبة التى قامت فى مصر ضد قراره إيواء الشاه الهارب، كما لم يهتم بأثر قراره هذا على العلاقات بين مصر والنظام الجديد فى إيران خاصة بعدما أعلن الأمام الخومينى زعيم الثورة الإيرانية عقب وصوله لإيران بعد نجاح الثورة أنه يوجه الشكر إلى روح الزعيم المصرى جمال عبد الناصر الزعيم المسلم الوحيد الذى ساند الثورة وكان أول من شجعها وظل على اتصال دائم بها حتى وفاته. ظل السادات يحرض الشاه على الاستعانة بالجيش الإيرانى لقمع الثورة، وكان دائم الاتصال بالرئيس الأمريكى كارتر مطالبا إياه بضرورة التدخل لإعادة الشاه إلى عرشه، وقد رد عليه كارتر أن القضية فى النهاية بيد الشعب الإيرانى.

كان الرئيس السادات حزينا على مصير الشاه أكثر من الأمريكيين، وكان هو الذى بادر إلى تقديم التسهيلات اللازمة للعملية العسكرية الفاشلة (تاباز) التى انطلقت من مصر لإنقاذ الرهائن الأمريكيين المحتجزين فى السفارة الأمريكية فى طهران، وبعد فشلها ظل يحرض الإدارة الأمريكية على تكرارها.

وحتى بعد وفاة الشاه فى ٢٧ يوليو ١٩٨٠ أصر الرئيس السادات على إقامة جنازة عسكرية ضخمة للشاه الراحل وتقدم بنفسه الصفوف لتشييعه إلى مثواه الأخير رغم أن وصية الشاه كانت أن تقام له جنازة بسيطة ثم يدفن بجوار والده فى مسجد الرفاعى بالقاهرة.

بعد هذا العرض لتطور العلاقات المصرية الإيرانية فى عهدى الرئيسين عبد الناصر والسادات يتضح لنا أن الشاه محمد رضا بهلوى لم يكن أبدا صديقا للعرب بل أن العكس هو الصحيح والأكذوبة التى أطلقها الرئيس السادات عن إمداد الشاه لمصر بالبترول فى حرب ٧٣ لا أساس لها من الصحة بل أن الشاه سعى بكل جهده لنصرة إسرائيل.

إذن لماذا كان الرئيس السادات يدافع عن الشاه بكل تلك الضراوة؟

هل لأنه يراه مثله الأعلى من الحكام كما قال للأستاذ أحمد بهاء الدين، أعتقد ذلك فقد كان الرئيس السادات والشاه متشابهين فى عبادتهما للنموذج الأمريكى وفى إيمانهما بقدرة أمريكا على فعل كل شئ، وكان الرئيس السادات هو صاحب العبارة القبيحة: (أن ٩٩٪ من أوراق لعبة الشرق الأوسط فى يد أمريكا).

وجد الرئيس السادات فى شاه إيران ضالته وظن أن خدمة المصالح الأمريكية كما كان يفعل الشاه سيضمن له كرسيه، وأعتقد أنه كان متأثرا به فى الأجواء الإمبراطورية التى نقلها لبلاطه فى مصر وفى حجم البذخ الذى كان يسود تصرفاته وفى كلماته من أمثال شعبى، جيشى، وزير خارجيتى.

كان رأس الشاه الطائر فرصة للرئيس السادات للتدبر فى كيفية معاملة أمريكا لمن يخدمها بعد أن تستنفذ أغراضها منه، فلم يخدم السياسات الأمريكية أحد كما فعل الشاه ورغم ذلك عندما أيقن الأمريكيون أن الشاه انتهى رفضوا حتى استقباله فى الولايات المتحدة الأمريكية ودخلوا فى صفقات لتسليمه للنظام الجديد مقابل الإفراج عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين فى السفارة الأمريكية فى طهران، وفى وثائقهم السرية أطلقوا على الشاه لقب (الخازوق)، ثم تركوه ليواجه مصيره محبطا مهزوما طريدا من وطنه.

لم يفكر الرئيس السادات فى مغزى هذا الدرس الحى له عن مصير كل من يخدم أمريكا، وبعد عام وثلاثة شهور على وفاة الشاه، رحل تلميذه النجيب أنور السادات بعدما أستنفذ الأمريكيون أغراضهم من وجوده فى مصر.

وتسبب موقفه غير المبرر من الشاه فى حدوث قطيعة تاريخية بين مصر وإيران

مازالت مستمرة حتى الآن، ولم تستفد منها إلا إسرائيل.

وأعتقد أنها مفارقة مأساوية أن تبذل مصر فى عهد الرئيس عبد الناصر جهودا متصلة للإطاحة بحكم الشاه العميل وعندما تستكمل تلك الجهود وتتكلل بالنجاح بعد وفاة الرئيس عبد الناصر تكون السياسة المصرية قد انقلبت على أعقابها وأصبحت مساندة للشاه ضد من عملت على وصولهم للحكم فى إيران.

أعتقد أن روح الرئيس عبد الناصر قد استراحت فى قبره عقب الإطاحة بالشاه، فالرجل الراقد فى قبره حصد نتيجة مساندته للثوار فى إيران، وللأسف لم تحصدها مصر.

وأظن أن أكثر شئ حز فى نفسية الرئيس السادات تصريح الإمام الخومينى بخصوص الرئيس عبد الناصر لأنه يهدم كل تصورات السادات السياسية.

رغم كل ذلك لا أحد يتعلم من دروس الشاه والسادات، وتجد حتى الآن فى مصر من يشيد بعبقرية الرئيس السادات وفهمه لقواعد اللعبة الدولية التى تتلخص فى عبارة واحدة (٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا).

كنت أتمنى أن يتدبر الرئيس السادات وكل من يسير على نفس نهجه السياسى من الحكام خطاب الرئيس عبد الناصر للشاه عام ١٩٦٠ عندما حذره من الأمريكيين وتنبأ له بنهايته.

للأسف الشديد لم يتدبر الرئيس السادات كما لم يتدبر العديد من الحكام غيره كلمات الرئيس عبد الناصر للشاه.

قراءة في عبقرية الرئيس الســادات العسكــرية والســياسية

يعتقد البعض خاصة من المصريين، ان الرئيس الراحل أنور السادات، كان رجلا عبقريا، بالغ الذكاء، سابقا لعصره وداهية سياسى، ومما ساعد على ترسيخ تلك الاعتقادات الباطلة، ان النظام الحاكم فى مصر منذ اغتيال السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ يتبع نفس سياسات السادات داخليا وخارجيا، وبالتالى من مصلحة هذا النظام أن يدافع عبر أبواقه الإعلامية عن الخط السياسى للسادات، كما ساعد على الترويج لخرافة عبقرية السادات فشل سوريا فى استرجاع أراضيها المحتلة وتأزم القضية الفلسطينية، مما جعل البعض يردد، ان السوريين والفلسطينيين لو أتبعوا خط السادات كانوا سيستردوا أراضيهما المحتلة أيضا، كما فعل السادات لمصر، وليس ذلك صحيحا لأن إتباع السادات للحل الجزئى ورهانه على الدور الأمريكى فى حل الصراع العربى الإسرائيلى هو السبب الرئيسى فى تأزم التسوية الشاملة وضياع أراضى السوريين والفلسطينيين.

وجاء إنتاج الحكومة المصرية للفيلم السينمائى (أيام السادات) ليساهم فى زيادة الاحساس بعبقرية السادات، فالفيلم المأخوذ عن مذكرات السادات (البحث عن الذات)، ومذكرات جيهان السادات (سيدة من مصر)، قدم صورة بطولية رائعة للرئيس الراحل، وفى أمة لا تقرأ، وتتعرض لعمليات منتظمة من تجريف الذاكرة الوطنية، أصبح هذا الفيلم الذى يقدم وجهة نظر السادات وقرينته فى التاريخ هو المرجع التاريخى للأجيال الشابة فى مصر التى لا تقرأ، ويقدم لها فى المدارس تاريخ مزور وغير حقيقى.

فى هذه الدراسة وعبر قراءة جديدة للتاريخ، سوف نوضح حقيقة كم كان الرئيس الراحل عبقريا وسابقا لعصره وداهية سياسى، وسوف نقتصر فى بحث جوانب عبقريته المزعومة على جانبين فقط.

كيف حارب فى أكتوبر ١٩٧٣؟ وكيف تفاوض بعد الحرب حتى وصل إلى اتفاق فك الاشتباك الثانى على الجبهة المصرية؟

١- (السادات محاربًا):

توفى الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ تاركا للسادات، الجيش الذى تمت عملية إعادة بناءه من الصفر عقب هزيمة ١٩٦٧، وخاض هذا الجيش حرب الاستنزاف التى تعتبر الحرب الرابعة بين العرب وإسرائيل، وهى الحرب التى اعترف قادة إسرائيل أنفسهم بالهزيمة فيها.

كما ترك عبد الناصر لمصر حائط الصواريخ الشهير على الحافة الغربية

لقناة السويس، وكان وقتها أكبر حائط صواريخ فى العالم، وبوجوده تم تأمين سماء مصر من غارات الطيران الإسرائيلى، وأصبح العبور للضفة الشرقية، وبدء المعركة مسألة وقت، كان عبد الناصر يرى أنها لن تتأخر عن ربيع عام ١٩٧١، وترك عبد الناصر الخطة جرانيت والتى صدق عليها قبيل وفاته المفاجئة، والتى تتضمن ثلاث مراحل تبدأ :

بعبور القناة

وإقامة رؤوس لخمسة كبارى،

ثم الوصول إلى منطقة المضايق الحاكمة بسيناء،

ثم الوصول إلى خط الحدود مع فلسطين المحتلة.

كما ترك عبد الناصر الخطة ٢٠٠ التى تحسبت لهجوم مضاد للعدو فى منطقة المفصل الحرج بين الجيشين الثانى والثالث، حددت الخطة مكانه عند البحيرات المرة فى منطقة الدرفسوار، وهو ما حدث للأسف فى حرب أكتوبر عقب قرار السادات المتأخر بتطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣.

وترك عبد الناصر طائرة الميراج الرداعة التى أشتراها العقيد القذافى لمصر من فرنسا وقوارب العبور التى كان يتم التدريب على خطط العبور عليها.

كما ترك عبد الناصر اقتصاد مصرى قوى يحقق معدلات نمو ٧٪ سنويا بشهادة البنك الدولى.

وترك لمصر السد العالى أهم وأعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين باختيار الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠.

رفض الرئيس عبد الناصر رفضا باتا أى حل جزئى للصراع العربى الإسرائيلى، ورفض عرض ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل بعودة سيناء إلى مصر عام ١٩٦٨ مقابل سلام منفرد مع اسرائيل وأصر على عودة كل الأراضى العربية المحتلة معا.

كما أستطاع عبد الناصر تعبئة الأمة العربية للحرب القادمة مع العدو الإسرائيلى وراعيه الأمريكى.

هذه كانت أوضاع مصر يوم رحيل الرئيس عبد الناصر عن الحياة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

بدأ الرئيس السادات حكمه بالإطاحة بكل رفاقه فى الحكم فى مايو ١٩٧١ إثر اعتراضهم على فردية حكمه، وتأجيله لقرار الحرب والذى كان

تخطيط الرئيس عبد الناصر أنه يجب ألا يتأخر عن ربيع عام ١٩٧١ بعدما أكتمل الاستعداد للمعركة، وفى ظل تفوق القوات المصرية بالنسبة للإسرائيلية، كما يروى الفريق محمد فوزى فى مذكراته، ولاعتراض المجموعة المعروفة بمجموعة مايو المتكرر على سياساته المناقضة لمبادئ ثورة ٢٣ يوليو، وعقب تقديم أفراد المجموعة لاستقالاتهم، قام بالقبض عليهم ولفق لهم قضية انقلاب على الشرعية وأودعهم السجون.

ومن سخرية القدر أن الفريق محمد فوزى الرجل الذى أعاد بناء الجيش المصرى مع الرئيس عبد الناصر يتم سجنه فى القضية الملفقة.

بدأ السادات محاولاته للبحث عن حل سلمى للقضية عبر الاتصال بالأمريكان وبتشجيع من السعوديين وعبر عدة زيارات مبكرة ومتكررة للسيد كمال أدهم المشرف على المخابرات السعودية، والمقرب من الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز والذى نصح السادات بالبحث عن حل سلمى برعاية أمريكية كما نصحه بالتخلص من السوفيت حتى يلتفت الأمريكان للحل فى المنطقة، وصارحه الرئيس السادات أنه مستعد لطرد السوفيت إذا ساعده الأمريكان على تحقيق مرحلة أولى من الانسحاب من سيناء.

وفى شهر يونيو ١٩٧٢، زار وزير الدفاع السعودى الأمير سلطان بن عبد العزيز، ومعه السيد كمال أدهم القاهرة، وأثاروا مع الرئيس السادات موضوع الخبراء السوفيت الذى يعيق الأمريكيين عن التدخل لحل القضية، وطلب السعوديون من السادات أن يخبرهم بقراره بخصوص السوفيت قبل اتخاذه لكى يستطيعوا مساومة الأمريكان به بما يخدم المصالح العربية، ولكن السادات منفردا وبدون التشاور مع أحد غير الفريق صادق وزير الحربية المصرى وقتها، أتخذ قراره المفاجئ بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت فى مصر، ولحرص الرئيس السادات على سرية قراره ورغبته فى إحداث أكبر تأثير فأنه فاجأ الجميع بالقرار، وهو يتصور أن الأمريكيين سوف يكونوا سعداء، إلى درجة تدفعهم إلى الإستجابة لأى شئ يطلبه، ولكن هذا لم يحدث.

يقول هنرى كيسنجر فى مذكراته (لماذا لم يقل لنا السادات ما كان ينوى فعله؟

ربما لو أبلغنا مسبقا لكنا قدمنا له شيئا فى المقابل؟

فى السياسة كما فى كل شئ أخر، فأن لا أحد مستعد لدفع ثمن لشئ حصل عليه بالفعل).

وكـان تعليـق الـزعيم الـسوفيتى بريجنيـف علـى قـرار الـسادات (لقـد حقـق السادات للأمريكيين أشد أحلامهم جموحا بدون أن يحصل على أى ثمن).

الغريب أن الـدكتور محمـود فـوزى وزيـر خارجيـة ورئـيس وزراء مـصر الأسـبق يـروى فـى مذكراتـه أنـه كـان هنـاك تفـاهم بـين الـرئيس عبـد النـاصـر والـرئيس اليوغوسلافى تيتو علـى ان اتخـاذ مـصر لخطـوة مثـل إخـراج الـسوفيت مـن المنطقـة لـن تمررهـا مـصر إلا بمقابـل إجبـار الولايـات المتحـدة لإسـرائيل علـى الانـسحاب مـن الأراضى العربية المحتلة فى إطار حل شامل للصراع العربى الاسـرائيلى، لأن غـرض الرئيس عبد الناصر الحقيقى من وجود الخبراء السوفيت كان رفـع مـستوى المواجهـة من المستوى الإقليمى بين العرب وإسرائيل إلى المستوى العـالمى بـين الاتحـاد الـسوفيتى والولايات المتحدة.

لذلك تبدو علاقة السادات بالسوفيت مـن أكـثر العلاقـات تعقيـدا ، فالحقـائق والأرقام تثبت قيام الاتحاد السوفيتى بتسليح مـصر وسـوريا والعـراق والجزائـر والـيمن وليبيا بكميات ضخمة من الأسلحة الحديثة والمتطورة والتـى خـاض بهـا العـرب كـل حروبهم ضد اسرائيل، وقد عوض الاتحاد السوفيتى مـصر عـن خـسائرها التـى بلغـت ٨٠٪ من معدات جيشها فى حرب ١٩٦٧ ، وساعد السوفيت الرئيس عبد النـاصـر علـى اعـادة بنـاء الجـيش المـصرى مـن الـصفر، بـل أنـه خـلال المرحلـة الأخـيرة مـن حـرب الاسـتنزاف تولـت قـوات سـوفيتية مـن كتائـب صـواريخ وطيـارين مـع القـوات المـصرية حمايـة سمـاء مـصر مـن غـارات العـدو ، وإقامـة حـائط الـصواريخ علـى حافـة الـضفة الغربية لقناة السويس.

وفى عهد السادات واصل الاتحاد السوفيتى دعمه بالسلاح لمصر عـبر صـفقات ضـخمة للتـسليح فـى أكـتوبر ١٩٧١ ، ومـايو ١٩٧٢ ، ومـارس ١٩٧٣ ، وتميـزت هـذه الـصفقات بـدخول نوعيـات متطـورة مـن المعـدات العـسكرية ، مثـل الدبابـة ت ٦٢ ، والعربـة المدرعـة المتطورة والمـدفع الميـدانى طويـل المدى سـكود ، ووحـدات الـصواريخ سـام ٦ المتحـرك ضـد الطـيران المـنخفض والمتوسـط، والطـائرة الـسوخوى ٩ ، ١٧ ، والطـائرة المـيج ٢٣ ، والـصواريخ سـام ٣ وسـام ٦ وسـام ٧ المعـدل، وفـى أثنـاء حـرب أكتوبر بـدأت الإمـدادات العـسكرية الـسوفيتية لمـصر وسـوريا مبكـرا عـن طريـق الجـسر الجـوى اعتبـارا مـن يـوم ٩ أكـتوبر ١٩٧٣ ، بعـدد ٩٠٠ رحلـة حملـت حـوالى ١٥٠٠٠ طـن معـدات وأسـلحة ، وعـن طريـق النقـل البحـرى اعتبـارا مـن ٩ أكـتوبر ١٩٧٣ ، وصلت لمصر وسوريا معدات وأسلحة تزن ٦٣٠٠٠ طن، مما يجعـل المـساعدات الـسوفيتية للـدولتين خـلال فـترة الحـرب ٧٨٠٠٠ طـن، كمـا وصـل مـن الاتحـاد السوفيتى يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ عـدد ٤ طـائرات ميج ٢٥ وتمركـزت فـى مطـار غـرب

القاهرة ومعها ٤٠٠ فرد سوفيتى من طيار وفنى وادارى وذلك لردع اسرائيل عن القيام بأى هجوم جوى على الجبهة الداخلية، كما وصل فى نفس اليوم ٢ مدفع ميدانى صواريخ أرض / أرض طويل المدى سكود بمدربين سوفيت، ووصل يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ اللواء الثالث صواريخ سام ٦.

لم يقصر الاتحاد السوفيتى فى إمداد مصر بكميات هائلة من العتاد والسلاح بأسعار رخيصة بل أن أغلبها لم يسدد ثمنه، كان هذا كله يتم فى اطار الاستراتيجية العالمية للدولة السوفيتية كقوى عظمى فى أهم منطقة إستراتيجية فى العالم.

ورغم ذلك قام السادات بإشاعة أكاذيب وخرافات عن التقاعس السوفيتى عن اغاثة مصر فى المعركة، وكلها أكاذيب أراد الترويج لها لتبرير الحل الذى كان فى رأسه للقضية، وهى تشبه أكذوبته عن صديقه شاه إيران محمد رضا بهلوى، الذى تثبت كل الوثائق أنه هو الذى قام بتزويد إسرائيل بكل طلباتها من البترول منذ نشأة الدولة اللقيطة عام ١٩٤٨ وحتى أطاحت به الثورة الإيرانية عام ١٩٧٨.

كما أن كيسنجر يثبت فى مذكراته رفض الشاه عبور الجسر السوفيتى لنجدة مصر وسوريا أثناء حرب ١٩٧٣ سماء إيران، حتى لا يصل لهم مما يتيح وقتاً أطول وظروف أفضل لإسرائيل، ربما كان الشاه صديقا للسادات لأسباب لا نعلمها ولمصالح بينهما، ولكنه لم يكن أبدا صديقا للعرب.

وفى يوم ٢٦ مايو ١٩٧٢ يقيل السادات وزير الحربية الفريق محمد صادق ومساعده وقائد البحرية وقائد المنطقة العسكرية المركزية ومدير المخابرات ويطردهم جميعا من مناصبهم.

كان الخلاف قد تفجر بين الرئيس السادات وهؤلاء القادة قبلها بيومين فى اجتماع مجلس الأمن القومى، عقب عرض الرئيس لفكره بخصوص حرب محدودة، تجعلنا نكسب عشرة ملليمترات على الضفة الشرقية لقناة السويس، يبدأ بعدها عملية التفاوض السياسى.

وعندما رفض القادة فكرته، واحتدت المناقشة، أنهى الرئيس الاجتماع غاضباً، وأقالهم بعدها بيومين، وقام بتعيين الفريق أحمد اسماعيل وزيرا للحربية، والفريق سعد الدين الشاذلى قائد عام للجيش ورئيسا للأركان، واللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيسا لهيئة العمليات، إثر فشل كل محاولات الرئيس السادات للحل السلمى، وجاهزية القوات المسلحة التامة لبدء الحرب، وتململ الشعب

المصرى، وزيادة التظاهرات المناهضة لحكمه وسياساته داخل مصر، اتخذ الرئيس السادات أخيرا قراره بشن الحرب، بالتنسيق مع الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد، أتفق الرئيس السادات مع الرئيس الأسد قبل بدء الحرب، على ان خطة الجيش المصرى هى الخطة جرانيت الموروثة عن الرئيس عبد الناصر، والتى حددت الهدف النهائى للحرب، فى وصول القوات المسلحة المصرية إلى خط الحدود الدولية بين مصر وفلسطين المحتلة، وأتفق مع الرئيس الأسد ان الوقفة التعبوية للقوات المصرية ستكون عند الوصول إلى منطقة المضايق الجبلية فى سيناء.

بينما كان السادات متفقاً مع قادة الجيش المصرى على تنفيذ الخطة (جرانيت ٢) المعدلة، والتى تم توزيعها على القوات المصرية والتى تختلف عن الخطة المتفق عليها مع السوريين، وتنقسم الخطة جرانيت ٢ إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى تتمثل فى العبور واتخاذ مواقع دفاعية شرق القناة بعمق ١٠-١٢ كم.

المرحلة الثانية الوصول إلى خط المضايق الجبلية (إن أمكن).

وكان رأى السوفيت الذين أمدونا بالسلاح منذ صفقة الأسلحة عام ١٩٥٥ وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وعاونونا فى وضع الخطة جرانيت، أن هدف القوات المصرية المبدئى يجب أن يكون احتلال المضايق الجبلية وتأمينها كنقطة ارتكاز للهجوم حتى خط الحدود الدولية، وان امكانيات القوات المسلحة المصرية وقدراتها قادرة على إنجاز ذلك.

وفى ظهيرة يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣، بدأت الحرب الخامسة بين العرب وإسرائيل، ومع فجر ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المسلحة المصرية قد حققت المعجزة فقد قامت بتحطيم معظم النقاط الحصينة فى خط بارليف، وعبر إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ٧٠ ألف مقاتل مصرى، وكانت خسائر مصر ٥ طائرات، و٢٠ دبابة، و٢٨٠ شهيدا، كان ذلك اعجازا بشريا بكل المقاييس، ولم يكن ليتحقق لولا التحالف والتنسيق المصرى السورى لأن الطيران الإسرائيلى ركز حوالى ٨٠٪ من قوته على الجبهة السورية لمنع الاندفاع السورى نحو إسرائيل وذلك لقرب العمق الإسرائيلى من الجبهة السورية، بينما عمل بحوالى ٢٠٪ من قوته على الجبهة المصرية وذلك لوجود عمق إستراتيجى كبير له ممثل فى صحراء سيناء يمنع القوات المصرية العابرة من تهديد العمق الإسرائيلى.

يكفى أن نعلم أنه كان متوقعا أن تفقد مصر فى عملية العبور فقط ٢٦٠٠٠ شهيد.

أما خسائر إسرائيل فبلغت ٣٠ طائرة، و٣٠٠ دبابة، وعدة مئات من القتلى، وآلاف الجرحى.

وفى صباح يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣، ولم يكن مضى على بدء المعارك أكثر من عشرين ساعة، وتحقيق القوات المصرية تلك الأنتصارات الساحقة، بعث الرئيس السادات برسالة إلى وزير خارجية الولايات المتحدة هنرى كيسنجر، وقد وقعها السيد حافظ إسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى، جاء فيها بالنص فى البند رقم ٦ من الرسالة (أننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة).

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل الذى نشر النص الكامل للرسالة فى كتابه (أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة) انها كانت أول مرة فى التاريخ يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة، ويعطيه من التأكيدات ما يمنحه حرية الحركة فى معركته السياسية والعسكرية.

وقد قام كيسنجر بنقل هذه الرسالة فور وصولها له إلى جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل.

ترتب على هذه الرسالة المشئومة ان قام الجيش الاسرائيلى بالتركيز على الجبهة السورية بعد اطمئنان قادته لنوايا مصر، ليسترد المبادرة على الجبهة السورية، ثم يعود بعدها للجبهة المصرية،

وبالفعل ركز الإسرائيليين جهودهم الحربية لمدة ٤٨ ساعة على الجبهة السورية لقربها من عمق إسرائيل والمواقع الحساسة فيها، وساعدهم على ذلك ان الجبهة المصرية وبعد نجاح عملية العبور العظيم، تفرغت لتثبيت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية،

تعتبر هذه الرسالة المشئومة ولغز عدم ضرب مطار العريش الذى أستقبل الجسر الجوى الأمريكى لنجدة اسرائيل منذ بدء الحرب ولم يتم ضربه وتدميره بالطيران المصرى طيلة زمن الحرب وهو شريان الحياة لقوات العدو من أغرب ألغاز حرب أكتوبر؟!

ورغم كل نصائح السوفيت للسادات بضرورة تقدم المدرعات المصرية إلى خط المضايق فى وسط سيناء عقب نجاح العبور،

و التى وصلت إلى حد أن الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف أرسل للرئيس السادات رسالة يوم ٨ أكتوبر يقول له فيها (أطلق المدرعات إلى المضايق).

إلا أن الرئيس السادات ظل عند تعهده لكيسنجر فى رسالته المشئومة يوم ٧ أكتوبر،

كان اطلاق المدرعات إلى المضايق عنصر متفق عليه فى الخطة مع السوريين كما أنه يعطى القوات المصرية مواقع دفاعية طبيعية أفضل وأقوى من أى تحصينات لتدعيم رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية للقناة كما أنه يخفف الضغط عن سوريا.

يقول المشير الجمسى فى مذكراته صفحة ٣٨٣، ان يوم ٩ أكتوبر كان اليوم المحدد لتطوير الهجوم المصرى نحو المضايق حتى لا تنتقل المبادأة إلى جانب العدو، ولسوء أوضاع العدو النفسية وقدراته القتالية إثر صدمة العبور،

ولكنه عندما ناقش المشير أحمد اسماعيل فى الأمر رفض الأخير ذلك، وفضل الدفاع عما تحقق من مواقع ثابتة وعدم المغامرة بتطوير الهجوم،

وتم إصدار أمر السادات باتخاذ القوات المصرية لوقفة تعبوية،

وفى يوم ١١ أكتوبر قرر الرئيس السادات منفردا تطوير الهجوم نحو المضايق بإستخدام فرقتى الاحتياطى اللتين كانتا طبقا للخطة ٢٠٠ الموروثة من عبد الناصر، تستعدان غرب القناة لرد أى محاولة إسرائيلية للعبور غرب القناة،

ورغم رفض الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان المصرى القرار، وتنبيهه لعواقبه، ورفض قادة الجيشين الثانى والثالث اللواء سعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل للقرار وتنبيهما على كونه سيمثل كارثة للقوات المصرية وأنه لو تم سيكشف عمق الجبهة المصرية دون مبرر كما أنه لن ينجد سوريا، لأنه قرار متأخر عن موعده والعدو سوف يدمر قوات الهجوم أصر الرئيس السادات على قراره،

وبعد تفجر الخلافات بين القادة أمام إصرار الرئيس السادات على تنفيذ القرار تأخر تنفيذ القرار حتى صباح يوم ١٤ أكتوبر،

بدأ الهجوم المصرى نحو المضايق يوم ١٤ أكتوبر فى الساعة السادسة صباحا وعندما جاءت الساعة الثالثة بعد الظهر، طلب الفريق أحمد اسماعيل من الرئيس السادات إيقاف الهجوم لأن خسائر مصر من الدبابات قد وصلت إلى ٢٤٠ دبابة، كان ذلك يفوق الاحتمال، كان العدو قد تمكن من تثبيت الجبهة السورية بل وأصبح يهدد دمشق ذاتها،

وكانت القيادات الاسرائيلية تعد لبدء هجومها المضاد على الجبهة المصرية وتنتظر الهجوم المصرى على المضايق،

وفور فشل الهجوم المصرى، بدأ العدو هجومه المضاد بعبور قواته للمفصل الحرج بين الجيشين الثانى والثالث، ونتيجه لعدم التنبه المبكر لخطورة الثغرة،

والخلاف بين وزير الحربية أحمد اسماعيل ورئيس الأركان الشاذلى حول أسلوب تصفيتها عبرت للعدو خلال يومين ٧٦٠ قطعة مدرعة ما بين دبابات وعربات مصفحة إلى غرب القناة، حتى وصلت القوات الاسرائيلية غرب القناة إلى لواءين مدرعين، ولواءين من المشاة الميكانيكية،

وعندما طلب الفريق الشاذلى رئيس الأركان من الرئيس السادات الاستعانة بأربعة ألوية مدرعة من الشرق لإبادة الثغرة فى الغرب،

رفض الرئيس السادات ذلك وقررعزله من منصبه،

ترتب على قرار الرئيس السادات بعدم المناورة بالقوات وتنفيذ خطة الشاذلى للقضاء على الثغرة،

إخفاق اللواء المدرع المصرى ١١٦ مشاة المتقدم من الغرب إلى الشرق بسد الثغرة، نظرا للتفوق الاسرائيلى غرب القناة نفسها (لواء مدرع + لواء مشاة)،

تم تدمير اللواء المدرع المصرى ٢٥ فى مواجهة غير متكافئة نهائيا، بينه وبين ثلاثة ألوية إسرائيلية مدرعة جنوب الثغرة على الشاطئ الشرقى لرأس البحيرات المرة،

ووقع اللواء فى كمين نصبته فرقة شارون فتمت إبادته،

فيما راح اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الذى كان يتابع المعركة يصرخ على جهاز الاتصال بينه وبين الفريق الشاذلى (لا حول ولا قوة إلا بالله، الرحمة للشهداء، والله المستعان)،

ويقول الفريق الشاذلى فى مذكراته أنه بكى عند سماعه صراخ اللواء واصل، لإدراكه خطأ العملية منذ البداية،

عندما سمع اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى أنباء فشل الهجوم وما لحق بالقوات من خسائر، أصيب بنوبة قلبية وتم نقله إلى المستشفى العسكرى فى القاهرة،

سارت معركة الثغرة وفق أوامر السادات الذى سبق له أن وعد القادة العسكريين بعدم التدخل فى الخطط العسكرية،

لذا لم يكن غريبا أن يقول المشير الجمسى فى مذكراته (لقد خذل العمل السياسى العمل العسكرى فى حرب أكتوبر)،

كما يتهم الفريق الشاذلى رئيس الأركان المصرى الرئيس السادات بالتهم

التالية وهذا نص اتهامه المنشور فى خطاب الفريق الشاذلى إلى النائب العام، وفى مذكراته :

- **الإهمال الجسيم:**

وذلك أنه بصفته رئيسا للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية، أهمل في مسئولياته إهمالا جسيما وأصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التي أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلي:

أ) نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة الدفرسوار ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ٧٣ في حين انه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقا.

ب) فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التي اخترقت مواقعنا في الدفرسوار، فى حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.

ج) نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ من أكتوبر ٧٣، في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة.

- **تزييف التاريخ:**

وذلك انه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر، ولكي يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب اسماه (البحث عن الذات) وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التي تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البريء.

- **الكــذب:**

وذلك انه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصري في بياناته الرسمية وفي خطبه التي ألقاها على الشعب أذيعت في شتى وسائل الإعلام المصري. وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب في مذكراته (البحث عن الذات) ويزيد عددها على خمسين كذبة، اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ) ادعاءه بان العدو الذي اخترق في منطقة الدفرسوار هو سبعة دبابات فقط واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.

ب) ادعاءه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط في حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

- **الادعاء الباطل:**

وذلك انه ادعى باطلا بأن الفريق الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهارا يوم ١٩ من أكتوبر ٧٣، وانه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، في حين انه لم يحدث شيء من ذلك مطلقا.

- **إساءة استخدام السلطة:**

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها سمح لنفسه بان يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة. وفي الوقت نفسه فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية التي تعتبر من الوجهة القانونية ملكا للشعب للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة

ثانياً: إني أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير ارتكابه تلك الجرائم ونظرا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

هكذا أتهم الفريق الشاذلى الرئيس السادات عما وصفه بأخطائه فى حرب أكتوبر.

يوم ١٦ أكتوبر يتوجه الرئيس السادات ومعه الفريق أحمد اسماعيل وزير الحربية إلى مجلس الشعب ويلقى الرئيس خطابا شدد فيه على التزامه بقرارات مجلس الأمن الدولى، وعلى رغبته فى السلام وطرح مشروعا للسلام،

فى الوقت الذى كان الرئيس يلقى فيه خطابه ويبدى رغبته فى السلام كانت الثغرة تتسع على الجبهة وتدفق قوات العدو يزداد على الضفة الغربية للقناة،

وللتشويش على خطابه قامت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل بإلقاء خطاب متزامن مع خطابه،

قالت فيه أن قوات جيش الدفاع الإسرائيلى تقاتل ببسالة شرق القناة فى أسيا وغرب القناة فى أفريقيا.

وفى نفس يوم ١٦ أكتوبر يدخل سلاح البترول إلى المعركة حيث صدر قرار الدول العربية البترولية بخفض انتاجها بنسبة ٥٪ فورا، ويستمر الخفض بهذه النسبة شهريا،

وربطت الدول العربية إلغاء القرار بإنسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة، ويوم ١٧ أكتوبر تعلن السعودية أنها ستخفض إنتاجها بنسبة ١٠٪،

وفـى يـوم ٢٠ أكـتـوبر أعلنـت الولايات المتحـدة أنهـا سـتدعم إسـرائيل بمبلـغ ٢ مليار و١٠٠مليون دولار كشحنات أسلحة جديدة،

وفـى نفـس اليـوم ردا علـى ذلـك القـرار أعلنـت الـدول العربيـة حظـر تـصدير بترولى كامل على الولايات المتحدة الأمريكية،

رغـم تفـوق القـوات الإسـرائيلية المهاجمـة عـبر الثغـرة لم تـتمكن القـوات الإسرائيلية المندفعة سوى فى احتلال بضعة كيلومترات ولم تفلح القوات الاسـرائيلية فـى احكـام الطـوق علـى الجـيش الثالـث المـصرى وحـصاره حـصارا كـاملا وقطـع خطوط مواصلاته،

إلا بعد أن خرقت قرار وقف إطلاق النار الذى وافق عليه الـرئيس الـسادات فـى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣،

بـل أن وحـدات المقاومـة الـشعبية المـصرية وتـشكيلات مـن المـشاة المـصرية نجحت فى إيقاف التقدم الاسرائيلى نحو مدينة السويس، وظلت القـوات الاسـرائيلية خارج المدينة،

انتهت المعارك بقرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، الـذى لم تلتـزم به إسرائيل كعادتها فى كل حروبها،

وسعت إلى محاصرة الجيش الثالث تمهيدا للقضاء عليه، أو لاتخـاذه كورقـة تفاوضية مقبلة، ورغـم تفوقهـا فـى القـوات ورغـم الـدعم الأمريكـى الـسافر، فـشلت فى تحقيق هدفها وأصبحت قواتها أيضا محاصرة مع القوات المصرية،

خـلال المعركـة تم عبـور ١٥٠ ألـف مقاتـل مـصرى و١٢٠٠ دبابـة و٢٠٠٠ قطعـة مدفعيـة إلى سـيناء وتمركـزوا علـى طـول الـضفة الـشرقية بعمـق مـن ١٠ – ١٢ كـم، بينما، تم تدمير ربع طائرات إسرائيل، وثلث مدرعاتها،

امتدت قوات الجيش الإسرائيلى علـى مـسافة ١٥٠٠ كـم مـن مـشارف دمـشق وحتـى الكيلـو ١٠١ علـى طريـق الـسويس- القـاهرة الـصحراوى، وكـان ذلـك يمثـل عامـل تهديـد لأمـن إسـرائيل القـومى لـو لم يوافـق الـسادات منفـردا ودون إخطـار شريكه فـى المعركـة الـرئيس الـسورى حـافظ الأسـد علـى قـرار وقـف اطـلاق النـار، لأن استمرار حالة التعبئة فى اسرائيل يؤدى إلى شـلل تـام فـى كـافة المرافق والمصانع والهيئات الإسرائيلية لكـن احـتلال اسـرائيل لأراضـى عربيـة جديـدة لم يخفـى حقيقـة الهزيمة الساحقة التى تلقتها فى بداية المعركة،

كمـا أن هـالة الجيش الذى لا يقهر تم نـسفها للأبـد، أثبتـت المعركـة كفـاءة

المقاتل العربى طالما توافرت له الظروف الطبيعية للقتال، خاصة فى بداية المعركة، وحتى مع تضارب الخطط والقرارات أثناء المعارك، فأن معدن المقاتل العربى لم يتأثر بل ازداد صلابة وقدرة على الصمود والتحدى

٢- (السادات مفاوضاً):

بقبول الرئيس السادات منفردا بدون التشاور مع حليفه الرئيسى فى المعركة الرئيس السورى حافظ الأسد، لقرار وقف اطلاق النار، فأنه وضع كل رهاناته فى سلة وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر،

وبعد زيارة كيسنجر إلى اسرائيل يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، ولقائه بقادة اسرائيل، رصد كيسنجر مدى عمق الصدمة التى تلقاها الاسرائيليون فى الحرب،

ويقول فى مذكراته ان اسرائيل كانت على وشك الانكسار نتيجة فداحة الهزائم فى بداية الحرب، وان القادة الاسرائيليين الذين قابلهم قد فقدوا ثقتهم بأنفسهم،

ولكنه خرج من لقائه معهم بطلب من جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل بعودة الأسرى الإسرائيليين، وان الجيش الاسرائيلى يحتاج إلى ثلاثة أيام أخرى لكى يحقق أهدافه على الجبهة المصرية ويستكمل حصاره للجيش الثالث،

وعد كيسنجر بمساعدة إسرائيل ومنحها الوقت اللازم لإستكمال أهدافها العسكرية، وطالب القادة الإسرائيليين بالإسراع فى تنفيذ أهدافهم على الجبهة المصرية،

بدأت القوات الاسرائيلية محاولاتها للسيطرة على مدينة السويس والاندفاع إلى ميناء الأدبية، وتطويق وحصار الجيش الثالث المصرى،

ويرسل الرئيس السادات عدة رسائل إلى كيسنجر، وإلى الرئيس الأمريكى نيكسون يناشدهما إجبار إسرائيل على قبول وقف إطلاق النار دون جدوى، لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ملتزمة بموقفها تجاه اسرائيل بإنهاء المعركة من مركز قوة وضغط على الجيش المصرى،

وهنا يعود الاتحاد السوفيتى للتدخل، فيصدر الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف بيانا يوم ٢٤ أكتوبر فحواه ان الاتحاد السوفيتى سيتدخل منفردا لضمان وقف اطلاق النار الكامل واحترام قرارات مجلس الأمن،

كما قام بريجنيف بإرسال رسالة مباشرة إلى نيكسون يطالبه فيها بضرورة تطبيق قرار وقف إطلاق النار،

وإزاء تصاعد الأزمة بعد التدخل السوفيتى الذى عززه صلابة أبطال القوات المسلحة المصرية والمقاومة الشعبية فى التصدى لأهداف الجيش الاسرائيلى، تم تثبيت وقف اطلاق النار فى الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر ١٩٧٣ ،

وفى يوم ٢٧ أكتوبر كان لدى مصر ٧٤ دبابة فقط على طول المسافة من السويس إلى القاهرة.

لكن الذى حدث فى الأيام الأخيرة من أكتوبر ، والأيام الأولى من نوفمبر، أن القيادة السوفيتية يوم ٢٨ أكتوبر منحت مصر ٢٥٠ دبابة هدية كتعويض عن خسائر الحرب، وصلت مصر بعد ٤٨ ساعة،

والرئيس اليوغوسلافى تيتو منح مصر لواء دبابات كامل،

والرئيس الجزائرى هوارى بومدين أرسل إلى مصر لواء دبابات جزائرى كامل،

والرئيس الليبى معمر القذافى أرسل لمصر لواء دبابات أيضا ،

فإذا بحصيلة الدبابات على طول المسافة من السويس إلى القاهرة ترتفع إلى ٨٠٠ دبابة ،

وكان لدى السادات إضافة إلى ذلك موقف سياسى عربى موحد ربما للمرة الأولى فى التاريخ العربى المعاصر ، وموقف دولى داعم، وجبهة عسكرية استعادت تماسكها وأفشلت خطط العدو الإسرائيلى بصمودها ،

ولكن السادات الذى راهن منذ البداية على الموقف الأمريكى يقبل بإجراء أول مفاوضات مباشرة بين العرب وإسرائيل عند الكيلو ١٠١ على طريق السويس- القاهرة، وفيها قدم الجانب المصرى الذى كان برئاسة اللواء الجمسى (وقتها)، للجانب الإسرائيلى الذى كان برئاسة الجنرال ياريف مشروعا لفض الاشتباك تضمن انسحاب القوات الإسرائيلية لمسافة ٣٠ كيلومترا شرق قناة السويس، وأن تحل قوات الأمم المتحدة كعازل بين القوات، مع بحث حجم وتسليح القوات المصرية التى عبرت إلى سيناء،

كان ذلك المشروع أقل بكثير من المشروع الذى عرضه وزير الخارجية الأمريكى ويليام روجرز عام ١٩٧١ ، بانسحاب القوات الإسرائيلية ٤٠ كم شرق القناة، ورفضته مصر قبل حرب أكتوبر بكل ما تحقق فيها ،

وطلب بتحديد خط وقف اطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر والعودة إليه،

كما طلب الوفد المصرى بضمان وصول امدادات الجيش الثالث من الأغذية والأدوية،

ولكن الجنرال ياريف ذكر انه ليست له صلاحيات لبحث موضوع خطوط ٢٢ أكتوبر، ولا مشاكل تموين الجيش الثالث، وأنه مهتم بالدرجة الأولى بموضوع إطلاق سراح الأسرى الاسرائيليين،

وفى يوم ٧ نوفمبر كان الرئيس السادات يستقبل هنرى كيسنجر فى قصر الطاهرة للمرة الأولى مباشرة بعد العديد من الرسائل بينهما قبل الحرب وأثناءها وبعدها، وفى هذا الاجتماع المنفرد بين الرجلين فوجئ كيسنجر كما كتب بنفسه فى مذكراته بالسادات وأطروحاته،

فالسادات لم يطلب منه أن تعمل الولايات المتحدة على إنسحاب إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة فى حرب ١٩٦٧ فى إطار تسوية شاملة للصراع العربى الإسرائيلى وتفاوض على حقوق الشعب الفلسطينى،

بل كل ما طلبه هو إنسحاب إسرائيلى من ثلثى سيناء حتى خط العريش – رأس محمد،

وبهذا خالف السادات الموقف العربى الثابت منذ حرب ١٩٦٧،

وحتى هذا المطلب رغم سرور كيسنجر به، رفضه كيسنجر قبل الرجوع للإسرائيليين،

والسادات يصارح كيسنجر ان حصار الجيش الثالث ليس جوهر المسألة وخطوط ٢٢ أكتوبر لا تصلح للنقاش بين صانعى سياسة مثله هو وكيسنجر، أن السادات راغب بشدة فى عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة، وهى العلاقات التم قطعها بين مصر والولايات المتحدة عقب حرب ١٩٦٧

وإثر الدور الأمريكى الواضح فى الحرب تخطيطا وتنفيذا، وإثر هذا القرار المصرى قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية بالولايات المتحدة وتم خروج ٦٢ ألف أمريكى من الوطن العربى فى مشهد مهين لهيبة وكرامة الولايات المتحدة الأمريكية، وهاج الرئيس الأمريكى جونسون معتبرا ما حدث صفعة لمكانة الولايات المتحدة وتحريض شرير من الرئيس عبد الناصر،

وطوال الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ حاولت الولايات المتحدة العمل على عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأمريكية دون جدوى لإصرار مصر على أن تلزم الولايات المتحدة إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية قبل تلك الخطوة،

والآن يقوم السادات وبعد حرب ضارية أهتزت فيها ثقة إسرائيل وتم كسر جيشها بتقديم هذا العرض المجانى، أغتبط كيسنجر لذلك وفى ذهنه ما هو أبعد وأهم، فعودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأمريكية تفتح الباب لعودة علاقات أمريكا بكل دول العالم العربى،

ويبلغ السادات كيسنجر أنه قرر أن يرفع مستوى التمثيل الدبلوماسى فورا من قائم بالأعمال إلى سفير بالنسبة لمصر والولايات المتحدة، وكل ذلك بدون مقابل،

ولم يكتف السادات بذلك بل يبلغ كيسنجر أنه ينوى تصفية ميراث سياسات الرئيس عبد الناصر وتوجهاته القومية،

و سيعمل على طرد السوفيت من الشرق الأوسط

ويقول لكيسنجر لقد كانت حماقة وطيش من عبد الناصر محاولاته الدائمة لإبتزاز الأمريكان وتحقيق أهداف مصر من خلال محاربة السياسة الأمريكية فى العالم العربى وعلى امتداد العالم، وإن مصر خاضت ما يكفيها من حروب وتتطلع إلى السلام،

يسجل كيسنجر فى مذكراته عن السادات (أنه يمثل لى أفضل فرصة لكى نقلب المشاعر والإتجاهات العربية والمواقف العربية تجاه إسرائيل، وهى أفضل فرصة تتاح لدولة إسرائيل منذ قيامها، يقول كيسنجر أنه هو الذى أوحى للسادات أن المشكلة بين مصر وإسرائيل هى مشكلة نفسية نتجت عن عدم ثقة إسرائيل بنوايا مصر وخوفها على أمنها، وأن يجب على مصر أن تعطى إسرائيل الإحساس بالأمان، وكالعادة يوافقه السادات ويصارحه أن المشكلة الأساسية نجمت من رفض عبد الناصر الإعتراف بالهزيمة عام ١٩٦٧ وإصراره على الحل العسكرى للصراع مما كلف مصر الكثير، ويتفق الطرفان فى نهاية الإجتماع على مشروع (النقاط الست) الذى يعترف كيسنجر فى مذكراته أنه من وضع رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير ونص على التالى :

١ – توافق مصر وإسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف اطلاق النار الذى أمر به مجلس الأمن.

٢ – توافق مصر وإسرائيل على البدء فورا فى تسوية مسألة العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر فى إطار الاتفاق على فض الاشتباك والفصل بين القوات تحت رعاية الأمم المتحدة.

٣ – تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات من الطعام والأدوية، وجميع

الجرحى والمدنيين فى مدينة السويس يتم ترحيلهم.

٤ – يجب ألا تكون هناك عقبات أمام وصول الامدادات غير العسكرية إلى الضفة الشرقية للقناة (سيناء).

٥ - تستبدل النقاط المراقبة الإسرائيلية على طريق السويس – القاهرة بنقاط مراقبة من الأمم المتحدة، وفى نهاية طريق السويس يمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الأمم المتحدة فى الاشراف على الامدادات غير العسكرية الى تصل إلى شاطئ القناة.

٦ – بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على طريق السويس – القاهرة، يتم تبادل جميع الأسرى والجرحى.

عندما سمعت جولدا مائير بنبأ الاتفاق قالت (ان هذا الاتفاق هو انجاز خيالى، وشئ لا يصدق، يفوق كل ما توقعته اسرائيل) بالطبع قالت ذلك لكيسنجر وليس للعالم.

بموافقة السادات على هذا الاتفاق يكون قد قدم تنازلات جوهرية غير مفهومة للجانب الإسرائيلى،

لقد أعترف رسميا بحصار الجيش الثالث المصرى وهو أمر كانت تروج له اسرائيل فى العالم كدليل على انتصارها فى نهاية الحرب،

وتنازل دون مبرر عن شرط عودة اسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣رغم أن قرارات مجلس الأمن الدولى، وضمانات القوتين العظميين تضمن له ذلك،

كما أنه وافق على اطلاق سراح الأسرى والجرحى الاسرائيليين، كان من ضمنهم ٣٦ طيار اسرائيلى أسقط الدفاع الجوى المصرى طائراتهم خلال حربى الاستنزاف و٧٣

و أخذوا أسرى أحياء كتنازل دون مقابل من مصر وبهذا خسر ورقة تفاوضية هامة للضغط على الاسرائيليين،

والأدهى من ذلك أن السادات وافق على طلب كيسنجر بأن تخفف مصر الحصار البحرى على مضيق باب المندب ولكنه طلب من كيسنجر ابقاء الأمر سرا حتى لا يضر بموقفه أمام العرب،

وفى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ يصل كيسنجر إلى مصر للقاء الرئيس السادات مرة أخرى لكى يحصل على موافقته على انعقاد مؤتمر جنيف الدولى،

كان غرض كيسنجر من المؤتمر أن يكون مظلة للقاء سياسى مباشر بين مصر وإسرائيل، وأن يدعى للمؤتمر كل الدول العربية المحيطة بإسرائيل، ولكن مصر تتعهد بحضور المؤتمر حتى لو رفضت الدول العربية الحضور، أن يتفاوض العرب مع اسرائيل منفردين، مصر وإسرائيل، سوريا وإسرائيل، الأردن وإسرائيل، وليسوا مجتمعين فى وفد موحد،

الفسطينيون لن يدعوا لحضور المؤتمر وسوف يتم بحث حضورهم فى ترتيبات لاحقة !

وفى نفس الاجتماع طلب كيسنجر من الرئيس السادات العمل على انهاء الحظر البترولى الذى فرض على الولايات المتحدة،

وكالعادة وافق الرئيس السادات على كل طلبات كيسنجر،

الغريب فى الأمر أن الرئيس السادات بدأ مفاوضاته للسلام قبل أن يتم فك الاشتباك ورفع الحصار عن الجيش الثالث المصرى الذى تسبب قراراه بقبول وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر بتشديد الحصار عليه، رغم أن القادة العسكريين المصريين قاموا بوضع خطة عسكرية سميت (الخطة شامل) لتصفية الثغرة وإبادة القوات الاسرائيلية الموجودة بها، حتى يزيلوا ما اعتبروه إهانة للعسكرية المصرية وتضحياتها فى المعركة، وحتى يرفعوا عن المفاوض المصرى حرج التفاوض وجيشه الثالث محاصر،

ومما دعم خطتهم وصول امدادات عسكرية جديدة لمصر من الاتحاد السوفيتى والعرب تكفى لنجاح الخطة،

ولكن السادات طلب منهم الانتظار ورفض التصديق على تنفيذ الخطة،

رفض السوريون حضور مؤتمر جنيف قبل فض الاشتباك على الجبهات القتال، كما رفضوا إطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين،

بينما وافق السادات على حضور المؤتمر الذى شهد أول مفاوضات سياسية مباشرة بين العرب وإسرائيل والجيش الثالث المصرى محاصر، ومدينة السويس محاصرة،

حقق مؤتمر جنيف مكسبا هاما لإسرائيل تمثل فى حدوث أول لقاء سياسى مباشر وعلنى بين العرب وإسرائيل،

كما تم من خلاله عزل الدور السوفيتى فى تسوية الصراع، كما زاد من

الخلافات بين مصر وسوريا ، وأدى إلى توجس الفلسطينيين مما يتم خلف ظهورهم وفى قضية فى الأساس خاصة بهم وببلدهم المحتل،

مرة أخرى يعود كيسنجر إلى مصر لمقابلة الرئيس السادات فى استراحته بأسوان،

وفى ١٨ يناير ١٩٧٤ يتم الاتفاق على بنود اتفاقية فك الاشتباك الأول على الجبهة المصرية، حيث تم سحب كل القوات المصرية والأسلحة المصرية التى عبرت إلى سيناء ماعدا ٧٠٠٠جندى، و٣٠ دبابة،

وبالنسبة للمدفعية والصواريخ تم الاتفاق على الا توجد قطع مدفعية باستثناء مدافع مضادة للدبابات ومدافع مورتار وما لايزيد عن ٦ بطاريات من مدافع هاوتزر طراز ١٢٢مللم، وبحيث لايزيد مداها عن ١٢ كم،

وفيما يتعلق بالطيران تم الاتفاق على الا تكون لدى أى طرف أسلحة قادرة على إعاقة قيام كل طرف بالطيران فوق مواقع قواته،

وألا تقام مواقع صواريخ ثابتة فى كل مكان،

كان هذا الاتفاق هو السبب الذى دعا الفريق الجمسى للبكاء على رؤوس الأشهاد من إسرائيليين ومصريين وأمريكيين فى إجتماع الوفود فى فندق كتراكت القديم فى أسوان، وكان تعليقه (لقد عبرنا إلى هناك بقوة جيشين، ١٥٠ ألف رجل و١٢٠٠ دبابة و٢٠٠٠ قطعة مدفعية، والأن هل يعقل ألا أستبقى من كل هذه القوات إلا هذا)،

فى نفس الوقت وقبل أن يسافر كيسنجر طلب من الرئيس السادات مرة أخرى أن يبذل مساعيه لرفع الحظر البترولى العربى عن الولايات المتحدة،

كما طلب منه أن يسرع فى تعمير مدن القناة وإعادة سكانها المهجرين كدليل على حسن النوايا تجاه إسرائيل، وعدم إستعداد مصر لإستئناف القتال مرة أخرى ضد إسرائيل، وليؤكد للإسرائيليين أجواء السلام،

وكأن كل ما حصل عليه كيسنجر وما حصلت عليه إسرائيل من تنازلات لم يكن كافى للطمأنينة، حتى بعد تبديد جهود الأمة العربية والشعب المصرى الذى حقق معجزة العبور،

لينتهى الأمر بموافقة السادات على ٣٠ دبابة و٦ بطاريات مدفعية و٧٠٠٠ جندى لحماية النصر العظيم،

وفى ١٨ مارس ١٩٧٤ وإثر ضغوط الرئيس السادات على الدول العربية خاصة السعودية تم رفع الحظر البترولى العربى على الولايات المتحدة،

ووافق الرئيس السورى حافظ الأسد مضطرا على ذلك مقابل أن يتم فك الإشتباك على الجبهة السورية، وهو ما تحقق فعلا فى ٣١ مايو ١٩٧٤،

استقالت جولدا مائير من رئاسة الوزراء فى إسرائيل، وتولى خلفا لها الرئاسة إسحاق رابين وفى أول زيارة له إلى واشنطن عقب توليه منصبه، طلب أن يتم فصل عملية التسوية على الجبهتين المصرية والسورية عن بعضهما، فإسرائيل تسعى للإستفادة من مرونة الرئيس السادات، والوصول معه لمعاهدة سلام منفردة، بعيدا عن المسار السورى، وترى أن الظروف مواتية لذلك، لذا فهى تطلب من الإدارة الأمريكية فصل المسارين،

ويستأنف كيسنجر رحلاته المكوكية إلى المنطقة، ويواصل الحصول على تنازلات لصالح إسرائيل على حساب الحقوق العربية،

وفى٢٢ سبتمبر ١٩٧٥ يتم التوقيع على إتفاق فك الإشتباك الثانى على الجبهة المصرية، والذى جاء أشد وطأة من الإتفاق الأول لفك الإشتباك، حيث تعهد فيه الرئيس السادات

بقبول صلح منفرد بين مصر وإسرائيل،

كما تعهد بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لإخراج الاتحاد السوفيتى من أفريقيا وليس من العالم العربى وحده،

وفيما يتعلق بقضية فلسطين، فإن الرئيس السادات قبل منطق ألا تعترف إسرائيل ولا تتصل بمنظمة التحرير الفلسطينية، إلا إذا قامت المنظمة بالاعتراف مسبقا بقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٨٣، وهو مايعنى أن الفلسطينيين سيتخلوا عن مطالبهم التاريخية فى كامل أرض فلسطين، ويتفاوضوا على حدود ١٩٦٧ فقط،

كما تعهد السادات أن تمتنع مصر عن أى أعمال عسكرية أو شبه عسكرية فى تعاملاتها مع إسرائيل،

أن يبدأ تقليص المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل تدريجيا، بوصول القوات الإسرائيلية إلى المرتفعات الشرقية لمضايق سيناء،

أبلغ رابين وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر أن إسرائيل لن تنسحب خطوة أخرى واحدة للوراء إلا بتوقيع معاهدة سلام كاملة بينها وبين مصر،

وقد أصبح الطريق أمامها ممهدا لذلك لأن رهان الرئيس السادات على الحل السلمى وعلى أن ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة بيد الولايات المتحدة الأمريكية، لم يترك أمامه بديلا آخر،

والمؤسف أن رهانات الرئيس السادات لم تؤثر فقط على مصر، بل أضاعت فرص الوصول لتسوية شاملة ونهائية للصراع العربى الإسرائيلى على كل الجبهات،

فى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧٣ حمل كيسنجر من الرئيس السادات رسالة إلى جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل جاء فيها (عندما أتكلم عن السلام الأن فأنا أعنى ما أقول، إننا لم نتقابل من قبل، ولكن لدينا الأن جهود الدكتور كيسنجر، فدعينا فى هذه الأوقات نستخدم هذه الجهود ونتحدث إلى بعضنا من خلاله)

قالت جولدا مائير لكيسنجر تعليقا على ذلك وعلى موافقة السادات على نقاطها الست، (هذا شئ طيب، لكن ما أستغربه هو لماذا يفعل ذلك؟)،

كان تحليل كيسنجر أنه لا يستطيع أن يفهم حتى الأن لماذا لا يستخدم السادات كل عناصر القوة فى موقفه لكى يرغمكم على الإنسحاب حتى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧، وحتى إذا قرر إستئناف القتال، فالموقف الدولى كله معه وسيلقى باللوم على إسرائيل،

وفسر كيسنجر الأمر أن الرئيس السادات وقع ضحية للضعف الإنسانى، أنه متشوق أن يرى نفسه وبسرعة سائرا فى موكب نصر فى سيارة مكشوفة عبر مدينة السويس، وآلاف الناس على الجانبين يصفقون له كمنتصر، وبعد مرور كل هذه السنوات، على حرب أكتوبر ١٩٧٣، مازال السؤال معلقا (لماذا فعل السادات ذلك؟!)

ربما ندرك بعد قراءة هذه الدراسة التى جمعت فيها معلومات وتصريحات ومحاضر ووثائق عن مرحلتى الحرب والمفاوضات حتى اتفاقية فك الإشتباك الثانية.

كم كان الرئيس أنور السادات عبقريا.

وكم كان سابقا لعصره

ولا حول ولا قوة إلا بالله

المصــــادر :

- مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى.
- مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى.
- مذكرات الفريق محمد فوزى.
- مذكرات هنرى كيسنجر (سنوات القلاقل) الجزء الثانى.
- حرب أكتوبر دراسة و دروس : الفريق محمد فوزى.
- كتاب (وعليكم السلام) : محمود عوض.
- كتاب (المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – ج٢): محمد حسنين هيكل.
- كتاب (خريف الغضب) : محمد حسنين هيكل.
- كتاب (الطريق إلى رمضان) : محمد حسنين هيكل.
- كتاب (أكتوبر ٧٣ السلاح و السياسة): محمد حسنين هيكل.
- كتاب (البحث عن الذات) الرئيس أنور السادات.
- كتاب (عقود من الخيبات): حمدان حمدان.
- كتاب (وثائق حرب أكتوبر): موسى صبرى.

مذكرات السادات : كلاكيت عاشر مرة

قراءة فى كتاب (من أوراق السادات)

كان الرئيس الراحل أنور السادات مولعا برواية قصة حياته للعالم، فقد حكاها عشرات المرات وفى كل مرة كان يضيف وقائع ويحذف أخرى لكى يزيد من أهمية دوره وزعامته، والطريف فى الأمر أن الرئيس السادات على كثرة ما روى من قصص عن حياته سواء عبر أحاديث صحفية وتليفزيونية أو عبر كتب ومذكرات لم يأت أبدا بوثيقة واحدة تثبت صحة رواياته حتى أصدر عام ١٩٧٨ مذكراته النهائية فى كتاب باسم (البحث عن الذات) صاغه له كلا من الدكتور رشاد رشدي والصحفي أنيس منصور، صدرت هذه المذكرات عام ١٩٧٨، والرئيس السادات فى ذروة سلطانه وقد أصبح نجما عالميا من وجهة نظر الغرب بعد قيامه بزيارة إسرائيل واتخاذه لقرار السلام المنفرد مع العدو التاريخي لمصر والعرب، بما يجعل تلك المذكرات كلمته النهائية فى ما رواه من أحداث سواء اتفقنا أو اختلفنا معه ومع رؤيته للأحداث التاريخية، فالكتاب فى النهاية يحمل أسمه كسيرته الذاتية المعتمدة.

وفى هذا الكتاب رسم السادات لنفسه صورة أسطورية كشخصية حكيمة نبيلة متدينة دقيقة التفكير وهاجم فيه بضراوة شخصية سلفه الرئيس جمال عبد الناصر وصوره كشخص حقود متهور وعصبى وصور عهده كمصيبة ضربت مصر، وقال أنه ترك له مصر بلدا ممزقا بالفتن والأزمات السياسية والاقتصادية والعسكرية،

كما هاجم المشير عبد الحكيم عامر ووصفه بالجهل والشللية وإدمان الأخطاء والانسياق وراء معاونيه،

وبالنسبة للأستاذ محمد حسنين هيكل فلم يذكر الرئيس السادات اسمه طيلة صفحات الكتاب من شدة ضيقه منه وقام بتسميته (المستشار الصحفي للرئيس عبد الناصر) وألصق به تهم الحقد على العائلات الكبيرة وفبركة البيانات واستغلال قربه من الرئيس عبد الناصر فى تكوين مركز قوى،

ووصف رجال عبد الناصر من مجموعة مايو شركاؤه في الحكم بالعمالة للسوفيت والديكتاتورية والقمع والتجسس على الناس،

وهاجم اللواء محمد نجيب والفريق محمد فوزي والفريق محمد صادق الذى سانده فى انقلاب مايو ١٩٧١،

واتهم الفريق سعد الدين الشاذلي بانهيار الأعصاب والتسبب فى الثغرة،

وبلغت المهزلة ذروتها عندما حكى الرئيس أسباب عدم عمله بمجلة

روز اليوسف أثناء فترة فصله من الجيش قبل الثورة وبررها بأن المجلة لم تكن تحتمل كاتبين كبيرين مثله هو وإحسان عبد القدوس،

وكذلك عدم عمله بمجلة الهلال لنفس السبب وهو وجود كاتبين كبيرين مثله ومثل الأستاذ كامل الشناوى.

وانصب معظم غضب الرئيس الراحل على الاتحاد السوفيتي الذى أتهمه بمحاولة إذلال مصر والسيطرة عليها وغزوها بالفكر الشيوعى،

وهكذا لم يسلم أحد من اتهامات الرئيس السادات إلا صديقه الملك فيصل حيث يعترف السادات بصداقته له حتى فى ذروة الخلافات المصرية السعودية أثناء حرب اليمن التى كان أنور السادات خلالها هو المسئول عن ملف السعودية واليمن ومقاومة النشاط السعودى المضاد لمصر حتى قام أحرار السعودية بإبلاغ الرئيس عبد الناصر باتصالات السادات المريبة بكمال ادهم مدير المخابرات السعودية فأنهى الرئيس عبد الناصر مسئولية السادات عن هذا الملف.

ومن الغريب أن علاقات السادات بالسعوديين عادت بشكل ملفت للنظر عقب وفاة الرئيس عبد الناصر بزيارات مدير المخابرات السعودية كمال أدهم المتكررة لمصر ولقاءاته بالسادات، كما يشيد السادات بصديقه وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر وصديقه شاه إيران محمد رضا بهلوى.

هكذا قال الرئيس السادات كلمته وترك لنا كتاب (البحث عن الذات).

فجأة قرر الأستاذ أنيس منصور صديق الرئيس السادات وجليسه أن يصدر كتابا تحت أسم (من أوراق السادات) جمع فيه سلسلة من الحكايات رواها له الرئيس السادات حتى عام ١٩٧٧ ، كما ورد فى الكتاب،

ويبدو اختيار الرئيس السادات لأنيس منصور بالذات كجليس دائم له ومعبر عن أفكاره وكاتب لمذكراته ذو دلالة عن كيفية تفكير الرئيس الراحل،

فأنيس منصور أشتهر منذ بداية عمله بالصحافة بالكتابة عن تحضير الأرواح وقراءة الفنجان، والمخلوقات الفضائية التى هبطت من السماء وبنت لنا الأهرامات ثم عادت إلى السماء مرة أخرى، ولعنة الفراعنة والوجودية والرحلات ولم يعرف عنه أى اهتمامات سياسية غير مدح عبد الناصر وثورة يوليو فكان من أشد المؤيدين للثورة ولعبد الناصر وقد دبج مقالات عديدة فى الإشادة بالرئيس عبد الناصر وحكمته وزعامته المتفردة، كما كان وثيق الصلة بشقيقه شوقى عبد الناصر،

وقد ظل أنيس منصور يرثى الرئيس عبد الناصر عقب وفاته ولمدة عام كامل

بعدها حتى سبتمبر ١٩٧١، ويبدو ذلك الأمر فى حاجة إلى طبيب نفسى خاصة فى ظل انقلاب أنيس اللاحق على عبد الناصر وعهده، فالزعيم رحل ورجاله فى السجون والثورة تم الانقضاض عليها فما داعى أنيس إلى النفاق إلا إذا كان مازال يتحسس اتجاه الرياح القادمة حتى يتبعها، وبعدما أطمأن أنيس إلى بداية الحملات الظالمة لتشويه عبد الناصر وعهده ورجاله وإثر اختيار السادات له كمعبر عن أفكاره شارك فى حملة الهجوم على عبد الناصر وعهده بنشاط فائق ووجه للرئيس عبد الناصر أبشع وأقذر التهم فى مقالاته، ثم جمع معظم تلك النفايات فى كتاب سماه (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا)، وبين كل حين وأخر يقوم بتوجيه شتائم جديدة للرئيس عبد الناصر بدون سبب وكأنه مصاب بحساسية جمال عبد الناصر فكلما تذكر اسمه انتابته الحكة والتى لا تهدأ إلا بعد أن يسب الزعيم الخالد.

فهم أنيس جيداً شخصية الرئيس السادات ونرجسيته وحبه للعظمة فلعب دورا خطيرا فى تضخيم العقد النفسية لدى السادات، وكان أول من شبهه بالأنبياء فمرة يشبهه بالنبى نوح، وتارة بالنبى موسى وأخرى بالمهدى المنتظر،

وتوضح لنا مقالاته حقيقته، فقد كان من أشد الصحفيين دفاعا عن مشروع بيع هضبة الأهرام المشبوه لمجموعة من اللصوص والأفاقين الأجانب لإقامة مشروعات سياحية على الهضبة الأثرية بعقد امتياز مدته ٩٩ سنة وصور غضب الشعب على تلك الجريمة التاريخية بالفجيعة الوطنية،

وكان ومازال رائد التطبيع مع إسرائيل فى الصحافة والثقافة.

وبقراءة مقالاته نجد أنه لم يهاجم إسرائيل وقادتها مطلقا بينما ينصب هجومه على عبد الناصر والفلسطينيين والعرب عامة،

وعندما ظهرت شركات توظيف الأموال الإسلامية فى مصر كان أنيس منصور من أشد المؤيدين لها ودبج المقالات فى الإشادة بها وعمل مستشارا إعلاميا لعدد منها، وعندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ضد الاحتلال الاسرائيلي كتب يقول (ما يجرى من مقاومة بالأراضى المحتلة يتم تحت تهديد من منظمة التحرير الفلسطينية) للتهوين من شأن الانتفاضة والإيحاء بكونها تتم تحت ضغط من الخارج وليست نابعة من مأساة الشعب الفلسطينى،

وعندما تولى بنيامين نتنياهو رئاسة وزراء إسرائيل للمرة الأولى وشاعت نكات تسخر من أسمه فى مصر، كتب يوضح معنى أسمه وأنه أسم جميل يعنى (عطية اللّه) مستنكرا السخرية منه، بينما كان هو نفسه الذى كتب أن صوت

الرئيس عبد الناصر أخنف وأن الحقد يطل من عينيه، والملفت للنظر فى قصة أنيس منصور الذى بلغ من العمر٨٥ سنة وأصدر أكثر من ١٦٠ كتاب، أنك إذا حاولت البحث عن مشروع فكرى له كصاحب لكل هذا الكم من الكتب لن تجد شيئا إلا مجموعة من كتب التسالى والترجمات عن الغير والتى تحمل حكايات وقصص مكررة كتبها وصاغها عشرات المرات تحت مسميات مختلفة ولا تحمل أى إضافة مفيدة للفكر العربى والثقافة العربية ولن يبق منها شيئا فى مستقبل الأيام.

يقول الأستاذ أنيس فى مقدمة كتاب (من أوراق السادات) أن كتابه تفريغ لجلسات طويلة مع الرئيس السادات يحكى الرئيس الراحل فيها قصة حياته، وإن كان تركيزها الأساسي على العلاقات المصرية السوفيتية فى عهدى الرئيسين عبد الناصر والسادات،

وأول ما يخطر على بال القارئ أن الكتاب يحوى مذكرات جديدة للرئيس الراحل كانت فى حوزة الأستاذ أنيس ولكن يتضح لنا أن تلك المذكرات نشرت من قبل على صفحات مجلة أكتوبر التى أنشأها الرئيس السادات وقام بتعيين الأستاذ أنيس رئيسا لتحريرها، كان الرئيس السادات يأمل أن تنافس مجلة أكتوبر مجلة الحوادث اللبنانية التى كانت تحظى بشعبية واسعة فى العالم العربى ولكن الأستاذ أنيس فشل فى مهمته رغم الإمكانيات الضخمة التى وفرها له الرئيس الراحل ونجح الأستاذ أنيس بمهارة لا يحسد عليها أن يهوى بتوزيع المجلة التى لم تستطع أن تنافس حتى مجلة ميكى فى مصر.

يقول الأستاذ أنيس فى المقدمة التى وضعها للكتاب (لم يلجأ الرئيس السادات إلى ورقة أو كتاب ينقل منه بعض ذكرياته أو خواطره أو يراجع ما جاء فيها من تواريخ) تبدو هذه العبارة شديدة الصدق خاصة عندما تتعلق بالرئيس السادات الذى كان معروفا عنه كراهيته للقراءة وللأوراق والوثائق، وحبه للحكايات التى كل شهودها وأبطالها أموات، وإن كان هذا يعطينا فكرة عن قيمة الكتاب كحكاوي وقصص بلا دليل تمثل وجهة نظر الرئيس الراحل،

كتب الأستاذ أنيس على الغلاف الأخير للكتاب (نجد فى هذه الأوراق رصداً دقيقاً لأحداث ثورة يوليو سنة بسنة وكشفا لأسرار ثورة مايو وتوثيقا تاريخياً لمعركة أكتوبر باليوم والساعة والدقيقة) هكذا كما يوحى لنا الأستاذ أنيس سوف نجد فى تلك الأوراق تاريخ مصر لمدة تزيد عن ٢٠ سنة وسوف نكتشف معاً زيف كل تلك الكلمات بل أن أخطاء التواريخ لا تعد فى ذلك الكتاب ومنها أن مبادرة روجرز كانت قبل أخر زيارة لعبد الناصر للاتحاد السوفيتى بينما هى تمت أثناء زيارة عبد الناصر الأخيرة، وأن كوسيجين زار مصر يوم الثغرة ١٦

أكتوبر١٩٧٣ بينما وقعت الثغرة مساء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأن الانفصال تم يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦١ بينما هو تم يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، ويقول السادات أنه فى أغسطس ١٩٦٧ كانت قد مرت على معرفته بعبد الناصر ١٩عاما بينما هو يعرفه منذ عام ١٩٣٨ أى منذ ٢٩ عاما ، وفى صفحة ٢٤٣ من الكتاب صورة للسادات بالملابس العسكرية يعبر أحد الجسور من غرب القناة إلى سيناء وحوله قادة القوات المسلحة وأمامه المصورين والتعليق المكتوب عليها (الرئيس السادات مع القوات المسلحة لحظة العبور) بينما الثابت تاريخيا أن حرب أكتوبر لم يتم تصويرها لدواعى السرية ، وأن المشاهد والأفلام التى تذاع عنها هى تصوير لمناورة تمت عام ١٩٧٤ ، وكانت طبق الأصل من معارك العبور عام ١٩٧٣ ، كما أن الرئيس السادات لم يزر سيناء أثناء الحرب ولم يكن مطلوبا منه ذلك ، فلمصلحة من يضع الأستاذ أنيس هذا التعليق على صورة تم التقاطها بعد انتهاء الحرب بأكثر من سنة وواضح فيها أنها تتم فى جو هادئ واحتفالى ، وهكذا اجتمعت موهبة الرئيس السادات فى تلفيق الوقائع والتواريخ مع موهبة الأستاذ أنيس فى عدم مراجعة ما يكتبه ، وفى هذا الصدد أتذكر هنا كتاب للأستاذ أنيس أسمه (عاشوا فى حياتى) طبعة مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٠ فى صفحة ٦٥٨ من الكتاب يروى الأستاذ أنيس هذه الواقعة عن لقاء جمعه بكوكب الشرق أم كلثوم والكاتب الكبير كامل الشناوى ودار الحوارعن أحوال مصر بعد النكسة عام ١٩٦٧ ، وعن الرئيس عبد الناصر الذى يتم تصويره كغائب عن الوعى ، وشهد اللقاء مناقشة بين أم كلثوم وكامل الشناوى بحضور أنيس منصور ، يروى الأستاذ أنيس تفاصيل المقابلة الحامية وتأثر كوكب الشرق مما ورد فيها ، كل هذا يحكيه أنيس منصور بينما يخبرنا التاريخ أن الأستاذ كامل الشناوى توفى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ قبل النكسة بأكثر من عام ونصف ، فمن الذى حضر وتكلم مع أم كلثوم وأنيس هل هى روح الأستاذ كامل الشناوى؟ هل حضرها الأستاذ أنيس؟ وكيف نستطيع تصديق حرف واحد يخطه كاتب على تلك الشاكلة من الجهل والاستخفاف بعقول القراء وتلفيق وفبركة الحكايات؟!!

والآن بعدما أدركنا نوعية الرئيس راوى الحكايات وحقيقة الكاتب صاحب الصياغة نبدأ قراءة أوراق السادات معا مسلحين بالصبر والقدرة على عبور سطور من الأكاذيب.

الرئيس السادات هو المتحدث الأوحد على صفحات الكتاب فهو الذي يروى لنا الأحداث منذ بداية الكتاب وحتى نهايته ، وهذه أول نقاط التشابه بين هذا الكتاب وكتاب الرئيس السادات (البحث عن الذات) ، وبينما فصول كتاب

(البحث عن الذات) مرتبة تاريخيا من الأقدم فالأحدث، فإن فصول هذا الكتاب غير مرتبة تاريخياً، يلفت النظر في هذا الكتاب أنه يتخذ موقفا أفضل نسبيا من شخصية الرئيس عبد الناصر مقارنة بكتاب البحث عن الذات، وإن لم يذكر كل الحقيقة، فالسادات يصف سلفه الرئيس عبد الناصر بالطيبة والهدوء والذكاء الشديد والقدرة على التخطيط والدهاء السياسي، ويعترف أنه قائد ثورة ٢٣ يوليو وزعيم الضباط الأحرار ومفجر الثورة وعقلها المدبر وكاتب بيانها الأول مع عبد الحكيم عامر، وأنه رجل إذا قال فعل وإذا وعد فأنه يفي بالوعد وأنه لم يكن أبداً شيوعياً، كما يذكر بعض أعمال عبد الناصر مثل تأميم القناة وإعادة بناء الجيش بعد النكسة وحرب الاستنزاف ولكن كل ذلك ليس صحوة ضمير من السادات بل لكى يصور عبد الناصر كضحية لتعنت وغدر السوفيت وليتهم السوفيت بقتل عبد الناصر وتحطيم معنوياته، وفى فصل من الكتاب عنوانه (التصنيف اللعين) يعاود السادات هجومه على عبد الناصر ويمدح الملك فيصل ويروى وقائع مختلقة عن إحساس عبد الناصر بالهزيمة المعنوية بعد موقف الملك فيصل من مصر بعد النكسة فى مؤتمر القمة بالخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧، ولكن الحقائق التاريخية تروى أن مؤتمر القمة بالخرطوم عقب النكسة كان بمثابة عودة الروح للرئيس عبد الناصر الذى تم استقباله من الشعب السودانى بصورة أسطورية لا توصف خاصة أنها كانت أول زيارة له لقطر عربى بعد الهزيمة وهذه الزيارة التاريخية مسجلة فى جريدة مصر الناطقة لمن يرغب فى رؤيتها، وكانت حفاوة عشرات الألوف من أبناء السودان بالرئيس عبد الناصر هى السبب الذى جعل استقباله الحدث الأول إعلاميا فى العالم وقتها وقد نشرت كل الصحف العالمية فى صفحاتها الأولى تغطية للاستقبال وصور التفاف الشعب السودانى حول القائد العربى عبد الناصر، ونشرت مجلة (نيوزويك) الأمريكية على غلافها صورة للرئيس عبد الناصر محاطا بعشرات الآلاف من أبناء الشعب السودانى وكتبت تحتها (المجد للمهزوم هذه أول مرة فى التاريخ يتم فيها استقبال قائد مهزوم بأكاليل الغار كالفاتحين والمنتصرين)، وعندما مر موكب الملك فيصل خلف موكب الرئيس عبد الناصر هتفت له الجماهير السودانية (وراء جمال يا فيصل)، وفى هذا المؤتمر تم تكريس المقاومة ورفض العدوان وخرج المؤتمر باللاءات الثلاثة الشهيرة (لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض)، فمن أين أتى الرئيس السادات بتلك الحكاية الغريبة؟!

كما يهاجم الكتاب بشدة وبألفاظ تحمل معانى السب والقذف الأستاذ محمد حسنين هيكل، فالسادات يتهمه أنه مركز القوة الثاني في نظام عبد الناصر بعد مركز القوة الأول الممثل في مجموعة مايو، كما يتهمه ببلبلة

الشعب وزرع اليأس فيه من اندلاع حرب التحرير بمقالاته بجريدة الأهرام قبل حرب ١٩٧٣ ، ويقول السادات أن موقف هيكل أثناء حرب ١٩٧٣ كان ضد مصر !، وأنه عاير مصر وقواتها المسلحة بسبب الثغرة وأن هيكل أعتبر حرب ١٩٧٣ هزيمة فادحة لمصر أسوأ من هزيمة ١٩٦٧ ، ويكتب الأستاذ أنيس على لسان الرئيس السادات هذه الكلمات بالنص عن موقف هيكل من انتصارات ١٩٧٣ (تحدث بلغة الفوازير والشماتة والسفالة أللأخلاقية دون وازع من ضمير وهو شيء يبعث على الخزي والاحتقار وان هيكل يمثل نوع من الانهزامية القبيحة والشماتة العارية فى مصر وشعب مصر وجيش مصر).

ولم يكتف السادات بذلك بل أتهم هيكل بالجبن والرعب من مجموعة مايو حتى وهم فى سجون السادات لامتلاكهم ملفات ضده.

تبدو هذه الاتهامات نوع من العبث والسخف غير المقبول وهى تعكس طبيعة السادات الغادرة، فهيكل هو الذى سانده بكل ما يملك أثناء أحداث مايو ١٩٧١ ، ومازال الأستاذ هيكل يفتخر بدوره فى تلك الأحداث، رغم أن معظم أنصار هيكل ومحبيه يعتبرونها نقطة سوداء فى تاريخه، وهيكل كتب مقالاته عن الحرب عام ١٩٧١ ، والتى بدأها بمقال (تحية للرجال) بالاتفاق مع السادات فى إطار تحالفهما معا ضد رجال عبد الناصر الذين كانوا يلحون على السادات ببدء العمليات فى موعدها المقرر قبل نهاية ربيع ١٩٧١ ، بينما كان كلا من الرئيس السادات والأستاذ هيكل يريدان استنفاذ كل وسائل الحل السلمى قبل الشروع فى حرب جديدة، والأستاذ هيكل هو كاتب التوجيه الاستراتيجي الصادر من الرئيس السادات إلى الفريق أحمد إسماعيل ببدء العمليات المسلحة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأختلف الرجلان عقب الحرب عندما أحس هيكل بنية السادات البحث عن حل سلمى منفرد برعاية أمريكية وهو ما أعتبره هيكل إهدار لتضحيات الرجال من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ وتباعدت على إثر ذلك رؤى الرجلين وخرج هيكل من الأهرام بأمر السادات، ورغم كل ذلك التاريخ من التعاون بين الرجلين انهال السادات بالسب والقذف بحق الأستاذ هيكل بدون دليل على صدق اتهاماته، وقد أثبتت الأحداث صحة وجهة نظر الأستاذ هيكل كما أثبتها هو بكتبه ووثائقه التى كشفت حقيقة السادات وحقيقة خياراته، وعندما يتحدث السادات عن مجموعة مايو يتحول الحديث إلى سباب وشتائم جارحة وتهم عجيبة فهم مجموعة من الأغوات وخدام السلاطين، والسادة (على صبرى، شعراوى جمعة، سامى شرف) فى رأى السادات مجموعة من التافهين، ورغم ذلك يتهمهم بالرغبة فى التخلص من عبد الناصر والتأمر عليه والهجوم على مبادئ ثورة يوليو واستغلال مرض عبد الناصر للتجهيز

لثورة شاملة ضده وينقل وقائع توحى بأنهم كانوا لا ينفذون تعليمات عبد الناصر وفى نفس الوقت يتهمهم بالسذاجة والغباء السياسى وقصر النظر، مما يجعل القارئ متحير فى فهم هؤلاء الرجال وشخصياتهم، وعندما يذكرهم بالاسم يقول عن السيد سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق وسكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات أنه كان عميلا سوفيتيا يتجسس على الرئيس عبد الناصر لحساب السوفيت وهى تهمة باطلة ألصقت زورا بسامى شرف، وقد نفاها كلا من وزير الخارجية الأسبق محمود رياض، وسفير مصر الأسبق ووزير خارجيتها مراد غالب، ومستشار السادات وصديقه فى بداية حكمه محمد عبد السلام الزيات فى مذكراتهم، كما نفاها الأستاذ هيكل جملة وتفصيلا موضحا أن ولاء سامى شرف الأول والأخير كان لمصر ولعبد الناصر، ولم يكتف السادات بذلك بل يقول عن سامى شرف بالنص(سامى شرف يعلم جيدا أنه إنسان محدود وأنه لا يستطيع أن يكون فى المقدمة وإنما لابد أن يعيش فى ظل أحد، أى أنه يكون الرجل الثانى أو الظل لأى أحد).

ويقول عنه أيضاً (أنه صورة من الغباء، وأنه مرتبط بشعراوى جمعة ولكنه من الممكن أن يرتبط بأى إنسان أخر لأنه لا يستطيع أن يقف على رجليه فهو كالأطفال التى لم يتم فطامها بعد) .

كما يصفه أنه دائم البكاء وسريع الانهيار.

تبدو تلك الصفات بعيدة تماما عن صفات السيد سامى شرف الذى يعرفه الجميع كرجل شجاع ذو مبادئ ظل بجوار الرئيس عبد الناصر حتى رحيله كمثال حى للوفاء والتفانى فى خدمة مصالح مصر وعرف عنه النظام والدقة الشديدة والذاكرة الحديدية والجلد فى العمل والذكاء الحاد والنزاهة المطلقة، والرجل الذى دفع ثمن ولائه لمبادئ الثورة عشر سنين من عمره فى السجن عقب انقلاب السادات، ومازال حتى الآن يدافع عن الثورة وعن الزعيم بالوثائق والأدلة وليس عبر شتائم رخيصة.

عندما كتب سامى شرف مذكراته تحدث فيها بالأدلة والوثائق عما يعرفه وعمن عرفهم ولم يشتم ولم يسب من ظلمه بل على العكس عندما سأله الكاتب الصحفى الراحل عبد الله إمام فى كتابه (عبد الناصر كيف حكم مصر؟) هل حزن على السادات عندما علم بمقتله؟ أجابه الرجل النبيل (نعم حزنت عليه لقد ظلمنى وشهر بى ولكنى حزنت على نهايته).

وتتواصل سلسلة الشتائم فيقول السادات عن السيدين على صبرى وضياء

الدين داوود بالنص فى صفحة ١٤٤ من الكتاب (فقد رفضت دعوتهما إلى بيتى حرصا على نظافة بيتى وأى مقعد يجلس أى منهما عليه) وهى كلمات تدين السادات ولا تليق بمقامه، حقيقة أن خطبه توضح أنه كان منفلت اللسان ودائم السباب لخصومه السياسيين فقد وصف الشيخ المحلاوى بالكلب ووصف العقيد القذافى بالجنون ووصف العرب بالأقزام على رؤوس الأشهاد ولكن ذلك أصبح تاريخا ومضى، وكان من الأفضل بالنسبة للأستاذ أنيس لو كان فعلا محب للسادات ومهتم بصورته إلا يعيد نشر تلك الشتائم للقراء لأنها تسئ للسادات قبل أن تسئ لخصومه.

وعن خلافاته مع الفريق صادق وزير الحربية الذى سانده فى انقلابه عام ١٩٧١ يهاجمه الرئيس بضراوة هو ومعاونيه ويصفهم بالإهمال والجهل العسكرى وأن الفريق صادق جندى خائف من القتال وكاذب ولا يستطيع القتال وأرتكب جريمة لا يمكن غفرانها وأن السادات يتمنى محاكمته ليعرف الناس أبعاد جرمه والكارثة التى كاد الفريق صادق يتسبب فيها لمصر بتأخيره المعركة مع إسرائيل بينما تقول وقائع التاريخ أن الرئيس السادات فى يوم ٢٦ مايو ١٩٧٢ أقال وزير الحربية الفريق محمد صادق ومساعده وقائد البحرية وقائد المنطقة العسكرية المركزية ومدير المخابرات وطردهم جميعا من مناصبهم عقب تفجر الخلاف بين الرئيس السادات وهؤلاء القادة قبلها بيومين فى اجتماع مجلس الأمن القومى، عقب عرض الرئيس لأفكاره بخصوص شن حرب محدودة تجعلنا نكسب عشرة ملليمترات على الضفة الشرقية لقناة السويس، يبدأ بعدها عملية التفاوض السياسى وعندما رفض القادة تلك الأفكار واحتدت المناقشة بينهم وبين الرئيس، أنهى الرئيس الاجتماع غاضبا وقرر طردهم من مناصبهم وهكذا تحول اختلاف الرؤى بين الرئيس ووزير حربيته الى جهل وإهمال وتأمر كعادة الرئيس السادات فى أى اختلاف فى وجهات النظر معه.

وبخصوص الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، فالرئيس الراحل يتهمه بالانهيار النفسى أثناء المعركة وبالتسبب فى حدوث الثغرة وانه طالبه بانسحاب كامل للقوات المصرية من سيناء للتصدى الثغرة والبحث عن حل سياسى لمنع حدوث كارثة للقوات المسلحة وكل تلك الاتهامات تم تكذيبها من جميع قادة حرب أكتوبر وعلى رأسهم المشير الجمسى الذى نفى انهيار الشاذلى ونفى مطالبته بالانسحاب الكامل من سيناء ونفى تسببه فى الثغرة، بل أتهم السادات بها ضمنا عندما قال أن العمل السياسى خذل العمل العسكرى فى حرب أكتوبر، ويروى السادات تفاصيل الخطة العسكرية التى أمر الفريق الشاذلى

بتنفيذها لتدمير القوات الإسرائيلية فى الثغرة والتى لم ينفذها الشاذلى، بينما الوقائع التاريخية تثبت أن القادة العسكريين المصريين قاموا بوضع خطة عسكرية سميت (الخطة شامل) لتصفية الثغرة وإبادة القوات الإسرائيلية الموجودة بها، حتى يزيلوا ما اعتبروه إهانة للعسكرية المصرية وتضحياتها فى المعركة، بسبب حصار الجيش الثالث المصرى، ومما دعم خطتهم وصول إمدادات عسكرية جديدة لمصر من الاتحاد السوفيتى والعرب تكفى لنجاح الخطة، ولكن السادات طلب منهم الانتظار ورفض التصديق على تنفيذ الخطة، الطريف أن الرئيس السادات الذى يقول أنه رسم خطة عسكرية محكمة لتصفية الثغرة أجهضها الشاذلى يقول فى صفحة ٤٨٠ فى كتاب (من أوراق السادات) أنه بعد عودته للجيش طلب منه عبد الناصر دخول امتحانات الترقى وأنه فشل فى الإجابة على أسئلة الامتحان ويعترف السادات أنه لولا تدخل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى تبديل ورقة إجابته بورقة أخرى صائبة لرسب فى الامتحان لأنه كان غائبا عن الجيش لمدة ٦ شهور ولا يتابع تطورات سلاح الإشارة الذى كان ضابطا به فكيف نقرأ هذا الاعتراف بفشله فى امتحان للترقى فى سلاح الإشارة ثم نصدق قصة وضعه خطة عسكرية محكمة لتصفية الثغرة.

يشيد الرئيس السادات بالفريق أحمد إسماعيل ويصفه بالذكاء والدقة ويعترف أنه أختاره لمنصبه وهو يعلم بإصابته بمرض السرطان وان الأطباء أخبروه أن حالة الفريق أحمد إسماعيل لا تؤهله لتحمل أعباء الحرب، كما أن الكورتيزون الذى يتعاطاه كعلاج يؤثر على قراراته ويجعله غير قادر على التفكير السليم، كما يقول أنه كان يعلم بخلافاته الحادة مع الفريق سعد الدين الشاذلى.

يبدو هذا الكلام شديد الغرابة فإذا كان الرئيس السادات يعلم كل ذلك عن حالة الفريق أحمد إسماعيل فلماذا تركه يقود القوات المسلحة فى حرب ١٩٧٣؟، تأتى الإجابة عن كل تلك التساؤلات فى مذكرات الفريق الشاذلى الذى يحلل أسباب اختيار السادات للفريق أحمد إسماعيل بالذات.

يقول الفريق الشاذلى أن أسباب هذا الاختيار هى كراهية أحمد إسماعيل الشديدة للرئيس عبد الناصر الذى طرده من منصبه كرئيس للأركان أثناء حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ بسبب نجاح هجومين إسرائيليين فى فترة ولايته (ستة أشهر فقط)، ولولاء أحمد إسماعيل المطلق للرئيس السادات الذى أعاده للجيش بعد طرده منه ثم عينه رئيسا لجهاز المخابرات العامة ثم وزيرا للحربية، ويتهم الفريق الشاذلى الفريق أحمد إسماعيل بضعف شخصيته العسكرية وأنه يفضل تلقى الأوامر وتنفيذها بدلا من إصدارها، وهو ما أستغله السادات لفرض أفكاره على سير

المعركة العسكرية عام ١٩٧٣، ويضيف الفريق الشاذلى أن علم السادات بمرض الفريق أحمد إسماعيل كان دافعا له لتعيينه ليضمن السيطرة عليه، كما أن السادات كان يعلم بالخلافات الشخصية الحادة بين الشاذلى وأحمد إسماعيل لذا قام بتعيينهما معا ليضمن عدم اتفاق القوات المسلحة ضده وبعد أن وضحت لنا تلك النقطة من خلال تحليل الفريق الشاذلى، نعود لمواصلة تفنيد الأكاذيب الواردة فى الكتاب فنجد السادات يصف حقبة الستينات بأنها كانت هزائم متوالية يبدو هذا الرأى شديد التعسف وينم عن جهل شديد أو حقد مريض تجاه تلك الحقبة التى شهدت أنجح خطة خمسيه فى تاريخ مصر حققت معدل نمو بلغ ٧٪ ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم [٨٧٠ - أ] عن مصر، الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٦، وهذا يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على عصر عبد الناصر، كانت تلك نتيجةً لا مثيل لها فى العالم النامى كله، حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة، بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها فى العالم المتقدم، باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية، وفى الستينات تم بناء السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين، كما تم بناء مجمع مصانع الألمونيوم فى نجع حمادى وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ٣ مليار جنيه، وفى ظل النكسة حافظت مصر على نسبة النمو الاقتصادي قبل النكسة، بل أن هذه النسبة زادت فى عامى ١٩٦٩ و١٩٧٠ وبلغت ٨ ٪ سنويا، وأستطاع الاقتصاد المصرى عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى، لأول وأخر مرة فى تاريخ مصر، بفائض قدرها ٤٦,٩ مليون جنية بأسعار ذلك الزمان، كما تحمل الاقتصاد المصرى عبء إعادة بناء الجيش المصرى وبناء أكبر حائط صواريخ فى العالم بدون مديونيات خارجية، وكان اقتصاد مصر أقوى من الاقتصاد الكورى الجنوبى، وثمن القطاع العام الذى بناه المصريون فى الستينات بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار، وعدد المصانع التى أنشأت بلغ ما يقرب من ١٢٠٠ مصنع، وفى تلك الفترة تم استصلاح ما يقرب من ٢ مليون فدان بفضل السد العالى واستطاعت مصر عبد الناصر أن تحقق الاكتفاء الذاتى من كل محاصيلها الزراعية ماعدا القمح الذى حققت منه ٨٠٪ من احتياجاتها، وفى عام ١٩٦٩ وصل إنتاج مصر من القطن إلى ١٠ ملايين و٨٠٠ ألف قنطار، وهو أعلى رقم لإنتاج محصول القطن فى تاريخ الزراعة المصرية على الإطلاق وصلت المساحة المزروعة أرز فى مصر إلى ما يزيد على مليون فدان، وهى أعلى مساحة زرعت فى تاريخ مصر.

كل تلك الانجازات يراها الرئيس السادات هزائم متوالية، وهكذا بينما يبدو الرئيس السادات عنيفا ودائم السباب لمن أعتبرهم خصومه السياسيين سواء قبل انقلابه أو بعد انقلابه، وشديد النقمة على الاتحاد السوفيتى الذى حاربت مصر بأسلحته كل حروبها، وشديد التباهى بقراره طرد الخبراء السوفيت من مصر فى يوليو ١٩٧٢ الذى أتخذه منفردا وبدون التشاور مع أحد غير الفريق صادق وزير الحربية المصرى وقتها وفاجأ به الجميع، وهو يتصور أن الأمريكيين سوف يكونوا سعداء، إلى درجة تدفعهم إلى الاستجابة لأى شئ يطلبه، وهو ما لم يحدث كما نعرف، يقول وزير الخارجية الأمريكي هنرى كيسنجر عن القرار فى مذكراته (لماذا لم يقل لنا السادات ما كان ينوى فعله؟ ربما لو أبلغنا مسبقا لكنا قدمنا له شيئا فى المقابل؟ فى السياسة كما فى كل شئ أخر، فأن لا أحد مستعد لدفع ثمن لشئ حصل عليه بالفعل)، الغريب أن الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر ورئيس وزرائها الأسبق يروى فى مذكراته أنه كان هناك تفاهم بين الرئيس عبد الناصر والرئيس اليوغوسلافى تيتو على إن اتخاذ مصر لخطوة مثل إخراج السوفيت من المنطقة لن تمررها مصر إلا بمقابل إجبار الولايات المتحدة لإسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فى إطار حل شامل للصراع العربى الاسرائيلى، لأن غرض الرئيس عبد الناصر الحقيقى من وجود الخبراء السوفيت كان رفع مستوى المواجهة من المستوى الأقليمى بين العرب وإسرائيل إلى المستوى العالمى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وهكذا نجد السادات قد قدم بقراره هذا هدية مجانية للولايات المتحدة الأمريكية التى نجده دائما هادئ الأعصاب وفى غاية السعادة وهو يتحدث عنها وعن صديقه العبقرى هنرى كيسنجر واثقا فيه مدركا أن كل أوراق اللعبة فى يد أمريكا بعدما حول الرئيس السادات قضية الصراع العربى الإسرائيلى إلى لعبة بيد الأمريكيين.

مشكلة المذكرات الواردة فى كتاب (من أوراق السادات) أنها فقدت صلاحيتها فكل ما يرويه السادات فيها ثبت كذبه وزيفه سواء بالنسبة لخصومه أو بالنسبة لأصدقائه، فخصومه كلهم أصدروا شهاداتهم ومذكراتهم عن عهده مدعمة بالأدلة والوثائق مما فند كل أكاذيبه، وأصدقاؤه وعلى رأسهم كيسنجر تكفى قراءة مذكراته لتبيان مدى استخفافه بالسادات وتعجبه من قراراته وينتقد كيسنجر فيها عدم قدرة السادات على الاستفادة من كل أوراق الضغط التى كان يمتلكها عقب حرب ١٩٧٣، وتبديده لها دون فائدة كما يحلل كيسنجر شخصية السادات بما يدين السادات.

أن خيار السادات بتسليم كل مفاتيح الشرق الأوسط إلى الولايات المتحدة

دفعت مصر ثمنه ومازالت تدفعه حتى الآن من انهيار دورها الإقليمى ومكانتها الدولية وتبعية اقتصادها وسوء أحوال شعبها ومن محاربة الصهيونية إلى الاعتراف بالاغتصاب الصهيونى لفلسطين ثم العلاقات الخاصة مع إسرائيل ومن الانحياز للطبقات الفقيرة والمتوسطة إلى الانحياز لرجال الأعمال والسماسرة ومن الاستقلال الاقتصادى الكامل والتخطيط الشامل للتنمية إلى التبعية الاقتصادية وربط الاقتصاد المصرى بالاحتكارات الرأسمالية العالمية ومن محاولة اللحاق بركب العلم وتنمية البحث العلمى إلى تخريب التعليم وإهمال البحث العلمى، ومن قيادة العالم العربى والعالم الثالث بمواقفها المؤيدة لحقوق الضعفاء والمعادية للاستعمار إلى دولة تدور فى فلك السياسة الأمريكية، وخيار السلام ثبت أنه أكذوبة قايض فيها السادات استقلال إرادة مصر بسيناء منزوعة السلاح وقبل السادات معاهدة سلام بشروط سبق ورفضها عبد الناصر وهو مهزوم.

تآمر الرئيس السادات على كل من سانده ووقف بجواره، مجموعة مايو التي جعلته رئيسا زج بأفرادها فى السجون وشهر بأفرادها ونعتهم بأبشع التهم، وجمال عبد الناصر الذى حماه ورعاه ولولاه ما أصبح رئيسا وما دخل التاريخ من الأصل إنهال عليه بالسباب والاتهامات وهدم مشروعه القومى ونقض عهده وشوه سيرته، وشركاؤه فى انقلاب مايو (هيكل، الليثى ناصف، الفريق صادق، محمد عبد السلام الزيات، محمود فوزى) تخلص منهم جميعا بطرق مختلفة، وهكذا حتى وصل به الأمر فى نهاية عهده إلى اعتقال كل رموز مصر.

روى السادات تلك الحكايات لأنيس منصور وهو فى ذروة قوته وكمبرر للقطيعة مع السوفيت والانحياز للولايات المتحدة الأمريكية وهى مرهونة بوقتها وكان يجب على الأستاذ أنيس إلا ينشرها حفاظا على صورة الرئيس الراحل لأن أى قراءة موضوعية لتلك المذكرات يثبت مدى قصور فكر الرئيس الراحل وخطأ اجتهاداته السياسية وهو أمر كان يجب ألا يفوت الأستاذ أنيس منصور الذى لم يرحم حتى صديقه وصاحب الفضل عليه الرئيس السادات فوضع أسمه فوق أوراقه كما تعود أن يترجم الكتب ويضع أسمه فوقها بمنتهى الصفاقة، وحتى الآن يبدو غير مفهوما سبب نشر تلك الأوراق الآن إلا أذا كان الأستاذ أنيس يرغب فى تصفية حساباته مع من بقى حيا من خصوم السادات كالأستاذ هيكل والسيد سامى شرف والفريق سعد الدين الشاذلى وحتى لو كان هذا غرضه فقد فشل فى اختيار سلاحه وأساء للسادات أكثر مما أساء لخصومه، وأثبت وجهة نظر خصوم الرئيس الراحل فيه كسياسى مغامر تحليلاته واجتهاداته كلها خاطئة وعصره كله يبدو كخطأ تاريخى مازالت مصر تدفع ثمنه.

الملك فيصل بن عبد العزيز
(الأضـواء والظـلال)

الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود هو ثالث ملوك المملكة العربية السعودية تولى الحكم من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٧٥ والصورة الذهنية لدى قطاعات عديدة من الشعوب العربية والإسلامية عن شخصية الملك الراحل وسياساته تصوره كزعيم عربى وإسلامى مهموم بقضايا أمته شديد الورع والتدين، كما أنه لعب دور كبير فى دعم انتصار العرب فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بقراره بخفض إنتاج البترول ثم الحظر البترولى الشامل على الولايات المتحدة الأمريكية كما يعتقد الكثيرون ان اغتياله على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد تم بتدبير المخابرات المركزية الأمريكية انتقاما منه لاستخدامه سلاح البترول فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، فى هذه الدراسة وعبر إعادة قراءة لمجموعة من الوثائق سنراجع دور الملك فيصل منذ توليه الحكم وحتى اغتياله، لنرى هل الصورة الشائعة عن الملك بكل أضواءها الساطعة هى كل الحقيقة أم أن هناك ظلال مظلمة لا تبين وسط كل هذه المساحة من الضوء التى يعتقد فيها الكثيرون توترت العلاقات المصرية السعودية منذ عقد الرئيس عبد الناصر لصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥، التى رأى فيها الملك سعود تعاون مع الشيوعيين الملحدين، واستفزازا للغرب، ثم جاء قرار تأميم الرئيس عبد الناصر لشركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ دون إخطار الملك سعود بن عبد العزيز، الذى أيد القرار وان أغضبه إخفاء الرئيس عبد الناصر لنواياه عنه، كما أقلق الملك سعود التحالف مع زعيم راديكالى يعادى الغرب بهذه الطريقة التى أعتبرها الملك سعود متهورة، وعمل الأمريكيون على زيادة الجفوة المصرية السعودية عبر خطتهم الرامية إلى جعل الملك سعود منافسا للرئيس عبد الناصر على استقطاب حب الشعوب العربية حتى يقف أمام النفوذ المتصاعد للرئيس عبد الناصر وأفكاره وسياساته فى العالم العربى، ولكن هذه الخطة فشلت باعتراف الرئيس الأمريكى إيزنهاور فى مذكراته، وفى ربيع عام ١٩٥٧ أحبطت أجهزة الأمن المصرية محاولة انقلاب دبرها الملك سعود مع بعض ضباط الجيش المصرى، مما سبب المزيد من سوء العلاقات بين البلدين، وجاءت الوحدة المصرية السورية فى فبراير ١٩٥٨ لتسبب أزمة أكثر حدة فى العلاقات المصرية السعودية فقد أبدى الملك رفضا قاطعا للوحدة ورأى فيها تعاظماً لنفوذ مصر الإقليمى والدولى، وحاول إفشالها بكل الطرق قبل أن تتم رسميا عبر محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر مرتين، الأولى جاءت عبر تقديم رشوة إلى عبد الحميد السراج مدير المكتب الثانى فى سوريا بلغت ١٢ مليون جنيه إسترلينى، والذى جارى المتآمرين وحصل منهم على شيكات من المبلغ المرصود للمؤامرة ثم أبلغ الرئيس عبد الناصر بكل تفاصيل المؤامرة التى أذاعها الرئيس فى خطاب علنى من شرفة قصر الضيافة فى دمشق لشعب الجمهورية العربية المتحدة، والثانية عبر

محاولة تفجير طائرة الرئيس عبد الناصر فى الجو يوم قدومه إلى دمشق لأول مرة كرئيس للجمهورية العربية المتحدة، عقب الكشف عن تلك المؤامرات حدثت تداعيات داخل المملكة العربية السعودية فقد خول الملك سعود معظم صلاحياته لشقيقه وولى عهده الأمير فيصل، وظلت الأوضاع متوترة بين الشقيقين حتى ديسمبر ١٩٦٠ عندما أستطاع الملك سعود استعادة بعض صلاحيات منصبه وشكل وزارة جديدة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٠، وإن ظل الصراع مكتوما بين سعود وفيصل على السلطة خاصة أن الأمير فيصل هو الذى أمسك بملف العلاقات السعودية مع الغرب ومع شركات البترول وهو أهم ملفات الحكم فى السعودية.

ثم جاءت مؤامرة الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ والتى مولها الملك سعود بتخطيط أمريكى ومساعدة من الملك الأردنى حسين لتشكل ضربة جديدة وقاتلة للعلاقات المصرية السعودية لحقها فى شهر يوليو ١٩٦٢ محاولة جديدة مولها الملك سعود بمشاركة مجموعة من المصريين لنسف المنصة التى كان مقررا أن يلقى الرئيس عبد الناصر منها خطابه فى العيد العاشر للثورة بميدان عابدين وقد تم اكتشاف العملية واكتشف سلاحها وهو قنبلة موقوتة قبل ساعات من موعد بدء الخطاب، وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ تندلع الثورة اليمنية ورغم النزاعات الدموية التاريخية والخلافات الحدودية بين أسرة حميد الدين فى اليمن والأسرة الحاكمة السعودية، فقد وقفت السعودية بضراوة ضد الثورة اليمنية وعملت على إجهاضها وتبنت الأمير البدر باعتباره إمام اليمن كما قامت بتمويل القبائل اليمنية بالكميات اللازمة من السلاح والذهب وبالفعل يسقط العقيد على عبد المغنى أحد أهم قادة الثورة اليمنية وهو يدافع عن مدينة صعده اليمنية ضد هجوم قبلى سعودى يمنى، وتتحالف السعودية مع بريطانيا التى كانت تحتل جنوب اليمن ويقابل الأمير فيصل بن عبد العزيز (ولى العهد والحاكم الفعلى للسعودية) السير دوغلاس رايت رئيس جهاز المخابرات البريطانى الذى يقول للأمير (إن نجاح الكولونيل ناصر فى الحصول على موطئ قدم لمشروعاته الانقلابية فى الجزيرة العربية، وهى أهم مصادر البترول واحتياطاته فى العالم، هو نذير شؤم يجب أن تتعاون الأطراف كلها، ممن لهم مصلحة فى ذلك على مقاومته ودحضه).

وبالفعل يبدأ تعاون سعودى أردنى رغم الحساسيات السعودية الهاشمية بالاشتراك مع بريطانيا التى أقلقها ما اعتبرته مشروعات ناصر المستمرة لطردها من أخر معاقلها شرق السويس، وتكاد الثورة تجهض لولا طلبها المساعدة من القاهرة وبالفعل بدأ وصول القوات المصرية إلى اليمن للدفاع عن الثورة اليمنية وينجح عبد الناصر فى الحصول على اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الثورة فى اليمن

فـى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ مقابـل أن يتم سـحب كـل القـوات المساندة للثورة والمساندة للإمـام مـن الـيمن وتقـدم الحكومـة الأمريكيـة معونـات للحكومـة الجديـدة فـى الـيمن، رفضت السعودية الاتفـاق وواصلت دعمهـا للقبائـل الموالية لحكـم الإمـام، وتعـرض الـرئيس كنيـدى لـضغوط شـديدة متعـددة مـن شـركـات الـبترول والبنـوك الأمريكية إلى جانب الحكومة البريطانية بسبب اعترافه بالنظام الجديد فى اليمن لخطورة ذلك على أوضاع النظام الحاكم فى السعودية وبالفعل تم عمل خطـة سميت (السطح الصلب) تتعهد فيها الولايات المتحدة بضمان أمـن وسـلامة النظـام السعودى والأراضـى الـسعودية، وبـالأموال الـسعودية ومـع مـساندة بريطانيـة ومـن شـركـات البترول الأمريكيـة تم تشكيل تحـالف دولى لتجنيـد مرتزقـة مـن كـل أنحـاء العـالم وشـراء أسلحة للقتـال فـى الـيمن ضـد القـوات المصرية التـى تـدافع عـن الثـورة كمـا دخلت المخابرات الأمريكية بثقلها إلى ساحة المعركة المحتدمة فـى اليمن وأصبحت الحدود السعودية اليمنية مناطق حشد لنقـل السـلاح والـذخيرة والمقـاتلين المرتزقـة إلى الـيمن وتحولـت الحـرب إلى عمليـة اسـتنزاف طويلـة بـين الجـانبين المتصارعين، ظـل الصراع على السلطة محتدما بين سعود وفيصل حتى تم حسم الأمـر فـى ٢٩ مـارس ١٩٦٤عنـدما أصـدر العلمـاء والأمـراء الـسعوديون قـرار موحـداً حـول تسليم السلطة بأكملها للأمير فيصل بـن عبـد العزيـز علـى أن يبقـى سـعود ملكـاً بالاسـم فقـط، بينما يتولى فيصل تصريف أمور العرش والمملكة بالفعل، وأستمر هـذا الوضـع حتـى يـوم ٢ نـوفمبر ١٩٦٤ عنـدما تم عـزل الملـك سـعود عـن العـرش، وتنـصيب فيـصل بـن عبد العزيز ملكاً للمملكة العربية السعودية.

نعـرض الآن أول وثيقـة تخـص موضـوعنا هـذه الوثيقـة منـشورة فـى كتـاب المفاوضـات السرية بين العـرب وإسـرائيل – الجـزء الثـانى – للأسـتاذ محمـد حسنين هيكـل:

سـجل الـسفير الأمريكـى فـى جـدة (بـاركر هـارت) فـى برقيـة إلى وزارة الخارجيـة الأمريكيـة (وثيقـة رقـم ٤٣/٣٦٦٥١ بتـاريخ ١٩ أغـسطس ١٩٦٤) محـضر مقابلة جرت بينه وبين الملك (فيصل بن عبد العزيز)

يقول السفير الأمريكى:

اتـصل بـى البروتوكـول صـباح أمـس لإبلاغـى أننـى مطلـوب فـى الطـائف فـى الساعة ٤:١٥ ولم يعطنى البروتوكول أى إيضاحات فيما عدا أن هنـاك طـائرة سـوف تحملنى إلى الطائف بعد الظهر استقبلنى الملك فيصل فـى قصر الشبرة فـى الـساعة التاسعة مساء فـى حضور السقاف وفرعون، وقـال الملك إن هنـاك شـيئا حـدث وهـو يريد إخطارى به بنفسه كصديق شخصى لى وكممثل لبلد صديق لـه ولأسـرته، ثم

قال الملك إنه خلال يومين سابقين (يومى ١٣ و١٤ أغسطس) قامت ثلاث طائرات مصرية باختراق المجال الجوى السعودى جنوب شرق جيزان فوق مناطق قبائل الحارث وأبو عريش، وإن هذه الطائرات قامت بعدة دورات على ارتفاعات منخفضة فى محاولة ظاهرة للاستفزاز، كما أن لديه معلومات من داخل اليمن تؤكد أن هناك قوات مصرية تتحرك صوب الحدود السعودية، وقد حاولت أن أسأل الملك بإلحاح عن تفاصيل أكثر بشأن هذه المعلومات، ولم يكن لديه شئ لا عن حجم هذه القوات ولا عن تسليحها ولا عن مواقعها، وقد قال الملك إن هذه التطورات تثير فى ذاكرته ما سبق أن سمعه عن مؤامرة بين مصر والعراق والأردن (!) لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالى : حسين يأخذ الحجاز، والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية، واليمن تأخذ الجنوب، وباقى المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر قال لى الملك أيضا إن ناصر أوحى إلى صديقه الصحفى هيكل بأن ينشر خطة عن منظمة عربية للبترول، ثم أضاف إن السعودية محاصرة، وقد لا تكون السعودية دولة كبيرة أو قوية، ولكنها دولة تريد أن تحتفظ بأراضيها وشرفها، وإذا كان ناصر كما هو واضح يريد أن يضع يده على المملكة متصورا أن (فيصل) سوف يقف ساكتا فى انتظار أن يخنق، فهو مخطئ فى ذلك، وأشار الملك إلى أنه سوف يقاوم عسكريا، وهو قد أتخذ عدة قرارات يريد أن يبلغنى بها الآن:

١- قرر أن يدخل أسلحة إلى المنطقة المنزوعة السلاح على حدود اليمن وقد أصدر أمراً فعلاً بذلك.

٢- إنه أعطى أوامر بالفعل إلى قواته أيضا بأن تحتشد على حدود اليمن لتكون فى وضع يسمح لها بأن تدافع عن السعودية.

٣- وهو الآن لا يعتبر نفسه مرتبطا باتفاق فصل القوات فى اليمن، وسوف يساند الملكيين بأى طريقة يراها مناسبة.

إننى أبديت دهشتى للملك، كما أبديت له إستغرابى لكل ما قاله عن الاتفاق الثلاثى بين مصر والعراق والأردن، ثم أطلعنى الملك على تقرير مخابرات سعودى يحوى معلومات عن أن ضباطا من الجيش المصرى رتبوا عملية لقتل ناصر يوم ٢٦ يوليو، وأضاف الملك (أن ناصر مريض جدا)، ثم أمر بإخلاء القاعة من كل الحاضرين عداه وعداى، وانتهزت الفرصة ورجوت الملك ألا يبعث بقوات إلى حدود اليمن، وأن يحتفظ بما يشاء من قوات فى أوضاع تأهب فى أى مكان يراه بعيدا عن الحدود، فتدخل الملك بحدة قائلا (أخرجوا القوات المصرية من اليمن وسوف ينهار هذا النظام الذى يدعون بمساعدته فى شهر أو اثنين على أكثر تقدير ثم استجمع الملك حيويته ليقول لى (إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من

هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى)، وكان يعنى (ناصر) ثم قال لماذا تصبرون عليه؟ ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يوميا، مرة بسبب فيتنام، ومرة بسبب كوبا، ومرة بسبب الكونجو؟ ما الذى يخصه فى الكونجو؟ إن مقترحاته بشأن نزع السلاح فى جنيف جاءته مباشرة من فى شكل تعليمات من موسكو، وأبديت تحفظى ولكن الملك كان لا يزال يصر على أن (ناصر) يعادينا ويخدعنا، وإننا مازلنا نحاول استرضاؤه، وذكرته أننا عطلنا توريد القمح إلى مصر طبقا للقانون ٤٨٠ عقابا لناصر على سياسته، وعقب الملك أوقفوا عنه الطعام تماماً وسوف ترون ما يحدث.

يقول الأستاذ هيكل ان هذه المقابلة كانت غريبة وفاقدة للمصداقية فضلاً عن طلب الملك (تجويع المصريين)، لأن الأردن كان حليفا للسعودية فى حرب اليمن، ويضيف ان إسرائيل أيضا كانت تشجع التحالف المساند للملكيين فى اليمن ولعبت دور فى العمليات العسكرية أطلق عليه الاسم الكودى (مانجو) حيث اشتدت حاجة قوات المرتزقة فى اليمن إلى مؤن وذخائر تلقى على مواقعهم من الطائرات بالباراشوت وقد قام الطيران الإسرائيلى بهذا الدور، وإثر رصد المخابرات المصرية لتطور الأوضاع فى ساحة الحرب اليمنية ومدى تشابك المصالح والقوى الدولية التى تلعب على وتر إطالة الحرب فى اليمن من أجل استنزاف القوات المصرية هناك واستنزاف الأموال السعودية، قرر الرئيس عبد الناصر أن يزور السعودية فى أغسطس ١٩٦٥ لأداء العمرة ومقابلة الملك فيصل للوصول إلى حل فى اليمن وفى ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ وصل الرئيس عبد الناصر إلى جدة وحاول إقناع الملك إن مصر لا تريد قلب النظام فى السعودية ولا تهدف لفرض سياستها على السعودية، كما قدم له وثائق عن تجنيد المرتزقة وتجارة السلاح وتجار الحروب الذين وجدوا فى حرب اليمن سوق لكسب الأموال وإهدار القوة العربية، وتوصل الزعيمان يوم ٢٤ أغسطس إلى ما عرف بعد ذلك باسم اتفاقية جدة التى قررت أن يتم عمل استفتاء للشعب اليمنى يقرر فيه نظام الحكم الذى يرتضيه فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ وتعتبر الفترة الباقية حتى موعد الاستفتاء فترة انتقالية للإعداد له، لم يتم تنفيذ بنود الاتفاقية بسبب تراجع الملك فيصل عن الإلتزام بها، ويصرح الرئيس عبد الناصر (بأنه لا فائدة ترجى من اللقاء مع الرجعيين، بعد كل ما رآه وسمعه فى السياسات السلمية السابقة التى مارسها إزاءهم فى اللقاءات والمؤتمرات)، وفى ٢١يونيو ١٩٦٦ وصل الملك فيصل فى زيارة إلى الولايات المتحدة وسبقته مجموعة المقدمة السعودية التى أوضحت للمسئولين الأمريكيين ان المشكلة بالنسبة للسعودية ليست إسرائيل، وأن الخطر الحقيقى هو حركة القومية العربية كما تمثلها القاهرة، وأن السعودية ماضية فى تنفيذ فكرة المؤتمر الإسلامى كبديل

للجامعة العربية، خلال الزيارة التقى الملك فيصل بالرئيس الأمريكى جونسون لمدة نصف ساعة فى اجتماع منفرد لم يحضره معهما إلا مترجم من المخابرات الأمريكية وليس وزارة الخارجية كما جرت العادة، وقد أذيع تصريح بعد الاجتماع المنفرد جاء فيه (إن تدهور الأوضاع فى اليمن بعد تعثر اتفاق جده وفشله قد جرى بحثه بين الرئيس والملك، وأن الرئيس قدم للملك تعهد الولايات المتحدة بأن السعودية تستطيع الاعتماد على صداقة أمريكا مهما كانت تطورات الأمور فى اليمن).

نصل الآن إلى الوثيقة الثانية وهى رسالة منشورة فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب حمدان حمدان الطبعة الأولى ١٩٩٥ عن دار بيسان على الصفحات من ٤٨٩- ٤٩١ أرسلها الملك فيصل إلى الرئيس جونسون (وهى وثيقة حملت تاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦ الموافق ١٥ رمضان ١٣٨٦، كما حملت رقم ٣٤٢ من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودى) وفيها يقول الملك العربى ما يلى:

من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكريا وإعلاميا، فلن يأتى عام ١٩٧٠ – كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت – وعرشنا ومصالحنا فى الوجود، لذلك فأننى أبارك، ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا، أن اقترحوه، لأتقدم بالاقتراحات التالية:

- أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة، ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

- سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع اقتطاع جزء من أراضيها، كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر.

- لا بد أيضا من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة، كيلا يبقى للفلسطينيين أي مجال للتحرك، وحتى لا تستغلهم أية دولة عربية بحجة تحرير فلسطين، وحينها ينقطع أمل الخارجين منهم بالعودة، كما يسهل توطين الباقى فى الدول العربية.

- نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق، بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل، علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (١٩٦٥) بإمداد البرازانى بالمال والسلاح من داخل العراق، أو عن طريق تركيا وإيران.

يا فخامة الرئيس:

إنكم ونحن متضامين جميعا سنضمن لمصالحنا المشتركة ولمصيرنا المعلق، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها، دوام البقاء أو عدمه.

أخيرا.. أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة، وللولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو وارتباط أوثق وازدهار.

المخلص : فيصل بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

عندما نشرت مقالى عن (غياب عبد الناصر هل كان صدفة؟) نشرت تلك الوثيقة ضمن المقال الذى كان يبحث لغز وفاة الرئيس عبد الناصر عام ١٩٧٠، وتفضل الأستاذ محمد الشرقاوى محرر موقع الفكر القومى العربى بنشر مقالى، ثم أرسلت الوثيقة فقط إلى الأستاذ محمد الشرقاوى تحت عنوان (وثائق فى الطريق إلى ٥ يونيو ١٩٦٧) فنشرها على موقع الفكر القومى العربى وموقع منتديات الفكر القومى العربى، وعندما قرأها السيد (سامى شرف) سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق قام بكتابة هذا التعليق عليها وهو تعليق منشور فى موقع منتديات الفكر القومى العربي:

(كنت فى زيارة لإحدى البلدان العربية الشقيقة سنة ١٩٩٥ وفى مقابلة تمت مع رئيس هذه الدولة تناقشنا فى الأوضاع فى المنطقة وكيف أنها لا تسير فى الخط السليم بالنسبة للأمن القومى وحماية مصالح هذه الأمة واتفقنا على انه قد حدث ذلك منذ ان سارت القيادة السياسية المصرية بدفع من المملكة النفطية الوهابية والولايات المتحدة الأمريكية على طريق الاستسلام وشطب ثابت المقاومة من أبجديات السياسة فى مجابهة الصراع العربى الصهيونى، ولما وصلنا لهذه النقطة قام الرئيس العربى إلى مكتبه وناولنى وثيقة وقال لى يا أبوهشام أريدك ان تطلع على هذه الوثيقة وهى أصلية وقد حصلنا عليها من مصدرها الأصلى فى قصر الملك فيصل ولما طلبت منه صورة قال لى يمكنك أن تنسخها فقط الآن على الأقل وقمت

بنسخها ولعلم الأخوة أعضاء المنتدى فهى تطابق نص الوثيقة المنشورة فى هذا المكان وقد راجعت النص الموجود لدى بما هو منشور أعلاه فوجدتهما متطابقين، أردت بهذا التعليق أن أؤكد رؤية مفادها ان عدوان ١٩٦٧ كان مؤامرة مدبرة وشارك فيها للأسف بعض القادة العرب وقد يكون هناك ما زال بعد خفيا عنا مما ستكشفه الأيام القادمة).

(انتهى تعليق السيد سامى شرف على الرسالة / الوثيقة)

وبقراءة دقيقة للوثيقة يمكننا ملاحظة التالي:

- الخطة التى يقترحها الملك السعودى للعمل ضد الدول العربية تكاد تكون هى خطة الحرب الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧م.

- زوال العرش السعودى عام ١٩٧٠م إذا استمرت خطط جمال عبد الناصر واستمرت قواته فى اليمن، والجدير بالملاحظة أن عبد الناصر هُزم عسكريًا عام ١٩٦٧م وتوفى عام ١٩٧٠م.

- فى الوثائق الإسرائيلية الخاصة بحرب يونيو ١٩٦٧ والتى قام بترجمتها ونشرها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه (عام من الأزمات)، أن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى مايو ١٩٦٧ وبعد أن تم تجهيز كل الخطط لضرب مصر، أراد أن يستوثق من احتمالات غضب الشارع العربى على العروش العربية فى حالة شن إسرائيل الحرب على مصر وقد أستقر رأيه بعد التشاور مع مساعديه على التوجه بالسؤال مباشرة إلى ملكين فى المنطقة تعتبر الولايات المتحدة عرشهما مسألة هامة لأمنها القومى، الملك حسين بن طلال فى الأردن، والملك فيصل بن عبد العزيز، وبالفعل قابل روبرت كومار مساعد الرئيس جونسون الملك حسين فى عمان يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧، كما توجه ريتشارد هيلمز مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لمقابلة الملك فيصل بن عبد العزيز فى نفس اليوم فى لندن التى كان الملك فيصل فى زيارة رسمية لها من أجل تخيير الحكومة البريطانية بين حلين : ١- تأجيل تنفيذ سياسة الانسحاب من شرق السويس، واستمرار بقاء القوات البريطانية فى المنطقة لسنة كاملة على الأقل حتى يتمكن الجميع من ترتيب أوضاعهم، وإلا فإن إتمام الانسحاب البريطانى فى المواعيد المعلنة (عام ١٩٦٨ كما أعلن رسميا من مجلس العموم البريطانى) سوف يخلق فراغا يملؤه الجيش المصرى ويدخل إلى عدن ذاتها، ٢- أن تبذل الحكومة البريطانية مساعيها لإقامة تجمع يضم كل دول شبه الجزيرة العربية والخليج لكى يكون للمنطقة تجمع إقليمى تتمايز به عن

الجامعة العربية، ويكون للسعودية فيه دور مؤثر يوازى الدور المصرى فى جامعة الدول العربية التى يوجد مقرها فى القاهرة.

- تمت المقابلة بين الملك فيصل وريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ فى جناح الملك فى فندق دورشستر وحضر المقابلة بين الملك وهيلمز السيد كمال أدهم مستشار الملك الخاص ومدير المخابرات السعودية وشقيق زوجته الملكة (عفت)، أستمر الاجتماع من العاشرة مساء وحتى الثانية صباحا وقد تم تأمين مكان الاجتماع بواسطة خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وعاد هيلمز عقب الاجتماع إلى واشنطن لإخطار الرئيس الأمريكى بما دار مع الملك.

- يقول الأستاذ هيكل فى كتابه (عام من الأزمات) أنه فى ربيع عام ١٩٨٥ تقابل مع السيد كمال أدهم فى بيته فى لندن وسأله عن لقاء الملك فيصل بريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧، وهل كان الملك يعرف بالتدابير الأمريكية والإسرائيلية لمصر ولجمال عبد الناصر؟ ورد عليه السيد كمال أدهم قائلا (أسمع لست سياسيا مثل الآخرين أقول أى كلام والسلام، ما سألتنى فيه لن أرد عليه، ولكنى أريدك أن تعلم، وأنا أقولها لك بمنتهى الصراحة، صديقك الرئيس جمال كان فى مواجهة مفتوحة وعنيفة ضد المملكة، والمعركة كانت سياسية ونفسية وأخيرا أصبحت عسكرية فى اليمن، والملك فيصل مسئول عن مملكته، مسئول أمام أسرته، مسئول أمام أخوته وأبنائه يسلم لهم الأمانة كاملة كما استلمها، واجبه واضح أمام العرش والأسرة، وعليه أن يتصرف بما يحقق (المصلحة) وهذا هو كل شئ وليس هناك شئ أخر، لا تستطيع أن تسائل الملك فيصل إلا فيما هو مسئول عنه (العرش والأسرة)، وهل نجح فى حمايتهما طوال حكمه أم لم ينجح؟ وهل كانت المملكة أقل أو أكثر استقرارا عندما تركها عما كانت عليه عندما تسلمها؟هذا هو المحك، كان الخطر الأكبر علينا أيام ملكه هو صديقك الرئيس جمال وبالنسبة لنا فى المملكة فإن فيصل أنتصر فى التهديد الذى مثله علينا الرئيس جمال، ونحن لا نتعب رؤوسنا بكثرة الأسئلة ولا بالخوض فى الحكايات والتواريخ) ويتابع الأستاذ هيكل روايته لتفاصيل اللقاء (وسكت السيد كمال أدهم وهو يشعر أننى أتابعه بتركيز شديد ثم قال : كنت صريحا معك لم أتكلم كلام سياسيين ولم أتكلم كلام رجل غامض كلمتك بصراحة وأنت حر فيما تفهمه مما قلت)!

- بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات

لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

هذه الجملة الواردة فى الرسالة/الوثيقة هى ما تم فعلا بعد الهزيمة فى ١٩٦٧ عقب الهزيمة العربية فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧، تم عقد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ وفيه تعهدت الدول العربية البترولية (السعودية، الكويت، ليبيا) بتقديم مساعدات مالية إلى دول المواجهة مع إسرائيل لكى تستطيع مواصلة الحرب والعمل على محو أثار الهزيمة، كما أتفق الرئيس عبد الناصر مع الملك فيصل على حل لمشكلة اليمن تضمن عودة فرقتين مصريتين كانتا هناك إلى مصر.

فى عام ١٩٦٩ نشر ضابط المخابرات الأمريكية (مايلز كوبلاند) كتابه الشهير (لعبة الأمم) والذى أوحى فيه بصلة الثورة المصرية وعبد الناصر بالولايات المتحدة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد أصبح هذا الكتاب المرجع الرئيسى لكل أعداء عبد الناصر وثورته، وفى عام ١٩٨٨ نشر الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه (سنوات الغليان) الذى أورد فيه مجموعة من الوثائق والرسائل التى تثبت أن كوبلاند نصاب وأفاق وأنه نشر كتابه بأوامر أمريكية فى إطار الحرب الأمريكية المستمرة على عبد الناصر والتى تهدف لتشويه سمعته ومن أجل اغتيال شخصيته معنويا فى أعين الجماهير العربية بعد الهزيمة، وهاج كوبلاند وهدد الأستاذ هيكل برفع قضايا ضده وحتى الأن بعد مرور كل تلك السنوات على صدور كتاب (سنوات الغليان) لم يفعل كوبلاند شئ ما هدد به، وفى سلسلة حوارات للأستاذ هيكل لمجلة روز اليوسف فى منتصف التسعينيات صرح أن كتاب مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) مولته المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٩ فى إطار سعى الملك فيصل الدؤوب للقضاء على شعبية جمال عبد الناصر بين الشعوب العربية، وهو السعى الذى وافق هوى المخابرات المركزية الأمريكية ورجلها مايلز كوبلاند، وأشار هيكل إلى أن أى كتاب يصدره أحد ضباط المخابرات المركزية الأمريكية لابد أن يحصل على موافقة من المخابرات المركزية الأمريكية، وتتم عملية مراجعة دقيقة لما يحتويه لمعرفة مدى خدمته لمصالح وغايات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأهداف السياسة الأمريكية وهو ما خضع له بالطبع كتاب (لعبة الأمم).

فى ١٨ مارس ١٩٦٨ يطلب اللواء عامر خماش رئيس أركان الجيش الأردنى مقابلة ياسر عرفات، وفى اللقاء يحذره من معلومات استخباراتية مؤكدة وصلت للأردن عن نية إسرائيل تحطيم قواعد المقاومة الفلسطينية فى الأردن عبر هجوم

إسرائيلى موسع على الحدود الأردنية، وطلب اللواء خماش منه أن يقى نفسه ورجاله من الهجوم، رفض عرفات الهروب من المواجهة، وقال للواء خماش (ما رأيكم سيدى، لو أخلينا الساحة مرة أخرى أمام الإسرائيليين، ألا يكفى ما حدث فى ١٩٦٧، أليس علينا كفدائيين أن نعطى الأمثولة مرة واحدة، وأن نبرهن أن فى العرب عرقا ينبض).

بعد تحذير اللواء خماش بثلاثة أيام فقط فى ٢١ مارس ١٩٦٨، شن الإسرائيليون هجومهم بقوات ضخمة بعرض ٨٠ كم على الحدود الأردنية مع فلسطين المحتلة، ولكن مركز الهجوم الرئيسى كان قرية الكرامة، تحولت المعركة إلى جحيم، وخاض الفدائيون الفلسطينيون والفرقة الأردنية الأولى معركة رهيبة امتدت حتى مغيب الشمس، انسحبت بعدها القوات الإسرائيلية مهزومة على أعقابها، وتحقق للفدائيين الفلسطينيين أول نصر فى مواجهة برية مع العدو الإسرائيلى بعد حرب ١٩٦٧، كانت مصر قد حققت معركتين ناجحتين من قبل الكرامة فى رأس العش فى ١ يوليو ١٩٦٧ عندما تصدى ٣٠ مقاتل مصرى من قوات الصاعقة لقوة مدرعة إسرائيلية تحاول احتلال مدينة بور فؤاد وكانت المنطقة الوحيدة في سيناء التي لم تحتلها إسرائيل أثناء حرب يونيو ١٩٦٧، وفشلت القوة المدرعة الإسرائيلية أمام ٣٠ مقاتل مصرى، وفى عملية تدمير المدمرة الإسرائيلية (إيلات) فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، ولكن صدى معركة الكرامة كان مدويا، لأن المقاومة الفلسطينية واجهت الجيش الإسرائيلى وانتصرت عليه للمرة الأولى، وانسحبت القوات الإسرائيلية مهزومة أمام صمود المقاوم الفلسطينى فى كتاب (سيرة وصفى التل السياسية) الصادر عن دار الأزمنة للنشر فى صفحة ١١٥ نقرأ التالى : (منذ الكرامة، فقد أدرك الملك حسين، الخطر الكامن فى استمرار العمل الفدائى لكنه فضل التساهل على أمل إيجاد فرصة مناسبة للتوصل إلى تسوية مع الفدائيين، فقد تلقى تهديدات إسرائيلية متكررة، ونصائح عربية لا تقل خطورة، ومع ذلك فقد آثر الروية، لأسباب أقلها أن أكثر من نصف شعبه هو من الفلسطينيين أيضاً).

وعلى ذكر النصائح العربية الخطيرة التى تلقاها الملك حسين بخصوص المقاومة نصل إلى الوثيقة الثالثة فى حديثنا وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة منشورة فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب حمدان حمدان الطبعة الأولى ١٩٩٥ عن دار بيسان على الصفحات من ٥٣٥ - ٥٣٧ أرسلها الملك فيصل بن عبد العزيز إلى الملك الأردنى الحسين بن طلال تقول الرسالة (وهى وثيقة بتاريخ ٣ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٩ م الموافق ١٤ شوال ١٣٨٨هـ وحملت الوثيقة الرقم ٤٢١ من أرقام وثائق مجلس

الوزراء السعودى) ما يلى:

صاحب الجلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية، حفظه الله

يا صاحب الجلالة سبق لى أن تحدثت لجلالتكم - كشقيق يسره ما يسركم ويضره ما يضركم – عن الحالة التى وصل إليها الأردن الشقيق، بوجود ما يسمى (المقاومة الفلسطينية)، وأفصحت لجلالتكم عن يقينى القاطع أن هذه (المقاومة) سوف تستغل ضدكم وتتحول من اسمها الظاهرى (مقاومة فلسطينية) إلى (مقاومة) ضدكم وضد شعبكم إن أنتم تهاونتم بترك حبالها على الغوارب والآن وبعد أن أتضح لجلالتكم أمرها جليا، فإنه لا يسعنى إلا أن أكرر نصحى للاستفادة من هذا الوقت السانح لجلالتكم بمبادرة القضاء المبرم على هذه (المقاومة) فبادروا أيها الأخ العظيم قبل أن يحدث ما نتوقعه بين يوم وأخر، وما نخشى عقباه باستبدال حكمكم لا قدر الله، بحكم هذه (المقاومة الفلسطينية)، ومن ثم يأتى دورنا نحن، حين يتحول الأردن من دولة شقيقة إلى وبال ثورة علينا، فننشغل بمحاربة ثورتين شيوعيتين، واحدة فى جنوب مملكتنا والأخرى فى شمالها، حيث يصبح الأردن الشقيق كالجنوب المسمى باليمن الديمقراطى، والذى لم نزل نتعاون وإياكم فى مكافحة من أفسدوه فإن لم يصبح الأردن دولة شيوعية بانتصار (المقاومة لا قدر الله)، فإنه سيصبح بالتأكيد ولا محالة دولة ناصرية أو بعثية أو قومية، وكل هذه التسميات وإن اختلفت مجاريها، فإنها تصب فى قعر بؤرة واحدة، هى بؤرة الهدم ضدنا، وضد أصدقائنا الأمريكان والإنكليز وأنصار النظام الغربى.

لذلك فإننى أعرض مجددا على جلالتكم - كشقيق لكم – رأينا النهائى ورغبتنا الملحة، بالقضاء على كل هذه الزمر المفسدة المجتمعة فى الأردن باسم (مقاومة إسرائيل)، بينما - يشهد الله – (أن شر إسرائيل لا وجود له، أمام شرور تلك الزمر المفسدة).

وبهذه الرسالة، ما أردنا إلا تكرار عرض خدماتنا لجلالتكم بتحمل كافة المصروفات، وما ستتكلفونه من مال وسلاح وذخيرة فى سبيل مقاومة (المقاومة) وإلا فإننى وأسرتى الصديقة التى ترى فى هذا الرأى، وتقره كما تعلمون، سننضم جميعا ضدكم، لنشكل الطرف الأخر لمقاومتكم ومقاومة هذه (المقاومة) غير الشريفة لأننا بذلك لا ندافع عن كيانكم فقط، بل عن كياننا أيضا وبانتظار الرد من جلالتكم، أدعو الله أن يحميكم من كل مكروه وأن يأخذ بيدنا لإحباط كل ما يحيط بنا من أخطار المفسدين الملحدين.

أخوكم المخلص: فيصل بن عبد العزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية

فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ أعلن الرئيس عبد الناصر قبول مصر لمبادرة وزير الخارجية الأمريكى ويليام روجرز والتى نصت على إيقاف القتال لمدة ٩٠ يوم وفتح المجال لحل الصراع على أساس انسحاب إسرائيل من أراضى احتلتها فى حرب يونيو١٩٦٧، وفقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢، أنضم الملك حسين إلى الرئيس عبد الناصر فى قبول مبادرة روجرز، مما أثار غضب الفصائل الفلسطينية المسلحة التى خشيت أن يكون قبول المبادرة مقدمة إلى حل سلمى للصراع العربي الإسرائيلى، فى أغسطس ١٩٧٠ سافر وفد من قادة الفصائل الفلسطينية إلى الإسكندرية للقاء الرئيس عبد الناصر ضم ياسر عرفات، فاروق القدومى، صلاح خلف، هايل عبد الحميد عن منظمة (فتح)، وضافى جمعان عن (الصاعقة)، وإبراهيم بكر عن (المستقلين)، فى الاجتماع قال لهم الرئيس عبد الناصر (لا أفهم كيف تهاجموننى دون أن تقفوا على حقيقة بواعثى لقبول مبادرة روجرز، أننى موقن أن حظ المشروع من النجاح هو واحد بالألف، فإسرائيل لن تنسحب من كامل الأراضى العربية وأنا لن أقبل بأقل من ذلك، بقبولى لمبادرة روجرز أكسب وقت لكى ننصب حائط الصواريخ على حافة قناة السويس لكى أقضى على غارات الطيران الإسرائيلى ولشن معركة تحرير أراضينا المحتلة والتى أعدكم أنها لن تتأخر عن ربيع عام ١٩٧١).

وأضاف الرئيس عبد الناصر أنه حذر الملك حسين من دخول معركة ضد المنظمات الفلسطينية فى الأردن، ورغم تحذيرات الرئيس عبد الناصر للجميع من أجل تلافى وقوع حرب أهلية فى الأردن لن تستفيد منها سوى إسرائيل، أستمر توتر الأوضاع وفى ١٦ سبتمبر ١٩٧٠ يشكل الملك حسين وزارة عسكرية بدأت الهجوم الشامل على المنظمات الفلسطينية، وعلى إثر احتدام المعارك وتحول العملية العسكرية إلى عملية إبادة ضد فصائل المقاومة الفلسطينية، دعا الرئيس عبد الناصر إلى مؤتمر قمة عربى فى القاهرة أستطاع خلاله إيقاف القتال الضارى فى الأردن وإقناع الملك حسين بالحضور إلى القاهرة وتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار، ووافق الملك مرغما بعد نجاح المخابرات المصرية فى تهريب ياسر عرفات من موقعه المحاصر فى الأشرفية، وعقب نهاية المؤتمر توفى الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وفى يوليو ١٩٧١ إثر تجدد القتال بين الجيش الأردنى والفصائل الفلسطينية تم خروج الفصائل من الأردن إلى لبنان، وتحققت نصيحة الملك فيصل إلى الملك حسين.

فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق نقرأ التالى: أنه شعر بالسعادة البالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأمريكية فى المنطقة الأهم للولايات المتحدة فى العالم، ويحلل كيسنجر أوضاع المنطقة عقب وفاة عبد الناصر، ويصل أن الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصر وإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أمريكى، وأن يتضمن ثلاثة شروط : ١ - طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها، ٢ - يترك مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق فى العالم العربى، ٣ – أن تظهر التجربة الثورية التى قادها عبد الناصر فى مظهر التجربة الفاشلة.

عقب وفاة الرئيس عبد الناصر المفاجئة خلفه نائبه أنور السادات فى الرئاسة، تبدو العلاقات بين الرئيس الراحل أنور السادات والملك فيصل غامضة، فالسادات فى مذكراته يشير إلى صداقته بالملك فيصل منذ كان الأخير وليا لعهد المملكة العربية السعودية وكان السادات يعمل سكرتير للمؤتمر الإسلامى ويقول السادات أنه ظل صديقا للملك فيصل برغم حرب اليمن التى كانت مصر والسعودية خلالها فى معسكرين متصارعين، وكان السادات هو المسئول السياسى من الجانب المصرى عن الثورة اليمنية، كما ربطت صداقة وثيقة بين السادات وكمال أدهم مستشار الملك فيصل ومدير المخابرات السعودية وهمزة الوصل بين المخابرات السعودية والمخابرات المركزية الأمريكية وتوثقت هذه الصداقات خلال حرب اليمن، وهو أمر يثير الشكوك خاصة بعد أن نشرت جريدة (الواشنطن بوست) فى عددها الصادر فى ٢٤ فبراير ١٩٧٧ وعلى صدر صفحتها الأولى خبر يقول (أن كمال أدهم كان طوال الستينات يمد السادات بدخل ثابت)، ولم يصدر عن الرئيس الراحل السادات أى تكذيب لهذا الخبر، فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ أصدر الرئيس عبد الناصر قراره بتعيين السادات نائبا له، عقب زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز لمصر، وبعد ٣ شهور من إصابته بالنوبة القلبية الأولى فى سبتمبر ١٩٦٩، حتى الآن يبدو سر هذا القرار بتصعيد السادات غير مفهوم على الإطلاق، فهل كان للملك فيصل دور فى قرار الرئيس عبد الناصر؟ !، بمراجعة مذكرات الرئيس السادات نجد أن السادات يقول أنه عرف ان الملك فيصل قال (إذا أراد الله بمصر خيراً يحكمها السادات)، بالطبع كان الملك فيصل يقصد الخير لمصر ولكن من وجهة نظر أل سعود ومصالحهم، فى نوفمبر ١٩٧٠ يزور كمال أدهم مصر ويلتقى الرئيس السادات وينقل له نصائح الملك فيصل بضرورة خروج السوفيت من الصراع فى الشرق الأوسط لكى يدخل الأمريكيون ويجدوا حل للمشكلة

القائمة، ويصارحه السادات باستعداده لطرد السوفيت إذا ساعدته الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق مرحلة أولى من الانسحاب، عقب انقلاب مايو ١٩٧١ والذى أطاح فيه الرئيس السادات بكل شركائه فى الحكم من رجال عبد الناصر، وألقى بهم فى السجون، ولتخفيف شكوك السوفيت فى نواياه خاصة بعد تخلصه من كل القيادات الناصرية فى السلطة، عقد الرئيس السادات معاهدة صداقة مع الإتحاد السوفيتى، أثناء ذلك كان الملك فيصل فى زيارة للولايات المتحدة أخبر الملك فيصل المسئولين الأمريكيين أن المعاهدة مجرد مناورة لجأ لها السادات ولا تعنى شيئا، كما قرر الملك أثناء عودته من الولايات المتحدة زيارة مصر ولقاء الرئيس السادات وفى اللقاء ركز الملك على نفس النقطة عزوف الأمريكيين عن التدخل وحل القضية طالما بقى السوفيت فى مصر، كما طلب الملك من الرئيس السادات أن يفتح صفحة جديدة مع جماعة الإخوان المسلمين ويقابل وفد من قادتها الذين كانوا يعيشون فى السعودية عقب صراعهم مع الرئيس عبد الناصر، وأن ينسق معهم سياسيا وإعلاميا لتصفية الاتجاهات والأفكار الناصرية واليسارية على الساحة السياسية المصرية، وفى شهر يونيو ١٩٧٢ زار وزير الدفاع السعودى الأمير سلطان بن عبد العزيز، ومعه السيد كمال أدهم القاهرة، وأثاروا مع الرئيس السادات من جديد موضوع الخبراء السوفيت الذى يعيق الأمريكيين عن التدخل لحل القضية، وطلب السعوديون من السادات أن يخبرهم بقراره بخصوص السوفيت قبل اتخاذه لكى يستطيعوا مساومة الأمريكان به، ولكن السادات منفردا وبدون التشاور مع أحد غير الفريق صادق وزير الحربية المصرى وقتها، أتخذ قراره بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت فى مصر، ولحرص الرئيس السادات على سرية قراره ورغبته فى إحداث أكبر تأثير فأنه فاجأ الجميع بالقرار، وهو يتصور أن الأمريكيين سوف يكونوا سعداء، إلى درجة تدفعهم إلى الاستجابة لأى شئ يطلبه، ولكن هذا لم يحدث، كان تعليق الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف على قرار السادات (لقد أعطى السادات للأمريكيين أقصى ما يحلمون به، ولكن للأسف دون ثمن مقابل)، ويقول هنرى كيسنجر فى مذكراته (لماذا لم يقل لنا السادات ما كان ينوى فعله؟ ربما لو أبلغنا مسبقا لكنا قدمنا له شيئا فى المقابل؟ فى السياسة كما فى كل شئ أخر، فأن لا أحد مستعد لدفع ثمن لشئ حصل عليه بالفعل)، الغريب أن الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر ورئيس وزرائها الأسبق يروى فى مذكراته أنه كان هناك عرض قدمه الأمريكيون للرئيس عبد الناصر يتضمن انسحاب إسرائيل من سيناء وتوقيع معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل تضمن حياد مصر مقابل قيام الرئيس عبد الناصر بطرد الخبراء السوفيت، ولكن عبد الناصر رفض لإصراره على تحرير كافة الأراضى العربية

التى احتلت فى حرب يونيو ١٩٦٧، استجاب الرئيس السادات لنصيحة الملك فيصل وطرد الخبراء السوفيت ولكنه لم يحصل على المقابل الذى توقعه لإصراره على فردية قراره ورغبته فى الحصول على السبق الإعلامى.

بعد قرار الرئيس السادات قام الملك فيصل بإصدار العديد من التصريحات وإرسال الرسائل إلى الإدارة الأمريكية وشركات البترول الأمريكية للبحث عن حل سلمى لعودة الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، ولكن دون جدوى، وواصل الملك فيصل دعمه للسادات ولم يكن وحده الداعم بل شاركه معظم الزعماء العرب (الرئيس معمر القذافى، والرئيس هوارى بومدين، والرئيس أحمد حسن البكر) حيث دعموا مصر وقواتها المسلحة اقتصاديا وعسكريا بعدما أدرك الجميع ان الحرب هى السبيل الوحيد للبحث عن حل للصراع العربى الإسرائيلى، وأخيرا بعد طول انتظار، أتخذ الرئيس السادات قرار الحرب، وفى ظهيرة يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣، بدأت الحرب الخامسة بين العرب وإسرائيل، واستطاعت القوات المسلحة المصرية والسورية تحقيق انتصارات واضحة على جبهتى القتال، وبالذات على الجبهة المصرية التى شهدت عملية العبور العظيم، ولكن بعد قرار السادات بالوقفة التعبوية الذى أتاح لإسرائيل فرصة الإنفراد بالجبهة السورية، ثم قراره المتأخر بتطوير الهجوم نحو المضايق وحدوث ثغرة الدرفسوار، بدأت الأمور تتأزم على الجبهات العربية واستعادت إسرائيل زمام المبادأة خاصة مع الدعم العسكرى الأمريكى لنجدتها من كارثة الأيام الأولى للمعركة، فى يوم ١٧ أكتوبر وعقب طلب الرئيس السادات من الملك فيصل أن يستخدم سلاح البترول فى المعركة، أجتمع وزراء البترول العرب (الأوابك) فى الكويت وقرروا التالى: ١- تقرر تخفيض الإنتاج الكلى العربى بنسبة ٥٪ فورا، ٢ - تقرر تخفيض ٥٪ من الإنتاج كل شهر حتى تنسحب إسرائيل إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ ثم قررت ست دول بترولية من الأوبك رفع سعر بترولها بنسبة ٧٠ ٪، وقررت بعض الدول العربية حظر تصدير البترول كلية إلى الدول التى يثبت تأييدها لإسرائيل بما فيها الولايات المتحدة، كما أستدعى الملك فيصل السفير الأمريكى فى السعودية وأبلغه رسالة للرئيس نيكسون تحتوى على ثلاث نقاط: ١- إذا استمرت الولايات المتحدة فى مساندة إسرائيل، فإن العلاقات السعودية الأمريكية قد تتعرض للمشاكل، ٢- أن السعودية سوف تخفض إنتاجها بنسبة ١٠٪ وليس فقط ٥٪ كما قرر وزراء البترول العرب، ٣ – ألمح الملك إلى احتمال وقف شحن البترول السعودى إلى الولايات المتحدة إذا لم يتم الوصول إلى نتائج سريعة وملموسة للحرب الدائرة.

اعتبر كيسنجر هذه القرارات ماسة بكرامة وهيبة الولايات المتحدة كقائدة للعالم، كما أثاره أن العرب أعطوا أنفسهم الحق فى استخدام البترول كسلاح، وهو أمر بالغ الخطورة لأنه يعكس نزعتهم إلى محاولة السيطرة على الغرب، ولأن منتجى البترول ولأول مرة فى التاريخ أعطوا أنفسهم حق تحديد سعر البترول، وفى يوم ٢٠ أكتوبر أعلنت الولايات المتحدة أنها ستدعم إسرائيل بمبلغ ٢ مليار و١٠٠ مليون دولار كشحنات أسلحة جديدة، وفى نفس اليوم أعلنت الدول العربية حظر تصدير بترولى كامل على الولايات المتحدة الأمريكية، هذه هى وجهة النظر السائدة لقرار استخدام سلاح البترول فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولكن هناك وجهة نظر أخرى تم التعتيم عليها بخصوص استخدام سلاح البترول فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ تثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت المستفيد الأكبر من قرارات خفض الإنتاج ورفع أسعار البترول، حيث تخبرنا الأرقام ان نصيب العرب مجتمعون من فوائض البترول عام ١٩٧٤ وعقب قرارات الخفض الانتاجى ورفع الأسعار بلغت ٦٠ مليار دولار، أما شركات البترول ومعظمها أمريكية فبالإضافة إلى أرباحها من ارتفاع الأسعار لخام البترول، حصلت من عملياتها البترولية الأخرى (التكرير والتسويق) على ٧ دولارات صافى ربح مقابل كل دولار حصلت عليه الدول المنتجة للبترول، أنعشت قرارات خفض الإنتاج ورفع أسعار البترول الاقتصاد الأمريكى عبر الودائع والاستثمارات العربية الهائلة فى البنوك والشركات الأمريكية، فقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت الولايات المتحدة تواجه عجز فى ميزان مدفوعاتها، الذى تحسن ابتداء من عام ١٩٧٤ بفضل الارتفاع الصاروخى لأسعار البترول، كانت أوروبا واليابان أكثر المتضررين من قرارات خفض الإنتاج ورفع أسعار البترول، تم التخفيض والحظر البترولى متأخرا جدا بعد ١١ يوم من بدء المعركة وعقب تأزم الموقف على جبهات القتال العربية، لم يميز قرار خفض الإنتاج بين الدول العدوة والدول الصديقة للعرب، ركز الرئيس السادات متعمدا على دور الملك فيصل فى دعم مصر، وتجاهل أدوار أخرى لا تقل أهمية عن دوره إن لم تزيد كدور الاتحاد السوفيتى وهو أهم دور فبدون مساندته ودعمه وأسلحته ما حارب العرب من الأساس، كما تم تشويه دور الرئيس الليبى معمر القذافى لكراهية السادات غير المبررة له، والتقليل من دور الرئيس الجزائرى الشهيد هوارى بومدين، والرئيس العراقى أحمد حسن البكر ونائبه وقتها صدام حسين، رغم ان هناك قوات مسلحة من الجزائر والعراق شاركتا فى الحرب نفسها، بخلاف دعمهما المالى لدول المواجهة، تجاهل السادات كل هؤلاء وركز على دور الملك فيصل فقط، صرح الملك فيصل عندما تم اتخاذ قرار الحظر البترولى الشامل على الولايات المتحدة أن الحظر لن يرفع قبل انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية التى احتلت عام

١٩٦٧ ، وهـو مـا لم يحـدث حيـث تم رفـع الحظـر عقـب اتفـاق فـك الاشـتباك الأول فـى عـام ١٩٦٥ قتلـت قـوات الأمـن الـسعودية الأمـير خالـد بـن مـساعد بـن عبـد العزيـز الذى كـانت له مواقف دينية متشددة ، أخـذت تتبلور ليست كـأفكـار ، بـل تحولـت إلى تجـاوزات سـلوكـية رافـضة لخطـط عمـه الملـك فيـصل لتطـوير المملكـة العربيـة السعودية والاستفادة من فوائض النفط فى تحـديث المملكـة خاصة وقد أصبح هـذا التحديث ضرورة تحت وطأة ضغط الوجود المـصرى فـى اليمن، وقـد دفعت تجـاوزات الأمير خالد بن مـساعد الملك فيصل إلى توجيـه أمـره إلى الأمـير فهد بـن عبـد العزيـز وزيـر الداخليـة آنـذاك باعتقـال الأمـير خالـد بـن مـساعد. إلا أن الأخـير أبـى أن يـسلم نفسه لرجال الأمن، وأطلق النار على رجال الأمـن. في أثنـاء ذلـك صـدرت أوامـر الملـك فيصل إلى وزير داخليتـه بإحضاره حيًّا أو ميتـاً ، وقتـل الأمـير خالـد بـن مـساعد أثنـاء تبادل إطلاق النـار مع قوات الأمن السعودية.

فى صباح يوم الثلاثاء ١٣ مارس ١٩٧٥ كـان الملك فيـصل يـستقبل زواره بمقـر رئاسة الوزراء بالرياض، وكـان في غرفة الانتظار وزير الـنفط الكـويتي الكـاظمي، ومعه وزير البترول السعودي أحمد زكـي يماني، ووصل في هذه الأثنـاء الأمـير فيـصل بن مساعد بن عبد العزيز (اخو الأمـير خالـد بـن مـساعد)، ابـن شـقيق الملـك فيـصل، طالبا الدخول للسلام على عمه. وعندما هم الوزيرين بالدخول على الملك فيصل دخـل معهمـا ابـن أخيـه الامـير فيـصل بـن مـساعد. وعنـدما هـم الملـك فيـصل بـالوقوف لـه لاستقباله، كعادته مع الداخلين عليه للسلام، أخرج الأمير مسدساً كـان يخفيـه في ثيابـه، وأطلـق منـه ثـلاث رصاصـات، أصـابت الملـك في مقتـل في رأسـه. ونقـل الملـك فيـصل علـى وجـه الـسرعة إلى المستـشفى المركـزي بالريـاض، ولكنـه تـوفي مـن ساعته، وفى يوم الأربعاء ١٨ يونيو ١٩٧٥ تم تنفيذ حكـم الإعدام بالسيف فـى الأمـير القاتل، وحتى الآن لم يعرف أحد دوافع الأمير فيصل بن مساعد هل كـان يثأر لمقتـل أخيه الأمير خالد بـأوامر الملك فيصل عـام ١٩٦٥ ، أم أنـه قـد تم اسـتخدامه فـى لعبـة أمريكية خاصة أنه كان يعيش مع فتاة أمريكية بالولايات المتحدة الأمريكية قبـل عودتـه للـسعودية، ممـا أثـار الـشكـوك فـى احتمـال ان تكـون المخـابرات المركـزيـة الأمريكـية قد جندته للتخلص من عمـه الملك فيصل بعـد أن أستخدم سـلاح البـترول فـى حـرب ١٩٧٣ ، وبعـد أن أصـر علـى عـودة القـدس وصـرح مـرارا فـى سـنوات عمـره الأخيرة أنه يريد أن يصلى فى القدس.

فى هذه الدراسـة وعبر قـراءة جديـدة فـى الجوانـب المـسكوت عنهـا فـى تـاريخ الملك فيصل بن عبد العزيز، حاولنا تبيان مواقع الظلال وما أكثرهـا فـى تـاريخ الملـك الراحل بالوثائق والأدلة.

سـامى شرف ...
رجـل من الذهـب الخالص

سامى شرف هذا كالذهب الخالص هكذا وصف الرئيس جمال عبد الناصر سكرتيره للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق السيد/ سامى شرف، لنائبه أنور السادات، وهى المقولة التي عمل الرئيس السادات جاهداً على مسحها بأستيكة كما فعل بكل مقولات وسياسات عبد الناصر.

فإذا كان عبد الناصر يرى سامى شرف كالذهب الخالص، فواجب السادات إهالة التراب والتهم على سامى شرف وتلطيخ تاريخه واتهامه بشتى الاتهامات.

فلم تحظ شخصية من رجال الرئيس عبد الناصر بكم من الأساطير والأخبار مثل شخصية سامى شرف، فعقب انقلاب السادات على الثورة فى مايو ١٩٧١، تم القبض على سامى شرف ومحاكمته هو ورجال الرئيس عبد الناصر أمام محكمة استثنائية أمر بتشكيلها الرئيس السادات، وقد أصدرت تلك المحكمة الاستثنائية حكمها بالإعدام على كلا من السادة (على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف وفريد عبد الكريم) وذلك لإصرار الرئيس السادات على ضرورة الحكم عليهم بتلك العقوبة، كما كان الرئيس السادات يرغب بالحكم على الفريق محمد فوزى بالإعدام أيضا، ولكن المحكمة العسكرية التى حوكم أمامها الفريق محمد فوزى رأت انه لا يمكن الحكم عليه بالإعدام حتى استثنائيا لمخالفة ذلك لمواد قانون الأحكام العسكرية التى يحاكم بمقتضاها الفريق محمد فوزى فأقصى عقوبة تنص عليها مواد قانون الأحكام العسكرية هى السجن لمدة خمسة عشر سنة ،لذا اضطر الرئيس السادات وأعضاء المحكمة الاستثنائية للإعلان بان الحكم الصادر هو الإعدام إلا انه تم تخفيفه للأشغال الشاقة المؤبدة للأربعة الأوائل فقط... ".

وقد تنوعت الاتهامات الموجهة إلى سامى شرف فمن السيطرة على الرئيس عبد الناصر وإغراقه بالتقارير والأوراق، إلى إنشائه جهاز مخابرات تابع له ينافس جهاز المخابرات العامة، إلى التحكم فى شئون الدولة وفى كبار المسئولين حتى وصلت إلى اتهامه بالعمالة للسوفيت.وتعددت مستويات من اتهموا سامى شرف بكل تلك التهم فمن الرئيس السادات إلى الصحفيين المقربين منه إلى بعض الضباط الأحرار إلى خصوم جمال عبد الناصر السياسيين. وأن يتهم رجل واحد بكل تلك التهم فهذا أمر مثير للاهتمام وداعي للجدل حوله.

تبدو سيرة حياة سامى شرف كواحدة من التراجيديات الإغريقية التى يصل فيها البطل إلى قمة المجد فى سن صغيرة ثم تعانده أقداره ليقع فى زلة مهلكة نتجت

عن خطأ فى التقدير، وهو ما حدث لسامى شرف بعد انقلاب مايو ١٩٧١ فالضابط الشاب الذى تعرف على الرئيس عبد الناصر فى شهر يناير ١٩٥١ حيث كان الرئيس عبد الناصر يدرس له مادة التحركات والمخابرات العسكرية، ولاحظ الأستاذ على تلميذه علامات الذكاء والتفوق فقربه منه وضمه لتنظيم الضباط الأحرار،وفى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كلفه الرئيس عبد الناصر بتأمين طريق القاهرة- السويس عند الكيلو ٤،٥، وبناء على أوامر عبد الناصر تم ضمه إلى المخابرات الحربية وعمل فى مكتب تابع لجمال عبد الناصر شخصيا، وفى يوم ١٨ مارس ١٩٥٥ كلفه الرئيس عبد الناصر بإنشاء سكرتارية للمعلومات برئاسة الجمهورية وهى المهمة التى قام بها على أحسن وجه وبأحدث الأساليب العلمية وقتها، كانت سكرتارية الرئيس للمعلومات تتلقى كل المعلومات الواردة من الوزارات والمؤسسات وجميع أجهزة الدولة لتلخصها وتبوبها وتعرضها على الرئيس، وفى نفس الوقت تقوم السكرتارية بإبلاغ قرارات وتعليمات وأوامر الرئيس لكل الجهات فى الدولة.وهكذا كان سامى شرف الرجل الذى يرأس هذه السكرتارية هو رجل المعلومات الأول فى مصر، الرجل الذى تعبر منه المعلومات كل المعلومات للرئيس عبد الناصر، ورغم ذلك ينفى سامى شرف بشدة أن يكون هو ومكتبه هما مصدر معلومات الرئيس عبد الناصر فقط بل يؤكد أن الرئيس كان مفتوحا على الجميع ويسعى لمعرفة المعلومات من أكثر من مصدر.

ظل سامى شرف يعمل مع الرئيس عبد الناصر حتى الوفاة المفاجئة للزعيم يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، طيلة تلك الفترة كان سامى شرف أحد أقرب رجال عبد الناصر إليه إن لم يكن أقربهم على الإطلاق، يكون فى مكتبه قبل استيقاظ الرئيس ولا يغادره إلا بعد التأكد من نوم الرئيس عبد الناصر.

قام سامى شرف بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر منذ ابريل ١٩٥٥وحتى يوم ١٣مايو١٩٧١ بتسجيل وتفريغ جميع جلسات مجلس الوزراء وكل اللقاءات والاجتماعات التى عقدها الرئيس مع الرؤساء والملوك وكذلك جلسات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي واللقاءات الصحفية سواء مع الصحافة المصرية أو مع وسائل الإعلام الأجنبية حتى تكون تسجيلا حيا وأرشيفا موثقا للأحداث ولتاريخ مصر الثورة وكانت كل هذه التسجيلات محفوظة حتى يوم ١٣ مايو ١٩٧١ فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكري.

ومن المهام التى كلفه بها الرئيس عبد الناصر ويعتز بها مهمة التخطيط والتنفيذ لتهريب السيد عبد الحميد السراج من محبسه فى دمشق وتهريبه للقاهرة وقد تم ذلك بالتعاون مع السلطات اللبنانية وبعلم الرئيس اللبناني فؤاد شهاب

والمخابرات العامة المصرية وسفارتنا فى بيروت وهى المهمة التى تمت بنجاح باهر.

كما كان مسئولا عن الملفات التالية ملف لبنان وملف المملكة العربية السعودية بعدما قرر الرئيس أن ينحي السادات عنه، كما تولى سامى شرف مسئولية ملف العلاقات المصرية الليبية بعد ثورة الفاتح من سبتمبر.

وسامى شرف واحد من مؤسسي جهاز المخابرات العامة المصرية، كما أنه واحد من مؤسسي إدارة المعلومات بوزارة الخارجية المصرية مع السفيرين إبراهيم يسري وأسامة الباز، كما أنه شارك فى تأسيس هيئة الرقابة على الإدارة الحكومية قبل أن يكلفه الرئيس عبد الناصر بإنشاء سكرتارية الرئيس للمعلومات، كما تم انتخابه أمينا للجنة التنفيذية للاتحاد القومي عن دائرة مصر الجديدة بعدما حاز فى الانتخابات على ما يزيد عن خمسين إلف صوت من أبناء الدائرة التى ولد فيها ومازال يقطن بها حتى اليوم، وكان واحد من أربعة رجال أنشأوا التنظيم الطليعي (الرئيس عبد الناصر - عباس رضوان - أحمد فؤاد- محمد حسنين هيكل - سامى شرف)، كما كلفه الرئيس عبد الناصر بمصاحبة المشير عبد الحكيم عامر فى مهماته خارج مصر كمستشار سياسي له، كما تولى مسئولية التنظيم الطليعي عن منطقة شرق القاهرة، وسامى شرف هو مؤسس نادي الشمس الرياضي بمصر الجديدة.

خلال مشواره عمله تقدم سامى شرف باستقالته مرتين للرئيس عبد الناصر، كانت المرة الأولى عندما تم اتهام أحد أشقاءه بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، وكانت المرة الثانية عندما تم اتهام شقيقه الأصغر بالاشتراك فى محاولة لقلب نظام حكم عبد الناصر، وفى المرتين رفض الرئيس عبد الناصر استقالة سامى شرف، وكلفه بالاستمرار فى عمله كالمعتاد.

وفى عهد الرئيس السادات تقدم سامى شرف باستقالته أربع مرات للرئيس السادات كانت المرة الأولى ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر، وكانت الثانية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧٠ عقب انتخاب أنور السادات رئيسا للجمهورية، وكانت الاستقالة الثالثة يوم ١٥ يناير ١٩٧١، وقد رفض الرئيس السادات قبول تلك الاستقالات بل ووعد سامى شرف يوم ١٥ يناير ١٩٧١ بمنحه وشاح الجمهورية وهو من أعلى الأوسمة المصرية ونقله للمكان الذى يختاره ولكن بعد شن معركة تحرير الأرض، ثم جاءت الاستقالة الرابعة والتي قبلها الرئيس السادات يوم ١٣ مايو ١٩٧١ بعد إحساس رجال الرئيس عبد الناصر أن الرئيس السادات يماطل فى تحديد موعد شن معركة التحرير التى كانوا قد اتفقوا على شنها اعتبارا من الأسبوع الثالث من شهر أبريل ١٩٧١ وحتى منتصف شهر مايو من نفس العام، فتقدموا جميعاً

باستقالاتهم للرئيس السادات فقبلها وألقى القبض عليهم وحاكمهم وسجنهم كما هو معروف.

سنوات عاصفة ممتلئة بالانجازات التى تمثل فترة استثنائية فى التاريخ العربي كله، عمل فيها سامى شرف مع جمال عبد الناصر أعظم وأنبل عربي فى التاريخ الحديث، وضع جمال عبد الناصر كل ثقته فى رجله الأول للمعلومات والطبيعي أن ثقة عبد الناصر بت لم تأت من فراغ بل بناء على تجارب ومدة طويلة ممتدة فى الزمن،ولم تكن شهادته للسادات عنه إلا قبيل رحيله بفترة وجيزة، وبعد رحيل الزعيم تفجر الخلاف بين رجال عبد الناصر والرئيس الجديد أنور السادات، فرجال عبد الناصر يريدون استمرار النهج السياسي للرئيس الراحل، والرئيس الجديد يريد انتهاج سياسات جديدة مناقضة لسلفه، رغم أنه تعهد بمواصلة سياسات سلفه، ورغم أن رجال عبد الناصر رغبة منهم فى الحفاظ على الشرعية وتجنيب مصر التى كانت فى حالة حرب مخاطر الانقسامات هم من جعلوه رئيسا، إلا أن السادات قرر الإطاحة بهم جميعا وإلقائهم فى السجون والتشهير بهم بكل السبل.

كنت فى بداية مرحلة تكوين أفكاري السياسية ومازلت متأثرا بكتابات وأراء الأستاذ هيكل الذى قرأت له كل أعماله وهو فى رأيي أعظم صحفي فى التاريخ، ولكن للأستاذ هيكل وجهة نظر سلبية فى رجال الرئيس عبد الناصر الذين تمت تسميتهم بمجموعة ١٥ مايو، وحقيقة كنت متأثرا برأيه فيهم،ولكن كان لدى سؤال حائر بلا إجابة شافية هل يعقل أن الرئيس عبد الناصر كان مخدوعا فى هؤلاء الرجال وهم أقرب الناس له وعملوا معه طيلة فترة حكمه؟ظل هذا السؤال يؤرقني حتى قرأت كتاب (عبد الناصر..كيف حكم مصر؟) للأستاذ عبد الله امام، والكتاب عبارة عن سلسلة حوارات طويلة مع السيد /سامى شرف تتناول سيرة حياته ومشواره مع الرئيسين عبد الناصر والسادات، وعقب قراءتى للكتاب أحسست أننى بدأت أتغلب على حيرتى فى الحكم على رجال الرئيس عبد الناصر، وتوالت قراءاتي لكل مذكرات رجال مجموعة ١٥ مايو، ليزداد يقيني أن الرئيس عبد الناصر لم يسئ الحكم على رجاله، وأن وجهة نظر الأستاذ هيكل فيهم ليست هى القول الفصل.

كان لدى دائما أمل أن أكتب سيرة ذاتية غير تقليدية عن الرئيس جمال عبد الناصر أرد فيها على كل ما تم إلصاقه به من اتهامات بأسلوب توثيقي معلوماتي يسد باب نقد تلك الفترة عبر الحكاوي والإدعاءات، وعندما بدأت كتابة مقالاتي ودراساتي عن فترة حكم جمال عبد الناصر وانتشرت على المواقع القومية العربية على الانترنت وفى بعض الصحف الورقية، كان أكثر الأحداث التى

فاجأتني وأسعدتني علمى من أحد الأصدقاء أن السيد /سامى شرف يتابع أعمالى ومعجب بما أكتبه، ويسأل عنى وعبر هذا الصديق المشترك تعرفت على الأستاذ سامى شرف عن قرب، وقد وجدته رجلا واسع الاطلاع بالغ الثقافة يجيد الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، مطلع على كل الأحداث سريع البديهة وخفيف الظل لديه اعتداد وثقة بذاته بلا حدود مع تواضع شديد فى تعاملاته مع الناس شديد الإيمان بالله والرجل يمتلك أبوة فياضة يغمر بها أبناءه من الشباب الناصري، ورغم السن أطال الله فى عمره والأمراض التى يعانيها والظلم الذى حاق به وحملة التشهير البشعة التى لم تخمد حتى الآن بحقه لم يفقد الرجل العظيم حماسه وتوقد ذهنه.

وعندما تشرفت بلقائه كان إحساسي وقد ولدت بعد وفاة الرئيس عبد الناصر بأكثر من ٨ سنوات إن لقائى بالسيد /سامى شرف هو خير تعويض لى عن لقاء الزعيم الخالد الذى حرمنى القدر من رؤيته بالدنيا وأتمنى أن ألقاه فى جنان الخلد فى الآخرة، فقد كان سامى شرف أقرب رجاله له وأشدهم إخلاصاً وولاء له.

كانت هناك أسئلة عديدة فى ذهني عن عهد الرئيس عبد الناصر وقد وجهتها للسيد / سامى شرف الذى رحب بالإجابة عليها كان لغز وفاة الرئيس فى تلك السن الصغيرة يحيرني ومازال حتى الآن وعندما سألته عنه أجابني أنه شخصيا يعتقد أن وفاة الرئيس عبد الناصر طبيعية فقد كان الرئيس مريضا بعدة أمراض وكان مجهدا من العمل، والمؤامرات لاغتياله لم تتوقف لحظة واحدة منذ رئاسته للبلاد ولكن كانت سبل حمايته متعددة وكافية وما يثار عن اغتياله بالسم لن يستطع أحد إثباته الآن إلا بتشريح رفات الزعيم،

إلا أنه أضاف : ولكن من يدري؟! ربما يأتي يوم فى المستقبل ويتضح لنا فيه أن الرئيس تعرض لمؤامرة أودت بحياته مثلما حدث مع نابليون بونابرت الذى تم اكتشاف وفاته بالسم بعد مرور ١٥٠ سنة على وفاته
وعن موضوع اختيار السادات نائبا للرئيس أجابني أنه لم يكن أحد يتوقع وفاة الرئيس عبد الناصر فى تلك السن المبكرة، وان اختيار الرئيس عبد الناصر للسادات نائبا له كان ليمنحه معاش نائب رئيس الجمهورية بعد مرور سنة ميلادية على وجوده فى هذا المنصب وليس لأي سبب أخر، فالرئيس عبد الناصر كان لديه إصرار قاطع بعد صدور بيان ٣٠مارس ١٩٦٨ على إحداث وتفعيل عملية التغيير فى نظام الحكم بشكل كامل كما صاغها فى البيان، وكان ناوي يتنحى هو وكل رجال الصف الأول عن الحكم عقب معركة التحرير ليمارسوا دورا سياسيا من خلال التنظيم السياسي (الاتحاد الاشتراكى) تمهيدا للوصول إلى عملية التعددية

السياسية الحزبية والتى كان الرئيس عبد الناصر يقدر أنها لن تتأخر عن عام ١٩٧٥ وكان أنور السادات هو الوحيد من رجال الصف الأول الذى لو أحيل للتقاعد فسوف يكون معاشه حوالي ٢٧ جنيه فقط لأن أخر وظيفة حكومية له كانت قائمقام فى الجيش، كما أنه لم يمض سنة ميلادية كاملة فى درجة الوزير لذا لم يكن يستحق معاش وزير. ولكن المثل يقول أنت تريد وانأ أريد والله يفعل ما يريد ، انتقل الرئيس عبد الناصر فجأة لرحاب الله وبقى السادات فى منصبه وكان ما كان، ويضيف السيد/ سامى شرف إن الندم لن يفيد هنا لأن هذه هى إرادة الله وعن أحداث مايو ١٩٧١ قال الرجل الشريف أعترف أننا أخطأنا بتقديم استقالاتنا وأعترف أننى وشعراوى جمعة نتحمل المسئولية الأكبر ولكن الأمر لم يكن بتلك البساطة التى نناقشه بها الآن بعد ٣٩ عاما على الأحداث، كانت البلاد فى حالة حرب وكان هدفنا الوحيد هو المعركة، خلاف رجال الرئيس عبد الناصر مع الرئيس السادات سنة ١٩٧١ كان بسبب إصرارنا على المعركة التى كان الرئيس عبد الناصر قد وقع على خططها فى شهر أغسطس سنة ١٩٧٠، وأعد العدة لها وكانت البلاد كلها فى حالة استنفار استعدادا لبدء معركة التحرير ولكن وفاته المفاجئة حالت دون شن المعركة، ولإصرارنا بعد تولى السادات الرئاسة على تحقيق مقولة عبد الناصر "إن ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة وانه لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف "، وكان مطلبنا الدائم للرئيس السادات أن يعطى الأمر بشن الحرب التى اكتملت تجهيزاتها بينما هو يماطل ويرفض، وبالطبع ولم نكن نعلم بتفاصيل لقاءات السادات مع كمال أدهم ومع الأمريكيين وهذا دليل على أن الرئيس السادات لم يكن خاضعا لأي نوع من الرقابة من أجهزة الدولة كما أدعى فيما بعد، لأننا لو علمنا بتفاصيل تلك اللقاءات لأختلف الأمر ولتصرفنا تصرف أخر. وعن أوضاع الناصريين فى مصر أجابني أنه حزين لما وصلوا إليه وأن حلمه أن يتوحدوا فهو يجد أفراد ناصريين كثيرين فى مصر ولا يجد تنظيم ليجمعهم، وقال لى أنه مهما طال الزمن فلن يصح إلا الصحيح فالناصرية هى مستقبل مصر، وستفرز الحركة الناصرية قياداتها التى ستنجح فيما أخفق فيه البعض.

وعندما سألته عن سر صمته عما يوجه له أحيانا من اتهامات باطلة بينما عندما توجه أي تهمة لجمال عبد الناصر يبادر بالرد عليها رغم اعتزاله للعمل العام منذ ٢٢ يونيو ٢٠٠٥ قال لى أن مسئوليته الأدبية والتاريخية بحكم منصبه ومعرفته بخبايا الأمور تحتم عليه الرد على كل من يسئ كذبا للرئيس جمال عبد الناصر وعهده وبالنسبة له شخصيا فمذكراته سوف تتولى الرد نيابة عنه فقد صدر منها جزأين ومازالت هناك أجزاء أخرى ستكون هى كلمته للتاريخ عن دوره فى تاريخ مصر المعاصر.

كما أخبرني أن فترة سجنه التى امتدت لمدة عشرة سنوات كاملة ويومين وأربعة ساعات بالتمام والكمال منها سبعة عشر يوما فى شهر ديسمبر ١٩٧١ فى ذروة برد الشتاء على البلاط وبملابسه الداخلية فقط ولا أثاث فى الزنزانة سوى بطانيتين مهترئتين وجردلين فى ليمان طرة علمته الصبر ووثقت علاقته بالله فقد كان القران هو رفيقه وأنيسه فى محنته. وفى نهاية لقائى به تفضل مشكورا باهدائى نسخة من مذكراته مزدانة بكلمات رقيقة منه.

خرجت من منزل السيد /سامى شرف وإحساسى أننى كنت فى لقاء مع التاريخ ذاته، وأنني حققت جزء من أمنيتي برؤية الرئيس جمال عبد الناصر من خلاله. لم تثبت تهمة واحدة على السيد /سامى شرف فهو لم يتربح من منصبه ولم يستغل نفوذه، ولا يمتلك ثروة ولا يمتلك ارض أو سكن خاص ولا شاليه ولا مصيف ويعيش على معاشه فقط الذى وبالصدفة ينقص بمبلغ خمسين جنيها عن معاش اى وزير أخر نتيجة خطأ ارتكبه احد موظفي المعاشات ولم يصوب حتى اليوم. والتهمة البلهاء عن عمالته للسوفيت سقطت على الأرض كغيرها لقد أنهار الاتحاد السوفيتي وتم الكشف عن وثائق مخابراته وعملياتها الخفية منذ ٢٠ سنة فأين الوثائق التى تثبت تلك الفرية الحقيرة التى تمس الرئيس عبد الناصر شخصيا قبل أن تمس سامى شرف ولماذا يركز عليها البعض بينما هناك وثائق منشورة بالفعل عن عملاء للمخابرات الأمريكية والإسرائيلية وغيرها من الأجهزة؟! لا يتكلم عنهم أحد.وهو لا يطمع فى منصب أو دور فتاريخه وراءه وهو فخور به لقد تم سجنه والتنكيل به بسبب تمسكه بمبادئه وبالمشروع الناصري الذى كان أحد رجاله، ولأنه كان من أقرب رجال عبد الناصر ناله الكثير من رذاذ الحملة الظالمة على عبد الناصر وعهده. لم يخطئ الرئيس عبد الناصر وهو العليم بمعادن الرجال عندما وصف رجله وتلميذه سامى شرف أنه رجل من الذهب الخالص.فهو بالفعل كذلك فى زمن عز فيه الرجال، ولأنه من الذهب فتاريخه وقيمته ودوره سيزدادون لمعانا بمرور الزمن.

أمـريكـا...

تاريخ عـريق من الإرهاب

"الغـرور الأمريكـى، مـش عـاوز أى حـد يقـول لا..أبـدا ، أى شـئ يقولـوه الأمريكـان يتقـال لهـم حاضـر يـا أفنـدم،أمريكـا هـى قائـدة الثـورة المـضادة فـى العالم،ما من دعوة للحرية والمساواة والعدالة إلا وحاربتها أمريكا،نحن دعاة حرية لذا تحاربنا أمريكا،إن أمريكا هى عدونا الرئيسى".

جمال عبد الناصر

هكذا وصف الرئيس عبد الناصر السياسة الأمريكية التى حاربت مشروعه القومى طيلة فترة حكمه.

يبدو وصف عبد الناصر معبرا عن السياسات الأمريكية فالغرور الأمريكى والإرهـاب الأمريكـى لم يقتـصر عليـه فقـط بـل هـو ركيـزة أساسـية فـى العقليـة الأمريكية، بدأ منذ وصول كريستوفر كولمبوس إلى أمريكا، فالولايات المتحدة الأمريكية نشأت كمستوطنة وكملجأ لكل من يستطيع الهرب من أوروبا وعبور الأطلنطي إلى الأرض الجديدة فكان هناك المهاجرون الأوائل من المغامرين ثم لحق بهم المنفيون لأسباب دينية وسياسية ثم وصل لها الباحثون عن الثروات فى بلد متخم بثرواته،ولكن الأرض الجديدة كانت مسكونة بما يقدر عدده بخمسين مليون من سكانها الأصليين الذين أطلق عليهم كولمبوس مسمى (الهنود الحمر)وخلال أقل من ٢٠٠ سنة من الزمان تمت إبادة هؤلاء السكان الأصليين بشتى الوسائل (المذابح الجماعية- الرصاص- نقل الأمراض والأوبئة- التهجير) حتى لم يتبق منهم سوى مليونين أو ثلاثة ملايين هندى أحمر.

ولكـى تقـام الحـضارة الأمريكيـة فـى الأرض الجديـدة تم جلـب عـشرات الملايين من الأفارقة واستعبادهم للعمل فى بناء الأمبراطورية الأمريكية البازغة، وقد مات معظمهم سواء أثناء نقلهم من شواطئ أفريقيا للشواطئ الأمريكية، أو أثناء عملهم كعبيد بلا حقوق، ولم يصدر إبراهام لينكولن قانون تحرير العبيد إلا بعد استبدالهم بقوة البخار والآلات.

فالعقلية الأمريكية لا تعترف بأى حقوق أيا كان نوعها، الحق الوحيد الذى تـؤمن بـه هـو حـق القـوة بـدون مبـادئ أو قـيم أو ثقافـة فالغاية تبرر الوسيلة مهما كانت وحشية والقوة هى التى تحقق القانون وليس غيرها لقد نشأت الولايات المتحدة الأمريكية عبر التطهير العرقى والإبادة الجماعية،ولها قصب السبق فى ابتكار وسائل متفردة لتنفيذ جرائمها، فخلال الحرب العالمية الثانية أمطرت الطائرات الحربية الأمريكية المدن اليابانية بالقنابل الحارقة، وفى ليلة ٩- ١٠ مارس ١٩٤٥ قامت ٣٣٤ طائرة أمريكية بتدمير مساحة ١٦ميل مربع

من مدينة طوكيو بواسطة القصف بالقنابل الحارقة، مما أدى لمقتل عدد يتراوح من ٨٠ ألف إلى ١٠٠ ألف يابانى، يقول أحد قادة الجيش الأمريكى عن تلك المذبحة "لقد تم إحراق الرجال والنساء والأطفال اليابانيين وتم غليهم وخبزهم حتى الموت، لقد وصل الماء فى القنوات إلى درجة الغليان، وذابت الهياكل المعدنية، وتفجر الناس فى ألسنة اللهب، لم تكن طوكيو وحدها هى التى تعرضت لذلك بل تعرضت ٦٤ مدينة يابانية أخرى إلى هجمات من نفس النوع.

ولم يكتف الساسة الأمريكيون بذلك بل رغبة فى إذلال الشعب اليابانى ولتخويف الاتحاد السوفيتى أمر الرئيس الأمريكى هارى ترومان بضرب اليابان بالقنبلة الذرية، وبالفعل فى يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ تم إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما، محت القنبلة المدينة من الوجود وأبيد كل الذين كانوا قرب نقطة سقوط القنبلة بدون أثر، وباقى السكان الأبعد عن نقطة السقوط ماتوا من الانفجار محترقين كليا، قضى ١٠٠ ألف يابانى نحبهم فورا، بينما مات ٥٠ ألف آخرين من التسمم الإشعاعى، وقد تحطمت كل مبانى المدينة، وكعادة الأمريكيين فى تسجيل وتوثيق جرائمهم فقد التقطوا صورا جوية للمدينة قبل الانفجار تبدو فيه نابضة بالحياة والبشر، ثم بعد الانفجار وقد تحولت لسطح رمادى غير واضح العالم بعد أن غابت عنها الحياة
تمت تلك الجريمة رغم يقين القادة الأمريكيين باستسلام اليابان الحتمى، ولم يكتف الأمريكيون بذلك فرغبة فى إثبات التفوق ودون أى داع عسكرى تم إسقاط القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناجازاكى فى يوم ٩ أغسطس ١٩٤٥ ليتم محو المدينة من فوق الأرض وإبادة ٧٠ ألف يابانى، كل ذلك من أجل ترويع الاتحاد السوفيتى وإرضاء الشعب الأمريكى المتعطش للانتقام من اليابانيين. وبحلول عام ١٩٥٠ كان عدد اليابانيون القتلى جراء ضرب هيروشيما وناجازاكى بالقنابل الذرية قد بلغ ٣٥٠ ألف قتيل جراء القصف والأورام التى أصيبوا بها، ورغم ذلك الاستعراض الوحشى للقوة لم يرتدع الاتحاد السوفيتى بل دفعته قسوة الجرائم الأمريكية لدخول حلبة سباق التسلح والحصول على قنبلته الذرية وقنبلته الهيدروجينية ليضمن عدم تكرار مذابح اليابان معه.

وفى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٣ قتلت الولايات المتحدة الأمريكية حوالى ١٠ ملايين صينى وكورى وفيتنامى ولاوسى وكمبودى، فقد تم قتل ٢ مليون كورى شمالى فى الحرب الكورية، و٣ ملايين صينى فى نفس الحرب، وفى حرب فيتنام تم قتل ٤ ملايين فيتنامى، وتعذيب وتشويه ٧٠٠ ألف أخرين، واغتصاب ٣١ ألف إمراة، وإحراق ٤٠٠٠ حتى الموت، وتدمير ألف معبد وضرب ٤٦ قرية فيتنامية

بالأسلحة الكيماوية ،وبلغ عدد المفقودين ٣٠٠ ألف فيتنامى، وفى عام ١٩٧٢ تسبب القصف الأمريكى على هانوي فى أعيد الميلاد فى إصابة ٣٠ ألف طفل فيتنامى بالصمم الدائم.

وامتدت الأيادي الأمريكية إلى اندونيسيا ونيكاراجوا والسلفادور وتشيلى وجواتيمالا وأنغولا وموزمبيق والكونجو .

فلم يترك الأمريكيون مكانا على سطح الكوكب إلا ووضعوا بصمات جرائمهم الدامية عليه.

وفى وطننا العربى تعددت الجرائم الأمريكية وأخطرها جريمة العصر التى تمثلت فى اغتصاب فلسطين وتشريد شعبها لزرع كيان موالى للغرب فى المنطقة يقسم العالم العربى لقسمين ويمنع حدوث عملية التنمية والتحديث فى المنطقة الأغنى فى العالم بفضل النفط.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى أول دولة فى العالم تعترف بدولة إسرائيل.

كانت الولايات المتحدة هى التى فرضت حظرا على تصدير السلاح للدول العربية فى ديسمبر عام ١٩٤٧.

بينما كانت معظم الأسلحة التى وصلت للإسرائيليين منذ عام ١٩٤٥ وحتى رفع الحظر فى عام ١٩٤٩ قد جاءت عبر الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم تقدير المساعدات الأمريكية لليهود خلال حرب ١٩٤٨ ب١٣٠٠ متطوع، ومبلغ يتراوح من ١٥- ٢٠ مليون دولار، وكان قائد جبهة القدس الإسرائيلية هو الضابط الأمريكي دافيد ماركوس، وقامت الطائرات الأمريكية والأطقم الأمريكية بنقل الأسلحة والعتاد إلى الصهاينة طيلة فترة الحرب.

وعندما حققت الجيوش العربية بعض الانتصارات فى بداية الحرب قامت الولايات المتحدة بدعوة مجلس الأمن للانعقاد من أجل وقف القتال فى فلسطين وبفضل الضغوط الأمريكية توقف القتال لمدة ٤ أسابيع، خرق الإسرائيليون الهدنة ١١ مرة فى اليوم الأول لها، وبلغ عدد خروقاتهم عندما انتهت الهدنة ١٥٠ خرق، أتاحت تلك الهدنة لليهود النصر فى الحرب كما يقول الكاتب الأمريكى "ستيفن جرين" فى كتابه (الانحياز): إسرائيل لم تنتصر فى القتال بل كسب اليهود معركتهم بفضل الهدنة الأولى.

وهكذا وُلدت إسرائيل بفضل الولايات المتحدة الأمريكية أولا والتواطؤ

الغربى ثانيا ، ولم يكن ذلك نهاية الدور القذر للولايات المتحدة الأمريكية فى الوطن العربى، فالولايات المتحدة الأمريكية كانت هى السبب وراء نشوب حرب السويس ١٩٥٦ بعد رفضها تمويل بناء السد العالى، وهى التى فرضت الحصار الاقتصادى على مصر عقابا للشعب المصرى على سياسات الرئيس عبد الناصر المستقلة، والولايات المتحدة الأمريكية شريك رئيسى فى حرب ١٩٦٧ بالسلاح والتخطيط والاشتراك فى المعارك، فحاملات الطائرات الأمريكية صنعت مظلة جوية فوق إسرائيل طيلة أيام الحرب، والطائرات الأمريكية ضربت المطارات المصرية أثناء المعركة، والأقمار الصناعية الأمريكية صورت الجبهات العربية، والرادارات الأمريكية شوشت على شبكة الاتصالات المصرية، والمتطوعون الأمريكيون حاربوا مع إسرائيل،لذا وصف الرئيس الفرنسى شارل ديجول حرب ١٩٦٧ ببصيرته النافذة "بأن المعركة أمريكية والأداء إسرائيلي"

وبعد الحرب عملت الولايات المتحدة على تثبيت الأوضاع وحاربت مع إسرائيل ضد مصر فى حرب الاستنزاف، وأنقذتها عندما تعرضت للهزيمة فى الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣.

والولايات المتحدة الأمريكية هى التى سمحت لإسرائيل بتدمير لبنان، وطائراتها هى التى أغارت على ليبيا ، وهى التى ضربت السودان بالصواريخ، فلا يوجد نشاط مضاد للعروبة أو للإسلام إلا وكان وراءه الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت ذروة الإبداع الإرهابى الأمريكى قد تجلت عندما تبنت الولايات المتحدة الأمريكية جماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى ودعمتها وأمرت الأنظمة العربية العميلة لها بدعمها فى حقبة السبعينيات، وهى العملية التى تمثل أعظم عملية استخباراتية فى القرن العشرين - هكذا يصفها زبجنيو برجينسكى- عندما ورطت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتى السابق فى المستنقع الأفغانى ثم دعت الحكومات العربية التابعة لها إلى إعلان الجهاد ضد السوفيت الملاحدة وشحنت آلاف الشباب العربى المسلم بواسطة سفنها وطائراتها وبتمويل عربى إلى أفغانستان لكى يجاهدوا هناك ضد السوفيت الملاحدة بينما فلسطين المحتلة على بعد قدم منهم وعلى مرمى البصر ويحتلها الصهاينة، ولكن الجهاد فى أفغانستان حلال بأمر الأمريكيين ومن تبعهم من الحكام، حرام فى فلسطين المحتلة.

وهكذا خلقت الولايات المتحدة الأمريكية الوحش الذى تحاربه الآن وهى التى صنعت أسطورة أسامة بن لادن ورفاقه المجاهدين الذين تحاربهم حاليا بشتى

السبل وبعد أن استغلتهم فى تدمير الاتحاد السوفيتى وكسب الحرب الباردة، تستغلهم الآن فى محاربة الإسلام واحتلال العالم الإسلامى، بعد أن أنقلب السحر على الساحر، هذا إذا كانت منظمة القاعدة بالفعل هى التى وراء أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والتى تحيط بها المئات والمئات من علامات الاستفهام حول هوية الفاعل الحقيقى.

وتبقى الحرب الأمريكية على العراق خير شاهد على الجرائم الأمريكية، فالولايات المتحدة التى دعمت الرئيس صدام حسين فى بداية حكمه وحرضته على شن الحرب ضد إيران الثورة وأمدته بالسلاح والعتاد وعملت على إطالة الحرب لأقصى مدى ممكن لتدمير العراق وإيران معا، وعندما انتهت الحرب بنصر محدود للعراق وبجيش عراقى قوى مدرب ربما يشكل خطرا على إسرائيل، كان الأمريكيين هم المحرضين للكويت والإمارات للقيام بخنق العراق اقتصاديا واستغلال ضائقته بعد الحرب مع إيران، وكانت السفيرة الأمريكية فى بغداد هى التى أعطت الرئيس صدام حسين الضوء الأخضر لدخول الكويت لكى تحقق الولايات المتحدة حلمها الدفين بوجود قواتها فى قواعد بالخليج العربى. وعندما حاول الرئيس الراحل صدام حسين الانسحاب من الكويت بطريقة مشرفة تمنع الحرب، كان الأمريكيون هم الذين أغلقوا كل الأبواب فى وجهه ومنعوه من الخروج من الأزمة، وجيشوا الجيوش لتدمير العراق.

فى يوم ١٦ يناير ١٩٩١ بدأت الولايات المتحدة الأمريكية حربها على العراق والتى امتدت حتى ٢٧ فبراير ١٩٩١ خلال تلك الفترة أسقطت الطائرات الأمريكية ٨٨ ألف طن من القنابل على العراق أى ما يعادل القوة التفجيرية لسبع قنابل ذرية من طراز قنبلة هيروشيما، أى أن العراق تعرض أثناء الحرب للقصف بقنبلة ذرية كل أسبوع توزعت على كل مناطق البلاد.

أطلقت الدبابات الأمريكية ما بين ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ قذيفة يورانيوم منضب، كما أطلقت الطائرات الأمريكية عشرات الآلاف من قذائف اليورانيوم المنضب وقد تسببت تلك الأسلحة المحرمة فى موت ٥٠ ألف طفل عراقى فى الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٩١ نتيجة الإصابة بالأورام المختلفة.

استخدمت القوات الأمريكية قنابل النابالم الحارقة ضد الجنود العراقيين، كما استخدمت قنابل الفوسفور الأبيض الحارقة، استخدمت القوات الأمريكية بكثافة قنابل الروك آي التى تحتوى الواحدة منها على ٢٤٧ قنبلة يدوية وقد ألقتها بدون تفرقة على المدنيين والعسكريين العراقيين، قصفت الطائرات الأمريكية المدن العراقية بقنابل تفريغ الهواء والتى تحدث مستويات شبه نووية من التدمير،

أسقطت البحرية الأمريكية وحدها أكثر من ٤٤٠٠ قنبلة عنقودية على المدن العراقية، أسقطت القاذفات الجوية آلاف القنابل العنقودية من طراز بي ال ٧٥٥ المصممة لتمزيق أوصال البشر إلى قطع صغيرة.

قامت الطائرات الأمريكية بتدمير كل محطات توليد الكهرباء، ومحطات تصفية المياه ونظام الاتصالات ومحطات التقوية ومبانى الإذاعة والتليفزيون ومعامل تصنيع الغذاء ومعامل الحليب والمشروبات ومواقع الرى ومزارع الحيوانات والحافلات ومحطات القطارات وخطوط السكك الحديد والجسور والطرق ومعابر الطرق السريعة وآبار النفط ومصافيه ومنشآت تخزينه وشبكات المجارى والمصانع والكليات والجامعات والمدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس والمواقع الأثرية فى أكبر جريمة ترتكب فى تاريخ الآثار عبر التاريخ، والمصارف ودور المعوقين وملاجئ المدنيين وتم تدمير حوالى ٢٠ ألف وحدة سكنية حتى المحلات الصغيرة والمطاعم والفنادق والجرارات الزراعية ومعاهد البحوث وسيارات الأجرة لم تنج من التدمير.

كانت عملية إبادة جماعية ممنهجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب ولا علاقة لها بخروج القوات العراقية من الكويت، كان هدف الساسة الأمريكيين تدمير العراق كدولة وكنظام اجتماعى، كان الهدف هو محو العراق من الوجود والعودة به إلى العصر الحجرى والسيطرة على النفط والإطاحة بحكم صدام حسين بعد أن أستنفذ الدور المطلوب منه.

كما قامت القوات الأمريكية بتنفيذ مذابح جماعية بشعة خلال الحرب مثل مذبحة ملجأ العامرية فى ١٣ فبراير ١٩٩١، والمذابح المرتكبة بحق الجنود العراقيين المنسحبين من العراق فقد تم قتل الجنود العزل والمستسلمين وتم دفن آلاف الجنود فى خنادقهم بالبلدوزرات الأمريكية.

بعد انتهاء المحرقة الأمريكية على العراق وشعبه تم تقدير عدد القتلى العراقيين بما يقرب من ١٥٨ ألف قتيل خلال المحرقة، وقدر عدد المصابين والجرحى بحوالى ٧٠٠ ألف عراقى فى بلد تعداد سكانه ١٨ مليون تبدو تلك الأرقام كارثية وغير مسبوقة فى تاريخ الحروب.

ورغم ذلك لم يكتف الأمريكيون بما ارتكبوه، بل تم فرض حصار جائر على العراق يمنعه من الحصول على كل السلع الضرورية ليس فقط ذات الأهمية الصناعية والعسكرية بل تشمل الأدوية ومواد تصفية المياه ومعدات المستشفيات وحليب الأطفال والغذاء، كما تم تجميد الأرصدة النقدية العراقية وحظر بيع النفط العراقى.

كانت عملية قتل بطيئة لمستقبل العراق وعملية إبادة للأجيال العراقية القادمة عندما سئلت مادلين أولبرايت فى مقابلة تليفزيونية فى شهر مايو سنة ١٩٩٨ عن وفاة نصف مليون طفل عراقى بسبب الحصار الأمريكى الذى يمنع الغذاء والدواء والمعدات الطبية عن العراق، أجابت بهدوء : ربما تكون وفاتهم ثمن غال، لكننا نرى أن الهدف الذى نريده يساوى ذلك الثمن وأكثر.

بعد كل ذلك التدمير ومقتل مئات الألوف من العراقيين ونصف مليون طفل مازال الهدف الأمريكى لم يتحقق بل ويتطلب المزيد من الضحايا.

وهو ما تحقق بغزو العراق فى مارس ٢٠٠٣ حيث تكررت نفس المذابح بصورة أبشع وتم استخدام أسلحة أشد فتكا ومقتل مئات الألوف من العراقيين مجددا ، وتحويل العراق إلى مرتع للقتلة والعصابات الطائفية ، ليتم تدمير العراق كبلد وشعب لأجيال.

ما قمت بعرضه فى هذا المقال هو جزء من تاريخ الإرهاب الأمريكى ولكن كتابة ذلك التاريخ البغيض كاملا يحتاج لمئات المجلدات على أقل تقدير فالجرائم الأمريكية لم تتوقف منذ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية ، ولن تتوقف إلا إذا انهارت أمريكا أو أبيد كوكب الأرض ذاته.

المصــــــادر :

- كتاب (أمريكا .. الكتاب الأسود) بيتر سكاون.
- كتاب (التنكيل بالعراق) جيف سيمونز.
- كتاب (الزمن الأمريكى.... من نيويورك إلى كابول) محمد حسنين هيكل.
- كتاب (موجز التاريخ الأمريكى) مجموعة من الباحثين.
- كتاب (وثائق عبد الناصر) - طبعة الأهرام ١٩٧٣.

الملك فاروق
فى أوراق الرئيس السادات

تناول الرئيس الراحل أنور السادات فى مذكراته التى نشرها الأستاذ أنيس منصور فى كتاب (من أوراق السادات) كلا من الملك فؤاد والملك فاروق وعهديهما ورؤية الرئيس السادات لكليهما ولفترتى حكمهما.

يقول الرئيس السادات عن الملك فؤاد أن عهده شهد بذور لمشاكل كثيرة فى تاريخ مصر بسبب تعيين الإنجليز له سلطانا على مصر عقب وفاة السلطان حسين كامل لذا ظل السلطان أحمد فؤاد الأول والذى أصبح ملكا عام ١٩٢٢ بعد تغيير نظام الحكم فى مصر من سلطنة إلى مملكة وفيا لأسياده الإنجليز وحريصا على إرضائهم ويصف الرئيس السادات الملك فؤاد بأنه كان غشوما وديكتاتورا يرفض النقد ويحبذ الحكم المطلق، ويضيف الرئيس السادات أن الملك فؤاد لكى يظهر ولائه المطلق للإنجليز واعترافه بفضلهم فى جعله حاكما لمصر قرر أن يرسل أبنه وولى عهده فاروق للتعليم فى إنجلترا.

يقول السادات أن هناك رجلين لعبا أدوارا مهمة فى تشكيل شخصية الملك فاروق هما عزيز باشا المصرى الضابط المصرى الثورى الذى حاول جاهدا أن يربى الملك فاروق على الانضباط العسكرى والأخلاقى، وأحمد حسنين باشا الذى ساعد الملك فاروق على الفساد وسهل له نزواته وكان مرشده إلى الكباريهات والسهرات الحمراء فى لندن، ويوضح الرئيس السادات أن الملك فاروق كان لديه استعداد فطرى للفساد ، وكان فاسدا بطبعه ولكن أحمد حسنين باشا أتاح له سبل الفساد والانحلال، لذا فشل عزيز باشا المصرى فى مهمته مع فاروق وتم إبعاده بينما نجح حسنين باشا لأنه وافق هوى فاروق وأصبح من أعمدة حكمه.

ويروى الرئيس السادات أنه عقب وفاة الملك فؤاد تم استدعاء ولى عهده فاروق من انجلترا ليكون ملكا على مصر خلفا لوالده، ويتهم الرئيس السادات على ماهر باشا وأحمد حسنين باشا بتضخيم ذات الملك الشاب وإسداء نصائح خاطئة له حولته إلى طاغية، ويعترف الرئيس السادات أن الملك فاروق قوبل فور وصوله لمصر بترحيب شعبى حار ليس حبا من الشعب فيه ولكن كراهية فى والده ورغبة من المصريين أن يكون فاروق مختلفا عن والده، ومما زاد من حب الشعب للملك فاروق زواجه المبكر من الملكة فريدة فقد رأى الناس فى ذلك دليلا على استقامة الملك، ولكن كما يقول الرئيس السادات سرعان ما أتضح للمصريين حقيقة الملك فاروق الذى يصفه السادات أنه كان أسوأ وأحط من والده الملك فؤاد.

ويقول الرئيس الراحل أن الملكة فريدة حاولت جاهدة أن تدارى على عيوب وفضائح الملك فاروق دون جدوى لأن فاروق لم يكن يعبأ بمعرفة الناس بمثالبه.

ويتهكم الرئيس السادات على الأوصاف التى كانت تطلقها صحف دار أخبار اليوم على الملك فاروق مثل العامل الأول، والفدائى الأول، والعالم الأول، ويقول أن المصريين أطلقوا على فاروق صفات أخرى كانت أكثر دقة فى التعبير عن شخصيته مثل اللص الأول، والمرتشى الأول، والمزور الأول ثم المهرب الأول لثروته ومجوهراته.

ويؤكد الرئيس السادات أن الملك فاروق كان مريضا بمرض (الكليبتومانيا) أى جنون السرقة فقد سرق سيف شاه إيران رضا بهلوى من نعشه وتسبب فى فضيحة لأخته الامبراطورة فوزية التى كانت متزوجة من الشاه محمد رضا بهلوى نجل الشاه رضا بهلوى، كما سرق خنجر نادر من أمير يمنى، وكان مدمنا لسرقة التحف والمجوهرات من قصور الأخرين ونقلها إلى قصوره، ويضيف الرئيس السادات أن حاشية الملك فاروق كانت تعرف عنه هذا الجنون بسرقة الآخرين لذا كانت تضع المسروقات أمامه ليخفيها فى جيبه.

كما يتهم الرئيس السادات الملك فاروق بالمتاجرة فى آثار البلاد وتبديد ثرواتها، ويتهمه ببيع دماء الجنود المصريين فى حرب ١٩٤٨ بتجارته فى السلاح وجلبه للأسلحة الفاسدة وتحويل ثمنها لحساباته السرية فى البنوك الأجنبية، كما يتهمه باختلاس أموال الدولة والحصول على مخصصاته الملكية مقدما وتبديدها ثم طلب المزيد.

وعندما يروى الرئيس السادات بعض مظاهر الفساد والنفاق فى عهد الملك فاروق يذكر ما فعله وزير الأوقاف حسين الجندى ونقيب الأشراف محمد الببلاوى عندما أعلنا أن فاروق من نسل النبى عليه الصلاة والسلام، وأن والدته الملكة نازلى تنحدر من سلالة السيدة فاطمة الزهراء، ويقول الرئيس الراحل أن ذلك كان مهزلة خاصة أن هذه الفتوى المزورة جاءت بعد إصدار الملك فاروق لمرسوم ملكى بتجريد أمه وأخواته من ألقابهن ومخصصاتهن الملكية بعد هروبهن من مصر واستقرارهن فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتنصرهن وزواج أخته الأميرة فتحية من شاب مسيحى مصرى هو رياض أفندى غالى بتشجيع من والدتها الملكة نازلى.

ويرى الرئيس السادات أن هذه الفتوى بنسب الملك وأمه للنسب النبوى الشريف جاءت كمحاولة لغسل تاريخ فضائح الملك وأسرته وكنوع من العفو الشامل وصك من صكوك الغفران للأسرة المنحلة.

كما يقول الرئيس السادات أنه من آيات النفاق فى عهد الملك فاروق ما قام به البرلمان المصرى عندما علم بميلاد الأمير أحمد فؤاد الثانى حيث قام بكتابة

محضر الجلسة بماء الذهب على جلد الغزال وتم إرسال المحضر إلى الملك فاروق رغم أن الشعب المصرى كان قد ضج بالسخط والغضب على الملك فاروق ولم يسعد بميلاد ولى عهد له بالعكس فقد كان الناس لا يرغبون فى استمرار ذلك الحكم الفاسد.

ويقول الرئيس السادات ان ميلاد الأمير أحمد فؤاد الثانى كان نهاية لأبيه وبداية للشعب المصرى، ويتهم الرئيس السادات الأمير أحمد فؤاد الثانى بأن ميلاده كان شؤما على أبيه وعلى كل أسرة محمد على فقد توالت المظاهرات الغاضبة ضد حكم الملك فاروق، وفشلت حكومة الوفد فى تحقيق أمال الشعب ثم وقعت مذبحة الإسماعيلية واحترقت القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ مما شكل بداية النهاية لحكم أسرة محمد على كلها.

و يرى الرئيس السادات أن الملك فاروق كان قزما سياسيا ، ولديه شعور بالنقص أمام عتاة السياسة الحزبية من الباشوات لذا كان الملك فاروق حريص على تجميع كل السلطات فى يديه، ولم يكن يستمع لأحد ولم يكن يقبل أن يقول له أحد كلمة (لا).

ويقول الرئيس السادات أن الملك فاروق كان يستمتع باللهو بالباشوات والزعماء قبل الثورة لأنه كان يعرف مدى تهالكهم على الحكم، ويضيف السادات رغم كون الملك فاروق ذكيا إلا أنه كان مستهترا لا يبالى إلا بنفسه ولا يسعى إلا خلف نزواته.

ويروى السادات أن الملك فاروق أحس أن نهاية حكمه قد اقتربت بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ لذا بدأ عملية ضخمة لتهريب أمواله ومجوهراته وسبائك من ذهب مصر إلى سويسرا ، ويقول السادات أنه علم بذلك من الدكتور يوسف رشاد طبيب الملك والذى كان صديقا للسادات والذى أخبر السادات أيضا أن الملك فاروق قد أعد قائمة بأسماء الذين سيغادرون مصر معه إلى الخارج وأنه وضع اسم أنور السادات بينهم.

ويقول الرئيس السادات عن حزب الوفد أنه رغم كونه حزب الأغلبية إلا أنه كان ككل الأحزاب الأخرى يرى أن الإنجليز فقط هم مصدر كل السلطات، وأن هدف زعماء الوفد كان دائما الوصول للحكم لتحقيق مصالحهم ولإيجاد نوع من التوازن بين العرش والسفارة البريطانية ، وأن فكرة التخلص من الاحتلال البريطانى وأسرة محمد على لم تخطر ببال على زعماء حزب الوفد ، ويتهكم الرئيس السادات على وصف الزعيم الوفدى مصطفى باشا النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ بوصف أنها معاهدة الشرف والاستقلال.

كما يصف طلب مصطفى باشا النحاس من الملك فاروق أن يسمح له بتقبيل يده الكريمة كدليل على ولاء الوفد وحكومته للعرش وللملك عقب فوز الوفد فى انتخابات سنة ١٩٥٠ بالهوان القومى والسقوط الأخير للنحاس باشا وحزب الوفد.

ويتهم السادات حزب الوفد بإفساد الملك فاروق سياسيا باختراع زعماء الحزب لوصفة سحرية أسموها (التوجيهات الملكية)، فلا يكاد أحد يسأل حكومة الوفد عن شئ حتى تجيبه بالقول أنها توجيهات جلالة الملك، أنها نصيحته الغالية ورغبته السامية.

وعن انتخابات سنة ١٩٥٠ والتى جاءت بحزب الوفد للحكم بأغلبية كبيرة يقول الرئيس السادات أن المراقبين للعملية الانتخابية لاحظوا أن الوفد لم يحقق نجاحا فى المدن وإنما فى الريف حيث تعاونت عناصر كثيرة وقوى ضاغطة وأموال لتحقيق النجاح للوفد.

ويقول السادات أن حكومة الوفد الأخيرة لم تحقق شيئا يذكر بل كانت بمثابة صدمة للشعب ودليل قاطع على فشل الوفد، ويتهكم الرئيس الراحل على قرار وزير داخلية الوفد فؤاد باشا سراج الدين لضباط البوليس المصرى فى الإسماعيلية بالتصدى لقوات الجيش الإنجليزى فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ويصفه بالقرار غير المدروس ويتهم فؤاد باشا سراج الدين بالتسبب فى مذبحة الإسماعيلية لأنه لم يكن هناك تكافؤ بين قوات البوليس المصرى المسلحة ببنادق رش فى مواجهة مدافع الجيش الإنجليزى من عيار ٢٥ رطل.

ويقول الرئيس السادات كان الأولى بحكومة الوفد أن تسلح قوات البوليس بالمدافع قبل أن تدفعهم للصدام مع الإنجليز وتتسبب فى مقتلهم، كما يتهم الرئيس السادات وزير الداخلية الوفدى فؤاد باشا سراج الدين بالإهمال والسعى خلف مصالحه الخاصة عندما ترك القاهرة تحترق بينما كان منشغلا بشراء عمارة له بوسط القاهرة.

إلى هنا انتهت شهادة الرئيس السادات وكعادته فقد ترك ثغرات متعددة فى شهادته فهو لم يوضح سر صلته بالدكتور يوسف رشاد طبيب الملك ورئيس مخابرات القصر ومؤسس تنظيم الحرس الحديدى المكلف باغتيال أعداء الملك فاروق، والذى كان الرئيس السادات عضوا به، كما لم يتطرق الرئيس السادات إلى اشتراكه فى ثلاث محاولات لاغتيال مصطفى باشا النحاس بتكليف من تنظيم الحرس الحديدى، ولم يوضح لماذا يضع الملك فاروق أسمه ضمن المغادرين معه إلى أوروبا فى حال سقوط النظام الملكى؟.

على كل حال تبقى تلك شهادة الرئيس السادات على العهد الملكى وحكامه الذين عاصرهم.

مذكـــرات
المشير عبد الحكـيم عامر

هل ترك المشير الراحل عبد الحكيم عامر مذكرات وأوراق مكتوبة بخط يده عن حرب ١٩٦٧ وطبيعة العلاقة بينه وبين صديق عمره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟

مازال الكثير من الباحثين والمهتمين بتاريخ مصر المعاصر يتساءلون عن صحة ذلك؟ وأين اختفت تلك المذكرات لو كانت موجودة من الأساس؟ ومؤخرا خرج علينا البعض بإدعاءات جديدة عن وجود مذكرات للمشير عبد الحكيم عامر كتبها بخط يده تحتوى على تقييمه لمعركة ١٩٦٧، وأرائه فى الرئيس عبد الناصر، ومخاوفه من أن يتم اغتياله لطمس حقيقة ما جرى أثناء الحرب وتسبب فى الهزيمة، والطريف فى الأمر إننا لم نرى أو نقرأ ورقة واحدة بخط يد المشير الراحل تثبت صحة هذه الإدعاءات، بل كل ما رأيناه كان مجموعة أوراق مطبوعة من الإنترنت منقولة عن مجلة لايف الأمريكية.

وأثناء مراجعتى لكتاب (جمال عبد الناصر.. أخر العرب) للكاتب الفلسطينى الأمريكى / سعيد أبو الريش، والصادر عن "مركز دراسات الوحدة العربية"، وجدت فى صفحة (٣٦١) من الكتاب المفاجأة التالية، حيث كتب سعيد أبو الريش:

"قام السعوديون، على وجه الخصوص، بنشر مذكرات زائفة تعزى إلى عامر، تحمل عبد الناصر الذنب عن حالة عدم تهيئة الجيش المصرى، وتشرح الإستراتيجية التى أنتجت النكسة.

هذه المذكرات الكاذبة هى من تلفيق المخابرات السعودية، مع أرجحيه مساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى إعدادها.

لقد سلم المذكرات إلى والدى الذى كان مراسل مجلة تايم "نواف بن عبد العزيز" الذى أصبح فيما بعد مساعدا لأخيه الملك "فيصل" الذى تظاهر بتفضيله صديقا قديما يعمل فى الصحافة.

لقد قرر والدى ومعه زمرة من القراء، أن وثيقة المذكرات صادقة لا غبار عليها.

لكن مجلة لايف بعد نشرها مقتطفات ثلاثة منها، اكتشفت أنها غير صحيحة،وهو ما أثار دهشة محررى لايف وأبى على السواء.

فقد أبلغهم اللواء راضى عبد الله، رئيس المخابرات الأردنية، أنه شارك فى إعدادها.

وقد جاءت هذه المذكرات، بجانب جملة من النشاطات الأخرى، مثل دعم الإخوان المسلمين بالمال، لتقنع عبد الناصر أن ينحى قمة الخرطوم جانبا، ويقتنع أن السعوديين مازالوا مصممين على الإطاحة به، فإن لم يكن فتقزيمه على الأقل.

وهكذا أصبح مؤتمر الخرطوم مجرد لعبة تآمرية قصد منها استرضاء الجماهير العربية لا أكثر.

وفى هامش الصفحة أشار الكاتب إلى التوضيح التالى "حتى لا يبدو هناك تناقض فأن مجلتى تايم ولايف الأسبوعيتين كانتا تصدران عن مؤسسة صحفية أمريكية واحدة باسم تايم- لايف، وذلك قبل أن تتوقف لايف عن الصدور نهائيا فى عام ١٩٧٢ بعد أن كانت تحولت إلى مجلة شهرية لبعض الوقت".

هذه شهادة شاهد عيان عن حقيقة تلك المذكرات المفبركة والمنسوبة زورا للمشير الراحل عبد الحكيم عامر، تلك البضاعة الفاسدة التى يحاول البعض بيعها لنا الآن لتصفية حسابات سياسية مع الرئيس عبد الناصر وعهده.

ويبدو أن غرام الملك فيصل بن عبد العزيز والمخابرات السعودية بتزييف الكتب والوثائق لتشويه جمال عبد الناصر وعهده لم يقف عند تلك المحاولة بل لحقتها محاولات أخرى عديدة كان أشهرها وأخطرها كتاب (لعبة الأمم) لضابط المخابرات الأمريكى مايلز كوبلاند.

ففي عام ١٩٦٩ نشر ضابط المخابرات الأمريكية (مايلز كوبلاند) كتابه ذائع الصيت (لعبة الأمم) والذي أوحى فيه بصلة الثورة المصرية وجمال عبد الناصر بالولايات المتحدة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد أصبح هذا الكتاب بمثابة المرجع الرئيسي لكل أعداء عبد الناصر وثورته، وفى عام ١٩٨٨ نشر الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه (سنوات الغليان) الذي أورد فيه مجموعة من الوثائق والرسائل التي تثبت أن كوبلاند نصاب وأفاق وأنه نشر كتابه بأوامر أمريكية في إطار الحرب الأمريكية المستمرة على عبد الناصر والتي تهدف لتشويه سمعته ومن أجل اغتيال شخصيته معنوياً في أعين الجماهير العربية بعد الهزيمة، وهاج كوبلاند وهدد الأستاذ هيكل برفع قضايا ضده، وحتى الآن وبعد مرور كل تلك السنوات على صدور كتاب (سنوات الغليان) لم يفعل كوبلاند شيء مما هدد به، وفى سلسلة حوارات للأستاذ هيكل لمجلة روز اليوسف في منتصف التسعينيات صرح أن كتاب مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) مولته المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٩ في إطار سعى الملك فيصل الدءوب للقضاء على شعبية جمال عبد الناصر بين الشعوب العربية، وهو السعي الذي وافق هوى المخابرات

المركزية الأمريكية ورجلها مايلز كوبلاند، وأشار هيكل إلى أن أي كتاب يصدره أحد ضباط المخابرات المركزية الأمريكية لابد أن يحصل على موافقة من المخابرات المركزية الأمريكية، وتتم عملية مراجعة دقيقة لما يحتويه لمعرفة مدى خدمته لمصالح وغايات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأهداف السياسة الأمريكية وهو ما خضع له بالطبع كتاب (لعبة الأمم).

المدهش فى الأمر أن هناك كتب عربية عديدة ظهرت كان مرجعها الأساسى والرئيسى هو كتاب (لعبة الأمم) مثل كتاب (ثورة يوليو الأمريكية) لمحمد جلال كشك، وقد راجت تلك الكتب وأصبح بعض الموتورين من الثورة وقائدها يستعينون بها فى إطار هجومهم على ثورة ٢٣ يوليو.

والحقيقة أن الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر والتى ظهرت حتى الآن هى مشروع البيان الذى أعده المشير، لكى يذيعه من الإسماعيلية فى حال نجاح الخطة التى كانت مرسومة لوصوله إلى موقع القوات المسلحة هناك أثناء محاولة الانقلاب التى كان يعد لها مع رجاله عقب النكسة، وقد قام الأستاذ محمد حسنين هيكل بنشر هذا البيان فى كتابه (الانفجار ١٩٦٧)- طبعة الأهرام فى الصفحات من ١٠٨١ إلى ١٠٨٩.

وفى هذا البيان المكتوب بخط يد المشير الراحل، يقول عبد الحكيم عامر: "نتيجة لكل ذلك.. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القنال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال".

هذا اعتراف صريح من المشير الراحل بأنه هو الذى أصدر قرار الانسحاب غرب القناة، وفيه رد مفحم على بعض الأقلام التى مازالت تصر على أن الرئيس عبد الناصر هو الذى أصدر قرار الانسحاب، وفرضه على المشير عامر.

من المحزن أن شهداء مصر فى اليوم الأول للقتال كان ٢٩٤ شهيدا، وبعد قرار المشير المنفرد بالانسحاب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وبالطريقة التى تم تنفيذ القرار بها، وصل عدد الشهداء المصريين إلى ٦٨١١ شهيدا مساء يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ عندما قبلت مصر قرار وقف إطلاق النار.

والآن طالما لم تظهر ورقة واحدة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر بعد مرور ٤٣ عاما على وفاته؛ فيمكننا القول بعدم وجود أى أساس من الصحة لتلك الأقاويل عن وجود مذكرات مكتوبة بخط يد المشير عبد الحكيم عامر؛ وإلا فأين ذهبت تلك المذكرات؟ومن يمتلكها؟ ولماذا يخفيها حتى الآن؟!!

ربما يقول البعض أن المشير عامر أستطاع الاحتفاظ بتلك الأوراق والمذكرات مع رجاله المخلصين؛ لأن ظروفه بعد النكسة وعقب فشل محاولته للانقلاب على الشرعية منعته من الاحتفاظ بمذكراته بمعرفته.

هنا نصل إلى الرجل الثانى فى الجيش المصرى بعد المشير عامر، السيد/شمس بدران وزير الحربية أثناء حرب ١٩٦٧، وأقرب الناس للمشير الراحل، والذى تم اتهامه وإدانته لاشتراكه فى محاولة المشير عامر عقب نكسة ١٩٦٧.

فى أثناء قراءاتى لكتاب (عمر فى العاصفة..سيرة ذاتية) للكاتب الأستاذ أحمد عباس صالح، وجدت المعلومات التالية عن علاقة كاتب السيرة برجال المشير عامر، ولقاءاته مع السيد/شمس بدران فى لندن فى منتصف السبعينيات من القرن الماضى.

يقول الأستاذ أحمد عباس صالح أنه كان صديقا للضابط محمد أبو نار - أحد أقرب الضباط للمشير عامر- والذى كان أخوه أحمد أبو نار مديرا لمكتب المشير، مما أتاح لكاتب السيرة أن يطلع على بعض خفايا العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر عن طريقهما.

وفى الفصل رقم ١٧ من السيرة الذاتية وعنوانه(كتبت استقالة المشير عبد الحكيم عامر)، يقول كاتب السيرة أن الضابط محمد أبو نار طلب منه عام ١٩٦٢ أن يكتب استقالة المشير عبد الحكيم عامر الشهيرة، وأنه كتبها بالفعل وفوجئ بأنها طبعت ووزعت على أعضاء البرلمان وأعضاء مجلس قيادة الثورة وضباط الجيش.

ولكن ما يتعلق بموضوعنا ليس أمر كتابة استقالة المشير الشهيرة، بل ما جاء فى الفصل رقم ٤٠ من السيرة الذاتية وعنوانه(شمس بدران يتاجر فى الجبنة)؛ يقول صاحب السيرة أنه تعرف على السيد/شمس بدران الذى كان يعيش فى لندن بانجلترا فى منتصف السبعينيات ومازال هناك حتى الآن عن طريق صديقهما المشترك الضابط عبد الحى شعبان،ويضيف الأستاذ أحمد عباس صالح أنه لاحظ أن السيد/شمس بدران يعيش حياة أبعد ما تكون عن الثراء،ويقطن فى شقة متواضعة فى حى "بتنى" الإنجليزى من ضواحى لندن،ولكنه كما يقول الكاتب كان يعيش على أى حال ويمتلك سيارة رينو صغيرة،ويعمل فى التجارة.

لذا يقول صاحب السيرة أنه سعى لدى القيادة العراقية التى كان على علاقة طيبة بها لكى تدعو السيد/شمس بدران إلى العراق، وتساعده فى مشاريعه التجارية، وبالفعل سافر السيد/شمس بدران إلى العراق،وقابل صدام حسين؛ الذى

كان راغبا فى وراثة دور الرئيس عبد الناصر فى العالم العربى، وتصور أن لدى السيد/ شمس بدران كنز من المعلومات عن عهد عبد الناصر، ولكن كما يضيف صاحب السيرة فوجئت القيادة العراقية أن السيد/شمس بدران كان يريد إنشاء مصنع لإنتاج الجبنة فى لندن فقط، ولم يمكث السيد/شمس بدران فى العراق أكثر من أسبوعين، عاد بعدهما إلى لندن، وروى لصاحب السيرة عن بعض مقابلاته مع صدام حسين الذى تعامل معه بغطرسة، ورد عليه شمس بدران بنفس السلوك.

وفى صفحة ٣٠١ من السيرة الذاتية للأستاذ أحمد عباس صالح، يقول أن السيد/ شمس بدران صارحه برغبته فى كتابة مذكراته، وبيعها لصحيفة إنجليزية تقوم بنشرها ثم يتم نشرها بعد ذلك فى جريدة عربية، ويضيف صاحب السيرة أنه أنبهر بالفكرة وفى ذهنه أن ظهور مذكرات لشخصية بالغة الأهمية فى عهد الرئيس عبد الناصر مثل شمس بدران ستحتوى على العديد من الأسرار والمعلومات الكاشفة لتاريخ مصر المعاصر، خاصة وأنه كان يعتقد أن أنصار المشير عامر قد قاموا بتهريب وثائق ذات شأن عن تاريخ وتفاصيل العلاقة بين الرئيس والمشير، وأن شمس بدران بالذات لعمق صلته بالمشير عامر هو الذى يمتلك هذا الملف الخطير من وثائق تلك الحقبة.

يقول صاحب السيرة أنه سأل السيد/شمس بدران عن الوثائق التى يمتلكها ومذكرات المشير عامر التى بحوزته لكى يتم الاستعانة بهما فى كتابة مذكراته، وهنا فوجئ صاحب السيرة أن السيد/شمس بدران يصارحه أنه لا يمتلك أى وثائق ولا توجد مذكرات للمشير عامر معه، ويشير له إلى رأسه، ويقول(المعلومات كلها فى رأسى)، وهنا يعبر صاحب السيرة عن دهشته وخيبة أمله وانعدام حماسه لكتابة مذكرات السيد/شمس بدران بعدما أدرك أنه لا توجد وثائق ولا مذكرات للمشير عبد الحكيم عامر مع شمس بدران.

وفى نهاية الفصل يضيف صاحب السيرة أن مذكرات السيد/شمس بدران لم تظهر للوجود على أى حال حتى الآن.

بعدما عرضت تلك الشهادات التى تثبت فبركة المذكرات المنسوبة للمشير الراحل عبد الحكيم عامر بعد وفاته، ثم شهادة الأستاذ أحمد عباس صالح عن مذكرات السيد/شمس بدران التى لم تصدر حتى الآن.

لم يعد هناك كلام يقال، ومن يرغب فى الإدعاء بوجود مذكرات للمشير الراحل وأوراق بخط يده فليتفضل باطلاع الناس عليها لتعم الفائدة، ولكن إطلاق الادعاءات عن وجود مذكرات للمشير الراحل لن يصمد أمام البحث والتدقيق التاريخي.

مصطفى أمـين..
كم عمر الخديعــة؟!

تناول الأستاذ محمد حسنين هيكل من جديد قضية تجسس الأستاذ مصطفى أمين لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وذلك عبر حلقات برنامجه "تجربة حياة"، والتي تحمل عنوان "الطريق إلي أكتوبر" وتعرض على فضائية الجزيرة.

وعرض الأستاذ هيكل معلومات جديدة عن القضية من كتاب التاريخ الرسمى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذى صدر مؤخرا باسم (ميراث من الدماء.. تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) للصحفى الأمريكى (تيم وينر)، والكتاب يتناول تاريخ الوكالة منذ إنشائها وحتى نهاية عهد الرئيس جورج دبليو بوش.

وقد أورد الكتاب قضية تجسس مصطفى أمين بالتفصيل وما سببته من مشاكل بين وزارة الخارجية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية بسبب ماترتب على كشفها من زيادة فى سوء وتوتر العلاقات المصرية الأمريكية وإحراج للسفير الأمريكى فى القاهرة الذى لم يكن يعلم بتجسس مصطفى أمين لحساب المخابرات المركزية الأمريكية.

وقال الأستاذ هيكل أن أول خيط فى كشف عمالة مصطفى أمين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية جاء من العراق لأن (بروس تايلور أوديل) مندوب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى القاهرة والذى كان يتلقى المعلومات من مصطفى أمين أسبوعيا جاء إلى مصر مطرودا من العراق بعد نجاح انقلاب حزب البعث عام ١٩٦٣ على نظام حكم "عبد الكريم قاسم".

وكشف هيكل عن وجود دور أمريكى فى ترتيب هذا الانقلاب البعثى حيث كان هناك جناح من حزب البعث ينسق أعماله مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عبر مندوبها فى العراق ضابط المخابرات المركزية الأمريكية "بروس تايلور أوديل" وقد لفت نشاط "بروس تايلور أوديل" أنظار الأجنحة الوطنية فى الأجهزة الأمنية العراقية لذا تم طرده من هناك وعلى إثر ذلك قررت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية نقل نشاطه إلى القاهرة وعندما علم وزير الداخلية العراقى " حازم جواد " بذلك قام بإبلاغ الأجهزة الأمنية المصرية بحقيقة "بروس تايلور أوديل " وطبيعة نشاطاته، لذا تم وضعه تحت رقابة صارمة من أجهزة الأمن المصرية منذ وصوله للقاهرة، ومن خلال مراقبته تمت ملاحظة لقاءاته الأسبوعية مع مصطفى أمين، وتم إعلام الرئيس عبد الناصر بالأمر فأصدر عبد الناصر قراره بوضع مصطفى أمين تحت المراقبة مما أدى إلى كشف عملية التجسس كلها.

يقول الأستاذ هيكل أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية طلبت من مصطفى أمين تسجيل مكالماته مع الرئيس عبد الناصر ليقوم خبراؤها بتحليل صوت الرئيس لمعرفة حالته النفسية كما طلبت منه توجيه أسئلة معينة للرئيس عبد الناصر لكى يتم تحليل إجابات عبد الناصر ومعرفة حقيقة نواياه وطريقة تفكيره.

كما كان مصطفى أمين يسأل أطباء الرئيس عبد الناصر باستمرار عن حالة الرئيس الصحية ليقوم بتبليغها لضابط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

كل هذه التفاصيل الجديدة عن قضية مصطفى أمين لم ترد من قبل فى كتاب الأستاذ هيكل الوثائقى (بين الصحافة والسياسة) الذى أورد فيه تفاصيل خطيرة عن قضية تجسس مصطفى أمين لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مدعمة بالوثائق التى تثبت فعل الخيانة على مصطفى أمين وتثير الشكوك حول شقيقه على أمين أيضاً ،

وقد تحدى الأستاذ هيكل مصطفى أمين أن يكذب ما ورد فى الكتاب من وثائق وأدلة تدينه وأن ينفى عمالته للأمريكيين وذكر الأستاذ هيكل فى كتابه أن دار أخبار اليوم تم إنشاؤها بأموال المخابرات المركزية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية عندما أيقنت الولايات المتحدة بخروجها منتصرة من الحرب فبدأت إنشاء سلسلة من دور النشر الصحفية التى هدفها الترويج لسياسة الولايات المتحدة ونمطها فى الحياة والدفاع عن التوجهات والمصالح الأمريكية.

ونشر الأستاذ هيكل فى الكتاب مقالات الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين فى تمجيد الملك فاروق والهجوم على حزب الوفد كما نشر مقالاتهما فى تمجيد الرئيس عبد الناصر قبيل القبض على الأستاذ مصطفى أمين بأيام معدودة.

نشر الأستاذ هيكل وثيقة من ٦٠ صفحة بخط يد الأستاذ مصطفى أمين وبأسلوبه المعروف فى الكتابة تتضمن الوثيقة رسالة منه للرئيس عبد الناصر يعترف فيها بعمالته للأمريكان ويطلب فيها العفو من الرئيس عبد الناصر.

فند الأستاذ هيكل إدعاءات مصطفى أمين بتعذيبه فى السجن مستعينا بشهادة محامى الأستاذ مصطفى أمين فى قضية التجسس والذى أنكر وقوع أى تعذيب على مصطفى أمين.

استعان الأستاذ هيكل بشهادات أصدقاء مقربين من مصطفى أمين مثل الصحفى اللبنانى سعيد فريحة ورئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب اللذان أكدا كلام هيكل عن عدم تعرض مصطفى أمين للتعذيب فى سجنه.

أتهم هيكل الأستاذ مصطفى أمين انه كان يقوم بتهريب الأموال للخارج عبر أصدقائه فى المخابرات الأمريكية، كما أتهم توأمه على أمين بالعمالة للمخابرات البريطانية والسعودية وان السعوديين كان يصرفون عليه أثناء حياته بأوروبا. وأتهم الأستاذ هيكل الأستاذ مصطفى أمين انه يجيد فبركة الأكاذيب ويصدقها ويزيد عليها وانه رجل لكل العصور.

كما ذكر الأستاذ هيكل فى كتابه (بين الصحافة والسياسة) أن قضية الأستاذ مصطفى أمين هى القضية رقم واحد فى سجلات المخابرات العامة المصرية وأن وثائقها وتفاصيلها فى متحف المخابرات العامة المصرية.

وقال هيكل إن الإفراج عن مصطفى أمين جاء ضمن صفقة لإرضاء الأمريكيين والسعوديين وانه أفرج عنه مع مجموعة من عملاء أمريكا وإسرائيل وبطلب من كيسنجر والأمير سلطان بن عبد العزيز.

وتساءل الأستاذ هيكل لماذا تأخر السادات فى الإفراج عن مصطفى أمين كل تلك المدة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤ لو كان يعتبره بريئا؟ ولماذا أفرج السادات عن مصطفى أمين إفراج صحى إذا كان واثقا من براءته؟ ولماذا لم يرفع الأستاذ مصطفى أمين قضية يطلب فيها إعادة محاكمته لتبرئة ساحته وتنظيف سمعته من تهمة العمالة والتجسس للأمريكان؟

كما نشر الأستاذ هيكل وثيقة شديدة الخطورة عن على أمين هى الوثيقة رقم ٢٨ بملحق وثائق كتاب (بين الصحافة والسياسة) وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة بخط الوزير سامى شرف مرفوعة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٠.

وهى ترصد مجموعة من التحركات التى تتم ضد مصر على الصعيدين الداخلى والخارجى وقد قام الأستاذ هيكل بالشطب على كلام الوزير سامى شرف الذى يرصد هذه التحركات لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى وقت صدور الكتاب.

ولكن ما يتعلق بموضوعنا هو تأشيرة بخط يد الرئيس عبدالناصر على الطرف الأيسر أعلى الصفحة كتب فيها: (لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له أن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠).

لقد كان على أمين هاربا من مصر بعد اتهام أخيه مصطفى أمين بالتجسس على مصر لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت الشبهات تحيط بعلى أمين أيضا لذا فضل أن يظل خارج مصر ولكن كيف علم على أمين أن الوضع فى مصر سينتهى آخر ١٩٧٠؟

لقد توفى الرئيس/ جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ أى قرب نهاية العام ٧٠ وبوفاته انقلبت كل الأوضاع فى مصر وفى الوطن العربى. فكيف علم على أمين بوفاة الرئيس "جمال عبد الناصر" قبل الوفاة بثلاثة أشهر؟!! ومن هو المصرى الذى قال له على أمين أن الوضع فى مصر سينتهى أخر سنة ٧٠؟ ولماذا كتب الرئيس "جمال عبد الناصر "تلك التأشيرة بالذات؟ ولماذا تذكر على أمين بالتحديد؟!

وإذا ربطنا بين هذه الوثيقة واهتمام مصطفى أمين بمعرفة الحالة الصحية للرئيس عبد الناصر وإبلاغه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بها، فهل يكون للوكالة دور فى وفاة الرئيس عبد الناصر خاصة أن كتاب (ميراث من الدماء.. تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) الذى يروى قضية عمالة مصطفى أمين يتعرض لمحاولات الوكالة المستمرة لقتل جمال عبد الناصر والإطاحة بنظام حكمه.

فى عام ١٩٩٠ أصدر الأستاذ هيكل كتابه (الانفجار ١٩٦٧) عن وقائع حرب ١٩٦٧ وفيه أعاد اتهام الأستاذ مصطفى أمين بالتجسس لحساب الأمريكان ونقل محضر لقاء بين الرئيس عبد الناصر والزعيم الباكستانى ذو الفقار على بوتو، يدين فيه الرئيس عبد الناصر الأستاذ مصطفى أمين وينقل لذو الفقار على بوتو وقائع قضيته كدليل على تأمر الأمريكان ضد مصر وسعيهم المستمر للتخلص من نظام حكمه.

وقبل ذلك فى منتصف السبعينيات أصدر مدير المخابرات العامة المصرية الأسبق (صلاح نصر) كتابا عن قضية مصطفى أمين بعنوان (عملاء الخيانة وحديث الإفك (روى فيه بالتفصيل وقائع قضية تجسس مصطفى أمين كما فند كتاب (سنة أولى سجن) الذى حشاه مصطفى أمين بوقائع عن تعذيبه وتعذيب غيره فى السجن، وأثبت صلاح نصر أن مصطفى أمين نقل ما أورده فى كتابه من وقائع تعذيب من كتاب (غسيل المخ) للكاتب الأمريكى ادوارد هنتر طبعة نيويورك عام ١٩٦٦.

كما ذكر صلاح نصر أن جهاز مكافحة التجسس فى العهد الملكى كان يحتفظ بملف خاص بمصطفى أمين حول علاقاته المشبوهة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وخصص صلاح نصر فصلا كاملا فى الكتاب اسماه (المهرب) عن تهريب مصطفى أمين لأوراق هامة وأموال خارج مصر بمعرفة وكالة المخابرات المركزية

الأمريكية، كما نشر صلاح نصر فى كتابه صور القبض على مصطفى أمين متلبسا مع ضابط المخابرات المركزية الأمريكية (بروس تايلور أوديل).

كما حكى عن محاولات مصطفى أمين الدائمة معه فى منتصف السبعينيات من أجل أن يبرئه من تهمة الخيانة ويتهم الرئيس عبد الناصر بإجباره على تلفيق التهمة لمصطفى أمين ورفض صلاح نصر لكل الضغوط التى مورست عليه لإجباره على ذلك.

لم يرد الأستاذ مصطفى أمين حتى وفاته على الأستاذ هيكل والسيد صلاح نصر وإنما أنشغل بصياغة مجموعة من الكتب على شاكلة مذكرات اعتماد خورشيد ومذكرات برلنتى عبد الحميد، كما قاد قطيع من الصحفيين لتشويه ثورة ٢٣ يوليو وقائدها جمال عبد الناصر متهمين الرئيس عبد الناصر بأبشع التهم ومجللين عهده بالسواد، وبعد وفاة الأستاذ مصطفى أمين مازال أفراد هذا القطيع يواصلون دوره ومهمته فى الهجوم على عبد الناصر وعهده والتباكى على براءة مصطفى أمين.

دائما كان هذا السؤال يحيرنى:

لماذا لم يرد الأستاذ مصطفى أمين على كتب ووثائق الأستاذ محمد حسنين هيكل والسيد صلاح نصر ويبرئ ساحته وينظف سمعته من تهمة خيانة وطنه وهى أبشع تهمة قد يتهم بها إنسان؟

والآن انتهت حيرتى لأنى عرفت الإجابة من كتاب التاريخ الرسمى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذى صدر مؤخرا باسم (ميراث من الدماء.. تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) للصحفى الأمريكى (تيم وينر).

عبد الناصر
بين حرب اليمن وحرب ١٩٦٧

لم يحظ قرار من قرارات الرئيس عبد الناصر بانتقادات واسعة وهجوم شرس مثل قرار مساندته لثورة اليمن التى اندلعت فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، فقد تم اتهام عبد الناصر أنه بدد احتياطى مصر من الذهب هناك.

وخرب الاقتصاد المصرى، وضحى بأرواح عشرات الألوف من الشباب المصرى على سفوح جبال اليمن، وأن وجود جزء من الجيش المصرى فى اليمن (٥٠ ألف مقاتل) كان هو السبب الرئيسى فى كارثة يونيو ١٩٦٧.

وهكذا أصبحت مساندة مصر لثورة اليمن هى سبب كل النكبات والمشاكل، وفى ظل مناخ اعلامى معادى للثورة وقائدها راج هذا الكلام وشاع وأصبح من المسلمات، ولكن بكثير من التدقيق ومحاولة قراءة ما وراء السطور سنكتشف معا زيف كل تلك الأقاويل، بل سنكتشف أن ترويجها له هدف أخر هو تشويه ذلك القرار الجسور وجعل تكراره من المحرمات وإصابة الشعب المصرى بعقدة ذنب وعاهة نفسية من مجرد ذكر تاريخ مصر فى اليمن فى عهد جمال عبد الناصر.

ولنبدأ معا تفنيد تلك الأكاذيب:

- بخصوص تبديد احتياطى الذهب المصرى فهذا لم يحدث بالمرة بل كان الذهب الذى تم توزيعه على قبائل اليمن من أموال الملك المخلوع سعود بن عبد العزيز الذى خلعه أخاه الملك فيصل بن عبد العزيز عن العرش عام ١٩٦٤ ، وعاش لاجئا فى مصر وكان يريد استرداد عرشه عبر محاربة أخيه فى اليمن، وكان هو الذى أقترح على الرئيس عبد الناصر فكرة رشوة رؤساء القبائل اليمنية بالذهب، وحول جزء من أمواله لعملات ذهبية وسافر بنفسه مع وفد مصرى لليمن لمقابلة زعماء القبائل هناك، ولمن يريد الاستزادة عن خرافة تبديد احتياطى مصر من الذهب أن يعود إلى دراسة المرحوم الدكتور على نجم رئيس البنك المركزى المصرى السابق والتى فند فيها بالأدلة والوثائق تلك الخرافة.

- بخصوص تخريب الاقتصاد المصرى بسبب اشتراك مصر فى حرب اليمن فى الفترة من ١٩٦٢- ١٩٦٧ ، فالأرقام تخبرنا بالتالى:
حققت مصر نسبة نمو من عام ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ بلغت ما يقرب من ٧ ٪ سنويا ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم [٨٧٠ ـ أ] عن مصر الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٦.

وهذا يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على

عصر عبد الناصر. كانت تلك نتيجةً لا مثيل لها فى العالم النامى كله حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها فى العالم المتقدم باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية، فمثلا ايطاليا وهى دولة صناعية متقدمة ومن الدول الصناعية الكبرى حققت نسبة نمو عن تقدر بـ ٤,٥ ٪ فقط فى نفس الفترة الزمنية.

كما استطاعت مصر تنفيذ أنجح خطة خمسية فى تاريخها من ١٩٦٠-١٩٦٥، وبدأت الخطة الخمسية الثانية من ١٩٦٥- ١٩٧٠، بل أنه وبرغم هزيمة ١٩٦٧ حافظت مصر على نسبة النمو الإقتصادى قبل النكسة، وزادت هذه النسبة فى عامى ١٩٦٩ و١٩٧٠ وبلغت ٨ ٪ سنويا. وأستطاع الاقتصاد المصرى عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى لأول وأخر مرة فى تاريخ مصر بفائض قدره ٤٦,٩ مليون جنية بأسعار ذلك الزمان.

وفى نفس الفترة الزمنية عقد الستينيات من القرن الماضى كانت مصر تبنى السد العالى أعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين باختيار الأمم المتحدة والذى يعادل فى بناؤه ١٧ هرم من طراز هرم خوفو.

وتبنى القطاع العام الذى بلغ ثمنه بتقديرات البنك الدولى ١٤٠٠ مليار دولار، كما كان لدى مصر أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت فى عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

وهكذا يتضح لنا أن مساندة مصر لثورة اليمن ومساعدتها للشعب اليمنى فى التحرر من العبودية لم تدمر اقتصادها.

- وبخصوص استشهاد عشرات الألوف من الشباب المصرى بسبب حرب اليمن، يقول الفريق/محمد فوزى فى كتابه(حرب الثلاث سنوات) أن عدد شهداء مصر فى اليمن بلغ خمسة ألاف شهيد ضحوا بأرواحهم من أجل تحرير إخوانهم فى الدين والعروبة، وأن الضباط والجنود كانوا يتسابقون على طلب الاشتراك فى حرب اليمن بسبب ما يعود عليهم من امتيازات.

وهكذا فأن الرجل الذى كان رئيسا للأركان فى الجيش المصرى خلال تلك الحرب، ثم وزيرا للحربية بعد نكسة ١٩٦٧ يثبت لنا بالأرقام أن عدد شهداء مصر فى اليمن ليس عشرات الألوف كما أشيع بل هو خمسة ألاف شهيد، ويكفينا أن نعلم أنه بدون حروب، وفى الفترة من عام ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٠٩، توفى

١٨٠ ألف مصرى فى حوادث الطرق بمعدل ٦٠٠٠ قتيل سنويا ، بينما فى حرب اليمن استشهد ٥٠٠٠ مصرى فى خمس سنوات من القتال.

وهكذا فأنه من الأولى للباكى على شهداء مصر فى اليمن خلال حرب طاحنة أن يبكى على قتلى مصر فى حوادث الطرق برقمهم المهول ١٨٠ ألف قتيل،وهو رقم يزيد عن ٤ أضعاف شهداء مصر فى حروبها الخمسة ضد إسرائيل والذى أحصى الصليب الأحمر عددهم، وقدره ب٤٠ ألف شهيد.

تبقى نقطة أن وجود الجيش المصرى فى اليمن كان هو السبب الرئيسى فى كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧.

وهنا يختلف السياق فلم يكن وجود جزء من الجيش المصرى فى اليمن هو سبب الهزيمة على أساس أن الجيش الذى كان فى مصر لم يكن مكتملا ، يكفى أن نعلم أن القوة الضاربة المصرية كلها كانت فى مصر متمثلة فى القوات الجوية والمدرعات،وقوات الدفاع الجوى، كانت كل القوات اللازمة للخطة "قاهر" علاوة على أربع لواءات مستقلة وأربع فرق مشاة ، وفرقة مدرعة وثلاث لواءات مدرعة مستقلة مع وحدات سلاح المدفعية والهاون وسلاح المهندسين فى مصر. لم تكن حرب اليمن هى سبب الهزيمة بل كان فشل قيادة القوات المسلحة هو السبب الرئيسى فى الهزيمة ، كان الإهمال والتراخى والثقة الزائدة بالنفس غير المبررة، وسيطرة المشير عامر على الجيش هو وشلته وعزل الرئيس عبد الناصر عن حقيقة أوضاع الجيش المصرى، وبالطبع التآمر الدولى كان له دورا كبير أيضا فى الهزيمة.

إذن لماذا يوجد هذا الربط الدائم بين وجود جزء من الجيش المصرى فى اليمن فى الفترة من ١٩٦٢- ١٩٦٧ وبين كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧؟ هنا لابد من مراجعة الدور السعودى فى حرب اليمن وفى التحريض على حرب ١٩٦٧ وهذا الدور يأتى فى إطار الرؤية الغربية العامة بأن عبد الناصر تعدى كل الخطوط الحمراء بمساندته لثورة اليمن ماديا وعسكريا ، وأصبح من اللازم تحطيم نظامه والإطاحة به بعدما تجرأ على إرسال جيشه إلى منابع كنز الحضارة الغربية ومحركها الرئيسى (البترول)، ومناداته الدائمة (أن بترول العرب للعرب، ويجب أن يتم استخدامه كسلاح لتحقيق المصالح العربية)، هذا بالإضافة لأسباب أخرى مثل عدائه لإسرائيل ورفضه الصلح معها ، ومحاربته لقوى الاستعمار القديم والجديد ، وبناءه لنموذج تنموى اقتصادى واجتماعى خارج منظومة الاحتكارات الرأسمالية الغربية، وسعيه للتصنيع، وإنتاج الأسلحة والصواريخ،ومشروع مصر النووى، كل تلك الأسباب مجتمعة مع تأييده لحرب اليمن شكلت السبب الرئيسى لضربة يونيو ١٩٦٧.

فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ تندلع ثورة الضباط الأحرار اليمنيين اليمن ضد نظام أسرة حميد الدين الاستبدادى المتخلف.

ورغم النزاعات الدموية التاريخية والخلافات الحدودية بين أسرة حميد الدين فى اليمن والأسرة الحاكمة السعودية كانت السعودية الخائفة من انتقال الثورة إليها هى التى بدأت التدخل فى ثورة اليمن بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فقد وقفت السعودية بضراوة ضد الثورة اليمنية وعملت على إجهاضها وتبنت الأمير البدر باعتباره إمام اليمن كما قامت بتمويل القبائل اليمنية بالكميات اللازمة من السلاح والذهب وبالفعل يسقط العقيد على عبد المغنى أحد أهم قادة الثورة اليمنية وهو يدافع عن مدينة صعده اليمنية ضد هجوم قبلى سعودى يمنى، وتتحالف السعودية مع بريطانيا التى كانت تحتل جنوب اليمن ويقابل الأمير فيصل بن عبد العزيز (ولى العهد والحاكم الفعلى للسعودية) السير دوغلاس رايت رئيس جهاز المخابرات البريطانى الذى يقول للأمير (إن نجاح الكولونيل ناصر فى الحصول على موطئ قدم لمشروعاته الانقلابية فى الجزيرة العربية، وهى أهم مصادر البترول واحتياطاته فى العالم، هو نذير شؤم يجب أن تتعاون الأطراف كلها، ممن لهم مصلحة فى ذلك على مقاومته ودحض).

وبالفعل يبدأ تعاون سعودى أردنى رغم الحساسيات السعودية الهاشمية بالاشتراك مع بريطانيا التى أقلقها ما اعتبرته مشروعات ناصر المستمرة لطردها من أخر معاقلها شرق السويس، وتكاد الثورة تجهض لولا طلبها المساعدة من القاهرة، فيطلب الثوار اليمنيون من الرئيس عبد الناصر حماية جمهوريتهم الوليدة حتى لا يسقط اليمن مرة أخرى تحت الحكم الامامى المتخلف، وبالفعل يدعم الرئيس عبد الناصر الثورة اليمنية عسكريا بقوات مسلحة مصرية فى عملية كبرى كان أسمها الكودى (العملية ٩٠٠٠) كما تولت مصر مهمة إدخال الحضارة إلى اليمن بإنشاء جهاز للدولة لأول مرة فى تاريخ اليمن، وتأسيس المستشفيات والمدارس والطرق والموانئ والمطارات من أجل نقل اليمن إلى القرن العشرين، أدت هذه التطورات إلى اشتعال الثورة فى عدن واليمن الجنوبى وقد دعمتها مصر بكل ثقلها فى عملية كان أسمها الكودى (صلاح الدين).

ينجح عبد الناصر فى الحصول على اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الثورة فى اليمن فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ مقابل أن يتم سحب كل القوات المساندة للثورة والمساندة للإمام من اليمن، كما تقدم الحكومة الأمريكية معونات للحكومة الجديدة فى اليمن.

رفضت السعودية هذا الاتفاق وواصلت دعمها للقبائل الموالية لحكم الإمام،

ويتعرض الرئيس كنيدى لضغوط شديدة متعددة من شركات البترول والبنوك الأمريكية إلى جانب الحكومة البريطانية بسبب اعترافه بالنظام الجديد فى اليمن لخطورة ذلك على أوضاع النظام الحاكم فى السعودية، ومصالح الغرب فى البترول العربى، وبالفعل يتم وضع خطة سميت (السطح الصلب) تتعهد فيها الولايات المتحدة بضمان أمن وسلامة النظام السعودى والأراضى السعودية، وبالأموال السعودية ومع مساندة بريطانية ومن شركات البترول الأمريكية تم تشكيل تحالف دولى لتجنيد مرتزقة من كل أنحاء العالم وشراء أسلحة للقتال فى اليمن ضد القوات المصرية التى تدافع عن الثورة كما دخلت المخابرات الأمريكية بثقلها إلى ساحة المعركة المحتدمة فى اليمن وأصبحت الحدود السعودية اليمنية مناطق حشد لنقل السلاح والذخيرة والمقاتلين المرتزقة إلى اليمن وتحولت الحرب إلى عملية استنزاف طويلة بين الجانبين المتصارعين.

كما أنشأت السعودية للملكيين محطة إذاعية للتنديد بالنظام الثورى الجديد، كما وفرت الحماية والغطاء اللازم للأمير البدر ليقود الملكيين مدعوما بجيوش من المرتزقة بتخطيط أمريكى بريطانى، وبهذا عمت الثورة أنحاء اليمن شمالا وجنوبا وهددت معاقل الرجعية العربية ومنابع البترول شريان الحياة للحضارة الغربية.

فى كتاب المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – الجزء الثانى – للأستاذ محمد حسنين هيكل، نجد الوثيقة التالية:

سجل السفير الأمريكى فى جدة (باركر هارت) فى برقية إلى وزارة الخارجية الأمريكية (وثيقة رقم ٤٣/٣٦٦٥١ بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٤) محضر مقابلة جرت بينه وبين الملك (فيصل بن عبد العزيز)

يقول السفير الأمريكى:

اتصل بى البروتوكول صباح أمس لإبلاغى أننى مطلوب فى الطائف فى الساعة ٤:١٥ ولم يعطنى البروتوكول أى إيضاحات فيما عدا أن هناك طائرة سوف تحملنى إلى الطائف بعد الظهر استقبلنى الملك فيصل فى قصر الشبرة فى الساعة التاسعة مساء فى حضور السقاف وفرعون، وقال الملك إن هناك شيئا حدث وهو يريد إخطارى به بنفسه كصديق شخصى لى وكممثل لبلد صديق له ولأسرته، ثم قال الملك إنه خلال يومين سابقين (يومى ١٣ و١٤ أغسطس) قامت ثلاث طائرات مصرية بإختراق المجال الجوى السعودى جنوب شرق جيزان فوق مناطق قبائل الحارث وأبو عريش، وإن هذه الطائرات قامت بعدة دورات على ارتفاعات منخفضة فى

محاولة ظاهرة للاستفزاز، كما أن لديه معلومات من داخل اليمن تؤكد أن هناك قوات مصرية تتحرك صوب الحدود السعودية، وقد حاولت أن أسأل الملك بإلحاح عن تفاصيل أكثر بشأن هذه المعلومات، ولم يكن لديه شئ لا عن حجم هذه القوات ولا عن تسليحها ولا عن مواقعها، وقد قال الملك إن هذه التطورات تثير فى ذاكرته ما سبق أن سمعه عن مؤامرة بين مصر والعراق والأردن (!) لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالى : حسين يأخذ الحجاز، والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية، واليمن تأخذ الجنوب، وباقى المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر قال لى الملك أيضا إن ناصر أوحى إلى صديقه الصحفى هيكل بأن ينشر خطة عن منظمة عربية للبترول، ثم أضاف إن السعودية محاصرة، وقد لا تكون السعودية دولة كبيرة أو قوية، ولكنها دولة تريد أن تحتفظ بأراضيها وشرفها، وإذا كان ناصر كما هو واضح يريد أن يضع يده على المملكة متصورا أن (فيصل) سوف يقف ساكتا فى انتظار أن يخنق، فهو مخطئ فى ذلك، وأشار الملك إلى أنه سوف يقاوم عسكريا، وهو قد أتخذ عدة قرارات يريد أن يبلغنى بها الآن:

١- قرر أن يدخل أسلحة إلى المنطقة المنزوعة السلاح على حدود اليمن وقد أصدر أمرا فعلا بذلك.

٢- إنه أعطى أوامر بالفعل إلى قواته أيضا بأن تحتشد على حدود اليمن لتكون فى وضع يسمح لها بأن تدافع عن السعودية.

٣- وهو الآن لا يعتبر نفسه مرتبطا باتفاق فصل القوات فى اليمن، وسوف يساند الملكيين بأى طريقة يراها مناسبة.

إننى أبديت دهشتى للملك، كما أبديت له استغرابى لكل ما قاله عن الاتفاق الثلاثى بين مصر والعراق والأردن، ثم أطلعنى الملك على تقرير مخابرات سعودى يحوى معلومات عن أن ضباطا من الجيش المصرى رتبوا عملية لقتل ناصر يوم ٢٦ يوليو، وأضاف الملك (أن ناصر مريض جداً)، ثم أمر بإخلاء القاعة من كل الحاضرين عداه وعداى، وانتهزت الفرصة ورجوت الملك ألا يبعث بقوات إلى حدود اليمن، وأن يحتفظ بما يشاء من قوات فى أوضاع تأهب فى أى مكان يراه بعيدا عن الحدود، فتدخل الملك بحدة قائلا (أخرجوا القوات المصرية من اليمن وسوف ينهار هذا النظام الذى يدعون بمساعدته فى شهر أو اثنين على أكثر تقدير، ثم استجمع الملك حيويته ليقول لى (إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى)، وكان يعنى (ناصر) ثم قال لماذا تصبرون عليه؟ ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يوميا، مرة بسبب فيتنام، ومرة بسبب كوبا، ومرة بسبب الكونجو؟ ما الذى يخصه فى الكونجو؟ إن مقترحاته بشأن

نزع السلاح فى جنيف جاءته مباشرة من فى شكل تعليمات من موسكو، وأبديت تحفظى ولكن الملك كان لا يزال يصر على أن (ناصر) يعادينا ويخدعنا، وإننا مازلنا نحاول استرضاؤه، وذكرته أننا عطلنا توريد القمح إلى مصر طبقا للقانون ٤٨٠ عقابا لناصر على سياسته، وعقب الملك أوقفوا عنه الطعام تماما وسوف ترون ما يحدث.

يقول الأستاذ هيكل ان هذه المقابلة كانت غريبة وفاقدة للمصداقية ليس فقط بسبب طلب الملك فيصل (تجويع المصريين)، ولكن لأن الأردن كان حليفا للسعودية فى حرب اليمن، ويضيف ان إسرائيل أيضا كانت تشجع التحالف المساند للملكيين فى اليمن ولعبت دورا فى العمليات العسكرية أطلق عليه الاسم الكودى (مانجو)،فعندما اشتدت حاجة قوات المرتزقة فى اليمن إلى مؤن وذخائر تلقى على مواقعهم من الطائرات بالباراشوت ورفض الطيارون الأردنيون والسعوديون القيام بذلك وتوجهوا بطائراتهم إلى مصر أكثر من مرة طالبين اللجوء السياسى، وهنا قررت جبهة دعم الملكيين فى اليمن بزعامة السعودية الاستعانة بإسرائيل، وبالفعل قام الطيران الإسرائيلى بهذا الدور.

وفى شتاء عام ١٩٦٤ يعقد حلف شمال الأطلنطى اجتماعا لمناقشة ورقة العمل التركية التى أعدها وزير الخارجية التركى وتحمل عنوان (تصفية عبد الناصر).

ومحضر هذه الجلسة الذى يناقش ورقة العمل التركية يتحدث عن الدور المشاكس والمضاد لمصالح الغرب الذى تلعبه مصر بزعامة جمال عبد الناصر عبر العديد من المشكلات التى تسبب فيها عبد الناصر من:

- إفشال فكرة الأحلاف العسكرية.
- شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية.
- تأميم القناة.
- تمصير وتأميم المصالح الأجنبية فى مصر.
- الوحدة مع سوريا.

ثم ثورة اليمن وهى الطامة الكبرى بالنسبة لمصالح الغرب.. فوجود الجيش المصرى فى اليمن لمساندة الثوار أدى إلى نشوء وضع خطير هو تحكم مصر فى طريق المواصلات بالبحر الأحمر من الشمال عبر قناة السويس، ومن الجنوب عبر مضيق باب المندب.

كما أن هذا الوجود يهدد بزوال العرش الملكى السعودى الذى يحارب الثورة

اليمنية وهو العرش الموالى للغرب والذى يضمن تدفق البترول إلى الغرب بكل يسر.

وتعرض الوثيقة إلى الأطراف العربية التى تعادى طموحات جمال عبد الناصر وسياساته وتحددها فى المملكة العربية السعودية الأردن ليبيا تحت حكم الملك السنوسى.

كما تلفت النظر لسوء العلاقات المصرية السورية والمصرية العراقية كما تتحدث عن النفوذ المصرى فى إفريقيا المعادى لمصالح الغرب وتدعو لدراسة الاقتراح بتوجيه ضربة عسكرية موجعة إلى عبد الناصر كما تطالب بتحويل اليمن إلى مستنقع يغوص فيه الجيش المصرى مما يساعد على إنجاح الضربة العسكرية الموجهة إلى مصر مع التنبيه على أنه إذا استمر الوضع الحالى فى اليمن فإن العرش السعودى مهدد بالزوال عام١٩٧٠.

وبرصد المخابرات المصرية لتطور الأوضاع فى ساحة الحرب اليمنية ومدى تشابك المصالح والقوى الدولية التى تلعب على وتر إطالة الحرب فى اليمن من أجل استنزاف القوات المصرية هناك واستنزاف الأموال السعودية، قرر الرئيس عبد الناصر أن يزور السعودية فى أغسطس ١٩٦٥ لأداء العمرة ومقابلة الملك فيصل للوصول إلى حل فى اليمن وفى ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ وصل الرئيس عبد الناصر إلى جدة وحاول إقناع الملك إن مصر لا تريد قلب النظام فى السعودية ولا تهدف لفرض سياستها على السعودية، كما قدم له وثائق عن تجنيد المرتزقة وتجارة السلاح وتجار الحروب الذين وجدوا فى حرب اليمن سوق لكسب الأموال وإهدار القوة العربية، وتوصل الزعيمان يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ إلى ما عرف بعد ذلك باسم اتفاقية جدة التى قررت أن يتم عمل استفتاء للشعب اليمنى يقرر فيه نظام الحكم الذى يرتضيه فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ وتعتبر الفترة الباقية حتى موعد الاستفتاء فترة انتقالية للإعداد له، لم يتم تنفيذ بنود الاتفاقية بسبب تراجع الملك فيصل عن الالتزام بها، ويصرح الرئيس عبد الناصر (بأنه لا فائدة ترجى من اللقاء مع الرجعيين، بعد كل ما رآه وسمعه فى السياسات السلمية السابقة التى مارسها إزاءهم فى اللقاءات والمؤتمرات)، وفى ٢١ يونيو ١٩٦٦ وصل الملك فيصل فى زيارة إلى الولايات المتحدة وسبقته مجموعة المقدمة السعودية التى أوضحت للمسئولين الأمريكيين ان المشكلة بالنسبة للسعودية ليست إسرائيل، وأن الخطر الحقيقى هو حركة القومية العربية كما تمثلها القاهرة، وأن السعودية ماضية فى تنفيذ فكرة المؤتمر الإسلامى كبديل للجامعة العربية، خلال الزيارة التقى الملك فيصل بالرئيس الأمريكى جونسون لمدة نصف ساعة فى اجتماع منفرد لم يحضره معهما إلا مترجم من المخابرات الأمريكية وليس وزارة الخارجية كما جرت العادة، وقد أذيع تصريح

بعد الاجتماع المنفرد جاء فيه (إن تدهور الأوضاع فى اليمن بعد تعثر اتفاق جده وفشله قد جرى بحثه بين الرئيس والملك، وأن الرئيس قدم للملك تعهد الولايات المتحدة بأن السعودية تستطيع الاعتماد على صداقة أمريكا مهما كانت تطورات الأمور فى اليمن).

فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب حمدان حمدان الطبعة الأولى ١٩٩٥ الصادر عن دار بيسان فى الصفحات من ٤٨٩ ـ ٤٩١، نجد تلك (الرسالة/الوثيقة) والتى أرسلها الملك فيصل بن عبد العزيز إلى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون (وهى وثيقة حملت تاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦ الموافق ١٥ رمضان ١٣٨٦، كما حملت رقم ٣٤٢ من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودى) وفيها يقول الملك العربى ما يلى:

من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكريا وإعلاميا، فلن يأتى عام ١٩٧٠- كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت- وعرشنا ومصالحنا فى الوجود، لذلك فأننى أبارك، ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا، أن اقترحوه، لأتقدم بالاقتراحات التالية:

- أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة، ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لاتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام.

- سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع اقتطاع جزء من أراضيها، كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر.

- لا بد أيضا من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة، كيلا يبقى للفلسطينيين أي مجال للتحرك، وحتى لا تستغلهم أية دولة عربية بحجة تحرير فلسطين، وحينها ينقطع أمل الخارجين منهم بالعودة، كما يسهل توطين الباقى فى الدول العربية.

- نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق، بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية

شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل، علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (١٩٦٥) بإمداد البرازانى بالمال والسلاح من داخل العراق، أو عن طريق تركيا وإيران.

يا فخامة الرئيس: إنكم ونحن متضامين جميعا سنضمن لمصالحنا المشتركة ولمصيرنا المعلق، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها، دوام البقاء أو عدمه ، أخيراً أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة، وللولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو وارتباط أوثق وازدهار.

المخلص: فيصل بن عبد العزيز

(ملك المملكة العربية السعودية)

من قراءة تلك الوثيقة يمكننا ملاحظة التالي:

الخطة التى يقترحها الملك السعودى للعمل ضد الدول العربية تكاد تكون هى خطة الحرب الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧، زوال العرش السعودى عام ١٩٧٠ إذا استمرت خطط جمال عبد الناصر واستمرت قواته فى اليمن، والجدير بالملاحظة أن عبد الناصر هُزم عسكريًا عام ١٩٦٧م وتوفى عام ١٩٧٠.

عندما نشرت مقالى عن (غياب عبد الناصر هل كان صدفة؟) فى ديسمبر ٢٠٠٧ ،نشرت تلك الوثيقة ضمن المقال الذى كان يبحث لغز وفاة الرئيس عبد الناصر عام ١٩٧٠، وتم نشر المقال على موقع الفكر القومى العربى، وموقع منتديات الفكر القومى العربى، وعندما قرأ تلك الرسالة/الوثيقة، السيد (سامى شرف) سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات ووزير شئون رئاسة الجمهورية الأسبق قام بكتابة هذا التعليق عليها وهو تعليق منشور فى موقع منتديات الفكر القومى العربى:

(كنت فى زيارة لإحدى البلدان العربية الشقيقة سنة ١٩٩٥ وفى مقابلة تمت مع رئيس هذه الدولة تناقشنا فى الأوضاع فى المنطقة وكيف أنها لا تسير فى الخط السليم بالنسبة للأمن القومى وحماية مصالح هذه الأمة واتفقنا على انه قد حدث ذلك منذ ان سارت القيادة السياسية المصرية بدفع من المملكة النفطية الوهابية والولايات المتحدة الأمريكية على طريق الاستسلام وشطب ثابت المقاومة من أبجديات السياسة فى مجابهة الصراع العربى الصهيونى، ولما وصلنا لهذه النقطة قام الرئيس العربى إلى مكتبه وناولنى وثيقة وقال لى يا أبوهشام أريدك ان تطلع على

هذه الوثيقة وهى أصلية وقد حصلنا عليها من مصدرها الأصلى فى قصر الملك فيصل ولما طلبت منه صورة قال لى يمكنك أن تنسخها فقط الآن على الأقل وقمت بنسخها ولعلم الأخوة أعضاء المنتدى فهى تطابق نص الوثيقة المنشورة فى هذا المكان وقد راجعت النص الموجود لدى بما هو منشور أعلاه فوجدتهما متطابقين، أردت بهذا التعليق أن أؤكد رؤية مفادها ان عدوان ١٩٦٧ كان مؤامرة مدبرة وشارك فيها للأسف بعض القادة العرب وقد يكون هناك ما زال بعد خفيا عنا مما ستكشفه الأيام القادمة).

(انتهى تعليق السيد سامى شرف على الرسالة / الوثيقة).

- فى الوثائق الإسرائيلية الخاصة بحرب يونيو ١٩٦٧ والتى قام بترجمتها ونشرها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه (عام من الأزمات)، أن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى مايو ١٩٦٧ وبعد أن تم تجهيز كل الخطط لضرب مصر، أراد أن يستوثق من احتمالات غضب الشارع العربى على العروش العربية فى حالة شن إسرائيل الحرب على مصر وقد أستقر رأيه بعد التشاور مع مساعديه على التوجه بالسؤال مباشرة إلى ملكين فى المنطقة تعتبر الولايات المتحدة عرشهما مسألة هامة لأمنها القومى، الملك حسين بن طلال فى الأردن، والملك فيصل بن عبد العزيز، وبالفعل قابل روبرت كومار مساعد الرئيس جونسون الملك حسين فى عمان يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧، كما توجه ريتشارد هيلمز مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لمقابلة الملك فيصل بن عبد العزيز فى نفس اليوم فى لندن التى كان الملك فيصل فى زيارة رسمية لها من أجل تخيير الحكومة البريطانية بين حلين:

١- تأجيل تنفيذ سياسة الانسحاب من شرق السويس، واستمرار بقاء القوات البريطانية فى المنطقة لسنة كاملة على الأقل حتى يتمكن الجميع من ترتيب أوضاعهم، وإلا فإن إتمام الانسحاب البريطانى فى المواعيد المعلنة (عام ١٩٦٨ كما أعلن رسميا من مجلس العموم البريطانى) سوف يخلق فراغا يملؤه الجيش المصرى ويدخل إلى عدن ذاتها.

٢- أن تبذل الحكومة البريطانية مساعيها لإقامة تجمع يضم كل دول شبه الجزيرة العربية والخليج لكى يكون للمنطقة تجمع إقليمى تتمايز به عن الجامعة العربية، ويكون للسعودية فيه دور مؤثر يوازى الدور المصرى فى جامعة الدول العربية التى يوجد مقرها فى القاهرة.

- تمت المقابلة بين الملك فيصل وريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ فى جناح الملك فى فندق دورشستر وحضر المقابلة بين الملك وهيلمز السيد كمال أدهم

مستشار الملك الخاص ومدير المخابرات السعودية وشقيق زوجته الملكة (عفت)، أستمر الاجتماع من العاشرة مساء وحتى الثانية صباحا وقد تم تأمين مكان الاجتماع بواسطة خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وعاد هيلمز عقب الاجتماع إلى واشنطن لإخطار الرئيس الأمريكى بما دار مع الملك.

- يقول الأستاذ هيكل فى كتابه (عام من الأزمات) أنه فى ربيع عام ١٩٨٥ تقابل مع السيد كمال أدهم فى بيته فى لندن وسأله عن لقاء الملك فيصل بريتشارد هيلمز يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧، وهل كان الملك يعرف بالتدابير الأمريكية والإسرائيلية لمصر ولجمال عبد الناصر؟ ورد عليه السيد كمال أدهم قائلا (أسمع لست سياسياً مثل الآخرين أقول أى كلام والسلام، ما سألتنى فيه لن أرد عليه، ولكنى أريدك أن تعلم، وأنا أقولها لك بمنتهى الصراحة، صديقك الرئيس جمال كان فى مواجهة مفتوحة وعنيفة ضد المملكة، والمعركة كانت سياسية ونفسية وأخيرا أصبحت عسكرية فى اليمن، والملك فيصل مسئول عن مملكته، مسئول أمام أسرته، مسئول أمام أخوته وأبنائه يسلم لهم الأمانة كاملة كما استلمها، واجبه واضح أمام العرش والأسرة، وعليه أن يتصرف بما يحقق (المصلحة) وهذا هو كل شئ وليس هناك شئ أخر، لا تستطيع أن تسائل الملك فيصل إلا فيما هو مسئول عنه (العرش والأسرة)، وهل نجح فى حمايتهما طوال حكمه أم لم ينجح؟ وهل كانت المملكة أقل أو أكثر استقراراً عندما تركها عما كانت عليه عندما تسلمها؟ هذا هو المحك، كان الخطر الأكبر علينا أيام ملكه هو صديقك الرئيس جمال وبالنسبة لنا فى المملكة فإن فيصل أنتصر فى التهديد الذى مثله علينا الرئيس جمال، ونحن لا نتعب رؤوسنا بكثرة الأسئلة ولا بالخوض فى الحكايات والتواريخ) ويتابع الأستاذ هيكل روايته لتفاصيل اللقاء (وسكت السيد كمال أدهم وهو يشعر أننى أتابعه بتركيز شديد ثم قال : كنت صريحا معك لم أتكلم كلام سياسيين ولم أتكلم كلام رجل غامض كلمتك بصراحة وأنت حر فيما تفهمه مما قلت)!.

بقراءة كل تلك الوثائق سنتأكد بالفعل أن مساندة مصر لثورة اليمن، ووجود جزء من الجيش المصرى هناك تسبب فى إطلاق كل كلاب الصيد للقضاء على تجربة جمال عبد الناصر.

لم تكن مساندة مصر لثورة اليمن مصادفة أو قرارا عشوائيا بل كان لمصر دورا بارز فى تفجير الثورة من الأساس،وكانت على صلات وطيدة بالخلايا السرية للضباط الأحرار فى الجيش اليمنى.

كان قرار عبد الناصر بتفجير الثورة فى اليمن ومساندتها ودعمها عسكريا نابعا من رؤيته للأمن القومى المصرى،رأى عبد الناصر أن من يسيطر على فلسطين

يهدد سيناء، ومن يسيطر على سيناء سيطر على قناة السويس، ومن سيطر على القناة سيطر على مصر والبحر الأحمر،ومن سيطر على مصر سيطر على الوطن العربى كله.

حدد عبد الناصر فى تقديره الاستراتيجى لموقف مصر فى نهاية عام ١٩٥٢ الآتـي:

- تواجه مصر عدوين فى وقت واحد :بريطانيا فى القناة وإسرائيل على الحدود الشرقية.
- لا يمكن لأية مفاوضات سياسية مع بريطانيا للجلاء أن تنجح إلا بمساندة العمل الفدائى والعسكرى فى منطقة القناة.
- مصر لن تتمكن من خوض معركة عسكرية ناجحة سواء كانت دفاعية أو هجومية ضد إسرائيل طالما ظلت القوات البريطانية متواجدة فى منطقة القناة تهدد خطوط مواصلاتنا نحو الشرق وتتحكم بها.
- العدو الرئيسى فى الوقت الحالى هو قوات الاحتلال البريطانى والعدو الفرعى هو القوات الإسرائيلية.

وبالفعل ينجح عبد الناصر فى توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤، وتتبعها الخطوة الثانية بتأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ مما أدى للعدوان الثلاثى على مصر، وبفشل العدوان أصبحت قناة السويس مصرية بالكامل،كما ألغى عبد الناصر معاهدة الجلاء واستولى على القاعدة البريطانية فى منطقة القناة،وبذلك تم تطهير المدخل الشمالى للبحر الأحمر،وبقى المدخل الجنوبى عند باب المندب، وأصبح الطريق مفتوحا نحو الشرق فى سيناء للجيش المصرى دون تهديد بريطانى للقوات المسلحة المصرية، أصبحت إسرائيل هى العدو الرئيسى لمصر الذى يتحتم مواجهته.

صمم عبد الناصر على إنهاء الاحتلال البريطانى للسودان أولا وبعد ذلك الدعوة لوحدة وادى النيل من خلال الاعتراف بحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره،وعندما أختار الشعب السودانى الاستقلال والانفصال عن مصر بادر عبد الناصر بتأييد ذلك وسحب القوات المصرية من السودان تاركة أسلحتها الثقيلة هدية للجيش السودانى مما اضطر البريطانيون إلى سحب جيشهم لتتحرر السودان، وبذلك اكتسبت مصر صداقة الشعب السودانى، وفتحت مجال العمل لها فى أفريقيا كلها بإخلاصها والتزامها بتصفية الاستعمار فى القارة السمراء وحق تقرير المصير للشعوب الأفريقية،وفى عام ١٩٥٧ أصبح الساحل الغربى للبحر الأحمر حتى كسلا ونهاية الحدود السودانية خاليا من القوات الأجنبية نهائيا.

تحتل الصومال موقع استراتيجى هام فى القرن الأفريقى لذا قرر عبد الناصر مساندة القوى الوطنية الصومالية ودعمها من أجل الحفاظ على مقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية والإسلامية ووحدة أراضى الصومال، وقطع الطريق على إسرائيل التى كانت تريد توطيد علاقاتها الاقتصادية بالصومال لذا اتصلت مصر بكل الهيئات والتنظيمات السياسية الصومالية ودعمت التعليم فى الصومال بالكتب العربية، كما أمر عبد الناصر أن يفتح الأزهر أبوابه لاستقبال الصوماليين الذين توافدوا على مصر بأعداد هائلة، كما تم إرسال بعثة أزهرية كبيرة للصومال لربط الشعب الصومالى بدينه الحنيف، وهكذا عملت مصر على إرساء علاقات اقتصادية وعسكرية وثقافية وسياسية وطيدة بالصومال الذى نال استقلاله عام ١٩٦٠ وأنضم لجامعة الدول العربية، وبذلك ضمنت مصر مكانها فى منطقة القرن الأفريقى وقطعت الطريق على إسرائيل، لتتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ثم اندلعت ثورة اليمن على الجانب الأخر من شواطئ البحر الأحمر (الساحل الشرقى) وكان الدور المصرى والوجود المصرى لدعمها وأصبحت مصر قادرة على التحكم فى مدخل البحر الأحمر الشمالى ومدخله الجنوبى وهو ما تحقق فعلا خلال حرب ١٩٧٣ بإغلاق مضيق باب المندب.

وبرغم الهزيمة فى عام ١٩٦٧ ومحاولات إسرائيل لزيادة وجودها فى البحر الأحمر ببناء مطارات فى سيناء، ونقل بعض الزوارق الحربية برا من موانيها فى البحر المتوسط إلى البحر الأحمر، ومحاولتها سرقة بترول خليج السويس أو التدخل فى عملية فتح قناة السويس.

أجهضت السياسة المصرية فى عهد عبد الناصر كل تلك المحاولات، وقامت مصر بنشر سفن أسطولها فى البحر الأحمر فى الموانى المصرية وميناء بورسودان، كما نشرت مصر قواتها الجوية فى مطارات السودان، ونقلت جزء من قواتها البرية إلى منطقة جبل الأولياء بالسودان، وعندما استأجرت إسرائيل حفار عملاق لسرقة البترول المصرى فى خليج السويس قامت المخابرات المصرية بتدميره قبل وصوله للبحر الأحمر.

ورفضت مصر كل محاولات فتح قناة السويس قبل انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وإيجاد حل عادل وشامل لقضية الشعب الفلسطينى، بل أن الرئيس عبد الناصر رهن فتح القناة بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم.

يقول المفكر الكبير "جمال حمدان" فى أوراقه الخاصة:

أن الرئيس جمال عبد الناصر هو "أول وللأسف آخر" حاكم يعرف ويفهم جغرافيا مصر السياسية وأن 'الناصرية هي المصرية كما ينبغي أن تكون... أنت مصري إذن أنت ناصري... حتى لو انفصلنا عنه (عبد الناصر) أو رفضناه كشخص أو كإنجاز. وكل حاكم بعد عبد الناصر لا يملك أن يخرج على الناصرية ولو أراد إلا وخرج عن المصرية أي كان خائنا' لأن الناصرية في رأيه قدر مصر الذي لا يملك مصري الهروب منه.

ويقول إن الناصرية "بوصلة مصر الطبيعية" مع احتفاظ كل مصري بحقه المطلق في رفض عبد الناصر لأن المصري "ناصري قبل الناصرية وبعدها وبدونها".

لم تكن حرب اليمن سببا لمشاكل مصر ولم تكن هى سبب هزيمة ١٩٦٧ بل كانت عملا عظيما يعكس بعد نظر ملموس لرجل دولة مهموم بقضايا أمته، مؤمن بوحدة المصير العربى وبأن استقلال اليمن أو أى قطر عربى أخر هو جزء من استقلال مصر.

وبرغم كل المؤامرات على الثورة اليمنية وبرغم كارثة يونيو ١٩٦٧ قامت الجمهورية اليمنية وخرج الشعب اليمنى من حكم الإمامة المتخلف، وهبت رياح التغيير على منطقة الخليج العربى، فاستقلت إمارات الخليج كلها وانتهى الوجود الاستعمارى في المنطقة، وحتى حكام السعودية أعداء عبد الناصر وخصوم الثورة اليمنية اضطروا لإدخال تعديلات وتحديثات على السعودية لتقيهم من رياح الثورة.

وخرجت دولة اليمن الجنوبية إلى الوجود كدولة مستقلة ثم توحد اليمن الشمالى والجنوبى فى دولة واحدة، وبالسيطرة العربية على باب المندب تحقق حلم عبد الناصر وأصبح البحر الأحمر بحرا عربيا بحق.

وبسبب وجود الجيش المصرى فى اليمن قرب منابع النفط، غيرت شركات البترول من أساليب تعاملها مع حكومات البترول ومنحتها نصيب أكبر من ثروتها المسلوبة.

كل هذه الايجابيات جعلت الغرب الاستعمارى كله متحالفا مع الملوك العرب سواء فيصل السعودية أو حسين الأردن وحتى حسن المغرب فى أقصى غرب الوطن العربى يتكالبون على ضرب نموذج جمال عبد الناصر والإطاحة بنظام حكمه الوطنى فى مصر، وهو ما تحقق للأسف ولكن لسخرية القدر لم يتحقق ذلك عقب هزيمة ١٩٦٧ بل بعد وفاة عبد الناصر وعقب نصر ١٩٧٣ عندما سلم السادات كل أوراق المنطقة إلى صديقه الأمريكى اليهودى هنرى كيسنجر مدعوما بنصائح فيصل السعودية.

وهو ما تعانى مصر منه حتى الآن فقد فقدت موقعها فى قيادة الأمة العربية،

وفقدت أرصدتها فى القارة الأفريقية وأنكمش دورها فى حركة عدم الانحياز، وأصبحت تواجه عزلة متزايدة فى ظل علاقات خاصة مشبوهة تجمعها بالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل منذ عام ١٩٧٤.

ستظل مساندة مصر لثورة اليمن أحد أعظم أعمال الرئيس عبد الناصر ومصدر فخر دائم لمصر مهما كره الخونة والعملاء.

لماذا لا يمـوت عبد الناصـــر ؟!

فـى مـساء يـوم ٢٨ سـبتمبر ١٩٧٠ ، انقطـع فجـأة الإرسـال العـادى للراديـو ، والتليفزيون فـى مصر ، ورنـت فـى الأرجـاء آيـات الـذكـر الحكيم ، وخـالج الجميع شعور بالتساؤل عن سر ما يجرى ، وفجـأة ظهـر أنـور السـادات علـى شاشـة التليفزيـون ليعلن بصوت باكـى ونبرة تمثيلية نبأ وفـاة الـرئيس عبـد الناصـر ، لينفجـر فـور اعـلان النبـأ الـصاعق طوفـان رهيـب مـن البكـاء والنحيـب والحـزن فـى كـل أنحـاء الـوطن العربى ، وفى كل مكان فى العالم توجد بـه جاليـات عربيـة ، ولمـدة ثلاثـة أيـام حتـى يوم ١ أكتوبر ١٩٧٠ ، يوم تشييع جنـازة الـرئيس جمـال عبـد الناصـر ، سـيطر الحـزن والإحساس بالضياع على العرب فى كل أنحاء العـالم ، سـتة ملايين مـواطن ، أربعـون ألـف ضـابط وجنـدى ، أربعون لـواء مـن قـادة القـوات المسلحة خمسمائة جنـدى شـرطة عسكرية لحراسة الجثمان الطـاهر ، هـذه الأرقـام سـجلت للمشيعين يـوم جنـازة عبـد الناصر فى القاهرة فقط ، وفى اليوم التالى ٢ أكتوبر ١٩٧٠ ، كـان مانشيت جريـدة التايمز البريطانية (أنه أضخم تجمع بشرى فـى التـاريخ) ، وفـى تعليـق مجلـة نيوزويـك على جنازة الرئيس عبد الناصر قالت : (لم يشهد العـالم جنـازة تماثـل فـى ضخامتها جنـازة عبـد الناصـر ، وسـط مشاهد مـن عويـل المـصريين والعـرب عليـه ، بلغـت حـد التخلـى عـن الموكـب الجنـائزى ، عنـدما ضـغطت الألـوف المؤلفـة علـى الموكـب فـى محاولـة لإلقـاء نظـرة أخـيرة علـى الـنعش ، الـذى يحمـل جثمـان بطلـهم الراحـل ، إن جنازات كيندى وستالين وكمال أتاتورك ، تبـدو كصور فوتوغرافيـة إذا مـا قورنـت بجنازة عبد الناصر ، لقد أحس العرب أنهم فقدوا الأب والحامى لهم).

على الرغم من مرور كل هذه الأعوام على رحيل جمال عبد الناصـر فـى ٢٨ سـبتمبر ١٩٧٠ ، إلا أنـه يبـدو وكأنـه غادرنـا بـالأمس ، فـصورته تحـضر إلى العقـل الجمعـى العربـى ، كلمـا واجهـت الأمـة العربيـة مشكلة ، يبـدو عبـد الناصـر الرمـز عصيا على الموت والغياب بشخصيته المتفردة ، عـاش عبـد الناصـر بمقـاييس الـزمن ، حيـاة قـصيرة ، فقـد رحـل عـن ٥٢ عامـا و٨ أشـهر و١٣ يومـا ، ظهـر فيهـا علـى مـسرح التـاريخ لمـدة ١٨ عـام ، مثلـت فـصلا اسـتثنائيا فـى التـاريخ العربـى كلـه ، رحـل عبد الناصر ، ولم تكتمل رسالته ، وبعد وفاته ، تم بتر تجربته ، والانقضاض عليها ، تركنا ونحن فى أشد الحاجة إلى صموده ، وصلابته ، وبعد نظـره ، فـى مواجهـة قـوى الهيمنـة العالميـة ، التـى لا تـرى الـوطن العربـى إلا كمـصدر للبترول ، وسـوق لتـصدير منتجاتهـا ، رفض عبد الناصـر أن يكـون وكـيلا للمصالح الامبرياليـة الامريكيـة ، لم يبـادر أمريكـا بعـداء ، بـل كـان كـل حلمـه ، أن يـضمن اسـتقلال وتنميـة الـوطن العربـى مـن أجـل مـصالح الـشعوب العربيـة ، ولـيس لـصالح الاسـتراتيجية الأمريكيـة العالمية ، كان وجوده يمثل رادعا لكل الخونة ، والعمـلاء ، واللـصوص ، والفاسـدين ، وبعـد رحيلـه ، أصـبحت الخيانـة حكمـة ، والاستـسلام للأعـداء بعـد نظـر ، وواقعيـة ،

والنهب، والسرقة طموح مشروع، وبيع ممتلكات البلاد، ونهب ثرواتها خصخصة وموائمة لروح العصر، وتعمقت القطرية البغيضة فى الوطن العربى.

أثبت جمال عبد الناصر أهمية دور الفرد فى التاريخ، فبعد وفاته اكتسبت الأمة العربية مصادر قوة جديدة أهمها الارتفاع الخرافى فى سعر البترول عقب حرب ١٩٧٣، ولكنها فقدت فرد واحد هو (جمال عبد الناصر)، فتغيرت صورتها على هذا النحو المأساوى الذى نعيشه الآن.

كان عبد الناصر طموحاً، وحالماً، لم يتوقف عن الحلم حتى لحظة وفاته، فبعد تحقيقه لاستقلال مصر، وبعد انتصاره المدوى فى حرب السويس، والذى تحول لنموذج لكل الشعوب، والأمم المقهورة، وضمن له مجد تاريخى، لا يطاوله مجد، لم يركن للراحة، بل دخل فى معارك التنمية، والتصنيع، واسترداد الاقتصاد المصرى من الاجانب، واليهود، وبدأ معركة بناء السد العالى، وفى نفس الوقت كان يساند كل ثورات التحرير فى العالم العربى، وفى أفريقيا، وفى العالم الثالث، وفى عام ١٩٥٨ يحقق أول تجربة وحدة اندماجية فى التاريخ العربى الحديث، ويتصدى بصلابة للاستعمار الامريكى الجديد الطامع فى المنطقة، وفى عهده تحقق مصر معدلات نمو اقتصادية غير مسبوقة، وغير ملحوقة حتى الآن، وبدون ديون، وتبنى السد العالى، وتبنى أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث، إنجازات مهولة كانت تبدو مستحيلة قبل عبد الناصر وأصبحت حلما بعيد المنال بعد وفاته، تمتع عبد الناصر فى حياته، وبعد وفاته بشعبية جارفة على امتداد الوطن العربى لم تحدث قبله، ولا بعده لزعيم أخر، أحب العرب فيه روح التحدى والصمود، والقدرة على المواجهة، ورد الظلم، والقهر الذى عانوا منه مئات السنين، أحبوا فيه قدرته على التعبير عن مصالحهم، وحقوقهم السليبة منذ قرون من الغياب التاريخى عن الأحداث، عاش عبد الناصر زاهدا فى متع الحياة، كان البيت الذى يسكن فيه بيت مدير مدرسة الأشغال العسكرية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، وكانت كل قطع الأثاث، والأجهزة فى البيت عهدة لمدرسة الأشغال العسكرية، لم يمتلك شئ، ولم يورث أبناؤه أموال كغيره من الحكام فى العالم الثالث، بل مات مديونا بمبلغ ٢٦ ألف جنيه، ثمن بيتين بناهما لبناته من أجل زواجهما، ظل عبد الناصر حتى أخر يوم فى حياته مخلصا لطبقته، وللفقراء الذين ثار من أجلهم، عاش ومات مدافعا عنهم.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل أن هناك خمس مقولات أساسية فى الناصرية صالحة لكل زمان هى:

١- أمة عربية واحدة ينبغى أن تتوحد.

٢- استقلال سياسى كامل لهذه الأمة.

٣- استقلال اقتصادى كامل لهذه الأمة.

٤- توازن اجتماعى بين طبقات الأمة

٥- مشاركة حرة فعالة من الأمة العربية فى قضايا العالم.

هذه المقولات التى حاول عبد الناصر تحقيقها، والتعبير عنها لن تموت، لأنها أساسية لخلاص الأمة العربية مما تعانيه من تبعية وهزيمة حضارية الأن، جاء عبد الناصر تعبيرا عن حاجة الأمة إلى بطل حاول، نجح وأخفق، أصاب وأخطأ، لكنه فى محاولاته كان وطنيا مخلصا لقضايا أمته.

استطاع عبد الناصر أن يضع مصر فى قلب العالم العربى، وأن يضع العالم العربى فى قلب العالم، لم يسعى خلف مصالح شخصية ضيقة بل عاش ومات شهيدا فى سبيل تقدم العرب، وبعد وفاته ورغم الحملات المضادة عليه، ومحاولات تشويهه التى لا تنتهى، مازال حيا فى قلوب الأحرار كرمز للنضال والتحرر والعزة والكرامة.

جمال عبد الناصر هو الزعيم العربى الوحيد الذى مازالت صوره ترفع فى كل مظاهرات الغضب العربى من المحيط إلى الخليج، والزعيم العربى الوحيد الذى يوجد له محبين فى كل الأقطار العربية، بل مازال قادرا على الإلهام ووصل تأثير أفكاره، ومشروعه إلى أمريكا الجنوبية، فالرئيس الفنزويلى هوجو تشافيز صرح مرارا أنه ناصرى ويطالب العرب دوما بإستلهام تجربة عبد الناصر، والزعيم الأسطورى نيلسون مانديلا صرح أنه من تلاميذ عبد الناصر، وعندما زار مصر سنة ١٩٩٥ قال أنه يريد يرى ثلاثة أماكن فى مصر الأهرامات، نهر النيل، وضريح عبد الناصر، وقال لقد كان لدى موعد مع الرئيس عبد الناصر، ولكنه تأخر ٢٥ عاما، وعندما كانت مصر تتنافس مع جنوب أفريقيا على شرف استضافة كأس العالم لكرة القدم عام ٢٠١٠، وفازت جنوب أفريقيا بغالبية الأصوات وحصلت مصر على الصفر الشهير.

صرح مانديلا الذى كان حاضرا فعاليات التصويت، عقب فوز بلاده، (لو كان عبد الناصر مازال موجودا فى مصر، لانسحبنا من أجله، ولكن الأوضاع فى مصر تغيرت).

فى كتيب (العلامة جمال حمدان ولمحات من مذكراته الخاصة) الذى صدر حديثا بالقاهرة يقول جمال حمدان : جمال عبد الناصر هو الحاكم المصرى الوحيد

الذى فهم الجغرافيا السياسية لمصر، لذا فالناصرية هى مستقبل مصر، لأن الناصرية هى مصر كما ينبغى أن تكون، ولنقرأ بعضا من أراء أعداء عبد الناصر عن وفاته؟

فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأميركى الأسبق نقرأ التالى أنه شعر بالسعادة البالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأميركية في المنطقة الأهم للولايات المتحدة في العالم، ويحلل كيسنجر أوضاع المنطقة عقب وفاة عبد الناصر، ويصل أن الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصر وإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أميركى، وأن يتضمن ثلاثة شروط:

١- طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها.

٢- يترك مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق في العالم العربي.

٣- أن تظهر التجربة الثورية التي قادها عبد الناصر في مظهر التجربة الفاشلة.

أليس هذا ما حدث فعلا بعد وفاة الرئيس عبد الناصر؟

وعلى الجانب الاسرائيلي يقول مناحم بيجن عن وفاة عبد الناصر (إن وفاة عبد الناصر، تعني وفاة عدو مر، إنه كان أخطر عدو لإسرائيل. إن إسرائيل لهذا السبب لا تستطيع أن تشارك في الحديث الذي يملأ العالم كله عن ناصر وقدراته وحنكته وزعامته).

ويقول بن غوريون (كان لليهود عدوين تاريخيين هما فرعون في القديم، وهتلر في الحديث، ولكن عبد الناصر فاق الأثنين معا في عدائه لنا، لقد خضنا الحروب من أجل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه).

ويقول حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلي: (بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقا أمام إسرائيل وعاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلون باختفاء شخصيته الكاريزماتية).

ويقول المفكر الاسرائيلي آمنون روبنشتاين : إن مصر يجب آلا تكون طرفا في الصراع العربي الاسرائيلي، إن تورط مصر الكبير في النزاع العربي الاسرائيلي تمخض بصفة خاصة بسبب سياسة جمال عبد الناصر التي كانت تقوم على ركنين أساسيين يعوزهما الحكمة:

١- إمكانية وجود وحدة عربية.

٢- معاداة الغرب.

وقد رفض جمال عبد الناصر طيلة حياته العدول عن تلك السياسات والآن بعد وفاته نأمل أن تراجع القيادة المصرية الجديدة تلك السياسات لكى تنهى الحرب بين مصر وإسرائيل في مصر ولعيوب بنيوية في تركيب النظام الناصرى خرج النقيض المتطرف للناصرية من قلب النظام وعبر انقلاب أبيض بدون قطرة دماء في ١٣ مايو ١٩٧١ قاده الرئيس أنور السادات الذى قام بتنفيذ كل المطالب الأمريكية والإسرائيلية من مصر التى رفضها الرئيس عبد الناصر طيلة حكمه.

مات الرئيس عبد الناصر تاركا لمصر أرصدة ثمينة فى أفريقيا، وأسيا، وأمريكا الجنوبية، تم تبديدها بغباء منقطع النظير، وبطريقة مشبوهة منذ عام ١٩٧٤، فى سبيل تبعية للولايات المتحدة الأمريكية تبدو غير مفهومة ولم تجلب على مصر سوى الكوارث.

توفى عبد الناصر شابا، ولم تكتمل تجربته لسوء حظ الأمة العربية، والمثير للسخرية الآن أن تجد البعض ما يزال مصرا على دمج العهود الرئاسية فى مصر فى عهد واحد ممتد منذ إعلان النظام الجمهورى فى ١٩٥٣/٦/١٨ وحتى الآن، رغم أن أى منصف بإمكانه رؤية الانقلاب التام والشامل الذى حدث فى مصر على عهد وسياسات جمال عبد الناصر والذى بدأ بانقلاب مايو ١٩٧١ وتم تدشينه فى لقاء السادات مع كيسنجر فى ١٩٧٣/١١/٧والذى صارح فيه السادات كيسنجر بأنه ليس خلفاً للرئيس عبد الناصر بل خلفا لأجداده من الفراعنة الكبار، وأبلغه أنه ينوى تصفية ميراث سياسات الرئيس عبد الناصر الاقتصادية والاجتماعية وتوجهاته القومية العربية، وأنه سيعمل على طرد السوفيت من الشرق الأوسط.

وقال السادات لكيسنجر لقد كانت حماقة وطيش من عبد الناصر محاولاته الدائمة لابتزاز الأمريكان وتحقيق أهداف مصر من خلال محاربة السياسة الأمريكية في العالم العربي وعلى امتداد العالم، وإن مصر خاضت ما يكفيها من حروب من أجل العرب وتتطلع إلى السلام.

وهكذا بدأ السادات عملية تخريب كل انجازات عبد الناصر وتفكيك التركة الناصرية وهى العملية التى ما تزال مستمرة حتى الآن، فما بناه عبد الناصر بمشروعه القومى فى ١٨ سنة مازال عصيا على التخريب بعد ٤٠ عاما من استشهاد عبد الناصر.

فى ذكرى مرور ٤٠ سنة على رحيل عبد الناصر نقول له : طبت حيا وميتا أيها البطل الخالد فى قلوب الأحرار، لم يذهب كفاحك سدى، ولم يضع نضالك هباء فمازال أبناؤك ومحبيك والمخلصين لفكرك وخطك السياسى على العهد وهم فى إزدياد مضطرد ، وأغلبهم لم يعش عهدك ولم يرك ولم يستفد من إنجازاتك ولكنهم مؤمنين بك وبخطك النضالى، وستظل للأبد رمزا للحرية والعدالة ونصرة المظلوم يا حبيب الملايين.

قالوا عن جمـــال عبد الناصر

كـان لليهـود عـدوين تـاريخيين همـا فرعـون في القـديم، وهتلـر في الحـديث، ولكـن عبـد الناصـر فـاق الأثـنين معـا في عدائـه لنـا، لقـد خـضنا الحـروب مـن أجـل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه.

دافيد بن جوريون (مؤسس إسرائيل وأول رئيس وزراء له)

إن الـرئيس جمـال عبـد الناصـر بوصـفه زعيمـاً للـشعب المـصرى وبوصـفه شخصيه مرموقة فى الشرق الأوسط وفى العالم قد ساهم بدور تاريخى فى الأحداث التى شهدتها المنطقة التى يعيش فيها طوال العشرين عاماً الماضية.

يوثانت [السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة]

ان الـرئيس جمـال عبـد الناصـر لم يـصبح خـلال زعامتـه التـى امتـدت عـشرين عاماً مجرد شخصيه وطنيه عظيمه وبارزه بل ورجل دولـه مرمـوق فـى الـشرق الأوسـط وفى العالم بأسره.

إدوارد هامبرو [رئيس الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة]

سـنظل نـذكر بـالإجلال صـديقنا العزيـز الـرئيس جمـال عبـد الناصـر بطـل الشعب المصرى والمناضل العنيد ضد الإمبريالية.

فالتر أولبرشت [رئيس ألمانيا الديمقراطية]

إن وفاة جمال عبد الناصر هـى خسارة أليمـة للشعب العربـى ولكـل الشعوب التقدميـه لأنهـا جـاءت فـى وقـت حـرج يواجهـه النـضال ضـد الإسـتعمار والعـدوان الصهيونى من أجل الحقوق الشرعيه وإقرار السلام فى الشرق الأوسط.

لودفيج سفوبودا [رئيس تشيكوسلوفاكيا]

إن جمـال عبـد الناصـر كـان وسـيبقى إلى الأبـد فـى ذاكـرة النـاس مناضـلاً لايلين فى الكفاح من أجل الكرامه الوطنيه والعزه لشعبه.

أليكسى كوسيجين [رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي]

ان السيد الرئيس قد قدم خدمات جليلـة مـن أجـل تـضامن الـشعوب الإفريقيـة الأسيوية فى كفاحها ضد الاستعمار ومن أجل الاستقلال والحرية والسلام.

تون دوك سانج [رئيس فيتنام الديمقراطية]

إن عبد الناصر واحد من أعظم شخصيات هذا العصر وثائر عظيم قـاد نـضال شعبه فى إستبسـال نـادر لـدحر مـؤامرة هـذا العـصر لقـد فقـد العـالم بوفاتـه ثـوري فـذ لا يتكـرر.

فيدل كاسترو [رئيس وزراء كوبا]

لقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يحظى بتقدير يتخطى مراحل حدود بلده وذلك لمشاعر الحب المخلصة التى كان يكنها لشعبه.. وأن الشعب المجرى ليكرم فى شخص عبد الناصر واحداً من أبرز زعماء هذا العصر.

بال لوشونزى [رئيس المجر]

إن الرئيس عبد الناصر كرس حياته كلها لخدمه قضية حرية الشعوب العربية وإستقلالها وتقدمها..إن الأعمال المجيدة التى قام بها الرئيس عبد الناصر ستظل خالدة.

ماريان سبينالسكى [رئيس بولندا]

إنه رجل دوله عظيم استعاد بحق لمصركرامتها وعزتها.

جورج بومبيدو [رئيس فرنسا]

إن تلك الخسارة لا تعوض. فرانكو [حاكم أسبانيا]

لقد وهب عبد الناصر حياته بأسرها من أجل قضية العالم العربى الذى يعيش مرحلة التنمية وأصبح قائداً لشعبه وهادياً للشعوب الأخرى التى ترتبط به ارتباط العقائد والمشاعر.

جيوسيبى ساراجات [رئيس إيطاليا]

ان العالم قد خسر زعيماً بارزاً خدم بإخلاص وبلا كلل كل قضايا بلاده والعالم العربى.

ريتشارد نيكسون [رئيس الولايات المتحدة الأمريكية]

إن الراحل العظيم أعطى النهضة العربية حياة جديدة كان هو قلبها النابض.

جورج بابا دوبلوس [رئيس وزراء اليونان]

إن التاريخ سيسجل للرئيس جمال عبد الناصر مساهمته الفريدة فى بعث الشعب العربى....ان الرئيس جمال عبد الناصر سيظل ذكره خالداً فى الهند وفى كل مكان فى العالم حارب فيه الناس من أجل حريتهم وذلك باعتباره قائداً عظيماً وسياسياً يتسم بالشجاعة والحكمة.

أنديرا غاندى [رئيسة وزراء الهند]

إنها خسارة لا تعوض للأمة العربية بأسرها ولدول عدم الإنحياز وللعالم أجمع...انها خسارة نبكى لها وسنظل نبكيها مفعمين بأعمق مشاعر الأسى.

سيريمانو باندرانيكه [رئيسة وزراء سيلان]

إن مساهمة الرئيس الراحل كانت مساهمة فريدة فى نهضة الشعب العربى وفى تضامن الشعوب الأسيوية والإفريقية.

يحيى خان [رئيس باكستان]

إن الشعب الإسلامى والشعب العربى لن ينسيا أبداً الخدمات الجليلة التى أداها هذا الرجل العظيم.

محمد ظاهر شاه [ملك أفغانستان]

لقد افتقدت الجمهورية العربية المتحدة بوفاته إبناً عظيماً وفقد العالم العربى قائداً مهيباً وفقد العالم رجل دولة بارز.

فريديناندو ماركوس [رئيس الفلبين]

لقد فقدت الحرية والإنسانية كلها أعظم بطل وأكبر نصير لها فى القرن العشرين.. إن جمال عبد الناصر كان أباً ورائداً ومعلماً للثورات الوطنية التحررية فى إفريقيا والشرق الأوسط..وكان قوة جبارة..وكان طوداً شامخاً تحطمت على سفحه كل المؤامرات الإمبريالية ومؤامرات أعوان الإمبريالية.. وإذا ذهب عنا اليوم الرئيس جمال عبد الناصر بجسده فقد ترك لنا أفكاره وعقائده ومبادئه وأن عزاؤنا الوحيد هو أن نخلص لهذه الأفكار العقائدية.. أما إذا لم نسر فى الطريق الذى رسمه فإنها ستكون ولاشك خسارة أعظم وأفدح ونكسة كبرى لمبادئه السامية وللنضال والجهاد الذى حمل مشعله بالنسبة لشعوب العالم الثالث والقوى التقدمية.

محمد زياد [رئيس المجلس الأعلى للثورة الصومالية]

نعلن الحداد فى البلاد لمدة ثلاثة أيام حزناً على وفاه المقاتل الفذ فى سبيل الحرية رائدنا وملهمنا محرر أفريقيا جمال عبد الناصر.

أحمد سيكوتورى [رئيس غينيا]

إن وفاة الرئيس عبد الناصر صدمة مروعة وخسارة فادحة للعالم أجمع حتى أعدائه سينعونه... لقد كان عبد الناصر رجلاً عظيماً..رجلاً يتمتع بالبصيره ويتحلى بالشجاعة الفائقة.. رجلاً وهب كل حياته لقضية الشعب العربى الذى كان يبادله حباً بحب وتقديراً بتقدير....... لقد مضى فى سبيل تلك القضية..قاد شعب بلاده مخلصاً إياه من البؤس والهوان إلى مكانة لا تمكن أحداً من أن يتطاول عليه أو يستغله أو يغفله مكانة لقد جعل رأيه مسموعاً يؤخذ فى الإعتبار فى كل محافل الدنيا.....إن إفريقيا تبكى وفاة محررها وأبنها البار..بل سيبكيه العالم كل العالم.

جوليوس نيريرى [رئيس تنزانيتا]

لقد أصيب شعب فولتا العليا بالهول والفزع عندما علم بوفاه الرئيس ناصر المفجعة فقد فقدت إفريقيا فى هذا الرجل العظيم زعيماً وإبناً باراً وقائداً لايبارى وهب كل حياته للتضحيه من أجل قضية بلاده ولتحقيق الوحدة الإفريقية.
سانجولى لاميزانا [رئيس فولتا العليا..بوركينا فاسو حالياً]

لقد فقد العالم رئيساً عظيماً.. وإن إفريقيا لتبكى اليوم واحداً من أعظم زعمائها الأمجاد.
فيليكس بوانييه [رئيس ساحل العاج...كوت دى فوار حالياً]

إننا لننحنى خشوعاً أمام جثمان الفقيد ناصر الذى كان وسيظل دائماً للعالم التقدمى زعيماً ورئيس دوله عظيماً، وسيظل أحد أبرز الزعماء الذين ساهموا فى تحرير أفريقيا.
فرانسوا تومباباى [رئيس تشاد]

إن أفريقيا قد فقدت إبنها العظيم ولكنها ستظل تذكره دائماً بالفخر والمساهمه العظيمه التى قدمها الرئيس الراحل من أجل تحقيق إستقلال ووحدة القارة الأفريقية.
ميلتون أوبوتى [رئيس أوغندا]

إن الشعوب العربية والإسلامية والإفريقية ليست هى وحدها التى فقدت الرئيس جمال عبد الناصر وإنما إفتقدته معها شعوب العالم الثالث والبشرية جمعاء لأن فقيدنا العظيم كان وسيبقى إلى الأبد رمزاً للنضال.
المختار ولد داده [رئيس موريتانيا]

إن حظك يا فلسطين عاثر..فلقد فقدت مناضلاً من أبرز المناضلين ورجلاً من أعز الرجال فى وقت أنت بحاجة إلى المناضلين وبحاجة إلى الرجال.......... نحن واثقون أن روح عبد الناصر وشجاعة عبد الناصر وبطولة عبد الناصر ستظل أنشودة جيلنا والأجيال التى تأتى من بعدنا.
منظمة فتح الفلسطينية

إن جمال عبد الناصر لم يعش من أجل نفسه بل من أجل كل نفس.. ولم يعش فى داخل مصر بل عاش فى داخل قلب كل واحد منا..ولم يعمل لمصر وحدها بل عمل لأمتنا العربية كلها..إن هذه الأمة باقية وعظيمة وخالدة وليس أدل على ذلك من أنها أنجبت العظماء وأنجبت الخالدين أمثال جمال عبد الناصر.
معمر القذافى [رئيس ليبيا]

تختطف يد المنيه من بيننا الرائد الذى لايكذب أهله..والقائد الذى لا يتردد..باعث نهضتنا وحامى كرامتنا وموحد أمتنا ومضمد جراحها وموجه كفاحها وبانى سلامها وجاعل هزيمتها نصراً..المناضل الذى أحبكم وعاش لكم وبكم..فخركم وفخر كل عربى أبى وكل مناضل فى كل مكان..محقق الحرية وداعية الإشتراكية..ومفجر الثورة العربية الحديثة..وجامع العرب من المحيط إلى الخليج..فخوره الأمجاد..ومطلع شموس الأمل وينبوع الثقة والإلهام..نصير العاملين..أخ الجميع وأب الجميع..دوحتنا الوارفة وظلنا الظليل.. جمال عبد الناصر.

جعفر النميرى [رئيس السودان]

لم يكن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زعيما كبيرا للعالم العربي فقط. ولكنه أيضا كان أحد كبار رجال الدولة المعاصرين دخل التاريخ وكتب أسمه بجانب أسماء أكبر الرجال.. إن العالم فقد بموته رئيسا كبيراً ، وإن قبرص وأنا شخصيا فقدنا فيه صديقا مخلصا ، فقد كان لي شرف صداقته ، وعرفته منذ مدة طويلة ، وسمحت لي هذه المعرفة أن أقدر فيه صفاته العديدة. ومنها - وقبل كل شئ - رجولته بكل عمق هذه الكلمة.

الأسقف مكاريوس [رئيس قبرص]

إن وفاة جمال عبد الناصر صدمة مفاجئة وخسارة لا يمكن أن تعوض لقد كان لا يهدأ أبد. وكان كل أمله أن يري حياة شعبه قد تحسنت، ويري الوحدة العربية وقد تحققت. إن جمال عبد الناصر واحد من البناة الذين سعوا إلي تحقيق وحدة أفريقيا.. وقد كانت حياته القصيرة حياة غنية ولم يكن أحد سواه يستطيع القيام بما قام به لما كان له من نفوذ عظيم في كل الدول العربية.

تيتو [رئيس يوغوسلافيا]

أن وفاة عبد الناصر كارثة عظيمة حلت بالوطن العربي لقد كان من أبرز زعماء الأمة العربية ومن أشرف زعمائها الخالدين.

الشيخ صباح السالم الصباح [أمير دولة الكويت]

سنظل نذكر عبد الناصر دائما. إن مساندته لحركة التحرر الأفريقية لم تكل أو تتوقف.

جومو كينياتا [رئيس كينيا]

كان لدي موعد قد تأخر ربع قرن مع رجل رفعت رأسي من بعيد كي يراه، ثم حالت ظروف قاهرة بينه وبيني لألقاه، وحين جئت إلي مصر فقد كان من سوء

حظي أن جمال عبد الناصر لم يعد هناك سأزور فى مصر ثلاث أماكن الأهرامات والنيل العظيم وضريح الرئيس جمال عبد الناصر.

نيلسون مانديلا [من كلمة ألقاها عند تكريمه في جامعة القاهرة عام ١٩٩٥]

لو كان جمال عبد الناصر على قيد الحياة ودخلت مصر المنافسة أمام جنوب أفريقيا على شرف إستضافة كأس العالم لكرة القدم ٢٠١٠ لانسحبت جنوب أفريقيا على الفور من الوقوف أمام مصر ولكن الظروف تغيرت الآن ومصر لم تعد مصر عبد الناصر.

نيلسون مانديلا [فى المؤتمر الصحفى عقب فوز جنوب أفريقيا بتنظيم كأس العالم ٢٠١٠ وحصول مصر على صفر من الأصوات]

هبط الموت على مصر، وهبط الحزن على الشعب. فقد مات الزعيم. مات المعلم. مات الأب والإنسان. مات جمال عبد الناصر..وفي ذلك اليوم الرمادي يوم موته ماتت الأشجار واقفة وتجمد سواد العيون لا تصدق الخبر وامتلأت أفواهنا بالملح من شدة الحزن. فقد توقف قلب مصر حين توقف قلب هذا الرجل. ابن الشعب. مؤسس الجمهورية، وصاحب الدعوة العنيدة لوحدة الوطن وكرامة المواطن وأشجع الرجال في وجه العاصفة.

فتحي رضوان [الكاتب والسياسى المناضل]

أنا واحد من أمة كبيرة فجعت في الوالد العظيم حين فقدت رجلها الأول وقائدها. إن مأساتنا بفقد الرجل الكبير جمال عبد الناصر مأساة كبيرة. لقد مضي القائد البطل في سبيل أمته شهيدا.. لكنه خط الطريق.

د. جمال الأتاسي [الأمين العام للاتحاد الاشتراكي في سوريا]

كنا أيام الرئيس جمال عبد الناصر كالأطفال نتشاجر، ونتغاضب ونتقاتل، ثم نذهب إليه ليصلح بيننا، فقد كان هو الأمان دائما.

الرئيس السورى حافظ الأسد

لقد أعطى الرئيس عبد الناصر لوطنه ولأمته العربية عمره كله، ولولاه ما تحررت الجزائر، لقد كان تحرير الجزائر حلما بعيد المنال قبل عبد الناصر، ومعه وبفضله أصبح واقعا نعيشه الآن، لقد ظل الراحل العظيم حتى أخر لحظة فى حياته يناضل ويكافح من أجل الحقوق العربية، لقد مات شهيدا فى سبيل العروبة.

الرئيس الجزائرى هوارى بومدين

غـاب عبـد الناصـر- أجمـل أسـم ـ2 تاريخنـا المعاصـر- ليجـدد ـ2 صـميم كيانـا كـل التطلعـات والأحـلام والآمـال والأمجـاد الـتي أقـترن اسمـه بهـا. إن عبد الناصر أوصل ثقل الوطن العربي إلـي العـالم كمـا كـان رمـزا للعـالم الثالـث. وتجسيدا حيا لعنفوان الثائر على الـذل، ولتواضـع الأبطـال الحقيقـيين الـذين حققـوا لبلادهم وشعوبهم الكرامة كل الكرامة.

د. كلوفيس مقصود [الكاتب والمفكر]

إن عبد الناصر كان شخصية عالمية كاملة.. وكان تأثيره قادرا على اقتحـام حدود وحواجز بعيدة يصل وراءها إلي أكثر مما تصل إليه سلطة الدولة الـتي كـان يحكم فيها. كان جمال عبد الناصر أمام العالم الخارجي تعبيرا ظاهرا عن الـرأي الغالب ـ2 أمة عربية بأسـرها. وكـان جمـال عبـد الناصـر داخـل الأمـة العربيـة نقطـة اللقـاء الكـبرى لـلإرادة الواحـدة لهـذه الأمـة. كـان جمـال عبـد الناصـر ـ2 وجـوده وبطبيعة دوره التاريخي _يستطيع أن يكون وحدة دائـرة الحـوار وقـد أثبـت ذلـك فعـلا ـ2 مواقـف حاسمـة ـ2 قـصة نـضاله وأعمالـه.. ويجـب أن تكـون هـذه النقطـة أيـضا موضـع دراسـة مستفيـضة عنـدما يجـئ الوقـت لاستكـشاف الأبعـاد الرحبـة لهـذه الشخصية الضخمة. كـان جمـال عبـد الناصـر هـو التجـسيد لـسلطة الـشعب، وبعـد رحيله فان تجسيد سلطة الشعب لا يمكن أن يكفلها غير ضمان الدستور والـضمان القـانوني. إن جمـال عبـد الناصـر كـان شخـصية تاريخيـة، ومـن بعـده فلـيس هنـاك أشخاص تاريخيون.

محمد حسنين هيكل [الكاتب والمفكر]

أبداً لم تلهث الكلمة وتترنح ـ2 مواجهة موقف ما مثلما حدث لها حينمـا صـك أسماعها نبأ وفاة جمال عبد الناصر! أبدا لم يواجه الأديب والمفكـر والفنـان تجربـة قاسية تمرد فيهـا عليـه خيالـه وتفكـيره وفنـه..مثلمـا حـدث لـه وهـو يقـف وجهـا لوجـه أمام الخبر المذهل: اختفاء جمـال عبـد الناصـر مـن مـسرح الحيـاة!... لقـد فاجـأنـا خـبر وفاة عبد الناصر فنغص حياتنا تنغيصا لا نعرف له مثيلا. لقد كنا نرجو- بـل كنـا نثق- بـأن الـرئيس جمـال عبـد الناصـر سيمد لـه ـ2 الأجل لتحقيـق أهـداف الـوطن، وهي مهمة لم تتح لأحد من قبل. فهو قد حـاول - موفقـا إلـي أبعـد الحـدود - إلغـاء الطبقات والأخذ بيد الضعفاء والفقـراء، والمساواة الكاملـة بـين المـواطنين، وحـاول شيئا ما أظن أنه حوول من قبله، وهو أن يلائم بين الاشتراكية والديانات الـسماوية، فأدخـل ـ2 بلادنـا اشـتراكية لا تمـس الإسـلام ولا تمـس المـسيحية، ولا غيرهمـا مـن الأديان بأذى ولو من بعيد. وأشهد أنني عرفت الـرئيس جمـال عبـد الناصـر منـذ أوائـل الثورة، واتصلت بينه وبيني مـودة كانـت ـ2 غايـة الإخـاء وـ2 غايـة المتانـة. لقـد كـان

صديقا صدوقا، وأخا حميما، وكان بارا عطوفا على كل المواطنين.
د. طه حسين [عميد الأدب العربى]

لقد أعطي مصر والعرب أسمي مبادئ - سوف يذكرها له تاريخ الخلود - من أجل الشعب وعزته وكرامته واشتراكيته. لم يأبه للمخاطر ولا حفل بالمخاوف أنه البطل الذي كان ويكون وسيكون. وإن تعاليمه يجب أن تكون هدى لمستقبلنا من أجل عزة مصر وشعبها.
كوكب الشرق أم كلثوم

كانت مصر قبله بلداً لا يعتد به، يجللها العار عار يصاحب عرشها في أنحاء الأرض جميعا. فضائح بجلاجل. ثم أصبحت معه وبفضله بلدا يحسب حسابه لأنه هو نفسه كان رجلا لابد أن يحسب حسابه. إن الكرامة- هي أولي الدعائم التي تبنى عليها الأمة، وكانت كرامة أمتنا من كرامة جمال، وكرامة جمال من كرامة أمتنا. لم نري فيه نهما على استحواذ شئ من عرض الدنيا ولعله هو الرئيس الذي لم يخص أحد في سيرته الشخصية بالحق وبالباطل، فكان نعم الأب والزوج. ١٨ سنة لم يهدأ فيها عبد الناصر، لا يخرج من معركة إلا ليدخل معركة وهو صامد شجاع لا يتزعزع.
الأديب الكبير يحيى حقي

إن عبد الناصر بطل على مستوي العصر، فأبطال العصر الحقيقيون هم الذين يتوحدون بشعوبهم ويجسدون آمالها، ويهبون حياتهم للملايين من بسطاء الناس. وعبد الناصر نموذج رائع لهؤلاء.
د. اسماعيل صبري عبد الله [الكاتب والمفكر]

إن الكثيرين من قادة العالم وزعمائه قد صيرتهم المواقف والأعمال عظماء عند الناس، ولكن جمال وحده كان يصير المواقف والأعمال ويجعل الناس والأشياء عظيمة كلها من حوله، فهو لم يكن عظيما بما حققه لبلده ولأمته من انتصارات وأمجاد فحسب، ولكنه كان عظيما بالقيم الرفيعة والمبادئ الخالدة التي وقف من أجلها دوما بشرف وبسالة.
الملك حسين [ملك الأردن]

إن وفاة عبد الناصر، تعني وفاة عدو مر، إنه كان أخطر عدو لإسرائيل. إن إسرائيل لهذا السبب لا تستطيع أن تشارك في الحديث الذي يملأ العالم كله عن ناصر وقدراته وحنكته وزعامته.
مناحيم بيجن [زعيم الليكود ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق]

بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقا أمام إسرائيل وعاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلوا بإختفاء شخصيته الكاريزماتية.
حاييم بارليف [رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى]

جمال عبد الناصر كان ألد أعدائنا وأكثرهم خطورة على دولتنا ووفاته عيد لكل يهودى فى العالم.

موشى ديان [وزير الدفاع الإسرائيلي]

لم تكن قوة عبد الناصر ونفوذه معترفا بهما في مصر وحدها ولكن في جميع أنحاء العالم العربي.

إدوارد هيث [رئيس وزراء بريطانيا الأسبق]

لقد كان نبأ وفاة عبد الناصر أسوأ نبأ سمعته في حياتي. لقد كان ناصر من أعظم رجال العالم. كان شجاعا بعيد النظر. وكان يعمل جاهدا على استقرار الشرق الأوسط.. لقد كان أفضل رجل ظهر في الشرق الأوسط.
جورج براون [وزير خارجية بريطانيا الأسبق]

كنت معتقلا فى سجون الشاه الذى كان يكن لعبد الناصر كراهية شديدة، ولاحظت فى اليوم الحزين لوفاته حالة ابتهاج فى السجن بين الضباط والحراس وعندما سألت عن السبب علمت بوفاة الرئيس عبد الناصر، وأقسم بالله أننى بكيت عليه كما لم أبك على أبى وأمى، لقد كان الزعيم الوحيد الذى ساعد الإمام الخومينى وأمد الثورة بالمال والسلاح وقواعد التدريب، مثل رحيله خسارة فادحة للعالمين العربى والإسلامى وللعلاقات بين مصر وإيران الثورة.
الإمام على خامنئى [مرشد الثورة الإيرانية]

إن الغرب سيعيد النظر في تقييمه لهذا الرجل الوطني الكبير المخلص العربي الأصيل. وأخشى أن تكون وفاته كارثة.
كريستوفر مايهيو [عضو مجلس العموم البريطانى الأسبق]

إن نجاح عبد الناصر شجع فجأة الحركات القومية وجعلها تتصور أنها قادرة أن تسحق بريطانيا ولو أن جمال عبد الناصر استقل بمصر وحدها لما كان الخطر كبيراً على مصالحنا في العالم كله. وأنني أقول لكم صراحة أن جمال عبد الناصر كان أخطر على مصالحنا من الاتحاد السوفيتي ولم تستطع كل جهود روسيا أن تضعفنا كما استطاع أن يفعل عبد الناصر.
هارولد ماكميلان [رئيس وزراء بريطانيا الأسبق]

الرئيس عبد الناصر هو أعظم عربى ظهر فى عصرنا ووفاته خسارة عظيمة للعالم الإسلامى وللعلاقات بين مصر وإيران لقد كان أقرب زعيم لثورتنا عندما كنا مطاردين من الشاه، لقد كان أول شخص وجهت إليه التحية وترحمت عليه عقب وصولى إلى إيران بعد الثورة.
الإمام آية الله الخمينى [زعيم الثورة الإيرانية]

إن الناصرية "بوصلة مصر الطبيعية" مع احتفاظ كل مصري بحقه المطلق في رفض عبد الناصر لان المصري "ناصري" قبل الناصرية وبعدها وبدونها.
جمال حمدان [العالم والمفكر المصرى]

إن عبد الناصر لم يعد مجرد شخص وإنما هو رمز لإرادة العرب جميعا فى الحياة، رمزا للصحة فى جسدنا والإصرار والعنفوان والعزم والتصميم فى نفوسنا. إنه العقل المدبر والخطة والنجاة. نحن نريدك يا عبد الناصر أنت ونحن جسد واحد وشخص واحد لا انفصال فيه أنت ونحن وحدة لا تقبل التجزئة، لن نفترق عن جمال عبد الناصر، ولن يفترق جمال عبد الناصر عنا وإنما سنزداد اتحادا كل منا بالأخر وتحت لوائك يا عبد الناصر سوف نحارب حتى الموت بل حتى الحياة يا قمة الحياة.
د / مصطفى محمود [الكاتب الصحفى المصرى]

إننا فى عصر ما بعد عبد الناصر نتكلم أكثر ونصرخ أكثر وهو لا يتكلم، ونخاف أكثر فقد كان عبد الناصر هو الأمان، فاللهم أرحم عبد الناصر، اللهم أرحم عبد الناصر وارحمنا من بعده من أنفسنا.
أنيس منصور [الكاتب الصحفى المصرى]

فهرس الكتاب



معارك ناصرية

كان لدى دائما أمل أن أكتب قصة حياة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بطريقة غير تقليدية، ترد على كل منتقدي مشروعه الحضارى النهضوى المتفرد فى التاريخ العربى بأسلوب توثيقى معلوماتى يسد كل منافذ الهجوم على تراث الرجل العظيم ،والذى مازال مشروعه قادرا على الإلهام ويمكننا من خلال دراسته الخروج من أزمة أمتنا العربية الآن فى الذكرى الأربعين لاستشهاد القائد والمعلم يأتى كتابى هذا خطوة على الطريق نحو إعادة قراءة تاريخنا المعاصر ، ليس لإنصاف جمال عبد الناصر فتاريخه ونضاله فى سبيل أمته يضمنان له مكانا لا يطاوله فيه أحد مع الخالدين من أبطال هذه الأمة، بل من أجل المستقبل العربي.

فى ذكرى مرور ٤٠ سنة على استشهاد جمال عبد الناصر أقول له : طبت حيا وميتا أيها البطل الخالد فى قلوب الأحرار، لم يذهب كفاحك سدى، ولم يضع نضالك هباء ،فمازال أبناؤك ومحبيك والمخلصين لفكرك وخطك السياسى على العهد وهم فى ازدياد مضطرد وأغلبهم لم يعش عهدك ولم يرك ولم يستفد من إنجازاتك ،ولكنهم مؤمنين بك وبمشروعك وستظل للأبد رمزا للحرية والعدالة والعزة والكرامة ونصرة المظلوم يا حبيب الملايين.

عمرو صابح